

بمَجْهَدٍ وَشَرَعَ  
عبد الله محمد

مكتبة الجاهل  
أبي عثمان عثمان بن محمد الجاهل  
٢٥٥ - ١٥٠

## الكتاب الثالث

العثمانية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

النشأة  
مكتبة الخاتمي  
ومكتبة المشي ببغداد



بمحقق و شريك  
جمال محمد علي

مكتبة الجليل  
أبي عثمان عمرو بن بحر الجليل  
٢٥٥ - ١٥٠

## الكتاب الثالث

العثمانية

١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م

مطابع  
دار الكتاب العربي  
مجمع سبكي الشياوي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم إنا نمود بك من فتنة العُجب كما نمود بك من فتنة الأثر ،  
ونمود بك من شر الحاسد كما نمود بك من رَبِّبِ الصاحب ، وقديماً  
ما تمودوا بالله من كيدهما ، وتوجهوا إلى الله في السلامة منهما . قال الله  
جلَّ وعزَّ : « ومن شرَّ حامدٍ إذا حسد » ، وقال حكيم : « اللهم اكفني  
شر أصدقائي ، أما أعدائي فقد عرفتهم » .

سألتني - أيديك الله - أن أبث لك فيما أبث - كتاب  
أبي عثمان في « السَّانية » ، وقلت : إنه كتابٌ نادر الأصل ، عزيز  
النصيب ، وأنت كنت لم تسمع به من قبل ، وأنَّ غيرك من الناس  
كثير لم يملوا به ولم يقرع لهم سما ، إلَّا ما ظهر لهم أخيراً في مناقضة  
الإسكافي له ، وذلك في جمهرة من رسائل بَمَّها أديب كريم فيما يبعث  
الناس من هذا النتاج العربي الخالد .

وقد كنتُ على أن أسرع في إجابة طلبتك ، وأن أبذر إلى تلبية  
هذه الرغبة ، فقد زعمتُ لك من قبل أنني نصبت نفسي لهذا الصنيع ،  
ودعوت الله أن ينسأ في الأجل عسى أن أبذل لأبي عثمان من الوفاء كفاء  
ما بذله هو للإنسانية من وفاء بها وبرٍّ عظيم .

وكان ما صنع الله من عون في بعث كتابي « الحيوان » و « البيان »  
على وجهٍ أراه قد أرضى جمهوراً صالحاً من النصفين ، وأسخط قلة نادرة  
من الشَّناة الحاسدين .

وقد حال دون مبادرتي لإسمافك ما يحول بين الرء وأمانيه الجسم ،  
من حادث الدهر وعوادي أيامه . وقد كنت أخشى أن يستبدّ بك المزع  
بمد هذه المأطلة ، ولكنك سبرتَ وسبرت ، فجزيتُك في نفسى خيرا ،  
حتى شاء الله أن يتم هنا الكتاب — وهو كتابٌ عَجَبٌ — بمد لأيي  
شديد ، ومصاربة طال بها الأمد .

ومسى أن تنفّر لى — حفظك الله — ما زلّ به القلم ، أو أخطأ  
القلب ، وهو ما لم أتممه إن شاء الله ، فإنك بالنفّران حرّى به  
وبالصّبح جدير .

# قديم

## المثانية :

هم أنصار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمتحجون لفضله ، المناضلون عنه ، الدافعون مطاعن المخالفين فيه من الشيعة والزيدية وأضرابهم . عرفوا قديماً بهذا الاسم ، وهم فرع من « الممرية » أصحاب عمر بن الخطاب ، كما تدل على ذلك إشارة الجاحظ في قوله : « ثم أوصى إليه عثمان بن عفان ، وهو أصل الممرية والمثانية » ، وكما قرن بين الطائفتين ابن النديم في أثناء أخبار الجهمي : « ووقع بينه وبين قوم من الممريين والمثانيين شر » . وقال الجاحظ في حكاية قول المثانية : « ولا قول فيه إذ كنا عثمانية وعمرية ، قولكم في عمر وعثمان » .

وكانت المثانية أشد الفرق الإسلامية السياسية خلافاً على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما كانت الشيعة أشد الناس لهم عداوة .

وكان انجاء الشيعة في طعنهم على عثمان أن يطعنوا في أسلافه : أبي بكر وعمر ، وتستند حملتهم على أبي بكر خاصة ، لأنه أعلى الثلاثة الخلفاء الراشدين شأنًا وأظهرهم مناقب . ولهذا السبب نفسه فيما أرى اتجهت أفكار المثانية إلى أن تعلى من شأن أبي بكر وتلتصم له من المناقب ما ترى فيه انتصاراً على الشيعة وإخفافاً لهم . فيقولون<sup>(١)</sup> :

« إن أفضل هذه الأمة وأولاها بالإمامة أبو بكر بن أبي قحافة ... وكان أول ما دلهم عند أنفسهم على فضيلته وخاصة منزلته وشدة استحقاقه إسلامه على الوجه الذي لم يسلم عليه أحد في عاله وفي عصره » .

ويذهبون إلى الموازنة بين فضائله وفضائل علي :

فصحبة أبي بكرٍ للرسول في النار أظهر فضلاً من مبيت عليّ في القراش<sup>(١)</sup>. وقد ظفر من النبي بلقب الصديق ، وهو ما لم يظفر بمثله علي<sup>(٢)</sup>. وهو كذلك. قد انفرد بالرسول في المريش<sup>(٣)</sup>، وقدّمه النبي في الحديبية<sup>(٤)</sup> وسائر الرسول وحده يوم فتح مكة<sup>(٥)</sup>، وأنزل فيه من القرآن ما لم ينزل في أحد من الصحابة<sup>(٦)</sup>. وقد نال فضلاً عظيماً بإمامته الناس في مرض النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> وكان هو إماماً ليلي<sup>(٨)</sup>. وكان المحكم في موضع دفن الرسول<sup>(٩)</sup>. وهو الذي تدارك الأمة بحزمه بعد وفاة الرسول<sup>(١٠)</sup>.

وأما الشيعة فيجعلون إسلام عليّ فوق إسلام أبي بكر<sup>(١١)</sup>. وعلى ما كان أفعه من أبي بكر<sup>(١٢)</sup>. وكان عليّ يتصدق وهو في الصلاة<sup>(١٣)</sup>. وفيه وفي ابنه أُنزلت سورة كاملة من القرآن<sup>(١٤)</sup>. وله يقول الرسول : « أنت مني كهارون من موسى<sup>(١٥)</sup> ». وقد كان عليّ مواخياً للرسول<sup>(١٦)</sup>. وقد أسرّ إليه بطل ما كان وما سيكون<sup>(١٧)</sup>. ويقولون : نحن نطعم في صلاة أبي بكر بالناس<sup>(١٨)</sup>. وخلافة أبي بكر كانت بشير إجماع<sup>(١٩)</sup>. ويقولون يكفر من أنكر إمامة علي<sup>(٢٠)</sup>. ويقولون : كان بلال وعمار ابن ياسر يطعمان عليّ أبي بكر وعمر<sup>(٢١)</sup>. ويرمون أبا بكر وعثمان بالجين<sup>(٢٢)</sup>. والفاخر التي يدعيها الثمانية لأبي بكر مدحوضة كاذبة<sup>(٢٣)</sup>. وأما مطاعن الثمانية في عليّ فإنها واهية مردودة<sup>(٢٤)</sup>.

- |                           |                                |
|---------------------------|--------------------------------|
| ( ١ ) الثمانية ٤٢ .       | ( ٢ ) ص ١٢٣ ، ١٢٨ .            |
| ( ٣ ) ص ٣٥ .              | ( ٤ ) ص ٧٠ .                   |
| ( ٥ ) ص ٢٢ .              | ( ٦ ) ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ . |
| ( ٧ ) ص ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ . | ( ٨ ) ص ١٢٩ .                  |
| ( ٩ ) ص ٨٣ .              | ( ١٠ ) ص ١٨٤ ، ١٩٩ .           |
| ( ١١ ) ص ١٨ ، ٢٠ .        | ( ١٢ ) ص ٨٤ .                  |
| ( ١٣ ) ص ١١٩ .            | ( ١٤ ) ص ١١٦ .                 |
| ( ١٤ ) ص ١٥٣ ، ١٥٨ .      | ( ١٥ ) ص ١٦١ .                 |
| ( ١٥ ) ص ٢٤٣ .            | ( ١٦ ) ص ١٧٠ .                 |
| ( ١٦ ) ص ١٧٢ .            | ( ١٧ ) ص ٢٢٥ .                 |
| ( ١٧ ) ص ١٨٠ ، ١٨٢ .      | ( ١٨ ) ص ٢٤٢ .                 |
| ( ١٨ ) ص ٢٣٨ .            | ( ١٩ ) ص ٢٣٩ .                 |



وقد جعل الجاحظ نفسه حكماً بين هذه الطامع والتناقضات ، ولم يستطع أن يكتم ما في نفسه من التحامل على الشيعة ، كما لم يستطع أن يكذب على التاريخ فيسلب علياً رضوان الله عليه جمهور مناقبه المالية ، بل هو يجهل بتعجيبه لملى كرم الله وجهه ، ويحمل شيعة على نعمة هذه المهارات ، فيقول :

« وليس أنه — أى على — لم يكن في طبعه التجدة والشهامة ، وفي غريزته الدفع والحماية <sup>(١)</sup> » .

« ولم يرد بهذا الكلام تنقص على رحمه الله ، ولا إخراجا من الغناء واحتمال الكروه <sup>(٢)</sup> » .

« والمجب إن كان كما ترمعون ، كيف لم يصب على أبي موسى فيجذمه ، أو على جيش صيفين فيهزمه ؟ ! بل كان على أظهر سُلماً ، وأرجح حلماً وأشدّ ورعاً ، وأكثر فقهاً وأبين فضلاً ، من أن يدعى هذا وشبهه <sup>(٣)</sup> » .

ومدار الكلام في هذا كله على «الإمامة» ، فالنزاع بين الفريقين يطوَّف ما يطوَّف ثم يأوى إلى هذا المعنى الديني السياسي .

وفي ذلك يقول الجاحظ <sup>(٤)</sup> : « ولكن كتابي هذا لم يُوضع إلا في الإمامة . وربما ذكرت من المقالة والملة والنحلة التي تعرّض في الإمامة صدرأ ، طلباً للتأم وترقيقاً لوجوه الإمامة وما دخل فيها » .

#### مضى ألف الجاحظ كتاب المنيّة :

نستطيع أن نجعل حداً لتأليف هذا الكتاب قبل سنة ٢٤٠ ، وهي السنة التي توفي فيها أبو جعفر الإسكافي <sup>(٥)</sup> . فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن أبا جعفر الإسكافي قضى كتاب المنيّة على أبي عثمان الجاحظ ( في حياته ) . وذكر

(٢) من ٤٨ .

(١) المنيّة من ٣٠ .

(٤) من ٢٠٦ .

(٣) من ١٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ : ٤١٦ و مروج الذهب ٣ : ٢٥٤ وابن أبي الحديد ٤ : ١٥٩ .

أيضاً أن الجاحظ دخل سوق الوراقين يبتدأ فقال : من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تمرّض لتقص كتابى ؟ وأبو جعفر جالس ، فاخضى منه حتى لم يره . وقد ألف كتابه هذا قبل كتاب « العباسية » ، قال فى الثمانية <sup>(١)</sup> : « وسنخبر عن مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من مقالة الثمانية » . وألفه كذلك قبل كتاب المعرفة <sup>(٢)</sup> ، وقبل كتاب الحيوان ، فهو يقول فى مقدمة الحيوان <sup>(٣)</sup> : « وعبّنى بحكاية قول الثمانية والضاربة <sup>(٤)</sup> ، وأنت تسمنى أقول فى أول كتابى : وقالت الثمانية والضاربة ، كما سمّيتى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمت على بالنصب لحكايتى قول الثمانية ، فهلاً حكمت على بالتشيع لحكايتى قول الرافضة » .

#### تحقيق اسم الكتاب :

إن نسخة الأصل لم يثبت على ظاهرها عنوان خاص ، ولكنها تحمل فى ظاهرها خاتم مكتبة كوبرلى ورقم ٨١٥ وسماها الفهرسون : « جل جوابات الثمانية بجملة مسائل الرافضة والزيدية » اقتباساً من عبارة وردت فى أواخر هذه النسخة (ص ٢٨٩ ص ٦) .

والحق أن اسم هذا الكتاب هو « كتاب الثمانية » عرفه بذلك ابن أبى الحديد <sup>(٥)</sup> .

(٢) ص ٢٦١ .

(١) ص ١٨٧ .

(٣) الحيوان ١ : ١١٠ .

(٤) هؤلاء أتباع ضرار بن عمرو صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان فى أول أمره تلميذاً لوائل بن عطاء المثلج ، ثم خالفه فى خلق الأعمال ، وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات لمرزى ٦٩ والفرق ٢٠٩ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبى بن كعب ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل ١ : ١١٥ . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجهمى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل إن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان اللئزان ٣ : ٢٠٣ . ومن الواضح أن حكاية قول الضرارية كان فى كتاب آخر غير كتاب الثمانية .

(٥) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ / ٤ : ١٥٩ .

وعلى هذه التسمية صنع أبو جعفر الإسكافي كتابه الذي سماه « نقص  
المثانية<sup>(١)</sup> » .

ويقول السمودي في مروج الذهب<sup>(٢)</sup> :

« وقد صنف أيضاً كتاباً استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيدّه بالبراهين ،  
وعصّده بالأدلة فيما تصوّره من عقله ، ترجمه بكتاب المثانية ، يحل ( ٩ ) فيه عند  
نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ، ومحتجّ فيه لنيره ، طلباً لإماتة الحق ،  
ومضادّة لأهله . والله متمّ نوره ولو كره الكافرون » .

ثم يقول : « ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب المثانية حتى أعقبه  
بتصنيف كتاب آخر في إمامة الرواية وأقوال شيعتهم ؛ ورأيته مترجماً بكتاب  
إمامة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان في الانتصار له من على بن أبي طالب رضى  
عنه وشيعة الرافضة ، يذكر فيه رجال الرواية ، ويؤيد فيه إمامة بنى أمية وغيرهم » .  
ويقول بعد ذلك : « ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل المثانية ، يذكر  
فيه ما فاتته ذكره وقصّده عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه  
فيما ذكرنا » .

والراجح أن كلمة « المثانية » في النص الأخير محرفة عن « المباسية » ؛ وذلك  
لأن « مسائل المباسية » هو الكتاب الذي وعد به الجاحظ في أثناء كتاب  
المثانية وفي ختامه .

يقول في الرضع الأول<sup>(٣)</sup> : « وسنخبر عن مقالة المباسية ووجوه احتجاجهم  
بعد فراغنا من مقالة المثانية » .

وفي الرضع الثاني<sup>(٤)</sup> : « ونحن مبتدئون في كتاب المسائل » بمعنى بذلك  
« مسائل المباسية » .

(١) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ ( التي وردت خطأ مطبعياً بعد ص ٢٥٦ ) .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ .

(٣) ص ٢٨٠ .

(٤) ص ١٨٧ .

### قدر الكتاب :

لولا يكن من قدر هذا الكتاب إلا أنك تقرأ من قلم الجاحظ ثمانين صفحة ومائتين لكفى ذلك فضلا له ، فإن ما كتبه الجاحظ في كتابه « الحيوان » و « البيان والتبيين » يمدُّ بالنسبة إلى النصوص والتقول التي حشدها في ذين الكتابين شيئا ليس بالناب . وأما المئانية فهي صوغٌ كريم للجاحظ ، ومتاعٌ لدارس المسائل الدينية ، والقضايا التاريخية والسياسية التي نجت في فجر الإسلام وأوائل الدول الإسلامية . وهو كذلك معرض كبير للجدال والحجاج الفكري في عصر من أزهى المصور الإسلامية الأولى .

### نقض المئانية :

ظهر كتاب المئانية في زمان كثر فيه الجدل والنزاع حول العصبة الدينية والسياسية ، وكان المترلة في أوج قوتهم ونشاطهم . ويبدو كذلك أن الحرية الفكرية لم تكن تلقى من القيود ما يكفكف من غربها . فالجاحظ نفسه يقول في المئانية<sup>(١)</sup> مبرأ عن زوال التقيّة وانطلاق الفكر بقوله :

« ولولا أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم استحل كتابه مع زوال التقيّة ، وسلاح القهر ، وإنصاف القيم » .

لذلك وجدنا المئانية تلقى من ينقضها في حياة الجاحظ . ومن المعجب أن الذي ينقض المئانية وهو شيخ من شيوخ المترلة البغداديين ورؤسائهم ، وأهل الزهد والديانة منهم ، ممن يذهب إلى تفضيل على عليه السلام ، وإلى القول بإمامة الفضول كما يقول المسعودي<sup>(٢)</sup> ، وذلك الناقض هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي .

وقد عدّه قاضي القضاة<sup>(٣)</sup> في الطبقة السابعة من المترلة ، مع عباد بن سليمان الصيمري ،

(١) المئانية ص ١٥٤ .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٣) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الميماني الاسفرايضي . كان شيخ المترلة في عصره ، ولم يلقبونه قاضي القضاة ، ولا يطلقون هذا القاب على غيره . ومات بالري سنة ٤١٥ . تاريخ بغداد ١١ : ١١٣ والرسالة المستطرفة ١٢٠ .

وزرقان ، وعيسى بن المهيم . كما جعل أول هذه الطبقة ثمانية بن أشرس ، ثم أباهان الجاحظ ، ثم أباه موسى عيسى بن سبيح الرزاز ، ثم أباه عمران يونس ابن عمران ، ثم محمد بن إسماعيل المسكوى ، ثم عبد الكريم بن روح المسكوى ، ثم يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أباه الحسين الصالحى ، ثم صالح قبة ، ثم الجعفران : جعفر بن جرير ، وجعفر بن ميسر ، ثم أباه عمران بن النقاش ، ثم أباه سميد أحمد ابن سميد الأسدى ، ثم عباد بن سليمان ، ثم أباه جعفر الإسكافى هنا .

وقال : كان أبو جعفر قاضياً طالما ، وصنف ( سبعمين كتاباً ) فى علم الكلام . وهو الذى قضى كتاب الثمانية على أبى عثمان الجاحظ ( فى حياته ) . ودخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال : من هذا النلام السوادى الذى يبنى أنه تعرض لنقض كتابي ؟ ! وأبو جعفر جالس ، فاختفى منه حتى لم يره .

وكان أبو جعفر يقول ( بالفضل ) على قاعدة معتلة ببغداد ويبالغ فى ذلك . وكان علوى الرأى عمقاً منصفاً قليل المصيبة<sup>(١)</sup> .

ولتوضيح هذا النص الأخير نُورد ما ذكره ابن أبى الحديد فى صدر كلامه فى شرح نهج البلاغة ، إذ يقول<sup>(٢)</sup> .

« القول فيما يذهب إليه أصحابنا المتهلّة فى الإمامة ، والفضل ، والبناتة ، والخوارج :

اتفق شيوخنا كافّة — رحمهم الله — المتقدمون منهم والمتأخرون ، والبصريون والبغداديون ، على أن بيعة أبى بكر الصديق صحيحة شرعية ، وأنها لم تكن عن نص ، وإنما كانت بالاختيار ، الذى ثبت بالإجماع وبغير الإجماع كونه طريقاً إلى الإمامة . واختلفوا فى ( الفضل ) ، فقال قدماء البصريين كابى عثمان عمرو بن عبيد ، وأبى إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، وأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبى مَن

(١) ابن أبى الحديد ٤ : ١٥٩ .

(٢) ابن أبى الحديد ١ : ٣ .

ثمامة بن أنس ، وأبي محمد هشام بن عمرو القوطي ، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وجماعة غيرهم ، أن أبا بكر أفضل من علي عليه السلام ، وهؤلاء يعملون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة .

وقال البنداديون قاطبة قداماً ومتأخراً ومكأنهم يمشون بغير من المعتمر ، وأبي موسى عيسى بن صبيح ، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر ، وأبي جعفر الإسكافي ، وأبي الحسين الخياط ، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته ، أن علياً عليه السلام أفضل من أبي بكر . وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً . وكان من قبل من التوقفين ، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به ، وإذا سئل ذهب إلى الوقف في مصنفاته . وقال في كثير من تصانيفه : إن صح خبر الطائر<sup>(١)</sup> فلي أفضل .

ثم إن قاضي القضاة رضي الله عنه ذكر في شرح القالات لأبي القاسم البلخي أن أبا علي<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه ، يوم مات ، استندى ابنه هاشم إليه ، وكان قد ضعف من رفع الصوت ، فألقى إليه أشياء ، من جللها القول بتفضيل علي عليه السلام . ومن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين ابن علي البصري رضي الله عنه ، كان متحققاً بتفضيله ، ومبالغاً في ذلك ، وسئل فيه كتاباً مفرداً .

ومن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رضي الله عنه . ذكر ابن متويه عنه ، في كتاب الكفاية في علم الكلام ، أنه كان من التوقفين بين علي عليه السلام وأبي بكر ، ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام ، بكامل المنزلة .

ومن البصريين الزاهدين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن متويه صاحب

(١) انظر الثانية ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) يعني أبا علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي .

التذكرة ، نصّ في كتاب الكفاية على تفضيله عليه السلام على أبي بكر ، واحتجّ لذلك وأطال في الاحتجاج .

فهذان المذهبان كما عرفت . وذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما ، وهو قول أبي حنيفة واصل بن عطاء ، وأبي الهذيل محمد بن الهذيل الملاف من المتقدمين . وما وإن ذهبنا إلى الوقف بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر ، فاطمان على تفضيله على عثمان .

ومن الناهبين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي رحمهما الله ، والشيخ أبو الحسن محمد بن علي بن الطيب البصري رضى الله عنه .

وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السلام . وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل ؟ وهل المراد به الأكثر ثواباً أم الأجمع لزاي الفضل والحلال الحيدة ؟ وبيننا أنه عليه السلام أفضل ، على التفسيرين ممّا . . . » .

فهذه الوثيقة النادرة تبين لنا مدى العلاقة بين التشيع والاعتزال ، وتدلّ لنا بمض المواقف التي حدث بالملاحظ أن يصنع كتاب المئانية .

وكتب « قصص المئانية » من الكتب التي انقرضت ، ولم يبق منه إلا نصوص متناثرة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد<sup>(١)</sup> ، الذي طبع للمرة الأولى في طهران سنة ١٢٧٠ ثم في مصر سنة ١٢٩٠ ، ١٣٢٩ .

وقد أفرد الأستاذ حسن السندوبى هذه النصوص في كتابه « رسائل الملاحظ » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٢ وجاء بها على ترتيبها الذي وجدت عليه في شرح نهج البلاغة ، بعد أن أفرد نصوص المئانية التي نقضها أبو جعفر الإسكافي على ترتيبها في ذلك الشرح .

---

(١) هو عز الدين عبد الحميد بن حبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد اللدائي السمرقاني ، التقية الشاعر . ولد سنة ٥٧٦ وتوفي سنة ٦٥٥ . فوات الوفيات .

وذلك أن ابن أبي الحديد يسوق النص من المئانية ثم يقب عليه بمناقضة أبي عثمان نصاً بنص . ولكن الأستاذ السندوي أفرد الأولى جميعاً ، ثم أفرد الأخرى جميعاً كذلك .

وقد وجدتُ أن النصوص التي أوردها ابن أبي الحديد من المئانية تدور حول مواضع لا تتجاوز اثنتين وستين صفحة من صدر المئانية بحسب<sup>(١)</sup> ، ووجدت أن التقييد عليها في أسفل الصفحات بمناقضات أبي جعفر يُخل بالوضع الذي يجب أن يخرج عليه الكتاب ، فوضعتُ إشارات بالنجوم في الأصل وأشرت في الحواشي إلى أرقام المناقضات التي تقابلها والتي أفردتها وحدها بمد نهاية نص المئانية . ولم أثنأ أن أعتمد على النسخة المطبوعة المتداولة من شرح ابن أبي الحديد ، وهي طبعة سنة ١٣٢٩ فرجعت إلى المخطوطة الكاملة المودعة برقم ٥٧٦ أدب ، وقابلت نصّها بنصّ النسخة المطبوعة ، التي أشرت إليها بالرمز « ط » .

وقد لحظت أن النصوص التي يوردها ابن أبي الحديد من المئانية لا تطابق الأصل مطابقةً تامة ، بل يتصرف فيها بالاختصار<sup>(٢)</sup> ، مع أن ابن أبي الحديد

(١) علل ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ بما يلي :  
« ويبقى أن يذكر في هذا للوضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو ميثان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب المئانية في تفضيل إسلام أبي بكر على إسلام علي عليه السلام ، لأن هذا الوضع يقتضيه ، لقوله عليه السلام حكاية من قريش لما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله : وهل يصدق في أمرك إلا مثل هذا ! لأنهم استغفروا منه فاستغفروا أمر محمد صلى الله عليه وآله ، حيث لم يصدق في دعواه إلا غلام صغير السن . وشبهة المئانية التي قررها الجاحظ من هذه الشبهة نشأت ، ومن هذه الكلمة فخرت ، لأن خلاصتها أن أبا بكر أسلم وهو ابن أربعين سنة ، وعلي أسلم ولم يبلغ الحلم ، فكان إسلام أبي بكر أفضل . ثم تذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الإسكافي على الجاحظ في كتابه للمروفي بنصّ المئانية . ويتعقب الكلام بينهما حتى يخرج عن البحث في الإسلاميين إلى البحث في أفضلية الرجلين وخصائصهما فإن ذلك لا يخلو من فائدة جلية ، ونكتة لطيفة ، لا يليق أن يخلو كتابنا هذا عنهما ، ولأن كلامهما بالرسائل والمطابقة أشبه . وفي الكتابة أقصد وأدخل . وكتابنا هذا موضوع ذكر ذلك وأمثاله » .

(٢) بلغ أن أوجزت صفحتان منه في نحو ثلاثة أسطر . قابل بين ٢٧ — ٣ س ٦ وأصل الناقصة وتم ٦ في ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٧ .



نفسه ينمى على الذين يصنعون ذلك فى اقتباس النصوص . قال يبيب المرتضى فى ذلك<sup>(١)</sup> :

« والمرضى رحمه الله لا يورد كلام قاضى القضاة بنصه ، وإنما يختصره ويورده مبتورا ، ويؤمى إلى المائى إيماء لطيفا ، وغرضه الإيجاز . ولو أورد كلام قاضى القضاة بنصه لكان أليق ، وكان أبعد عن الظنة ، وأدفع لقول قائل من خصومه : إنه يحرف كلام قاضى القضاة ويذكره على غير وجهه . ألا ترى أن من نصب نفسه لاختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معانى ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره ، ومن الجائز أن يظن أنه قد فهم بعض المواضع ولم يكن قد فهمه على الحقيقة ، فيختصر ما فى نفسه لا ما فى تصنيف ذلك الشخص . وأما من يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التبعة ، وعرض عقل غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين » .

لكن القى يهون من هذا الأمر أن ابن أبى الحديد نفسه يذكر فى صراحة أنه إنما يسوق ملخصا لكلام الجاحظ ، قال<sup>(٢)</sup> : « وبينى أن يذكر فى هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ فى كتابه المروف بكتاب الثمانية » . ولهذا السبب لم أر داعيا لذكر النص القى نقله ابن أبى الحديد من الثمانية ، وإنما استغنت به فى تحقيق نص الكتاب ، ورمزت له بالرمز « ح » .

ومما هو جدير بالذكر أن تلك الناقضات قد وردت عند ابن أبى الحديد غير مرتبة وغير مسارة لجرى الكتاب ، فترتيبها هناك على هذا النسق : الناقضات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٨ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(١) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ التى وقت خطأ بعد ص ٢٥٦ .

لكنى غيّرت هنا نسقها الذى وردت عليه لتساير نصوص النمانية على ترتيبها المطّرد .

### أصول كتاب النمانية :

لم يكن هذا الكتاب معروفاً ، عُرف معرفةً تاريخيةً غسب ، ولم تنشر الطبعة إلا الفصول التى أوردها ابن أبى الحديد ، وما إن علمت بأن معهد المخطوطات للجامعة العربية قد اجلب سورة منه ، حتى بادرت إلى طلب سورة منها ، تمهيداً لنشره فى « مكتبة الجاحظ » التى بدأت العمل فى تحقيقها سنة ١٣٥٧ .

وأصل هذه النسخة مودع فى مكتبة كوبرلى بتركيا برقم ٨١٥ . وهى نسخة بمجولة التاريخ نوشك أن تكون من مخطوطات القرن السادس الهجرى . ومع جودة خطها هى كثيرة التحريف ، ومع هذا التحريف نجد منهج كتابتها خاضاً لمنهج الأقبسين من وضع علاماتٍ لاهمال الحروف مثل ( ٧ ) أو تقييدها وضبطها مثل ( ح ) و ( ع ) . وكثيراً ما يترك الناسخ إعجام بعض الحروف مثل ( رى ) و ( ندا ) ثقةً بذهن القارىء أو مطاوعة لأصل نسخته .

وهذه النسخة هى التى عبرت عنها فى الحواشى بكلمة ( الأصل ) .

أما النسخة الثانية فهى مقتطفات من « النمانية » وردت فى مجموعة عنوانها « مختارات فصول الجاحظ » من اختيار عبيد الله بن حسان . كتبت هذه النسخة سنة ١٢٩٤ باسم خزانة مسيو كريم النمساوى .

وأصل هذه المجموعة محفوظ فى مكتبة المتحف البريطانى برقم ١١٢٩ ، وصورتها مودعة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩ . ويبدأ الاختيار فيها من النمانية فى الورقة ١٦١ .

وهذه الفصول المختارة من النمانية لم ترد فى المختارات المطبوعة فى مصر بهامش كامل البرد .

وقد تضمنت هذه الفصول أربعة اختيارات .  
الأول يبدأ من أول المبنية وينتهى إلى س ٤ من ص ١٨ .  
والثاني من س ١٦ ص ٣٥ إلى س ٧ من ص ٣٧ .  
والثالث من س ١٢ ص ٣٩ إلى س ٣ من ص ٤١ .  
والرابع من س ٨ ص ٢٥٠ إلى س ٩ من ص ٢٥٧ .  
وقد دمجت لهذه النسخة بالرمز ( ب ) .  
وعلى هاتين النسختين اعتمدت في تحقيق نص الكتاب مستمينا بشقى المراجع ،  
ولاسيما التاريخية والأدبية .  
وأرجو أن أكون بهذا الجهد قد قاربت الصواب ، ودانيت الحق  
وفه الحمد على ما أنعم ما

عبد السلام هارون

مصر الجديدة في ٢٠ رمضان ١٣٧٤



## مراجع التحقيق

- أسماء جبال تهامة ، لمرام بن الأسبح ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٧٣ .  
الإحابة ، فى أسماء الصحابة ، لابن حجر . طبع السادة ١٣٢٣ .  
إمتاع الأسماع ، للمقرئى . تحقيق محمود شاكر . لجنة التأليف ١٣٦٠ .  
الإنباء على قبائل الرواة ، لابن عبد البر . السادة ١٣٥٠ .  
أنساب الأشراف للبلاذرى . بيت المقدس ١٩٣٦ م .  
البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩ .  
تاريخ الإسلام ، للذهبي . طبع القدس ١٣٦٧ .  
تاريخ الأمم والملوك ، للطبرى . الحسينية ١٣٢٦ .  
تاريخ بنداى للخطيب البنداى . القاهرة ١٣٤٩ .  
تحقيق النصوص ونشرها ، لمبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤ .  
تفسير أبى حيان . السادة ١٣٢٨ .  
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٢٥ .  
جمهرة أشعار العرب ، للقرشى . بولاق ١٣٠٨ .  
جمهرة الأنساب ، لابن حزم . تحقيق بروقنسال . طبع دار المعارف ١٣٦٨  
الحيوآن ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٤ .  
دائرة المعارف الإسلامية . النسخة العربية من سنة ١٣٥٢ .  
ديوان حسان . الرحمانية ١٣٤٧ .  
« المجاج . ليسك ١٩٠٢ م .  
« أبى عجن الثقفى . الأزهار بالقاهرة .  
الروض الأنف ، للسبلى . الجالية ١٣٢٢ .  
الرياض النضرة ، للمحب الطبرى . الحسينية ١٣٢٧ .  
زهر الآداب ، للحصرى . الرحمانية ١٩٢٥ .  
سيرة ابن هشام . جوننجن ١٨٥٩ .  
شرح الحماسة للمرزوقى . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٣ .

- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد . الحلبي ١٣٢٩ .  
صفة الصفوة ، لابن الجوزي . حيدر آباد ١٣٥٦ .  
الطبقات الكبير ، لابن سعد . لندن ١٣٢٣ .  
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠ .  
العمدة ، لابن رشيقي . هندية ١٣٤٤ .  
عيون الآثار ، لابن سيد الناس . القدس ١٣٥٦ .  
فتح الباري ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .  
فصل الخطاب ، للطبرسي . طبع إيران .  
الفهرست ، لابن التديم . الرحمانية .  
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٣٨٢ .  
الكامل ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨ .  
الكامل ، للبرد . ليسك ١٨٦٤ م .  
لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٣٠ .  
مروج الذهب ، للمسعودي . السعادة ١٣٦٧ .  
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .  
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .  
المعجم الفارسي الإنجليزي ، لاستينجاس لندن ١٩٣٠ م .  
المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣ .  
منازى الواقدي . السعادة ١٣٦٧ .  
مقاتل الطالبين ، لأبي الفرج الأصبهاني . تحقيق السيد صقر . الحلبي ١٣٦٨ .  
الملل والنحل للشهرستاني . الأدبية ١٣١٧ .  
الميسر والأزلام ، لعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .  
نسب قريش ، للصعب الزبيري . دار المعارف ١٣٧٢ .  
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . اليمينية ١٣١٠ .  
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٥ .

العشانية





## فَسِّرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ الْخَمِيعَ

عونك اللهم

ثم إنا مُخْبِرُونَ عن مقالة المُبَانِيَةِ ، وبالله نستهدى وإياه نستعين ، وعليه نتوكل ، وما توفيقنا إلا به .

- ٥ "رووا<sup>(١)</sup> أن أفضل هذه الأُمة وأولاهها بالإمامة أبو بكر بن أبي قُحافة ، وكان أول ما دلّهم عند أنفسهم على فضيلته وخاصة منزلته ، وشِدّة استحقاقه ، إسلامه على الوجه الذي لم يُسلم عليه أحدٌ من عَالِه وفي عصره . وذلك أن الناس اختلفوا في أولِ الناس إسلاماً ، فقال قوم : أبو بكر بن أبي قُحافة ، وقال آخرون : زيدُ بن حارثة ، وقال نفرٌ : خُبَّاب بن الأَرْت .
- ١٠ على أنّه إذا تفقّدنا أخبارهم ، وأحصينا أحاديثهم وعدد رجالهم<sup>(٢)</sup> ، و [ نظرنا في<sup>(٣)</sup> ] صحة أسانيدهم ، كان الخبر في تقديم أبي بكرٍ أعمّ ، ورجاله أكثر ، وإسناده أصحّ ، وهم بذلك أشهر ، واللفظ به أظهر ، مع الأُشعار الصحيحة والأخبار المستفيضة<sup>(٤)</sup> في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمد وفاته . وليس بين الأُشعار وبين الأخبار فرقٌ إذا امتنع في مجيئها وأصلٍ خرجها التّباعد<sup>(٥)</sup> والاتفاق والتّواطؤ ، ولكنّا ندع هذا

(١) ب : « زعمت المُبَانِيَةُ » وفي ح : « قالت المُبَانِيَةُ » .

(٢) ب ، ح : « وعددنا رجالهم » .

(٣) التّكلمة من ح .

(٤) في الأصل وب : « والأُمثال المستفيضة » ، ووجهه من ح .

(٥) في الأصل وب : « التّفاسر » ، وصوابه من ح .

الذهب [ جانباً<sup>(١)</sup> ] ، ونَضْرِبُ عنه صفحاً ، اقتداراً على الحجّة ، وثقةً  
بالفَلَج والقوّة ، وقتصرُ على أدنى منازل أبي بكر ، ونزل على حكم الخصم  
مع سرفه ومَيْطه<sup>(٢)</sup> فتقول :

لما وجدنا مَنْ يزعم أن خُبَّاباً وزيداً أسلما قبله فأوسطُ الأمور وأعدلها  
وأقربها من محبة الجميع ورضا المجادل<sup>(٣)</sup> أن نجعل إسلامهم كان معاً ؛ إذ ادَّعوا  
أنَّ الأخبار في ذلك متكافئة ، والآثار متدافئة ، [ وليس في الأشعار دلالة ،  
ولا في الأمثال حُجّة<sup>(٤)</sup> ] ، ولم يجدوا إحدى القضيتين أولى في حجة  
المقل من الأخرى<sup>(٥)</sup> .

(١) التكلفة من ح .

(٢) كلمة « سرفه » غير واضحة في الأصل ، وتبينها من ب . والمبط : الكذب . ١٠

(٣) ب ، ح : « الخال » .

(٤) التكلفة من ب .

(٥) بد هذا الكلام في شرح ابن الحديد : « ثم نستدل على إمامة أبي بكر بما ورد فيه  
من الحديث ، وبما أثبت به الرسول صلى الله عليه وسلم من غيره .

١٥ قالوا : فما روى من تقدم إسلامه ما حدث به أبو داود وابن مهدي عن شعبة ، وابن  
هبيبة عن الجريري عن أبي هريرة ، قال أبو بكر : أنا أحكم بهذا الأمر — يعني الخلاف —  
أنت أول من سأل .

وروى عباد بن صهيب عن يحيى بن عمار عن محمد بن المنكدر أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وآله قال : إن الله يثنى بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة . فقالوا : كذبت ،  
وقال أبو بكر : صدقت . ٢٠

وروى يعلى بن عبيد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فسأله : من كان أول الناس إسلاماً ؟  
قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة      فاذكر أخاك أيا بكركم فما فعلا  
الثاني التالي محمود مشهده      وأول الناس منهم صدق الرسالة

وقال أبو عجين : ٢٥

سبقت إلى الإسلام واثقه شامد      وكنت حبيباً بالريش مقهرا =

فصل (١) : وقالوا : فإن قال قائل : فما بالك لم تذكروا علياً في هذه الطبقة وقد تملون كثرة مقدميه والرواية فيه ؟

قلنا : لأننا قد علمنا بالوجه الصحيح ؛ والشهادة القاطعة أنه أسلم وهو حدث غرير ، وعلام صغير ، فلم نكذب الناقلين ، ولم نستطع أن نزل (٢) أن إسلامه كان لاحقاً بإسلام البالغين ؛ لأنَّ للقلِّ زعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين ، والكثير زعم أنه أسلم وهو ابن تسع سنين ، والقياس أن يؤخذ بأوسط الروایتين ، وبالأمر بين الأمرين ، وإنما نعرف [ حق (٣) ]

== وقال كعب بن مالك :

سبقت أنا تيم للدين أحد وكنت لدى التيران في الكهف صاحباً  
وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن إدريس ووكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة قال : ١٠  
قال النضی : أبو بكر أول من أسلم .

وروى هشيم عن يعل بن عطاء عن عمرو بن عتبة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت : من يملك على هذا الأمر ؟ فقال : يا بني حر وعبد ! فلقد رأيته يومئذ وأنا رابع الإسلام .

قال بعض أصحاب الحديث : يعني بالمرأى بكر ، وبالبد بلا . ١٥  
وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : حدثني عمرو بن هشبة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقال له : من يملك ؟ قال :  
يحيى حر وعبد : أبو بكر وبلال .

وروى عمرو بن إبراهيم الهاشمي عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما قبض أبو بكر جاء علي بن أبي طالب فقال : رحاك أبا بكر ، ٢٠  
كنت أول الناس إسلاماً .

وروى عباد عن الحسن بن دينار عن بشر بن أبي زينب عن عكرمة مولى ابن عباس قال :  
إذا لقيت الهاشميين قالوا علي بن أبي طالب أول من أسلم ، وإذا لقيت الذين يملون قالوا :  
أبو بكر أول من أسلم .

(١) هذه الكلمة لا وجود لها في ب ولا في ح ، وليكنّا آثرنا إثباتها حرصاً على أداء ٢٥  
النسخة ، مع ميلنا إلى الاعتقاد بأنها ليست من صنيع الملاحظ .

(٢) ب : « أن تزعم » .

(٣) هذه من ب .

ذلك من باطله بأن تُحصى سِنِيه التي ولي فيها ، وسِنِي عثمان ، وسِنِي عمر  
وسنى أبي بكر ، وسنى الهجرة ، ومُقام النبي صلى الله عليه بمكة بعد أن دعا  
إلى الله وإلى رسالته إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم تنظرَ في أقاويل الناس  
في عُمره ، وفي قول القَلَّل والكثُر ، فتأخذَ أوسطها وهو أعدلها ، وتطرح  
قول المُصَرِّ والنالِ ، ثم تطرح ما حصل في يديك من أوسط ما روى من  
عُمره [ و ] سِنِيه ، وسِنِي عثمان وسنى عمر وسنى أبي بكر ، والهجرة ومُقام  
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة إلى وقت إسلامه ، فإذا فُلتَ ذلك وجدتَ  
الأمر على ما قلنا وعلى ما فسرنا .

وهذه التواريخ والأعمار معروفةٌ لا يستطيعُ أحدٌ جهلها والخلافَ  
عليها ؛ لأنَّ الذين نقلوا التاريخ لم يعتمدوا<sup>(١)</sup> تفضيلَ بعضٍ على بعض ،  
وليس يمكن ذلك مع اختلاف علمهم وأسبابهم ، فإذا ثبت عندك بالذي  
أوضحنا وشرحنا أنه كان يومئذ ابن سبع سنين أقل سنة أو أكثر  
بسنة ، علمت بذلك أنه لو كان أيضاً ابن أكثر من ذلك بستين وثلاث  
وأربع لا يكون إسلامه إسلام المكلف العارف بفضيلة ما دخل فيه ، وقصان  
ما خرج منه .

٥ - والتاريخُ المُجتمع عليه أنَّ علياً قُتِلَ سنة أربعين في شهر رمضان\* .  
وقالوا : <sup>(٢)</sup> « فَإِنْ قَالُوا فَلَمْ يَلَمْهُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ وَثَمَانٍ <sup>(٣)</sup> سَنِينَ قَدْ بَلَغَ مِنْ  
فِطْئِهِ وَذَكَائِهِ وَصِحَّةِ لُبِّهِ وَصِدْقِ حَسِّهِ وَانْكَشَافِ الْمَوَاقِبِ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ

(١) هذا ما في ب - وفي الأصل : « لَنْ الَّذِينَ نَقَلُوا التَّارِيخَ لَمْ يَتَّبِعُوا » .

٢ - (\*) الكلام من مبدأ الكتاب إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي . انظر الرد رقم (١)  
في ملهقات الكتاب .

(٢) ح : « أَوْ ثَمَانٍ » .

جَرَّبَ الأمور ، ولا فَاتَحَ الرَّجَال ، ولا نازع الخصوم ، ما يعرفُ جميع ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به .

قلنا : إنَّما تتكلَّم على ظاهر الأحكام وما شاهدنا عليه طباعَ الأطفال .  
وَجَدْنَا حكم ابن سبع سنين ، وثمان سنين وتسع سنين ، حيث قرأناه<sup>(١)</sup>  
وبلفنا خبره — ما لم يُعلم مضمَّن أمره ، وخاصة طباعه — حُكَمَ الأطفال ،  
وليس لنا أن نُزِيل<sup>(٢)</sup> ظاهر حكمه والذي نعرف من شكله<sup>(٣)</sup> بلعلَّ  
وعسى ؛ لأننا كنا لا ندري لعلَّه قد كان ذا فضيلة في الفطنة ، فلمله  
أن يكون ذا قصص فيها . أجب منهم بهذا الجواب من يجوز أن يكون  
على<sup>(٤)</sup> في المضمَّن قد أسلم إسلام البالغ المختار ، غير أن الحكم فيه عنده  
على تجرُّ أمثاله وأشكاله الذين إذا أسلموا وهم في مثل سنه كان إسلامهم  
على تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس .

فصل<sup>(٥)</sup> : فأما علماء (الثمانية) ومتكلموهم ، وأهل القَدَم والرِّياسة منهم ،  
فإنَّهم قالوا : إنَّ عليًّا لو كان وهو ابنُ ستِّ سنين وسبع سنين ، وثمان سنين  
وتسع سنين ، يعرف فصل ما بين الأنبياء والكهنة ، وفرق ما بين الرسل والسحرة  
وفرق ما بين خبر النجم<sup>(٦)</sup> والنبي ، وحتى يعرف الحجة من الحيلة<sup>(٧)</sup> ، وقهر<sup>(٨)</sup>

(١) ب : « رأيناه » .

(٢) في الأصل : « أن تتكلم نزيل » ، وكلمة « تتكلم » مقصدة ، كما يفهم من ب ، ح .

(٣) ح : « والذي نعرف من حال أبناء جفنه » .

(٤) كلمة « فصل » ليست في ب ، كما سبق التنبيه .

(٥) في الأصل : « للتجيين » ووجهه من ب ، ح .

(٦) في الأصل : « من أجه » ، صوابه في ب .

الغلبة من قهر المعرفة ، ويعرف كيد الرب وبُعد غور التنبي ، وكيف يلبس على العقلاء ، ويستميل عقول الدَّهَّاء<sup>(١)</sup> ، ويعرف الممكن في الطبائع من المتنع فيها ، وما يحدث بالاتفاق وما يحدث<sup>(٢)</sup> بالأسباب ، ويعرف أقدار القوى في مبلغ الحيلة ومُنتهى البطش ، وما لا يحتمل إحداثه إلا الخالق ، وما يجوز على الله ممَّا لا يجوز في توحيده وعدله ، وكيف التحفُّظ من الهوى ، وكيف الاحتراس من تقدُّم الخادع في الحيلة - كان كونه بهذه الحال وعلى هذه الصِّفة مع فرط السَّبا والحدائث ، وقِلَّة التجارب والممارسة ، خروجاً من نشوء المادة ، والمعروف بما عليه رَكِبُ الأُمَّة<sup>(٣)</sup> .

ولو كان على هذه الصِّفة ومعه هذه الخاصية ، كان حجةً على العامة ، وآية تدلُّ على الباطنة . ولم يكن الله ليخصه بمثل هذه الآلة ويمثل هذه الأعجوبة إلاَّ وهو يريد أن يحتجَّ بها له ، ويخبر بها عنه ، ويمثلها قاطمةً لمنذر الشَّاهد ، وحُجةً على الغائب ، ولا يضيقها هَدَراً ، ولا يكتُمها<sup>(٤)</sup> باطلاً .

ولو أراد الاحتجاج بها شهر أمرها وكشف قناعها ، وحلَّ النفوس على معرفتها ، وسَخَّرَ الألسنة لنقلها ، والأصماع لإدراكها ، لثلاً يكون لنوا ساقطاً ، ونسباً منسياً ، لأنَّ الله لا يتدع أُعجوبةً ولا يخترع آيةً ولا يتقصُّ المادة إلاَّ للتعريف والإعذار ، والمصلحة والاستبصار<sup>(٥)</sup> . ولولا

(١) دهاء الناس : جماعتهم وكثرتهم . وفي الأصل : « الدم » ، سوابه في ب ، ح .

(٢) ب ، ح : « مما يحدث » .

(٣) هذا ما في ب ، ح . وفي الأصل : « تركبت الأمة » .

(٤) ب : « ولا يكتبها » .

(٥) هذا ما في ب ، وهو الأشبه بلغة الجاحظ . وفي الأصل : « الاستفاد » .

ذلك لم يكن لعلها معني ، ولا لرسالته حجة<sup>(١)</sup> . والله يتعالى<sup>(٢)</sup> أن يترك الأمور سدى ، والتدبير نشرأ . ولا يصل أحد إلى معرفة صدق نبي وكذب متنبئ حتى تجتمع له هذه المعارف التي ذكرنا ، وهذه الأسباب التي فصلنا .

- ولولا أن الله سبحانه أخبر عن يحيى بن زكريا أنه<sup>(٣)</sup> آناه الحكم صدياً ، وأنه أنطق عيسى في الهد رضيعاً ، ما كنا في الحكم ولا في النيب إلا كسائر الرسل ، وما عليه طبع البشر<sup>(٤)</sup> .

فإذ<sup>(٥)</sup> لم ينطق لعل بذلك قرآن ، ولا جاء الخبر به بحج ، الحجة القاطعة ، والشهادة الصادقة ، فالملوم عندنا في الحكم وفي النيب جميعاً أن طباعه كطباع عميه حمزة والعباس<sup>(٦)</sup> ، وما أسس بمدن جماع الخير ١٠ منه ، وكطباع جعفر وعقيل أخويه ، وكطباع أبويه ورجال عصره وسادة رهطه . ولو أن إنساناً ادعى مثل ذلك لأخيه جعفر أو لعمه حمزة أو لعمه العباس — وهو حليم قريش — ما كان عندنا في أمره إلا مثل ما عندنا فيه<sup>(٧)</sup> .

فصل<sup>(٨)</sup> : «ولو لم تعرف الروافض ومن ذهب مذهبها في هذا باطل ١٥

(١) ب : « تبارك اسمه وتعالى » .

(٢) في الأصل : « إذ » صوابه في ب ، ح .

(٣) وما عليه طبع البصر ، ساقط من ب . وفي ح : « وما عليه جميع البصر » .

(٤) في الأصل ، ح : « فإذا » ، ووجهه من ب .

(٥) كذا في ح ، ب . وفي الأصل : « طباع حمزة والعباس عميه » . ٢٠

(٦) الكلام من « فإن قالوا » س ٦ س ١٧ إلى هنا موضع رد للاستكافي . انظر

رقم (٢) من تصويحه للصحفة بالكتاب .

(٧) ليست في ب .

هذه الدعوى ، وفساد هذا المعنى إذا صدقت أنفُسها ولم تقلد رجالها ، وتحفظت من الهوى وآثرت التقوى ، [إِلَّا بِتَرْكِ<sup>(١)</sup>] عَلَى ذِكْرِ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ والاحتجاج به عَلَى خَصَمِهِ وَأَهْلِ دَهْرِهِ ، مِنْذُ نَازَعَ الرِّجَالُ ، وَخَاصَّم<sup>(٢)</sup> الْأَكْفَاءَ ، وَجَامَعَ أَهْلَ الشُّورَى وَوَلَّى وَوَلَّى عَلَيْهِ ، وَالنَّاسُ بَيْنَ مَعَانِدٍ يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْرِيعِ ، وَمُرَادٍ<sup>(٣)</sup> يَحْتَاجُ إِلَى الْإِرْشَادِ ، وَوَلَّى يَحْتَاجُ إِلَى السَّادَةِ ، وَغُفْلٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْتَرَّ لَهُ مِنَ الْحِجَةِ ، وَيُتَابَعَ لَهُ بَيْنَ الْأَمَارَاتِ وَالدَّلَالَاتِ<sup>(٤)</sup> مَعَ حَاجَةِ الْقَرْنِ الثَّانِي إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَمَعْلَنِ الْأَمْرِ ، لِأَنَّ الْحِجَةَ إِذَا لَمْ تَصَحَّ لِمَلِيٍّ فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يَقَوَّ عَلَى أَهْلِ دَهْرِهِ ، فَهِيَ عَنْ وَلَدِهِ أَهْجَزُ ، وَفَهُمْ أَضْفَ .

١٠ ثُمَّ لَمْ يَنْقُلْ نَاقِلٌ وَاحِدٌ أَنَّ عَلِيًّا احْتَجَّ بِذَلِكَ فِي مَوْقِفٍ ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي مَجْلِسٍ ، وَلَا قَامَ بِهِ خَطِيبًا ، وَلَا أَدْلَى بِهِ وَاقِعًا ، وَلَا هَمَسَ بِهِ إِلَى مُوَافَقٍ ، وَلَا احْتَجَّ بِهِ عَلَى مُخَافٍ .

فصل<sup>(٥)</sup> : وَقَدْ ذَكَرَ فُضَائِلَهُ وَفَخَّرَ بِقِرَاتِهِ وَسَابِقَتِهِ ، وَكَاتَرَ بِمُحَاسِنَتِهِ وَمَوَاقِفِهِ ، مِنْذُ جَامَعَ الشُّورَى وَنَاضَلَهُمْ ، إِلَى أَنْ ابْتُلِيَ بِمُسَاوَرَةِ مُعَاوِيَةَ لَهُ ، وَطَمَعِهِ فِيهِ ، وَجُلُوسِ أَكْثَرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ عَنْ عَوْنِهِ ، وَالشَّدِّ عَلَى عِصْمَتِهِ ، كَمَا قَالَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : لَقَدْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَبِالْمَدِينَةِ عِشْرُونَ أَلْفًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا خَفَّ فِيهَا مِنْهُمْ

(١) التَّكَلُّفُ مِنْ ب .

(٢) هَذَا مَا فِي ب . وَفِي الْأَسْل : « وَخَايَر » .

(٣) ب : « وَمُرَاد » .

(٤) هَذَا مَا فِي ب . وَفِي الْأَسْل : « وَالِدَالَةِ » .

(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَيْسَتْ فِي ب .



عشرون . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ شَهِدَ الْجَمَلَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعَةٍ  
فَقَدْ كَذَبَ . كَانَ عَلِيٌّ وَعُمَارُ فِي شِقِّ ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي شِقِّ .

وكيف يجوز عليه ترك الاحتجاج على المخالف وتشجيع الموافق وقد نصب  
نفسه للخاصة والعامة ، وللخاذل والمادي<sup>(١)</sup> ، ومن لا يحمل<sup>(٢)</sup> له في دينه  
تَرْكُ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، إِذْ كَانَ يَرَى أَنَّ قِتَالَهُمْ كَانَ وَاجِبًا ، وَقَدْ نَصَبَهُ  
الرَّسُولُ مَفْزَعًا وَمَعْلَمًا ، وَنَصَّ عَلَيْهِ قَائِمًا ، وَجَطَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، وَأَوْجَبَ  
طَاعَتَهُ ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً فِي النَّاسِ يَقُومُ مَقَامَهُ .

فصل<sup>(٣)</sup> : وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَدْعُ هَذَا لَهُ أَحَدٌ فِي دَعْوِهِ كَمَا لَمْ  
يَدْعِهِ لِنَفْسِهِ ، مَعَ عَظِيمِ مَا قَالُوا فِيهِ فِي عَسْكَرِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَتَّى يَقُولَ  
إِنْسَانٌ وَاحِدٌ إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى إِمَامَتِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ  
إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَكُلَّفَ التَّصَدِيقَ<sup>(٤)</sup> قَبْلَ بُلُوغِهِ وَإِدْرَاكِهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ  
آيَةً لَهُ فِي عَصَرِهِ ، وَحُجَّةً لَهُ وَلَوْلَاهُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ . وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ أَعْلَمَ  
بِالْأُمُورِ مِنْ أَنْ يَدْعَ ذِكْرَ أَكْبَرِ حُجَجِهِ وَالَّذِي بَانَ بِهِ مِنْ شُكْلِهِ ،  
وَيَذْكُرُ أَصْغَرَ حُجَجِهِ وَالَّذِي يَشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَقَدْ كَانَ فِي عَسْكَرِهِ مَنْ  
لَا يَأْتُو فِي الْإِفْرَاطِ ، وَمَنْ يَحْسِبُ أَنَّ الْإِفْرَاطَ زِيَادَةٌ فِي الْقَدْرِ . ١٥

والمعجب له ، إن كان الأمر كما ذكرتم ، كيف لم يقف يوم الجمل  
ويوم صفين أو يوم النهْر في موقف يكون من عنده برأى ومسمع ،

(١) ب : « وللولي والمادي » .

(٢) في الأصل : « ولا يحمل » صوابه ق ب .

(٣) ليست في ب .

(٤) في الأصل : « وكفه التصديق » ، صوابه ق ب .

فيقول : « نَبَأَ لَكُمْ وَتَسَاءً ، كَيْفَ تَقَاتِلُونِي وَتَجْحَدُونَ فَضْلِي <sup>(١)</sup> » وقد خَصِمْتُ بِأَيَّةٍ حَتَّى كَيْجِي بِنَ زَكْرِيَا وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ » ولا يمتنع النَّاسُ مِنْ أَنْ يَقُولُوا وَيُوجِرُوا ؛ فَإِذَا مَاجُوا نَكَلَّمُوا عَلَى أَعْدَادٍ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ مُخْتَلَفَةٌ ، وَلَا يَنْشَبُ أَمْرُهُمْ أَنْ يَمُودَ إِلَى فُرْقَةٍ ، فَمِنْ ذَاكَ قَدْ كَانَ نَاسِيًا ، وَمِنْ نَازِعٍ قَدْ كَانَ مُصِرًّا ، وَكَمْ مَرْتَجِعٍ قَدْ كَانَ غَالِطًا ، ٥ مع مَا كَانَ يَشْبَعُ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْحُجَّةِ فِي الْآفَاقِ ، وَيَسْتَفِيزُ فِي الْأَطْرَافِ ، وَمَحْتَمِلُهُ الرُّكْبَانَ وَيُبْهَدِي فِي الْمَجَالِسِ .

فهذا كان أشدَّ على طلحة والزبير ، وعائشة <sup>(٣)</sup> ومعاوية ، وعبد الله بن وهب ، من مائة ألف سنانٍ طرير ، وسيفٍ مشهور .

١٠ فصل <sup>(٤)</sup> : ومعلوم عند ذَوِي التَّجَرُّبَةِ وَالْعَارِفِينَ بِطَبَائِعِ الْأَتْبَاعِ <sup>(٥)</sup> ، وَعَلَّلَ الْأَجْنَادُ ، أَنَّ الْمَسَاكِرَ تَنْقُضُ مَرَاتُهَا وَيَنْتَشِرُ أَمْرُهَا ، وَتَنْقَلِبُ عَلَى قَادَتِهَا <sup>(٦)</sup> بِأَيْسَرٍ مِنْ هَذِهِ الْحِجَّةِ ، وَأَخْفَى مِنْ هَذِهِ الشَّهَادَةِ .

فصل : وقد علمت ما صنعت المصاحفُ في طبائع أصحاب عليٍّ ، حين رَفَعَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَشَدَّ مَا كَانَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ اسْتَبْصَارًا فِي قِتَالِهِمْ ،

١٥ (١) ب : « فضيلي » .

(٥) الكلام من قوله « ولو لم تعرف الروافض » س ١٥ من ص ٩ إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي ستأتي برقم (٣) . وقد قل الإسكافي عبارة الجاحظ موجزةً مصرفةً فيها . انظر ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٣ .

(٢) في الأصل : « يسمع » .

(٣) هذه الكلمة ليست في ب . ٢٠

(٤) في الأصل : « بصائع الأتباع » ، صوابه في ب .

(٥) ب : « غائلها » .

ثم لم ينتفض على عليٍّ من أصحابه إلاَّ أهلُ الجِدِّ والنَّجَّةِ ، وأصحاب البرانس والبصرة<sup>(١)</sup> .

وكما علمت من تحوُّل شطرِ عسكر عبد الله بن وهبٍ حين اعزلوا مع فروةَ بن نوفل ، لكلمةٍ سموها من عبد الله بن وهب كانت تدلُّ عندهم على ضعف الاستبصار والوهن<sup>(٢)</sup> في اليقين .

وهنا الباب أكثر من أن يحتاج مع ظهوره ومعرفة الناس به إلى أن نحشو به كتابنا .

فصل<sup>(٣)</sup> : فأما إسلامه وهو حدثٌ غريرٌ وغلّامٌ صنيرٌ ، فهذا مالا ندفعه ، غير أنه إسلام تلقينٍ وتأديبٍ وربيةٍ . وبين إسلام التَّكليف والامتحان وبين التلقين والتربية فرقٌ عظيمٌ ، ومحجّةٌ واضحة .

وقالت (العمانية) : إن قالت الشَّيخ : إنَّ الأمور ليس كما حكيتُم ، ولا كما هيأتُموه لأنفسكم ، بل زعم أنَّه قد كانت هناك<sup>(٤)</sup> في أيام صباه وحداثته فضيلةٌ فطنيةٌ ، ومزيةٌ<sup>(٥)</sup> ذكاء ، ولم يبلغ الأمرُ قدرَ الأُحجوبة والآية .

قلنا : إنَّ الذي ذهبتم إليه أيضا لا بدُّ فيه من أحد وجهين :  
إمَّا أن يكون قد كان لا يزال يُوجد في الصِّبيان مثله في الفطنة

(١) انظر القدر ٤ : ٣٥١ لجنة التأليف . ب « اللراس » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « والوهم » ووجهه من ب .

(٣) هذه الكلمة ليست في ب .

(٤) ب : « هناك » .

(٥) ب : « ومزيد » .

والذكاء . وإن كان ذلك عزيزاً قليلاً ، أو كان وجود ذلك ممتنعاً ، ومن المادة  
 خلجاً . فإذا<sup>(١)</sup> كان قد كان يوجد مثله على عزته وقلته فما كان إلاَّ  
 كبعض من رى اليوم ممن يُتَجَبَّب من حسه وفطنته ، وحفظه وحكايته  
 وسُرعة قبوله على صغر سنه وقلة تجربيه<sup>(٢)</sup> . وإن كانت حاله هذه الحال ،  
 وطبيعته على هذا المثال ، فإننا<sup>(٣)</sup> لم نجد شيئاً قط وإن أفرط كَيْفَسِه  
 وحسنت فطنته وأعجب [ به<sup>(٤)</sup> ] أهله يحتمل ولاية الله سبحانه وعداوته ،  
 والتمييز بين الأمور التي ذكرنا . مع أنه ما جاءنا ولا صَحَّ عند أحد منا  
 بخبر صادق ، ولا كتاب ناطق ، أنه كان لعلّ خاصةً دون قرش عامةً  
 في صباه من إتيان الأمور وصحة المارف وجودة الخارج ، ما لم يكن  
 لأحد من إخوته وأعمامه وآبائه .

وإن كان القدر الذي كان عليه على من الذكاء والمعرفة القدر الذي لم نجد  
 له [ فيه<sup>(٥)</sup> ] مثلاً ، ولا رأينا له شيئاً — وهذا هو البديع الذي به يُحتجُّ  
 على المنكرين ، ويُفلج<sup>(٦)</sup> على المعارضين ، ويُبَيِّن للمسترشدين — فهذا  
 بابٌ قد فرغنا منه مرة .

١٥ فصل : ولو كان الأمر في عليّ على ما يقولون<sup>(٧)</sup> لكانت في ذلك حجةٌ  
 للرسول في رسالته ، ولعلّ في إمامته . والآية إذا كانت للرسول وخليفة

(١) في الأصل : « وإن » ، والوجه من ب .

(٢) ب : « تجرّبه » .

(٣) في الأصل : « ولنا » ، صوابه في ب .

(٤) التكلّة من ب .

(٥) فلج غيره وفلج عليه وأفلج : فاز وظفر . وفي النسخين : « يفلج » ، تحريف .

(٦) ب : « كما يقولون » .

الرسول كان أشهرَ لها ؛ لأنَّ وضوح أمر الرسول يزيد<sup>(١)</sup> على ما للإمام  
وزيده إشاراً واستنارة<sup>(٢)</sup> وبياناً . ولا يجوز أن يكون الله قد عرفَ أهلَ  
عصرهما ذلك ، وهمُ الشَّهادة على مَنْ بعدهم من القرون ثم يسقط<sup>(٣)</sup>  
حجته ؛ فلا تخلو تلك الحجةُ وتلك الشَّهادةُ من ضريين : إما أن تكون  
ضاعت وضلت ، وإما أن تكون قد قامت وظهرت .

فإنَّ كانت قد ضاعت فلملَّ كثيراً من حُججِ الرسول صلى الله عليه وسلم  
قد ضاع معها ، وما جُمِلَ الباقي منها أولى بالتَّمام من السَّاقط ، والسَّاقط  
من شكل الثَّابت . على أنَّ مع السَّاقط خاصَّة ليست مع الثَّابت ، لأنَّه  
حجة على شيئين ، والثَّابت حجة على شيء . ولا يخلو أمرُ السَّاقط من  
ضريين : إما أن يكون الله لم يُردِّ تمامه ، أو يكون قد أَراده .

وأىَّ ذَينِ [ كان<sup>(٤)</sup> ] ففسَّاهُ واضحٌ عند قارى الكتاب .  
وإنَّ كانت الآية قد تمت إذ كانت الشَّهادة قد قامت علينا بها كما كانت  
شهادة الميان قاعمةً عليهم<sup>(٥)</sup> [ فيها<sup>(٦)</sup> ] فليس في الأرض عثمانيٌّ إلاَّ وهو  
يكابر عقله ويحجده علمه .

ولعمري إنَّا لنجد في الصَّبيان من لو لَقنَّته وسدَّدته أو كتبتَ له  
أغمضَ الماني وأطفأها ، وأغوصَ الحجج وأبمدَّها ، وأكثرها لفظاً

(١) ب : « يرى » .

(٢) في الأصل : « استنارة » ، سوابه في ب .

(٣) ب : « أسقط » .

(٤) التَّكَلُّف من ب .

(٥) في الأصل : « عليها » سوابه في ب .

(٦) التَّكَلُّف من ب .

وأطفاها ، وأطولها ، ثم أخذته بدرسه وحفظه لحفظه حفظاً عجيباً ، ولهذا  
 هذاً ذليلاً<sup>(١)</sup> . فأما معرفته صحيحة من سقيمه ، وحقه من باطله ،  
 وفصل ما بين القرب والدليل ، والاحتباس من حيث يؤتى المندوعون ،  
 والتحفّظ من مكر الخادعين ، وتأتى<sup>(٢)</sup> المجرّب ، ورفق السّاحر ، وخلاصة  
 التنبيّ ، وزجر الكاهن<sup>(٣)</sup> ، وإخبار النجّمين ، وفرق ما بين نظم القرآن  
 وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه — فليس يعرف فروق النظم واختلاف  
 البحث<sup>(٤)</sup> ، إلاّ من عرف التصيد من الزّجر<sup>(٥)</sup> ، والخمس من الأسجاع ،  
 والمزّاج من المتشور ، والخطب من الرّسائل ، وحتى يعرف المعجز العارض  
 الذي يجوز ارتفاعه من المعجز الذي هو صفة في الدّات .

١٠ فإذا عرف صنوف التّأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام ،  
 ثم لم يكف بذلك حتى يعرف عجزه وعجز أمثاله عن مثله ، وأنّ  
 حكم البشر حكم واحد في المعجز الطّبيعي وإن تفاوتوا في المعجز العارض .  
 وهذا ما لا يوجد عند صبيّ ابن سبع سنين وثمان سنين وتسع سنين  
 أبداً ، عرف ذلك عارف أو جهله جاهل . ولا يجوز أن يعرف عارف  
 معنى الرسالة إلاّ بعد الفراغ من هذه الوجوه ، إلاّ أن يعمل حائل

(١) الذليق : القصيح . وفي النسختين : « لهذه هذا » ، تحريف . يقال هذا القرآن  
 والمحدث هذا : سرده . وفي حديث ابن عباس ، قال له رجل : قرأت الفصل اليّله . فقال :  
 أخذا كهذا الشعر .

(٢) في الأصل : « فأتى » بإهمال أوله ، وفي ب « ويأتى » ووجهها ، ما أثبت . قال  
 الأصمعي : تأتي فلان لحاجته ، إذا ترفق لها وأتاعها من وجهها .

(٣) ب : « الكهان »

(٤) ب : « فروق النظم واختلاف البحث والنثر » .

(٥) الزجر ، واضحة في النسختين . يعني زجر الكاهن . انظر طرفاً منه في صدر سيرة  
 ابن هشام . والزجر يلبس على من لم يعرفه بالشعر .

- التقليد والنشوء والإلف لما عليه الآباء وتمظيم الكبراء ، معرفةً وبقيناً .  
وليس يبين ما اضطرب ودخله الخلاج عند ورود معاني لعلّ وعسى ، وما لا يُمكن<sup>(١)</sup> في القول إلاّ بحجة تُخرج القلب إلى اليقين عن التجويز .  
ولقد أعيانا أن نجد هذه المعرفة إلاّ في الخاص من الرجال وأهل الكمال في الأدب ، فكيف بالطفل الصغير والحدث الغرير ؟ ! مع أنّك ٥  
لو أدركت<sup>(٢)</sup> معاني بعض ما وصفت لك على أذكى صبيّ في الأرض وأسرعه قبولاً وأحسنه حكايةً وبياناً<sup>(٣)</sup> ، وقد سويته [ له<sup>(٤)</sup> ] ودلّته ، وقرّبته [ منه ] وكفّيته مؤونة الرؤية ووحشة<sup>(٥)</sup> الفكرة ، لم يعرف قدره ولا فصل بين حقه من باطله ، ولا فرق بين الدلالة وشبه الدلالة ، فكيف له بأن يكون هو التولّي لتجربته<sup>(٦)</sup> وحلّ نفسه ، ١٠  
ونخلص مُتشابهه ، واستثارته من معدنه ! ؟  
وكلّ كلام خرج من التعارف فهو رجبٌ بهرج ، ولنوّ ساقط .  
فصل<sup>(٧)</sup> : وقد نجد الصبيّ الذكيّ يعرف من المروض وجهاً ، ومن النحو صدرأ ، ومن الفرائض أبواباً ، ومن الفناء أصواتاً ، فأما العلمُ بأصول ١٥  
الأديان ومخارج الملل ، وتأويل الدين ، والتحفّظ من البدع ، وقبل ذلك الكلام في حُجج القول ، والتعديل والتجوير ، والعلمُ بالأخبار وتقدير  
(١) هذا الصواب من ب . وفي الأصل : « وما لا ينكر » .  
(٢) في الأصل ، ب : « أدركت » ، ولوجه ما أثبت .  
(٣) الكلمة مبهمة في الأصل ، وتوضيحها من ب .  
(٤) التكلفة من ب .  
(٥) في الأصل : « وحشته » صوابه في ب .  
(٦) في الأصل : « لحرته » وصوابه في ب .  
(٧) ليست في ب .

الأشكال<sup>(١)</sup> فليس هنا موجوداً إلاّ عند السلاء . فأما الحشوة والطّام<sup>(٢)</sup> فإنّما هم أداة للقادة ، وجوارحُ للسّادة . وإنّما يعرفُ شدّةَ الكلام في أصول الأديان من قد صلّى به وعجّبه ، وسلّك<sup>(٣)</sup> في مضايقه ، وجأتى الأضداد<sup>(٤)</sup> ، ونازع الأَكْفاء<sup>(٥)</sup> .

٥ فإنّ قالت ( الشّيع ) : الدّليل على أنّ إسلام عليّ كان اختياراً ولم يكن تلقيناً ، أنّ عليّاً<sup>(٦)</sup> أسلم بدّعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم له ، وفي ذكر الدّعاء والإقرار به دليلٌ على أنّ الإجابة اختيار ، لأنّ المُسلم بالدّعاء مجيبٌ للدّعاء . ولا نسلّم الدّعاء بكون من حكيم لدعوى<sup>(٧)</sup> لا يختار ولا تحتمل فطرته تميّز الأمور وفصل ما بين ما دعا إليه وبين ما دعا إليه غيره . وليس بين قول القائل : دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم فلاّناً إلى الإسلام<sup>(٨)</sup> وبين قوله : كلّف النبيّ صلى الله عليه وسلم فلاّناً الإسلامَ فرق . وقولُ المسلمين : دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم عليّاً كقولهم :<sup>(٩)</sup> دعا جميع العربِ فبن مجيبٍ طائع كملّى ، ومن ممتنع عاصٍ كفّلان وفلان .

١٥ (١) في الأصل : « وتقرر الأشكال » ، صوابه في ب .

(٢) حشوة الناس ، بالضم : وذاتهم ، ومثله الطّام ، بالفتح .

(٣) ب : « وسال » .

(٤) في الأصل ، ب : « وحاشى » ، تحريف . جائاه : جلس معه على ركبتيه للخصومة .

(٥) إلى هنا ينتهى الاختيار الأول في نسخة ب وتنفرد نسخة الأصل إلى حيث نفه

٢٠ فيها بعد .

(٦) في الأصل : « أن الإمامة أن علياً » .

(٧) في الأصل : « يدعو » .

(٨) بده في الأصل : كلمة « فرق » ، وهى مقحمة .

(٩) في الأصل : « وقوله المسلمين ... كقولهم لهم » تحريف .



- قالت ( الثمانية ) عند ذلك : قد عرفنا أن بعضهم قد قلَّ أن علياً كان أول من أسلم ، وقد قلوا بأجمعهم أنه كان أول من أسلم . وبين قول القائل أسلم فلان أول الناس وبين أن يقول أسلم في أوائل الناس فرق . فأما أن يكون واحداً من جميع الصنفين من البعض والجميع فسر مع روايته ونخرج خبره كيف كان إسلامه ، أعلى وجه الدعاء .
- والتكليف أم على وجه التلقين والتربية ، فلم ير أحداً منهم مير ذلك ولا فرقه في نخرج الخبر . ونحن لم ندع أن إسلامه كان إسلام تلقين من قبل تفسير التأقلين وتميز الحديثين ، ولكننا نظرنا في التاريخ فعرفنا عمره وابن كم كان يوم توفى ، وعرفنا موضع اختلافهم واجتماعهم ، فأخذنا أوسطه إذ كان أعدل ما فيه ، وأسقطنا قول من كثر وقتل ، ١٠ ثم ألقينا منه سنيه إلى عام إسلامه فوجدنا ذلك يوجب أنه كان ابن سبع . ولو أخذنا أيضاً بقول المكثّر فجعلناه ابن تسع ، وتركنا قول من قلل وقول المقتصد ، علمنا بذلك أيضاً أن إسلامه كان إسلام تربية وتأديب وتلقين ، كما أخذ الله على المسلمين أن يأخذوا به أولادهم .
- وقالت ( الثمانية ) للملوية : إنا لم ندع أنه أسلم وهو ابن سبع ١٥ فإننا وجدنا ذلك قائماً في خبرهم مفسراً في شهادتهم ، ولكنه علم مستنبط من أخبارهم ، ومستخرج من آثارهم عند القابلة والموازنة . ومثل ذلك لو أن رجلاً قال لرجل : خذ عشرة في عشرة ، كان ذلك في المعنى كقوله : « خذ مائة » ، وإن لم يكن سماها له ولا ذكرها بلسانه .
- وقالوا : ولولا أن من شأننا الأخذ بالتسقط ، والحكم بالعدل لأخذنا ٢٠ الشيخ بقولهم في عمره وقول ولده ، فإن أحدهما زعم أن علياً توفى وهو ابن سبع وخمسين . وقال الآخرون : بل توفى وهو ابن ثمان

وخمسين . ولو كان<sup>(١)</sup> كما تقول الرافضة وولده ما كان أسلم إلا وهو ابنُ خمسٍ أو ابنُ ست ، وهم لا يألون ، ما نقصوا من عمره وصنّوا من سنّه لكي يميلوا إسلامه آية له وحجة على إمامته .

ولم يرد لو كان الذين نقلوا أنّه كان أول من أسلم نقلوا مع خبرهم أنّه أسلم بالدعاء والتكليف ، لقد كان مذهبهم إليه مذهبا ، وما اعتصم به متملقا ، ولكن ما في الأرض كلها حامل خبر<sup>(٢)</sup> ولا صاحب أثر كان في خبره أنّه أسلم بدعاء ، ولا أنّه أسلم بتلقين ، وإنما هذا مستخرج من الأخبار .

فإن قالت ( الرافضة ) : بل الدليل على أنّ إسلامه كان طاعة ولم يكن تلقينا قول جميع الأئمة إنّ عليّا كان من أول من أسلم ، فنفس قولهم أسلم هو كقولهم أطاع واختار ، وكذلك قولهم إذا قالوا : كفر فلان ، فهو كقولهم : عصا واختار ، وإن لم يفروا . وليس بين قولهم أسلم فلان وكفر فلان فرق ، لأنّ الخبر الصادق إذا قال كفر فلان فحكمه عند السامع التداؤ والبراءة . ولو قال<sup>(٣)</sup> أسلم فلان كان حكمه المحبة والولاية : فإذا كانوا كلهم قد قالوا : أسلم عليّ ، وحكم « أسلم » ثبت الاختيار وإجابة الولاية ، قبل أن يجمعوا على أنّه كان على التلقين والتربية ، فعلى هذا القياس مطيع في إسلامه ، مختار له على غيره . وكذلك لو قالوا : كفر فلان ، كان حكمه حكم الماصي المختار حتى

(١) لها : « ولو كان الأمر » .

(٢) في الأصل : « خبره » . ٢٠

(٣) في الأصل : « قالوا » .

يُجْمِعُوا أَنْ كَفَرَهُ كَانَ عَنْ إِكْرَارٍ أَوْ غَلَطٍ أَوْ هَيْجٍ رِئْءَ ، أَوْ هَجَرَ النَّاسَ<sup>(١)</sup> ، أَوْ تَلْقِينَ الْمُؤَدَّبَ . فَلَمَّا كَانَ هَذَا قِيَاسًا مُوجِبًا صَحِيحًا ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ إِسْلَامَ عَلَى إِسْلَامٍ تَلْقِينَ إِلَّا بِمَثَلِ الْحُجَّةِ الَّتِي جُمِلَتْ بِهَا مُسْلِمًا ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَطَبَقُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى إِسْلَامِهِ وَاخْتَلَفُوا فِي السَّنَةِ . فَيَجِبُ إِلَّا نَزِيلَ حُكْمِ « أَسْلَمَ » إِلَّا بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ عَنْ تَلْقِينَ وَرَبِيَّةٍ .

قلنا لهم : لِمَعْرَى لَوْ لَمْ يَكُنْ هَا هُنَا إِجْمَاعٌ يُخَيِّرُ أَنْ إِسْلَامَهُ كَانَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَنُشُورَ ، كَانَ حُكْمُ قَوْلِهِمْ أَسْلَمَ عَلَى عَلَى مَا قَلَمَ ، لَا تُجْعَدُونَ حُكْمَهُ وَلَا تُظَلَمُونَ مَعْنَاكُمْ فِيهِ ، وَلَكِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ تَوَقَّى وَهُوَ ابْنُ كَذَا وَكَذَا فَأَخَذْنَا بِأَوْسَطِهَا فَقَصَّوْا<sup>(٢)</sup> مِنْ سِنِيهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْلَمَ ١٠ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ . وَلَوْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ الْكَثَرِ وَبَحَسْنَا الْقِيَاسَ حَظَلَهُ كَانَ أَيْضًا إِسْلَامُهُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ . فَبِهِمْ عَرَفْنَا تَقْدِمَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبِهِمْ عَرَفْنَا صِفَرَ سَنَةٍ وَحْدَانَتِهِ ، إِذْ كَانَ الصَّبِيُّ إِذَا كَانَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ لَا يُسْتَتَابُ إِنْ كَفَرَ ، وَلَا يُلَامُ إِنْ جَهِلَ ، وَلَا يَمْدُبُ إِنْ ضَعِيعٌ . فَإِذَا كَانُوا بِأَجْمَعِهِمْ قَدْ قَالُوا إِنَّهُ أَسْلَمَ ١٥ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ أَوْ سِتٍّ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ سَبْعٍ ، فَقَدْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِنَّهُ أَسْلَمَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَإِنْ لَمْ يَقُولُوا بِأَفْوَاهِهِمْ ، كَمَا قَلَمَ إِنْ قَوْلُ الْقَائِلِ كَفَرَ فَلَانٌ وَأَسْلَمَ فَلَانٌ — وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ — [ حُكْمٌ<sup>(٣)</sup> ] بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ .

قلنا : فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ رَجُلٌ أَسْلَمَ فَلَانٌ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ

أو تسع ، فقد قال إنَّ إسلامه كان إسلام تلقين وإن لم يذكره ولم يتفوه به كما قلتم ، حَدَّثَ القُدَّةُ بالقُدَّةِ ، والنَّعْلُ بالنَّعْلِ . فإذا ثبت أن إسلامَ عليٍّ إسلامُ تلقين في ذلك الدهر فإسلام زيد وخبَّاب أفضل من إسلامه . ولو أن عليًّا كان أيضًا بالنَّا كان إسلامُ زيد وخبَّاب أفضل من إسلامه ، لأنَّ إسلامَ المقتضب<sup>(١)</sup> الذي لم يُغَدَّ به<sup>(٢)</sup> ولم يُؤدَّه ولم يُعَرَّنْ عليه ، أفضل من إسلام النَّاشئ الذي قد رَبَّى فيه ونشأ عليه وحُبِّ إليه ؛ لأنَّ خَبَّابًا وزيدًا يمانيان من الفكر ويتخلَّسان إلى أمور ، وصاحب التَّربية يبلغ حين يبلغ وقد أسقطَ إلفه عنه مَوُونَةُ الرُّويَّةِ ، والخطار بالجهالة ، وقد أودرته الإلفُ السُّكونَ ، وكفاهُ اختلاجُ الشُّكِّ<sup>(٣)</sup> ، واضطرابُ النَّفسِ وجولانُ القَلْبِ . ١٠

فصل : (٤) ولو كان عليٌّ أيضًا بالنَّا وكان مقتضبًا<sup>(٥)</sup> كزيد وخبَّاب لم يكن إسلامه ليلبَّح قدرَ إسلامهما ، لأنَّ إسلام التَّربية يكنى مؤنَّتين : إحداهما الخطار والتَّغْيِيرُ ، والأُخرى شِدَّةُ فراقِ الإلفِ ومكابدةُ العادة ، ونزاعُ الطَّبِيعَةِ ، مع أنَّ من كان بِمَحْضَرَةِ الأعلام وفي منزلِ الوحي ، وفي رِحالِ الرُّسل فالأعلامُ له أشدُّ انكشافًا ، والخواطرُ على قَلْبِهِ أَقْلُ ١٥ اعتلاجًا . وعلى قَدَرِ الكُلْفَةِ في دَفْعِ الشُّبْهِ والإقرارِ بخلافِ الإلفِ والعادة ، والخطورةِ باعتقادِ الجهالةِ ، يعظمُ الفضلُ ، ويكثرُ الأجرُ<sup>(٦)</sup> .

(١) المقتضب : خير للشيء الممد للشيء .

(٢) لم ينقطع من هاتين الكلمتين في الأصل إلا التين فقط .

(٣) الاختلاج : الاضطراب . وفي الأصل : « الحلاج الشك » وفي ح « علاج القلب » . ٢٠

(٤) انظر ما مضى في الحاشية الأولى .

(٥) الكلام من « ولو كان علي » إلى هنا موضع مناقضة للاسكاف ستأتي برقم (٤) .

ولو كان أيضاً على أسلم بالناء مدرِكاً ، وكان مع إدراكه وبُلوغه كهلاً ، وكان مع كهولته مُقتَضِباً كان إسلامُ زيد وخِيبَ أفضلَ من إسلامه ، لأنَّ مَنْ أسلمَ وهو يعلم أنَّ له ظهراً كأبي طالب ، وردءاً كبنى هاشم ، ومَوْضِعاً في بنى عبد المطلب ، ليس كالحليف ولا الولي ، والنزِيل والتَّابِع والسيِّف ، وكالرجل من عُرْضِ قريش<sup>(١)</sup> وقاطِئِي مكة . [ أ ] وما علمت أن قريشاً خاصّة وأهل مكة عامّة لم يقدروا على أذى النبي صلى الله عليه ما كان أبو طالب حيّاً قائماً ؟ ! ولقد منع أبو طالب أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ لأنه كان ابن أخته ، فما قدّرت بنو مخزوم مع خِيَلانها<sup>(٢)</sup> وعُراِمِ شبابها ، ومع عِزِّها وشدة عداوتها أن تُحصَّ منه شجرة<sup>(٣)</sup> ولا تُسممه كلمة حتّى مشّت إليه بأجمها ، ١٠ لِلَّذِي<sup>(٤)</sup> ترى له في أنفُسها ، فكان من قولهم له : هذا ابنُ أخيك قد فرقَ جماعتنا وسفّهَ أحلامنا وشتمَ آلهتنا وقد منعتنا منا ، فما بال صاحبنا<sup>(٥)</sup> ؟ قال : من لم يمنع ابن أخته لم يمنع ابن أخيه !

فإذا كانت قريشٌ وأهلُ مكة لا يقدرون على ابن أخيه وابن أخته معه فهم عن ابنه أعجز ، وعنه أقعد ، وله أعنى<sup>(٦)</sup> ، وهو لانيه أحصرُ ١٥ نصراً وأشدُّ غضباً ، وأحى أنفاً ، وليس المنوع كالخندول ، ولا الضعيف

(١) من عرضهم ، أمّ من مغلّهم وجهورهم ، ليس في موضع رآسة .

(٢) الخيلاء : الكبر . وبنو مخزوم معروفون بالكبر والتهب . انظر الحيوان ٦ : ٧٠ ،

٧٢ . وفي الأصل : « حالاتها » بإهمال الحرفين الأولين .

٢٠ (٣) حس الصبر : أذهب أو حلقه .

(٤) في الأصل : « انفى » .

(٥) في الأصل : « ما بال صاحبنا » . وفي البصرة ٢٤٤ : « فالك وإصاحبنا منته منا » .

(٦) رسمها في الأصل « اعفا » .

كالقوى ، ولا الآمين كالحائف . فإذا كان إسلام زيد وخبّاب أفضل من إسلامه في ذلك الدّهر كما عدّدنا من الطبقات ، وربّنا من المنازل ، ونزلنا من الحالات ، فإسلام أبي بكر أفضل من إسلامهما ، فقد سقطت المنازعة ، وارتفعت الخصومة عند من فهم كتابنا ولم يمنع نفسه الحظّ بصحبتنا ، لفرط التّباين وعظم الفرق .

فصل : والدليل على أن إسلام أبي بكر كان أفضل من إسلام زيد وخبّاب أن زيدا كان رجلاً غير مذكور بعلم ، ولا مرّناً بمال<sup>(١)</sup> ، ولا منقشاً المجلس ، ولا مرّور الرّجل ، وكذلك كان خبّاب . وكان أبو بكر رضى الله عنه أعلم العرب بالعرب كلّهم ، وأرواها لثاقبها ومثالبها ، وأعرفها بخيرها وشرّها ، ولذلك قال النّبي صلى الله عليه وسلم لحسان مع سنان حسان وعلمه وتحاكمُ الشّراء إليه ، حيث أمره النّبي عليه السلام أن يهجو أبا سفيان بن الحارث ، وحيث قال له : « اهجمهم ومعه روح القدس » . وحيث قال له : هيّج الظّاريف على بني عبد مناف — في قتل أبي أزيهر<sup>(٢)</sup> — والى أبا بكر فإنّه أعلم النّاس بهم .

١٥ (١) في اللسان : « قال القحاني : أزنه بمال ويعلم وبخير ، أي طنته » .  
(٢) الظّاريف : السادة الأشراف . وفي رواية بعض نسخ البيان ( ١ : ٢٧٣ ) : « اهجم الظّاريف من بني عبد مناف » وفي بعضها وهي نسخة ( هـ ) مطابق لما هنا . والذى في المدة ١ : ١٢ « وفاته لحسان بن ثابت : اهجمهم — يعني قريشاً — فوافة لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . اهجمهم ومعه جبريل روح القدس ، والى أبا بكر يملك تلك الهنات » .

٢٠ وأما ما كان من أمر أبي أزيهر الدوسي ، فإن الوليد بن المغيرة كان قد تزوج ابنته ، ثم أمسكها أبو أزيهر عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان الوليد قد أوصى ولده قبل أن يموت أن يطلبوا أبا أزيهر بقره — والمقر : دبة الفرج المصوب — وكانت بنته قد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف ، فعدا همام بن الوليد بن المغيرة على

فصل : ولتلك كان جُبَيْر بن مُطْعِم أعلمَ قريش بالعرب بعد أبي بكر ،  
لأنه كان التوثى لتأديبه وتثقيفه ، وقد كان أبو بكر قد سمى عائشة له <sup>(١)</sup> ،  
لذنى رأى من حُسن أثره عليه .

<sup>(٢)</sup> وكان أبو بكر ، مع علمه بالناس وحُسن معرفته ، ذا مال كثير  
ووجه عريض <sup>(٣)</sup> ، وتجارة واسعة ، وكان جليلاً عتيقاً <sup>(٤)</sup> ، ومزوراً منشئاً ،  
وعجباً أديباً صاحب ضيافات <sup>(٥)</sup> ، ويؤمن فى الحِمالات ، ويجمع إلى مجلسه  
كُبراء أهل مكة ، لما يجِدُون عنده من طريف الحديث وغريب الشعر ،  
حتى كان مثل عُتْبَة وشَيْبَة <sup>(٥)</sup> يجلسان إليه ، ويُعَيِّنَان بحديثه ، ثم يتخذ  
لهم ما يتحدَثُون عليه ويطول مجلسهم به ، من شراب العسل والزبيب

١٠ — أبى أزيهر وهو يسوق ذى الحجاز فقتله . السيرة ٢٧٣ — ٢٧٥ . وكان يزيد بن أبي سفيان  
قد خرج فجمع بنى هاشم ليثأر لأبى أزيهر جاز أبيه ، ففنه أبو سفيان وضربه ، فمير بذلك ،  
وكان نهزة لحسان بن ثابت يمرض فى دم أبى أزيهر ويمير أبى سفيان خفرته وتجنبه فقال :  
غدا أهل زوجى ذى الحجاز كليهما وجار ابن حرب بالقمس ما يندو  
كماك همام بن الوليد ثيابه فأبل وأخلق مثلها جرداً بعد  
قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخواً ما تحب وما تمدو  
١٥ فلو أن أشياخاً يبدو تشاهدوا لبلى نعال القوم مضط وود  
واظفر كتاب نسب قريش ٣٢٣ .

(١) أى سماها لتكون زوجة له ، وعده بذلك . وفى الإصابة ٧٠١ قسم النساء :  
« كانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له » و « قال أبو بكر : كنت أعطيتها مطعماً  
لابنه جبير » .

٢٠

(٢) الوجه : الجاه . ويقال رجل موجه ووجهه : ذو جاه .

(٣) التيق : الكريم الرائع من كل شىء .

(٤) فى الأصل : « صافات » تحريف .

(٥) عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . أما عتبة فقتل يوم بدر ، قتله

حزرة . وأما شيبة فقتله عبيدة بن الحارث . وذبح عليه حزة وعلى . « فإزى الواقدي ١١٣ .

والابن<sup>(١)</sup> ، فكانت قرين<sup>٢</sup> بعد إسلام أبي بكر وكثرة مستجبيه بمكة تريد  
تغير عتبة بن ربيعة من مجلسه وإيحاشه منه ، غافاة أن يستميله بحسن  
دعائه ، وتأنيبه ورفقه ، ورقة دموعه وشدة خشوعه فتقول له : أما إنك  
ما تأتي ابن أبي قحافة إلا لطيب عسله وإلا لمدقته<sup>(٣)</sup> ، وإنما نفروه  
بهذا وشبهه لأنه كان ذا عيال<sup>٤</sup> مُثَمِّلًا قَهِيلَ المؤونة ، خفيف ذات اليد ،  
مع سنه وسؤدده وحله ورأيه .

ولا سوا إسلام ذي اليسر والمال الدثر ، المنفق حريرة كسبه وعقيلة  
ملكه ، والفرق عنه جمعه والوحش منه أنيسه ، الخارج من عز النفي  
وكثرة الصديق ، إلى ذل القلة وعجز الفاقة ، وإسلام من لا حراك به  
١٠ ولا جدًا عنده ، تابع غير متبوع ، ومستجد غير مُجدٍ ؛ لأن من أشد  
ما يُبتلى به الكريم السب بعد التحية ، والضرب بعد الهيبة ، والعسر بعد اليسر .  
ولا سوا إسلام العالم الأديب الأريب ، ذي الرأي السديد ،  
وإسلام غيره .

ثم كان داعية من دعاة الرسول مقبول القول ، متبوع الرأي . ومن  
١٥ كان في صفة أبي بكر فالحوف عليه أشد ، والمكروه إليه أسرع ، لأنه  
لم يكن على ظهرها عدو للنبي صلى الله عليه وسلم إلا وأبو بكر يتلوه  
عنده في مداوة .

ولا سوا إسلام من أسلم على أن يمؤن ويكلف ، وإسلام من كان  
يُمان قبل إسلامه ويكلف بعد إسلامه .

٢٠ (١) في الأصل : « وابن » . وانظر الحاشية التالية .

(٢) الملقبة : الطائفة من الابن اللدني ، وهو للزوج بالاء .



ولا سواه إسلام الكهل التَّبيُّه الذي يحسُن عند قريش مطالبته ، ولا يستَحْي من طلب الثَّأر عنده ، وإسلامُ الحدِّث الذي لا يَنْفِي بمداوة الحِلَّة ، ولا تستجيز مجازاته العِلَّة\* .

ثمَّ كان الذي يلتقى أبو بكر في الله ورسوله بيطن مكة ، وعلى خِلْيَ  
 الروح<sup>(١)</sup> ، آمِن السَّرب رخيُّ البال ، كما لَقِيَ يومَ دعا طلحةً إلى الإسلام  
 فأسلم ومضى به إلى النبي صلى عليه وسلم وخذلهما تَيْم ، وأخذها نوفل بن  
 خويلد بن أسد<sup>(٢)</sup> — فأما ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> فزعم أنَّه كان من شياطين  
 قُريش . وأما الواقدي<sup>(٤)</sup> وغيره فزعموا أنَّه كان يلقَّب أسد<sup>(٥)</sup> قريش ،

\* السلام من • وكان أبو بكر مع عليه • س ٢٥ س ٤ إلى هنا موضع رد  
 للإسكافي سيأتي بمرم (٥) . وقد تصرف الإسكافي في كلام الملاحظ بالإيجاز الشديد . انظر  
 ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٦ .

(١) الروح : القلب والعقل والبال . في الأصل : « القدر » تحريف .  
 (٢) نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد المزي بن قصي . وفيه يقول أبو طالب :  
 كما قد لقينا من سبيم ونوفل وكل تولي ممرضا لم يجمل  
 السيرة ١٧٥ — ١٧٧ . وقد قتل مشركا في وقعة بدر ، قتله علي بن أبي طالب .  
 السيرة ٥٠٨ . ومنازى الواقدي ١١٤ . وقال ابن حزم في الجمهرة ١١١ : « قتله ابن أخيه  
 الزبير بن العوام » .

(٣) هو محمد بن إسحاق شيخ أهل المنازى ، المتوفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب وعيون  
 الأثر لابن سيد الناس ١ : ٨ — ١٧ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي . ولد سنة ١٣٠ وولاه المؤمن  
 القضاء بالسكر ، وتوفى سنة ٢٠٧ تهذيب التهذيب ، وعيون الأثر ١ : ١٧ — ٢١ .  
 (٥) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الألف وإحدى أسنان السين ، وإبائتها  
 من جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١١ ، قال : « وكان يقال لنوفل بن خويلد : أسد  
 قريش ، وأسد الطليين . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : اللهم  
 اكفنا ابن المدوية ! يعني نوفلا » .

وهو الذي يقال له ابن التَّدْوِيَةِ — قَرْنَهُمَا فِي جَبَلٍ ، وَفَنَّهُمَا عَنْ دِينِهِمَا  
وَعَدَّيْهِمَا ، فَلِذَلِكَ سَمِيَ أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةُ « الْقَرَيْنَيْنِ » .

وَأَبُو بَكْرٍ الَّذِي قَامَ دُونَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَقَدْ اعْتَوَرَهُ  
الْمَشْرُكُونَ حِينَ قَالَ : « أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبِّحِ ! ! <sup>(١)</sup> » قَالَ أَبُو بَكْرٍ  
وَيَلِكُمْ ، أَنْتُمْ تُلُونُ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ! فَصَدَعُوا فَوَدَّى رَأْسَهُ .

<sup>(٢)</sup> ثُمَّ الَّذِي لَقِيَ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي كَانَ بِنَاءً عَلَى بَابِهِ فِي بَنِي مُجَبَّحٍ ،  
وَحَيْثُ رَدَّ الْجَوَارِ وَقَالَ : لَا أُرِيدُ جَارًا سِوَى اللَّهِ . وَقَدْ كَانَ بَنِي مَسْجِدًا  
يُصَلِّي فِيهِ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَلَهُ صَوْتُ رَقِيقٍ وَوَجْهٌ عَتِيقٌ ،  
فَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَبَكَى ، وَقَعَتْ عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> الْمَاءُ وَالنَّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالْعَبِيدُ ،  
فَلَمَّا أَوْذَى فِي اللَّهِ حَتَّى بَلَغَ جُهِدَهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْمَجْرَةِ ،  
فَذِنَ لَهُ ، فَأَقْبَلَ رِبْدَ الْمَدِينَةِ فَتَلَقَّاهُ الْكِنَانِيُّ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ <sup>(٤)</sup> ، فَفَقَدَ لَهُ

(١) لِإِنْذَارِ الْمَذَابِ وَالْهَلَاكِ . جَاءَ فِي السِّيرَةِ ١٨٣ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَامِرِ :  
« فَأَقْبَلَ بِمَشْيٍ حَتَّى اسْتَلَمَ الزَّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِيَمِينِ الْقَوْلِ .  
قَالَ : فَمَرَرْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ  
غَمَزُوهُ بِشِمَالِهَا فَمَرَرْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ الثَّالِثَةَ فَمَمَزُوهُ  
بِأُذُنِهَا ، فَوَقَفَ ثُمَّ قَالَ : أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَّا وَاللَّهِ تَحْسَبُ يَدَهُ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبِّحِ !  
قَالَ : فَأَخَذَتْ الْقَوْمُ كُلُّهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا لَسَّكَأَمَّا عَلَى رَأْسِهِ طَيْرٌ وَاقِعٌ » .

وَفِي عَيُونِ الْأَثَرِ ١ : ١٠٤ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي خُطَابِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ :  
« أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَظْهَرُ دِينِهِ ، وَمَنْ كَلَّمَهُ ، وَنَاصَرَ نَبِيَّهُ . إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَوْنَ  
مَعَايِذَ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ حَاجِلًا » . قَالَ عُمَانُ بْنُ عَفَانَ : « ثُمَّ احْصَرَفْنَا إِلَى يُونَتَا ، فَوَاهَقَ لَقَدْ  
رَأَيْتُهُمْ قَدْ ذَبَحَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِينَا » .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « وَوَقْتُ » .

(٣) الْكِنَانِيُّ هُوَ مَالِكُ بْنُ الدَّغْنَةِ ، أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ .  
وَالْأَحَابِيشُ ، هُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَالْمُهَوَّنُونَ خَزِرْمَةُ بْنُ مَدْرُكَةَ ، وَبَنُو =

- جواراً وقال : والله لا أدع مثلك يخرج من بين أخشبي مكة . فرجع وقد عقد له الكنانى جواراً ، كل ذلك رغبة في قرب النبي صلى الله عليه ، فلما رجع إلى مكة عاد إلى مسجده وصنمه ، فشت قريش إلى جاره وعظموا الأمر عنده وأجلبوا عليه فقالوا : قد أفسد أحداتنا ، وعبيدنا وإماننا ونساءنا ، في منازلنا !! فمشى إليه الكنانى وقال : ليس على هذا أعطيتك ٥ الجوار ، ادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك <sup>(١)</sup> ! قال له أبو بكر : أو أردت عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ فلما قطع الجوار وتراداً المهد وتبارياً <sup>(٢)</sup> لقي أبو بكر رضى الله عنه من الأذى والدلّ والصرب والاستخفاف ما بلغك ، وهو أمر موجود في جميع السير . وليس المفتون كالوادع ، قال الله سبحانه : « والفتنة أشد من القتل » . وذلك أن المشركين كانوا قد صاروا إلى أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتعذيب ، والصلبون نفر يسير ، قد خذلهم عشائهم ، وأسلمتهم أهلوم ، فألقوا خبائلاً على الرصف <sup>(٣)</sup> حتى ذهب ماء متنته . وكان أبو ذر حليفاً مستضعفاً فكان يدخل بالهار في خلال أستار الكعبة ويخرج بالليل مستخفياً ، وكانت بنو مخزوم تذب عماراً وأباه وأمه برضاء مكة ، فيدبر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : ١٥

==المصطلق من خراقة . السيرة . ٢٤٥ والروض الألف : ١ : ٢٣١ .

وفي العرب آخر يسمى « ابن الفتنة » وهو ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة

بن يربوع . السيرة ٨٥٢ .

(\*) الكلام من « ثم الذى لقي في مسجده » ص ٢٨ س ٦ إلى هنا موضع رد

٢٠

للاصكانى سيأتى برقم (٧) .

(١) تبارياً : صنع كل منهما مثل صاحبه ، وقد تكون مسهل « تبارها » .

(٢) الرصف : الحجارة التى أحيت بالفسس أو النار ، واحدها رصفه .

« صبراً آل ياسر ، فإنَّ موعدَكم الجنة ! » فذكر عمار عند ذلك عياد أبي بكر لبلال حين أعتقه من العذاب فيمن أعتق ، فقال :

جزى الله خيراً عن بلال ودينه عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل<sup>(١)</sup>

وقال سعيد بن جبير : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون

٥ يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه من العذاب ما يُعذِّرون به في ترك دينهم ؟ قال : والله إن كانوا ليضربون أحدكم ويمطشونه حتى لا يقدر أن يستوى جالساً من الجهد ، حتى إن كان أحدكم ليمطهم الذي سألوه ، من الفتنة ، وحتى يقال له : اللات والمزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . وحتى إنَّ الجمل ليرث بهم فيقال<sup>(٢)</sup> له : هذا إلهك ؟ فيقول : نعم .

١٠ فلو كان عليُّ بن أبي طالب قد ساوى أبا بكر في الإسلام لقد كان فضله أبو بكر بأنَّ أعتق من المفدَّين المفتونين بمكة ، وحتى [و<sup>(٣)</sup>] لم يكن غير ذلك لكان لحاقه عسيراً<sup>(٤)</sup> ، ولو كان ذلك يوماً واحداً لكان عظيماً ، فكيف وكان بين ظهور النبي عليه السلام ودعائه إلى أن هاجر إلى المدينة ثلاث عشرة سنة ، في كلِّ ذلك أبو بكر وخيَّاب وأصحاب النبي صلى الله عليه ١٥ عليه وسلم يتجرَّعون الرارَ وعليُّ وادعُ رافه ، غير طالب ولا مطلوب وليس أنَّه لم يكن في طباعه<sup>(٥)</sup> النجدة والشهامة ، وفي غريزته الدفْع والحماية ،

(١) في الأصل : « وأخرى » ، تحريف . وعتيق : لقب أبي بكر .

(٢) في الأصل : « فيقول » .

(٣) ليست في الأصل .

٢٠ (٤) ابن أبي الحديد : « ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيراً وبلوغ منزلته شديداً » .

(٥) في الأصل : « إن يكون في طباع » ، سواه عند ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٧ .

ومن أكرم عنصرٍ وأطيب مترس ، ولكن لم تكن تمت له أدواته ، ولم تستجمع له قواه ولم تكامل آدابه ، لأنَّ العقل وإن اشتدَّ منيرُهُ وبُتَّت أواخيه وجد نَحْتُهُ<sup>(١)</sup> فإنه لا يبلغ بنفسه درك الناية ، دون كثرة السماع والتَّجَرُّبَةِ ، ولأنَّ رجال الطَّلَبِ وأصحاب الثَّارِ وأهل السَّنِّ والقَدَرِ يَنْمِطُونَ ذا الحداثة ، ويَزُرُّون على [ ذى<sup>(٢)</sup> ] الصَّبَا والغرارة إلى أن يُلحِقَ بِالرَّجَالِ • ويصير من الأكفاء<sup>(\*)</sup> . (\*\* حَتَّى كَانَ آخِرُ<sup>(٣)</sup> مَا لَقِيَ هُوَ وَأَهْلُهُ فِي أَمْرِ النَّارِ ، وَقَدْ طَلَبْتَهُ قَرِيشٌ وَجَمَلَتْ فِيهِ مِائَةٌ بِمِيزٍ كَمَا جَمَلَتْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَقِيَ أَبُو جَهْلٍ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ — وَهِيَ ذَاتُ النَّطَاقِينَ — مُنْصَرَفَةً مِنَ النَّارِ ، فَسَأَلَهَا فَكَتَمَتْهُ فَلَطَمَهَا ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : لَقَدْ لَطَمَنِي لُطْمَةً أَقْدَرَ مِنْهَا قُرْطًا كَانَ فِي أُذُنِي<sup>(\*)</sup> .

١٠

فصل : \*\*\* ثم الذي كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجة حتى أسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وعثمان ، لأنه ساعة ما أسلم دعا إلى الله ورسوله<sup>(\*)</sup> ، وكان مألُفاً ، لأدريه وعلمه ورُحْبَ عَظْمَتِهِ .  
\*\*\*\* وقالت أسماء : « ما عرفتُ أبي إلَّا وهو يدين بالدين ، ولقد رجع إلينا يوم أسلمَ فدعانا إلى الإسلام فما رَمْنَا حَتَّى أَسْلَمْنَا وَأَسْلَمَ أَكْثَرُ جَلِسَانِهِ » ، ولذلك قالوا : لَمَنْ أَسْلَمَ بدعاء أبي بكر أ كثرُ مَنْ أَسْلَمَ

١٥

(١) النحت : الأصل .

(٢) ليست في الأصل . وعند ابن أبي الحديد : « ويزدرون بنى الصبا » .

(٣) الكلام من « ثم أتى كان يلقي أبو بكر » إلى هنا مع الإيجاز وإفراد بعض العبارات

٢٠

بالرد رقم (٧) موضع رد للإسكافي سيأتي في رقم (٦) •

(٣) في الأصل « حتى أن أحر » ، صوابه في ح .

(\*) انظر رد الإسكافي رقم (٨) .

(\*\*) انظر رد الإسكافي رقم (٩) .

بالسيف . ولم يذهبوا من قولهم إلى المدد بل عنوا الكثرة في القدر ، لأنَّ من أسلم على يده خمسة من الشورى ، كلُّهم يَفِي بالخلافة ، وهم أكفاه علىِّ ومنازعوه الرياسة والإمامة ، فقد أسلم على يده أكثر من أسلم بالسيف ، لأنَّ هؤلاء أكثر من جميع الناس <sup>١٠٠٠٠</sup> .

- ٥ فصل : ومَن أسلم على يده بلال ، وهو الذي يقول فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « بلالٌ سيِّدنا ومولى سيِّدنا » . ورووا أنَّه قال : « أبو بكر سيِّدنا وأعتق سيِّدنا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلالٌ سابقُ الحبس ، وبلال « مولى أبي بكر » ثلاث مرات . أسلم على يده فأعتقه من رقِّ الكفر ، وأعتقه من رقِّ المذاب حيثُ كان يُفتَن في الله ١٠ ورسوله ، وأعتقه من رقِّ العبودية .

وكان من قصة بلالٍ أنَّه كان عبداً لبني جُحج وكانت دارُ أبي بكر ومسجدهُ في حيِّ جُحج ، ولم يكن يظن مَكَّةَ مسجداً سواه ، فلما سمع دُعاء أبي بكر أسلمَ وحده <sup>(١)</sup> فلما سمع <sup>(٢)</sup> أميةُ بن خلف فكان يخرجُه إذا حَمِيَت الظَّهيرة فيطرحُه على ظَهْره يطحاه مَكَّةَ ، ثم يضع صخرةً على صدره ، ثم يحلف بالله لا ينزعها عن صدره أو يكفرَ بمحمدٍ وإلهه وبوَمَن بالآلاتِ والمزَّمي ! وبلالٌ يَأْبى وهو يقول : أَحَدٌ أَحَد ! وكان يمرُّ به ورقةُ بن نوفل فيقول : نَمِّ يا بلال ، أَحَد أَحَد !! فرَّ به أبو بكر وهو يريد دارَه في بني جُحج ، فرأى أميةَ وما يصنع ببلال ، فقال : ألا تنقِّي الله ؟

\*\*\*\*\* الكلام من « وقالت أسماء » إلى هنا موضوع رد الإسكافي رقم (١٠) .

٢٠ (١) في الأصل : « واحدة » .

(٢) لعلها « وسمع » .

إلى متى نُدَّب هذا السكين ١٩ قال : أنت أفسدته ! يعني أنت دعوته حتى أسلم — فأخذَه ! قال أبو بكر : عندي غلامٌ أسود جلدٌ ، على دينك ، أعطيكه وأخذَه . فأعتقه . فهو عتيقه ثلاثَ مراتٍ <sup>(١)</sup> .

- <sup>(٢)</sup> ثم أعتق بعد ذلك من المذنبين في الله ستَّ رقاب ، منهم عامر بن فُهيرة ، شهد بدرًا وهاجر مع رسول الله عليه السلام وأبي بكر ، لأنه كان في موضع الثقة ، حيثُ خرجا إلى النار هارِبَيْنِ من المشركين متوجَّهَيْنِ إلى المدينة . واستشهد يوم بئر مَعُونَة .

- وأعتق زَيْنَةَ <sup>(٣)</sup> ثلاثَ مرات ، فلما اشتراها وأعتقها ذهب بصرُها ، وكانت تُعذَّب في الله فيمن يُعذَّب بِمَكَّةَ ، فقال المشركون : ما أذهبَ بصرَها إلاَّ اللَّاتُ والمُزَيُّ ! قالت : كذبُوا ما يَصْرَّانِ ولا ينفعان ! فرد الله عليها ١٠ بصرَها . فزعم الزُّهري <sup>(٤)</sup> أن مَوْلِيَيْنِ لابن النُّيْطَلَة <sup>(٥)</sup> أسلما حين ردَّ الله عليها بصرها . وقال : هذا بلاءُ شكٍ <sup>(٦)</sup> من إله محمد وابن أبي قحافة !

ثم أعتق التَّهْدِيَّةَ وابنتَها وقد كانتا تمذَّبَانِ في الله ، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار ، ومَرَّ بهما أبو بكر وقد بشت العِبدِيَّةَ <sup>(٧)</sup> معهما بطَّحِينَ وهي

(١) إشارة إلى ما سبق من أنه أعتقه من رق الكفر ، ومن رق المذاب ، ومن رق الصبوة . انظر ما سبق في ص ٣٢ س ٩ — ١٠ .

(٢) زينة ، بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة ، كما ضبط الحافظ في الفتح ٣٦٣ قسم النساء ، والسهيلي في الروض الأتق ١ : ٢٠٣ . وكانت رومية .

(٣) في الأصل : « الزهرقي » .

(٤) كان ابن النُّيْطَلَة من أشد أعداء الرسول — والنُّيْطَلَة أمه ، كانت كاهنة من بني سهم في الجاهلية — واسمه الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي . انظر إمتاع الأسماع ١ : ٢٢ وحواشيه .

(٥) في الأصل : « هذا بك شك » .

(٦) هي مولاتهما ، نسبة إلى بني عبد الدار .

تقول : والله لا أعتصمك أبداً . قال أبو بكر : حلاً<sup>(١)</sup> يا أمّ فلان ؟ قالت : حلاً ! أنت أفسدتهم فأعتصمهم . قال : فكأنّ هما<sup>(٢)</sup> يا أمّ فلان ؟ قالت : بكنا وكذا . قال : فقد أخذتهما ، وهما حرّتان ، أرجما إليها طحينها . قالت : أو تُفرغ منه يا أبا بكر<sup>(٣)</sup> ؟ قال : وذاك إن شئتما .

٥ ومريم بشارية بنى مؤمل - حمّة من بنى عدى بن كعب - وعمر بن الخطّاب يمدّها لترك الإسلام ، وهو يضربها فإذا ملّ قال : أعتذر إليك إنّى لم أتركك إلّا ملالة<sup>(٤)</sup> ! فابتاعها فأعتصمها . وأعتق أمّ عيسى<sup>(٥)</sup> .

فقال له أبو قحافة : أى بُنىّ ، أراك تمتق رقاباً ضمافاً ، فلو أنّك إذ فعلت أعتقت رجلاً جُلداً<sup>(٦)</sup> منمّوك وقاموا دونك ؟ قال : يا أبت

(١) في السيرة ٢٠٦ جوتنجن وهامش الروض ١ : ٢٠٣ : « حل » بالرفع في الموضعين ولكل وجه . حلاً ، أى تحلّى من يمينك . انظر الرياض النضرة ١ : ٨٩ .

(٢) أى بكما . وفي السيرة : « فكما » . قال ابن هشام في الملقى عند الكلام على « كأن » : « لا تقع بجرورة ، خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور ، أجازا : بكأن تبع هذا التوب » . فإورد الجاحظ شاهداً لمذهبهما . ١٥

(٣) في السيرة : « أو تفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها » ، كأنها أرادت أن تستغفها من قتل الرجل .

(٤) بعده في السيرة : « فقول : كذلك فعل الله بك ! ! » .

(٥) في الأصل : « أم عيسى » تحريف ، صوابه في السيرة وفتح الأسماع ١٩ . ويقال فيها أيضاً « أم عيسى » وكانت فتاة من بنى تيم بن صمة ، وهى أم عيسى بن كرز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن مناف .

(٦) الجلد ، بالتحريك : الشدة والقوة ، وهو جلد وجليد ، من أجلاذ وجللاء وجلاد وجلد .



إِنَّمَا أُعْتِقُ الْمَدِينِ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى <sup>(١)</sup> . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » إِلَى قَوْلِهِ : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى <sup>(٢)</sup> » . فَتَفَهُمَ مَعْنَى قَوْلِهِ : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى » وَتَفَهُمَ مَعْنَى قَوْلِهِ : « وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

- وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ خَاطَبَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَذَكَرَ الْأَمْوَالَ وَعَظَّمَ قَدْرَهَا فِي عُيُونِهِمْ ، وَشَدَّ إِخْرَاجَهَا عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَلَّفَهُمُ ذَلِكَ لِأَخْرَجَهُمْ قَلَّ التَّكْلِيفُ إِلَى غَايَةِ الْبُخْلِ بِهَا وَالشَّحِّ عَلَيْهَا ، وَالْإِثَارَ لِحَبْسِهَا فَقَالَ : « لَا تَهِنُوا <sup>(٣)</sup> وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٌ وَلَهُو ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ » ثُمَّ قَالَ : « وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا ١٠ فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ » . فَتَفَهُمَ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُبْزِلْهُ عِبَتًا <sup>(٤)</sup> . ثُمَّ قَالَ : « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُتَّقِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَنُفِكْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ » . أَلَا تَرَاهُ خَاطَبَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : « وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ <sup>(٥)</sup> » . ١٥

<sup>(٦)</sup> ثُمَّ قَدْ عَلِمْتَ مَا قَدْ صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ <sup>(٧)</sup> ، وَكَانَ الْمَالُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا

(١) التلاوة : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى » . وحذف الواو والقاء ونحوها في مواضع الانقياس من القرآن الكريم جازر . انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٢) الكلام مع إيجاز شديد من قوله « ثُمَّ أَعْتَقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمَدِينِ » س ٣٣ س ٤ إِلَى هُنَا مَوْضِعَ رَدِّ لَاسْكَافِي ، وَسَيَأْتِي بِرَقْمِ (١١) . ٢٠

(٣) التلاوة : « فَلَا تَهِنُوا » . سورة عمه ٣٥ . وانظر التنبيه السابق رقم (١) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عِتَا » .

(٥) بِدَمٍّ يَبْدَأُ الْاِخْتِيَارَ الثَّانِي مِنْ نَسْخَةِ لَتَحْفِ الْبَرِيطَانِي الرَّمُوزِ إِلَيْهَا بِالرَّمْزِ (ب) .

(٦) ب : « فِي مَالِهِ » .

فأنفقَ على نوائب الإسلام وحقوقه ، ولم يكن ماله ميراثاً لم يكده فيه فهو غزير<sup>(١)</sup> لا يشر بسُر اجتنابه<sup>(٢)</sup> وامتناع رجوعه ، ولا كان هبة ملك فيكون أسمح لطبيته وأخرق في إنفاقه ، بل كان ثمرة كده وكسب جولانه وترثته . ثم لم يكن خفيف الظهر قليل النسل قليل العيال ، فيكون قد جمع اليسارين ؛ [ لأن المثل الصحيح السائر : قلة العيال أحد اليسارين<sup>(٣)</sup> ] ! بل كان ذا بنين وبنات وزوجة وخدم وأحشام<sup>(٤)</sup> ، يعول مع ذلك أبويه وما ولما ، ولم يكن فتى حَدَثاً فتهزّه أريحية الشباب وغرارة الحداثة ، ولم يكن بمخذاء إنفاقه طمع يدعو ، ولا رغبة تحده ، ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم قبل ذلك عنده يد مشهورة فيخاف المار في ترك مواساته<sup>(٥)</sup> وإنفاقه عليه ، ولا كان من رهطه دُنْيَا<sup>(٦)</sup> فيُسبّ بترك مكافئته ومعاونته وإرفاقه . فكان [ إنفاقه<sup>(٧)</sup> ] على الوجه الذى لا نجد أبلغ في غاية الفضل منه<sup>(٨)</sup> ، ولا أدل على غاية الصدق والبصيرة منه .

(١) في التسخين : « مزير » .

(٢) في الأصل : « اجتاله » ، صوابه في ب .

(٣) الشكلة من ب . ١٥

(٤) أحشام : جمع حشم ، وهم خاصة الرء الذين يرضون له من عبيد أو أهل أو جيرة . ب : « وحشم » .

(٥) هذا ما في ب - وفي الأصل : « مواساته كمل » . والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٦) يقال هو ابن عمه دنيا ، بكسر الدال مع التنوين وعدمه ، وبضمها مع ترك الإجراء . ٢٠ إذا كان ابن عمه لما لاسق النسب .

(٧) الشكلة من ب .

(٨) الكلام من « ثم قد علمت ما قد صنع » ص ٣٠ س ١٦ إلى هنا موضوع الرد رقم (١٢) .

« وقد تملون ما كان يلقي أصحابُ النبي عليه السلام يطن مكة من المشركين ، وقد تملون حسنَ صنيع كثيرٍ منهم ، كمنيع حزة حين صرَبَ أبا جهلٍ بقوسه ، فبلغ في هامته ، في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهلٍ يومئذ أَمْنَعُ البطحاء ، وهو رأس الكفر .

- ثم صَليحُ عمرَ حيث يقول يوم أسلم : « والله لا يُبَدِّ (١) اللهُ سرًّا بعد اليوم ! » حتى قال بعد موته عبدُ الله بنُ مسعود : « ما سلَّينا ظاهرينَ حتى أسلم عمر (٢) » .

- ثم كان الذي لقي في ذلك اليوم بينه من المشركين ، ثم مضيه من فوره حتى يقرع على أبي جهل الباب ، فلما حَسَّ به أبو جهل خرجَ إليه وهو يقول : مرحباً ببنِ أختنا — وكانت أمُّه حَنَنمة بنت هاشمِ ذِي الرُّعَيْنِ ١٠ ابنِ النُّمَيْرَةِ — قال : أُنَدِي ما صرْتُ بمدك يا أبا الحكم ! قال : خير ، فليكن . قال : إنَّه خير ، إني آمَنت بالله وبرسوله وخَلمت الأنداد ، وجعلت (٣) اللات والمزَي ، وصدَّقت محمداً . قال : فلا قَرَبَ اللهُ قِرابَتَكَ !!  
ألا ترى إلى قوَّة (٤) شهادته وجَلَّله ، وصدقِ نبيِّته في كشف القناع ،  
والبداةَ لرأس الكفر وسيدَّ البطحاء عند نفسه ورهطه . ١٥

وقوله بعد ذلك لجميع المشركين : أَمَّا والله لو قد (٥) صرنا مائة لتركتموها لنا أو تركناها لكم — يعني مكة .

(١) ب : « لا يُبَدِّ » بالنون .

(٢) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار في ب الذي بدأ في ص ٣٥ س ١٦ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « قوله » .

(٥) في الأصل : « لقد » .

ثم صنيع [ الزبير <sup>(١)</sup> ] في سَلَّةِ السَّيْفِ شَادًّا بهِ مُسْتَقْبِلَ الْمُشْرِكِينَ ، يريد خَيْطَ من لَبِيهِ مِنْهُمْ ، قَتَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلًا قَاتِلًا : قَالَ : مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ ؟ قَالَ : يَا أَبَا أَنْتَ وَأُمِّي ، سَمِعْتُ قَاتِلًا يَقُولُ : قَدْ أَخَذَ مُحَمَّدٌ وَأَوْذَى ! فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَهَرَ سَيْفًا فِي الْإِسْلَامِ .

• ثم صنيعُ سعدٍ <sup>(٢)</sup> وَضَرَبَهُ عَظِيماً مِنْ عَظَائِهِمْ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ بِلَحْيٍ بَعِيرٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَرَادَ حَمًّا فِي الْإِسْلَامِ . وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ لِرُسُلِ عَلَى حِينِ أَنْوَهُ بِدَعْوَتِهِ إِلَى بَيْعَتِهِ : ثَكَلَتْنِي أُمِّي ، لَنْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَةً <sup>(٣)</sup> مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقَ الْبِشَامِ ، ثُمَّ جَادَنِي أَعْرَابُ الْأَوْسِ تَمَلَّسْنِي دِينَ اللَّهِ ؟ !

١٠ وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ لَكَ هَذَا لِتَعْلَمَ أَفْدَارَ الْقَوْمِ وَالَّذِي لَقُوا مِنَ الْجَهْدِ وَالْخَوْفِ . وَالنَّزْلَ وَالْتِطْرَادَ وَالضَّرْبَ . وَلَمْ نَسْمَعْ لِمَنْ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ذِكْرًا . وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَكْرُوهَ سَنَةً وَلَا سَنَتَيْنِ ، وَلَكِنْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُلْحَقُ وَلَا يُدْرِكُ الْفَائِتَ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى <sup>(٤)</sup> » .

(١) مَكَّةُ بِقَضِيَا الْبَاقِ . وَانْظُرِ الْإِسَابَةَ ٧٧٨٣ .

(٢) هُوَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَهَّاسٍ ، أَحَدُ الْعَصْرِ لِلْبَغْدَادِيِّينَ وَآخِرُهُمْ مَوْتًا ، وَاحِدُ السَّنَةِ . أَهْلُ الشُّوَرَى . الْإِسَابَةُ ٣١٨٧ . وَفِيهَا : « فَبَيْنَا سَعْدٌ فِي شَعْبٍ مِنْ شُعَابِ مَكَّةَ فِي نَهْرٍ مِنَ الْمَصَابِي إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ الْمُشْرِكُونَ فَانْفَرَوْا وَمَا بِأَعْيُنِهِمْ دِينُهُمْ حَتَّى قَاتَلُوهُ . فَضَرَبَ سَعْدٌ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيٍ جَلَّ فَتَجَّهُ » . وَذَكَرَ فِي السِّيَرَةِ ١٦٦ أَنَّهُمْ كَانُوا يَصْلُونَ حَيْثُ ذَكَرَ .

(٣) فِي الْإِسَابَةِ : وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « لَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَإِنِّي

لَنَاكَ الْإِسْلَامَ » . وَانْظُرِ فَتْحَ الْبَارِي ٧ : ٦٦ — ٦٧ .

(٤) الْآيَةُ ١٠ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ .

فإذا كانَ مَنْ أَنْفَقَ وَقَاتَلَ قَبْلَ الْفَتْحِ أَعْظَمَ دَرَجَةً ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ قَاتَلَ وَأَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ . وَمِنْ لَفْظِ<sup>(١)</sup> مِمِثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى الْهِجْرَةِ أَعْظَمُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، [ وَ ] أَفْضَلُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْفَتْحِ .

فَإِنْ قَالُوا : قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ أَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَلَا نَعْرِفُهُ قَاتِلًا قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، قَاتِلًا عَلَى بَعْدِ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ مِنْ إِنْفَاقِ أَبِي بَكْرٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

<sup>(٢)</sup> قلنا : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ لَمْ يَقَاتِلْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَاتَلَ مَرَارًا وَإِنْ لَمْ يَمِتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَلَئِنَّهُ لَوْ جُمِعَ جَمِيعُ الْكُرُوهِ الَّذِي لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ١٠ سَنَةً لَكَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ قَتْلًا<sup>(٣)</sup> .

وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْقِتَالُ مُمْكِنًا وَالْوُثُوبُ مُطْلِعًا لَقَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ وَنَهَضَ كَمَا نَهَضَ فِي الرَّدَّةِ . وَإِنَّمَا قَاتَلَ عَلَى<sup>(٤)</sup> فِي الزَّمَانِ الَّذِي [ قَدْ<sup>(٥)</sup> ] أَقْرَنَ [ فِيهِ<sup>(٦)</sup> ] أَهْلُ الْإِسْلَامِ لِأَهْلِ الشِّرْكِ<sup>(٧)</sup> ، فَظَلَمُوا أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ

- (١) فِي الْأَسْلَافِ : « وَبَيْنَ إِذْنٍ » ، صَوَابُهُ فِي ح ٣ : ٢٧٥ .
- (٢) بَعْدَهُ فِي ح : « وَالَّذِي بَعْدَ الْهِجْرَةِ » . وَالْكَلَامُ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : « وَقَدْ ظَلَمُوا مَا كَانَ يَلْقَى » فِي ص ٣٧ س ١ إِلَى هُنَا مَوْضِعُ الرَّدِّ رَقْم (١٣) .
- (٣) يَبْدَأُ بَعْدَهُ اخْتِصَاصٌ جَدِيدٌ فِي نَسْخَةِ (ب) سَنَبِهِ عَلَى نَهَائِهِ .
- (٤) التَّكَلُّفُ مِنْ ب .
- (٥) يُقَالُ أَقْرَنَ لَهُ ، أَيْ أَطْلَقَهُ وَلَقِيَ عَلَيْهِ ، وَاقْرَأْتَ فَلَانًا ، أَيْ صَرَفْتَ لَهُ قِرَاءَةً .
- (٦) وَفِي ح : « فِي الزَّمَانِ الَّذِي اسْتَوَى فِيهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُ الشِّرْكِ » . وَالتَّصَوُّسُ الَّذِي فِي ح يَكْثُرُ فِيهَا التَّصَرُّفُ .

سجلاً ، وقد أعلمهم الله أن المأقبة للمعتين ، وأبو بكر مفتون مفرد<sup>(١)</sup> [ ومطرود مشرد ، ومضروب معذب<sup>(٢)</sup> ] ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة . ولذلك قال أبو بكر بعد أن استفاض الإسلام وضرب بجرانه وظهر أمره : « طوبى لمن مات في نأنة الإسلام » ، يقول :  
٥ في أيام ضعفه وقتلته\* ، حيث كانت الطاعة أعظم ، لفرط الاحتمال ، والبلاء أغلظ ، لشدة الجهد ، لأن الاحتمال كلما كان أشد وأدوم كانت الطاعة أفضل ، والعزم فيه أقوى .

ولا سواه مفتون مشرد لا حيلة عنده ، ومضروب معذب لا انتصار به ولا دفع عنده ، ومبطل مؤقر<sup>(٣)</sup> [ يشقى غيظه ويروى غليله ، وله مقدم يكنفه ويشجعه .

١٠ ولا سواه مقهور<sup>(٤)</sup> ] لا يفتك<sup>(٥)</sup> ، ولم ينزل القرآن بمد بطفره ،

(١) في الأصل : « مقول » صوابه في ب . وبديل « مفرد » في ب « معذب » .

(٢) التكلفة من ب . و « معذب » هي في أصلها هنا « ومغرب » .

١٥ ( « ساق الإسكافي السلام من » قلنا إن أبا بكر « س ٣٩ س ٩ إلى هنا على هذا الوجه : « قال الجاحظ : ولأبي بكر مراتب لا يشرك فيها على ولا غيره وذلك قبل الهجرة فقد علم الناس أن علياً عليه السلام إنما ظهر فضله وانتشر صيته وامتنع واتى المقاتل منذ يوم بدر ، وأنه إنما قاتل في الزمان الذي استوى فيه أهل الإسلام وأهل الشرك وطعموا في أن تكون الحرب بينهم سجلاً ، وأعلمهم الله تعالى أن المأقبة للمعتين . وأبو بكر كان قبل الهجرة معذباً ومطروداً مفرداً ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة ، ولذلك قال أبو بكر في خلافته : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام . يقول : في ضعفه » . ثم عقب عليه بالرد رقم (١٤) في ملحقات الكتاب .

(٣) المبالغة : مفاعلة من البطش وهو السطوة والأخذ بالنف - والقرن : الحلق

الناذر . ب : « مفرق » .

(٤) التكلفة من ب .

٢٥ (٥) في الأصل : « لا يصاب » صوابه في ب .

وقد هتك اليأس لُطُول ما لقيَ حجابَ قلبه ، وهَضَن قَوَى طمسه حتَّى بقي وليس معه إلاَّ احتسابه ، ومقَاتِلٌ في عسكرٍ معه عِزُّ الرِّجَاءِ <sup>(١)</sup> وقُوَّةُ الطَّمَعِ ، وطِيبَ نَفْسِ الآمِلِ <sup>(٢)</sup> .

- فليس لعلَّ موقفٌ من المواقف إلاَّ ولأبى بكرٍ أفضلُ منه إمَّا في ذلك الموقفِ وإمَّا في غيره . ولأبى بكرٍ مواقفٌ لا يَشْرَكه فيها على ولا غيره .
- وإنما مُحْصَى على وامتَحِنَ من لَدُنْ يومِ بدرٍ إلى آخرِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> وَبَيْنَ الْحَنَةِ فِي الدَّهْرِ الَّذِي كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مُقَرَّبِينَ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَمَشْرُكِي الْعَرَبِ وَمَعَهُمْ أَهْلُ يَثْرِبَ أَصْحَابُ النَّخِيلِ وَالْأَطَامِ ، وَالْإِزْبِ وَالْإِقْدَامِ ، وَالصَّبْرِ وَالْمَوَاسَاةِ ، وَالْإِثَارِ وَالْمُحَامَاةِ ، وَالْعَدَدِ الدَّائِرِ وَالْفِعْلِ الْجَزَلِ ، وَبَيْنَ الدَّهْرِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ بِمَكَّةَ يُفْتَنُونَ <sup>(٤)</sup> وَيُشْتَمُونَ وَيُضْرَبُونَ وَيُشْرَدُونَ ، وَيَجُوعُونَ وَيَسْطَشُونَ ، مَقْهُورِينَ لَا حَرَكَ بِهِمْ ، وَأَذِلَّةً لَا دَفْعَ عِنْدَهُمْ ، وَقِرَاءَ لَا مَالَ لَهُمْ ، وَمُفْطِنِينَ لَا يُمْكِنُ لَهُمُ السُّفَهَاءُ <sup>(٥)</sup> ، وَمُسْتَحْفِينَ لَا يُمْكِنُ لَهُمُ الْإِقَاءُ <sup>(٦)</sup> — فَرَقٌ بَيْنَ .
- ولقد كانوا في حالٍ أخرجت لوطاً — وهو نبيٌّ ، والنبيُّ خيرٌ من جميع الناس — إلى أن قال لقومه حينَ لَقِيَ مِنْهُمْ مَالِقِي : « لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » . [ وقال النبي صلى الله عليه وآله : « عجبت من أخى لوطٍ كيف قال : أو آوى إلى ركنٍ شديدٍ <sup>(٧)</sup> ] وهو يأوى إلى الله سبحانه !

(١) في الأصل : « غير الرجا » ، وفي ب : « عز الرجال » ووجهها ما أثبت .

(٢) هذا نهاية الاختيار الذي بدأ في ص ٣٩ س ١٢ .

(٣) كذا . ولعل قبلها كلمة ساقطة .

(٤) عند ابن أبي الحديد : « لا يمكنهم إظهار دعوتهم » .

(٥) التكلفة من ح .

ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين ، ولا شهراً ولا شهرين ، ولا عاماً ولا عامين ، ولكن السنين بعد السنين .

وكان أغلظ القوم بحنة وأشدّهم احتيالاً بعد رسول الله صلى الله عليه وأبو بكر الصديق ، لأنه أقام ما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وذلك ثلاث عشرة سنة . وإنما قلنا ذلك من أجل أن الناس اختلفوا

في مقدار مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هجرته ، فقال قائل : خمس عشرة سنة ، وقال آخرون : ثلاث عشرة سنة ، وقال قوم : عشر سنين ، فكان أعدل الأمور وأقسطها طرح الطرفين ، والأخذ بأوسط الروايات ،

كما صنعنا في عمر علي بن أبي طالب ، حيث وجدنا ولده جعفر بن محمد [و] هو دونه ، يخبر أن علياً استشهد وهو ابن سبع وخمسين . وقالت

( علماء الرافضة ) : نحن أعلم به من ولده إلا الأئمة منهم . ولم يقل هذا القول إمامٌ منهم قط ، ولكن علياً استشهد وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ثم روى الناس بعد أن استشهد وهو ابن ستين وابن ثلاث وستين وابن أربع وستين ، أخذنا بأوسط ما قالوا فطرحنا سنيّه وسبني عمر وعثمان وأبي بكر والهجرة ومقام النبي صلى الله عليه بمكة ؛ فحصل المدد القوي أثبتناه في صدر ذكرنا القضية .

فإن قالوا : قد صنع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة أفضل من جميع ما ذكرتم ، ولقي أشدّ مما لقي أفضلهم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أباه في مضجعه وعلى فراشه والشركون يرصدونه ، وقد سقط إليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد المدينة ، فقد تحزّموا واجتمعوا وقلّبوا



الرأى فرأوا أن يئيتوه على فراشه إن لم يظهر لهم . فقال للى : « نَمَّ على فراشى وَنَشَّ بِرِدَى الحضرمى ، فأبهم إن رأوا حجَمَك فوق الفراش ودُونَ البرْد لم يَسْتَرِيبُوا ، وخنى لهم <sup>(١)</sup> أمرى ، ولم يتبعوا أَرى » . فنام على فراشه ينتظر وقع السيوف ، ويتوقَّع رَضَخَ الحِجَارَةِ ، بإذلاً نفسَه مصطبراً .  
• وليس فوق بذل النَّفسِ درجةٌ يلتمسها سائر ، ولا يلينها طالب .

وإن كان أبو بكر قد أحسنَ في خروجه وهجرته وصحبته ، وهربه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، واستخفاه في الغار ، فإن ذلك لن يبلغ من الاحتمال والخِطَارِ والخوف ، قَدَرًا ما كان فيه على رضى الله عنه ، لأنَّ طمع النِّجَاةِ في أحدهما أقوى ، والنَّفْسُ له أرحمى .

قبل لهم : لو كان الأمرُ كما تقولون في هذين الخوفين لم يَقُمْ صَرْفُ ١٠ ما بينهما <sup>(٢)</sup> بقدرِ عَشْرٍ ما لقي أبو بكر من جميع ما وصَفْنَا وما صنع أبو بكر في ثلاثِ عشرة سنة ، من كثرة الإنفاق ، وإيثار الفقر على الثنى ، والوحدة على الأنسة ، والمُحَوَّانِ بعد الكرامة ، والخوف بعد الأمن ، والضرب والافتتان بعد الإكرام والتعظيم ، مع عِتْقِ المَدِينِ وكثرة المستجيبين ، ومع صرف وَزْنٍ ما بين الطَّاعَتَيْنِ ؛ لأنَّ طاعةَ الشَّابِّ التَّوْبِ أو الحدث ١٥ الصغير ، الذى فى عِزٍّ صاحبه عِزُّه ، ليس كطاعة الحكيم المحتك الأريب ، الذى لا يرجع تسويدهُ لمن سوَّده [ و ] إلى رهطه <sup>(٣)</sup> .

(١) فى الأصل : « لى » .

(٢) صرف ما بينهما ، أى فضل ما بينهما . يقال : بين الدوميين صرف ، أى فضل ،

لجودة فضا أحدهما .

٢٠

(٣) الكلام من « فإن قالوا قد صنع » ص ٤٢ س ١٧ إلى هنا موضع رد للاسكافى

سبأنى برقم (١٦) .

\*) وُفِرَ آخِرُ : أَنَّ أَمْرَ النَّارِ وَقِصَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَحُبَّتِهِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَوْنِهِ مَعَهُ فِيهِ ، نَطَقَ [ بِهِ ] الْقُرْآنُ وَصَحَّ بِهِ الْإِجْمَاعُ ، كَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ ، وَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ ، وَالنُّسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ ، حَتَّى إِنْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عِنْدَ الْأُمَّةِ مَجْنُونٌ أَوْ كَافِرٌ . وَأَمْرٌ عَلَى وَنُومِهِ عَلَى الْفِرَاشِ أَنْمَا جَاءَ ٥ بِحَيْءِ الْحَدِيثِ ، وَكَأَنَّهُ تَجِيءُ رَوَايَاتُ السَّيْرِ وَأَشْعَارُهَا . وَهَذَا لَا يُؤَاوِزُ ذَا وَلَا يَكَايِلُهُ ٥ .

وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ الْعَالَمِ أَنْ يَعْرِفَ الْمَارِضَةَ وَالْمَقَابِلَةَ ، وَالْمَقْصُودَ وَالْمَتَسَاوِي . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ أَظْهَرَ شَكًّا فِي قِصَّةِ عَلِيٍّ وَمَبِيتِهِ ، وَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ ذَلِكَ وَلَمْ كُنْ ، وَلَكِنِّي مُشْفِقٌ لِلذِّي (١) أَعْرِفُ مِنْ ١٠ أَكَاذِبِ الشَّيْخِ ، وَتَوَلِيدِ مُجَالِ السَّيْرِ ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَأْسٌ مِنَ الْإِمَامِ . وَلَوْ قَالَ رَجُلٌ لَكَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَافَقَهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ إِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ : « ثَانِي اثْنَيْنِ إِذَا مَا فِي النَّارِ » عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ، لَوَجَدَ عِنْدَ الْإِمَامِ غَايَةَ التَّكْثِيرِ .

\*) وُفِرَ آخِرُ : أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَبِيتُ عَلِيٍّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِحَيْءِ ، كَوْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّارِ مَعَ النَّبِيِّ ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ كَبِيرٌ ١٥ طَاعَةً ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسَاوِيَ أَبَا بَكْرٍ أَوْ يَبْزُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الَّذِينَ قَالُوا — كَاذِبِينَ كَانُوا أَوْ صَادِقِينَ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَاتَ عَلِيًّا عَلَى فِرَاشِهِ ، هُمُ الَّذِينَ قَالُوا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « تَمَشُّ بِرُدى ،

(١) الْكَلَامُ مِنْ « وَفِرَ آخِرُ أَنْ أَمْرَ النَّارِ » فِي أَوَّلِ هَذِهِ الصَّفْحَةِ إِلَى هُنَا مَوْضُوعٌ

٢٠ الرَّدُّ رَقْمَ (١٧) .

(١) فِي الْأَسْلِ : « الْقِي » .

ونم في مضجعي ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه ؛ وهكذا لفظُ هذا الحديث ، لا يشكُّ في ذلك أحد . ولم يُنقل إلينا أنَّ النبي صلى الله عليه قال لأبي بكر : أُنْفِقْ واحتمل ، ولن تَمُطَّ ولن يصلَ إليك مكروه<sup>(١)</sup> .

» فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ عَلِيًّا وَإِنْ كَانَ حَدَّثَنَا — كَمَا تَزْعُمُونَ — آيَاتَ مَكَّةَ فَإِنَّهُ قَدْ

- لحقَ السَّابِقَ لَهُ ثُمَّ بَرَّزَ عَلَيْهِ بِصَنِيمِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْخَنْدَقِ ، وَيَوْمَ خَيْبَرَ ،  
وفي حروبِ النبي صلى الله عليه وسلم ، إِلَى أَنْ قَبِضَهُ اللَّهُ سَبْجَانَهُ إِلَى جَنْبِهِ ،  
لِجَمْعِ أُمَرَاءِ : كَثْرَةِ التَّمَرُّضِ لِلنَّبَايَا ، وَعِظَمِ الْفَنَاءِ بِقَتْلِ الْأَقْرَانِ وَالْفُرْسَانِ ،  
وَالْقَادَةِ وَالسَّادَةِ ، لِأَنَّ مَنْ لَهُ مِنْ قَتْلِ الْأَنْجَادِ وَالْأَجَادِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ ،  
فَلَهُ مِنَ التَّمَرُّضِ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْإِحْتِسَابِ مَا لَيْسَ لغيرِهِ .

- قلنا : إِنَّ كَثْرَةَ الْقَتْلِ وَكَثْرَةَ التَّمَتُّعِ بِالسَّيْفِ لَوْ كَانَ أَشَدَّ الْحَمْنِ  
وَأَعْظَمَ الْفَنَاءِ ، وَأَدْلَى عَلَى الرَّيَاسَةِ ، كَانَ يُبْنِي أَنْ يَكُونَ لِعَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ ،  
وَأَبِي دُجَانَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلَمَةَ ، وَابْنِ عَفْرَاءَ<sup>(٣)</sup> ، وَالْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ عِظَمِ  
الْفَنَاءِ وَاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ بِالْقَدَرِ الْعَظِيمِ مَا لَيْسَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) السلام من قوله « وفرق آخر أنه لو كان » ص ٤٤ س ١٤ إلى هنا موضع

الرد رقم (١٨) .

- (١) يضم الفال . واسمه سايك بن خرشة . الإصابة ٣٧١ من قسم الكشي .  
(٢) لم يذكر لـ الجاحظ من يئنه بابن عفراء ، وهم ثلاثة : عوف ، ومماذ ، ومموذ ،  
بنو الحارث بن رفاعه ، وأهم عفراء بنت هبيل بن ثعلبة . السيرة ٥٠٣ . وكلهم شهد بدراً ،  
واستشهد منهم فيها عوف ومموذ ابنا عفراء . السيرة ٥٠٧ . والإصابة ٦٠٨٧ ، ٨١٥٧  
وإنتاع الأشماع ٩١ . وشهد القبة منهم مماد . الإصابة ٨٠٣٤ ، وأظهرهم شجاعة في تلك  
المحروب هو عوف ، قال ابن إسحاق : « وحديثي عامر بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث  
وهو ابن عفراء قال : يا رسول الله ، ما يصنعك الرب من هبيل ؟ قال : غمسه يده في المدو  
حسراً . فترعاً كانت عليه ففدقها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل » . السيرة ٤٤٥ .

لأنَّ النبيَّ لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً<sup>(١)</sup> ، وقد علمنا أنَّه ليس أحدٌ أشدَّ احتيالا ولا أعظمَ غنا ، ولا أظهر فضلاً منه صلى الله عليه .

وقد نجد الرجلَ يقتل الأقران والفرسان وهو لا يستطيع أن يرفع طرفه في ذلك السكر إلى رجلٍ آخر ليس فيه من قتل الأقران قليلٌ ولا كثير ، لمانٍ هي عندهم أكثر من مثلي ذلك المقاتل بسيفه ، وقتله لقرنه .

وإذا ثبت أنَّ رئيسَ العسكر وأشباهه قد ثبتت لهم الرئاسة واستحقوا التقديم بغير التقدم والباشرة ، ثبت أنَّ قتل الأقران ليس بدليل على الفضيلة والرئاسة . أو ما تلم أنَّ مع الرئيس من الاكترات والاهتمام وشغل البال ، والعناية والتفقد ، ما ليس لغيره ، لأنَّه المخصوصُ بالمطالبة ، وعليه مدار الأمر ، وبه يستنصر المقاتل وباسمه ينهزم العدو ، وبشيعته ورايته ومعرفته يُفلَّ الحدُّ ، ولأنَّ اختيارَ الحكيم دليل على احتمال طبيعته واستقلال نفسه ، ولأنَّ فرقه أو عرده أعظم في المأثم والمار من عردة غيره وفرقة غيره<sup>(٢)</sup> .

[ و ] لو لم يكن من بليته وشدة ما مُحَصَّ به<sup>(٣)</sup> إلا أنَّ القوم لو ضيموا

١٥ (١) هذا الرجل هو أبي بن خلف . قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد . السيرة ٥٧٥ ، وعيون الأثر ٢ : ١٤ — ١٥ وإنتاع الأشماع ١٣٩ ، وأما أبو مزة الجمحي فلم يقتله بيده ، بل أسره حاصم بن ثابت أن يقتله ، فضرب عنقه وقتله صبأ . إنتاع الأشماع ١٦٠ .

(٢) في الأصل : هـ ولأنَّ قره أو عورته أعظم من المأثم والمار من عورة غيره وفرقه غيره . والردة : اسم للرة من عرد الرجل ، إذا حرب . القسان ( مرد ٢٧٩ ) .

٢٠ (٣) التجميع : الاجلاء . قال ابن عرفة : ليحص الله الذين آمنوا ، أي ليتجميعهم . القسان ( محس ) . والكلمتان قبلها مهملتان في الأصل .

جِماً وَحَفِظَ مَا أَضَيَتْ الْمَرْعَةُ إِلَّا إِلَيْهِ<sup>(١)</sup> ، وَلَا كَانَ الطَّلُوبُ غَيْرَهُ ، وَلَا كَانَ الدَّلِيلُ الْمَاهِي غَيْرَهُ . وَلِهَذَا وَأَشْبَاهَهُ يَكُونُ الرَّئِيسُ أَعْظَمَ غَنَاءً ، وَأَشَدَّ احْتِمَالًا ، لِأَنَّكَ [ لَوْ ] قَذَفْتَ فَضْلَ صَبْرِ الْقَاتِلِ الْوَاحِدِ فِي خِصَالِهِ لَمْ تَجِدْ لَهُ أَرَأً وَلَمْ تُحِسَّ لَهُ حِسًّا<sup>(٢)</sup> .

- ٥ \* وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْءَ إِلَى الْقِرْنِ بِالسَّيْفِ لَيْسَ هُوَ عَلَى مَا يَتَوَقَّعُهُ النِّمْرُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْفُضْلِ وَإِنْ كَانَ شَدِيدًا فَاضِلًا . وَلَوْ كَانَ كَمَا يَظُنُّونَ وَيَتَوَقَّعُونَ مَا اقْتَادَتِ النَّفْسُ وَلَا اسْتَصْحَبَتِ الْقِتَالَ ،<sup>(٣)</sup> لِأَنَّ النَّفْسَ السَّطِيعَةَ الْمُخْتَارَةَ الَّتِي قَاتَلَهَا طَاعَةٌ وَفَرَارُهَا مَعْصِيَةٌ قَدْ عُدِّلَتْ كَالْزِيَانِ فِي اسْتِقَامَةِ لِسَانِهِ وَكَفَتْيَتِهِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِمِثَالِ سَيْفِهِ إِلَى السَّيْفِ وَمَكْرُوهٍ مَا يَأْتِي بِهِ ، مَا يُمَادِلُهُ وَيُوزَانُهُ لَمْ يُمْكِنَ النَّفْسُ أَنْ تَخْتَارَ الْإِقْدَامَ عَلَى الْكَفِّ ، وَلَكِنْ مَعَهُ فِي وَقْتٍ مَشِيٍّ إِلَى ١٠ الْقِرْنِ أُمُورٌ تَنْفَعُهُ مَشْجَعَةٌ<sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ لَمْ يُبْصِرْهَا النَّاسُ وَقَضَوْا عَلَى ظَاهِرِهَا مَا أَبْصَرُوا مِنْ إِقْدَامٍ . وَالسَّبَبُ الْمَشْجَعُ رَبَّمَا كَانَ الْغَضَبُ ، وَرَبَّمَا كَانَ الشَّرَابُ<sup>(٥)</sup> ، وَرَبَّمَا كَانَ النَّرَارَةُ وَالْخِدَائَةُ ، وَرَبَّمَا كَانَ الْإِحْرَاجُ ، وَرَبَّمَا كَانَ النَّيْرَةُ ، وَرَبَّمَا كَانَ الْحَمِيَّةُ وَحُبُّ الْأُحْدُوثة<sup>(٦)</sup> ، وَرَبَّمَا كَانَ طِبَاعًا كَطِبَاعِ الْقَائِسِيِّ وَالرَّحِيمِ ، وَالسَّخِيِّ<sup>(٧)</sup> وَالْبَيْخِيلِ ، وَالْجَزُوعِ مِنْ وَقْعِ السُّوْطِ ١٥

(١) بعده في ح : « فَنَلَّ أَبَى بَكْرٍ بِمَقَامِهِ فِي الرِّيشِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ يَوْمَ يَدْرُ أَعْظَمَ مِنْ جِهَادِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَقَتْلَهُ الْأَبْطَالُ » . وَالْكَلَامُ مِنْ « فَإِنْ ظَلَمُوا إِنْ عَلِمُوا » س ٤ ، س ٤ لِي هُنَا هُوَ مَوْضُوعُ الرَّدِّ (١٩) .

- (١) بِمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ أَضْمَرَ الْحَصَالَ عِنْدَ الْقِتَالِ . وَكَلِمَةُ « قَذَفْتَ » مَهْمَلَةٌ فِي الْأَصْلِ . (٢) تَنْفَعُهُ : تَدْفَعُهُ . وَلَمْ يَجِمْ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ إِلَّا الْفَاءُ . وَكَلِمَةُ « مَشْجَعَةٌ » رَسَمَتْ فِي أَسْلَافِهَا « مَسْجَرٌ » . وَانْظُرْ سِيَاقَ الْكَلَامِ . (٣) كَذَا جَاءَتِ الْكَلِمَةُ وَاضِحَةً فِي الْأَصْلِ . (٤) ح ٣ : ٢٧٨ : « وَرَبَّمَا كَانَ لَهْبَةُ النَّفْخِ وَالْأُحْدُوثة » . (٥) الْكَلَامُ مِنْ « وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْءَ » س ٤ لِي هُنَا مَوْضِعُ الرَّدِّ رَقْمُ (٢٠) .

والصَّبْر ، وربما كان السَّبَبُ الدِّينَ ، ولكن لا يَبْلُغُ الرَّجُلُ بِقُوَّةِ الدِّينِ في قلبه ما لم يَشِمْهُ بعضُ ما ذكرناه أن يَمُتِيَ إلى السَّيْفِ ؛ لأنَّ الدِّينَ مكتسَبٌ مُجْتَلَبٌ ، وليس بأُسْلِيٍّ ولا طَبِيعِيٍّ ، ولأنَّ ثَوَابَهُ مُؤَجَّلٌ ، والحِصَالُ التي ذكرناها طَبِيعِيَّةٌ أُسْلِيَّةٌ ، وثَوَابُهَا مُعْجَلٌ .

• وقد يكون مع الإنسان أسبابٌ عُدَّةٌ مُجِبَّةٌ ، فيكون رُكُونُهُ<sup>(١)</sup> وجُلُوسُهُ طِبَاعاً لا يُمْتَنَعُ منه . وربما كانت الأسبابُ من المُشْجَمَاتِ والمُجَبِّنَاتِ سواءً ، فيكون جُلُوسُهُ عن الحربِ وَقِتَالُهُ فيها اختيَاراً . وربما فَضَلَتْ قُوَى مُشْجَمَاتِهِ حَتَّى يَكُونَ إِقْدَامُهُ أَشْرَأَ وَصَرْحاً ، وَاهْتِرَازاً وَطِبَاعاً ، ولا يكون ذلك طَاعَةً وَإِنْ كَانَ فِي الْحُكْمِ طَاعَةً . وكذلك الْجَبْنُ إِذَا أَفْرَطَ عَلَى سَاحِيهِ حَتَّى يَكُونَ فِرَارُهُ<sup>(٢)</sup> طِبَاعاً لا يكون مَعْصِيَةً وَإِنْ كَانَ فِي الْحُكْمِ مَعْصِيَةً .

ولم نَرِدْ بِهَذَا الْكَلَامِ تَنْقِصَ عَلَى رَحِمَةِ اللَّهِ وَلَا إِخْرَاجَهُ مِنَ الْفَنَاءِ وَاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ ، كَمَا لَمْ نَرِدْ تَنْقِصَ الزُّبَيْرِ وَأَبِي دُجَانَةَ وَابْنَ عَفْرَاءَ وَمُحَمَّدَ ابْنَ مُسْلَمَةَ ، وَلَكِنْ هَكَذَا صِفَةُ السَّطَطِينِ الْكَلْفِ ، وَالطَّبِيعِ وَالْمَاضِي .

١٥ وإذا كان مع صاحب الإقدام من الأمور المُشْجِمَةُ أُمُورٌ فَاضِلَةٌ عَلَى أَسْبَابِ جُبْنِهِ وَجُلُوسِهِ ، كَانَ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ مَاجُورٍ وَإِنْ كَانَ فِي الْحُكْمِ الظَّاهِرِ مَاجُوراً .

(١) في الأصل : « رُكُوبُهُ » ، تحريف .

• أوجز الإسكافي هذه العبارة وما ورد في صفحة ٤٧ س ٧ من قوله ٢٠ « لأن النفس المتطبعة » على هذه الصورة ، كما ورد عند ابن أبي الحديد ٣ : ٢٧٨ — ٢٧٩ : « قال الجلاحظ : فصاحب النفس المختارة المتدعة يكون قتاله طاعة وفرااره مَعْصِيَةٌ ، لأن نفسه ممتدة كاليزان في استقامة لسانه وكفئته ، فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طِبَاعاً وفرااره طِبَاعاً » - ثم رد عليها بالرد رقم (٢١) .

وإن كانت الأسباب المشجعة في وزن الأسباب الجبنة كان مطبعا ولم يكن حيثُ وضعتُ القوم ، لأنهم توهّموا مع مشيه بالسيف إلى القرن احتمال المكروه كَلَّه ، ورفّعوا من أوهامهم الأسباب التي لولاها لم يمكنه الشئ إلى القرن بالسيف <sup>(١)</sup> .

- ٥ " ووجه آخر : أن علياً لو كان كما يقول شيعته ، ما كان له بكثرة الشئ إلى القرن بالسيف وبقتله له كثيرُ طاعة ، ولا احتمال مشقة ؛ لأنَّ الشبهة [ ترغم <sup>(٢)</sup> ] أن رسول الله صلى الله عليه قال لعل : « إنَّك ستقاتل من بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين » . والنّاكثون : طلحة والزبير وأصحابهما ، والقاسطون معاوية وأصحابه ، والمارقون : عبد الله بن وهب وأصحابه .

١٠

- فإن كانوا قد [ صدقوا وما <sup>(٣)</sup> ] كذبوا فاعسى أن يبلغ من احتمال من هو من البقاء والسّلامة على ثقة . فالزبير وطلحة وأبو دجانة وابنُ عفرأ ومحمد بن مسلمة أعظم طاعة منه ، لأنهم أشدُّ احتمالاً منه ، لأنهم يُقدّمون والمنايا شاعة وهم يرّجون ويخافون ، وعلى كلّي ثقة من أمره ، ويقين من بقاءه وسلامته . إلّا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل ١٥ هذا القول إلّا قبيل وفاته . ولا سبيلَ لهم إلى علم ذلك . فيقال لهم : فكذلك خصومكم يمكنهم أن يقولوا لكم : إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة بُمَيّد إسلامه ، وإذا لم يكن في قولكم إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قالها له قبيل وفاته دليلٌ ، ولا في قول خصومكم إنَّ

٢٠

(١) في الأصل : « المعنى إلى السيف » . وانظر ص ٦ .  
(٢) تكله يقتضيه السياق ، وبموضعها في الأصل علامة إلحاق .  
(٣) بمنها يستقيم الكلام .

النبيؐ قالما بُمَيِّدُ إسلامه دليل ، فأعدلُ الأمور وأنصفها بينكم وبينهم أن  
تجعلوا الخبر في النُصف ممَّا بين إسلامه إلى وفاة النبي صلى الله عليه .  
فإذا كان ذلك كذلك فقد صار الزبير وطلحة وأبو دُجَانة ومحمد بن مسلمة  
وابن عفراء أفضلَ منه<sup>١٠</sup> ، لأنَّ الفضلَ في أحوال المكروه .

• وقد لمكم أن تَرْمَعُوا أَنَّ النبي صلى الله عليه قال هذا الكلام لعلَّ  
قيلَ وقمة بدر ، وأنتم إنما تفخرون بوقمة بدر وقاتله بمد ذلك ، فمأسى  
يبلغ من قتال رجل قد وثق بالسلامة والبقاء إلى أن يقاتل الناكثين  
والقاسطين والمارقين بمد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر .

فإذا كان رئيسُ الجيش أعظم غناءً وأشدَّ احتمالاً ، للذي وصفنا ، فأشبهه  
١٠ القوم حالاً به أعظم غناءً وأشدَّهم احتمالاً ، على قياس في الرئيس والكبير  
المنى بالسيف ولا أحد أشبهُ بالرئيس ممن اختاره الرئيس وزيراً وصاحباً ،  
ومُكَنِّفاً ومُؤَمِّناً ، لأنَّ الرجل إذا كان في رأى التين صاحب أمر الرئيس  
والتولَّى على الخاصَّة والقُرْبَة منه في ظنِّه ومُقامه ، وخَلَوَانه ، وهرَّبه  
واستخفَّاه ، وكان هو المبتدئ بالكلام عنده ، والمفزع في الحوائج بعده  
والثاني في الدُّعاء إلى الله ودينه ، ولا نعلم هذه الخصال اجتمعت في غير  
١٥ أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنَّه صاحبُه في كتاب الله سبحانه ،

(١) الكلام من قوله « وجه آخر » في ص ٤٩ س ٥ إلى هنا قد أوجزه الإسكافي  
على هذا الوجه عند ابن أبي الحديد ( ٣ : ٢٧٩ ) : « قال الجاحظ : وجه آخر أن علياً  
لو كان كما يزعم شيعة ما كان له بقتل الأقران كبير فضيلة ولا عظيم طاعة ، لأنه قد روى  
٢٠ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له : ستقاتل بمدى الناكثين والقاسطين والزَّريقين .  
فإذا كان قد وعد بالقاء بمد فقد وثق بالسلامة من الأقران ، وعلم أنه منصور عليهم  
وقائهم ، فلي هذا يكون جهاد سلعة والزبير أعظم طاعة منه » - ورد عليه بالرد رقم (٢٢) .



قال الله عز وجل : « إِنْ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَمَانِينَ اثْنِينَ إِذْ هَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخَظْنِ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ؛ فسمَّاهُ اللهُ صاحباً في كتابه ثم سَمَّاهُ النبي صلى الله عليه صِدِّيقَهُ من بين خلق الله ، حتَّى غلبَ على اسمه واسم أبيه ولقبه ونسبه ، حتَّى كان النَّاسُ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَعْدَ وَفاته يَقُولُونَ : قال عليٌّ وفعل عليٌّ ، وقال عثمانٌ وفعل عثمانٌ ، وقال عمرٌ وفعل عمرٌ ، وقال طلحةٌ وفعل طلحةٌ ، وقال الزُّبَيْرُ وفعل ، وجميع المَشْرَةِ الذين هم في الجنة ، حتَّى إِذَا صاروا إليه قالوا : قال الصَّدِّيقُ وقال أبو بكرٍ الصَّدِّيقُ ، وفعل أبو بكرٍ الصَّدِّيقُ . ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، وهو القول الذي كان يُسَيِّدُهُ في كلِّ دارٍ ومنزل : « ما أَحَدٌ أَمَنَّا عَلَيْنَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » ١٠ وفي قوله : « ما أَحَدٌ أَمَنَّا عَلَيْنَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » ممانٍ كثيرةٌ ، فهمه الناسُ أَمْ ذَهَبُوا عَنْهُ . فهذا هذا .

ثم كان النبي عليه السلام بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، في كلِّ يومٍ ذَرٌّ شَارِقُهُ يَأْتِي مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ إِمَّا صَبَاحًا وَإِمَّا مَسَاءً ، حتَّى كان اليَوْمُ الذي أَدْنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ في الهجرة . وإِنَّهُ أَنَاهُ مَهْجَرًا<sup>(١)</sup> فقال له أبو بكرٍ : ١٥ يَأْبَى أَنْتَ وَأُمِّي ، كيف جِئْتَ اليَوْمَ في هذا الوقت ؟! وتزل عن سريره . وجلسَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وجلسَ أبو بكرٌ بين يديه ، قال النبيُّ : هل عندك أَحَدٌ ؟ قال : لا ، يا رسولَ اللَّهِ ، إِلَّا أَسْمَاءُ وَعائِشَةُ . قال : « فَإِنَّ رَبِّي قَدْ أَدْنَى لِي في الهجرة » . فصانَ مُحَبَّتَهُ من خلقِ اللَّهِ غَيْرَهُ . ثم لم يُعْلِمِ بِمُخْرُوجِهِ غَيْرَ ابْنَتَيْهِ أَسْمَاءَ وَعائِشَةَ ، وغيرِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ٢٠ ابنِ أَبِي بَكْرٍ قَتِيلِ يَوْمِ الطَّائِفِ ، وكان هو الذي يَتَجَسَّسُ لَهَا الْأَخْبَارَ وَيَأْتِي بِهَا إِلَيْهِمَا في النارِ ، لَأَنَّهُمَا اسْتَخْفَيَا في النارِ ثَلَاثًا وَلَمْ يُطْلَمَا عَلَى

(١) التهجير : السير في الهجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس .

أمرهما غير عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، بدرى استشهد يوم بدر معونة .  
فإنه كان يؤنسهما ويحدثهما ويخبرهما في تلك السفرة كلها . وكانت أسماء  
هى التى تأتينهم بأقواتهم فى النار ، فكان صاحبها فى النار ، وبكت فى طريقه  
إلى المدينة ، وعلى ظهره ركب النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> ، والثغفاني  
أجيره <sup>(٢)</sup> ، وعامر بن فهيرة خادم النبي صلى الله عليه وسلم ومؤنس عتيقه ثلاث  
مرات <sup>(٣)</sup> ومولاه ، والظهر ظهره ، والمؤونة مؤونته ، وصحبة النبي صلى الله  
عليه وسلم مقصورة عليه ، محبوسة له ، مصونة عن سواه ، يُطلبان معاً ،  
وتجمل فيهما قريش شيئاً سواً .

وقالت الأنصار : لما سمعنا بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقُدومه  
١٠ كُنَّا نخرج إلى ظاهر حَرَّتْنا فننظره ، حتَّى إذا لم نجد ظلًّا دخلنا ،  
وذلك فى أيام حارة ، حتَّى إذا كان فى اليوم الذى قدم فيه النبي  
صلى الله عليه وسلم فعلنا ذلك ثم دخلنا منازلنا ، فكان أول من أبصره  
رجل من يهود ، فصاح : يا بنى قَيْلَة <sup>(٤)</sup> !! نخرجنا إلى النبي صلى الله عليه

(١) كان لأبي بكر راحلتان أعدهما للهجرة ، ركب إحداهما رسول الله . قال ابن إسحاق :  
١٥ « فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال له :  
اركب ، فذاك أبى وأبى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئى لا أركب بغير أبى .  
قال : فهى لك يا رسول الله أبى أنت وأبى . قال : لا ، ولكن باليمن القى ابنتها به ؟ قال :  
كذا وكذا . قال : أخذتها به . قال : هى لك يا رسول الله » . السيرة ٣٢٩ .

(٢) الثغفاني : نسبة إلى ثغفانة بن عدى بن الدليل بن بكر . وبسمه عبد الله بن أريقط ، وكان  
٢٠ مشركاً يدلهم على الطريق . قال ابن حجر فى الإصابة ٤٠١٧ : « ولم أر من ذكره  
الصحابة إلا القهفي فى التجريد . وقد جزم ابن عبد الله القهفي فى السيرة له بأنه لم يرف  
له إسلاماً » .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٣٢ — ٩ — ١٠ وص ٣٣ ص ٣ .

(٤) قَيْلَة هى أم الأوس والخزرج ، وهى قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد  
٢٥ بن ليث بن سود بن أسلم بن الحلاف بن فضاعة . السيرة ١٤٠ . وفى الدرة ٣٣٤ : « يا بنى قيلة  
هذا جدكم قد جاء » . وفى إسنـاح الأسماع ٤٠ : « هذا جدكم القى تنتظرون » .

وسلم وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر ، في مثل سِنَّه وهَيْئته ، وأَكْثَرُنا لم يكن رآه ، وركبهُ الناس وما نعرفه من أبي بكر حتى زال الظلُّ عن النبي عليه السلام ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . فهذا هنا .

- ثم لما كان بعد ذلك في يوم بدر . وذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا عَزَمَ على محاربة قُرَيْشٍ قال له سعدٌ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، لَتَبْنِي لَكَ عَرِيشًا فَتُكُونُ فِيهِ وَهَاتِلَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ فَبَتَوْهُ لَهُ ، فَعَدَلَ إِلَيْهِ بِمَدِّ أَنْ عَبَّأَهُمْ وَأَقَامَهُمْ عَلَى مَصَافِّهِمْ وَعَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، فَدَخَلَهُ وَأَدْخَلَ مَعَهُ أَبَا بَكْرٍ وَوَحْدَهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْعَرِيشِ قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : بَعْضَ مُنَاشِدَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> فَإِنَّ اللَّهَ مُنْجِزُكَ مَا وَعَدَكَ . تَخَفَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَفِيفَةً فِي الْعَرِيشِ فَاتَّبَعَهُ وَهُوَ يَقُولُ : أَيْشِرُ يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَنْتَكَ نَصَرُ اللَّهُ ، هَذَا جَبْرِيلُ أَخَذَ بِيَمَانِ فَرَسِهِ يَقُوذُهُ ، عَلَى ثَنَائِهِ التَّحَمُّسِ <sup>(٢)</sup> !

- فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من بين يديه خَلَقَ اللَّهُ فِي الْعَرِيشِ ، وَالنَّاسَ مَوْقُوفُونَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، فَكَانَتْ هَذِهِ مَرْتَبَةُ أَبِي بَكْرٍ . وَرَتَّبَ لِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ بَعْدَهُ أَنْ كَانَ قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ مُتَوَشِّجًا <sup>١٥</sup> السَيْفَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْمَرُّونَ الْعَرِيشَ وَمَنْ فِيهِ خَافَةٌ كَرَّرَ الْمَدْوُ وَالْجَوْلَةُ .

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم في العريش ، وغير ما

(١) في السيرة ٤٤٤ : « بعض مناشدتك ربك » .

(٢) التعم : التبار - وفي الروض الأثف ٢ : ٦٩ : « وفي حديث آخر أنه قال : رأيتني على فرس له شفرة وعليه عمامة حمراء ، وقد عصم بفتحة التبار » .

إلى السيف ومعه صاحبه وصديقه ، وسيد الأنصار وأفضلهم على باب  
البريش ، عرف أن عظم الفناء وشدة الاحتمال والسبب الدال على الرياسة  
غير الذي خصه القوم وجعلوه دليلاً . فمن أولى أن يكون أشبههم برسول  
الله صلى الله عليه وسلم في عظم الفناء واحتمال المكروه ، والحال الرفيعة ،  
• ممن كان ثانی اثنين في التقدم في الإسلام ، وثاني اثنين في الدعاء إلى الله  
ورسوله ، وثاني اثنين في كثرة المستجيبين والأتباع ، وثاني اثنين  
في النار ، وثاني اثنين في الهجرة ، وثاني اثنين في البريش ، وفي أشباه  
لهذا كثيرة .

وأما ما ذكرتم من يوم بدر وقتل على الأقران وفضله على من .  
١٠ سواء بذلك ، فقد قلنا في ذلك بما قد سمعتم .

ونحن ذاكرون وجهاً آخر ليزيد في الحجّة ويكشف من الدلالة .  
ترجم أنه لم يشهد بدرًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم [ من له <sup>(١)</sup> ]  
مثل غناء أبي بكر ونباهته وكرامته موضعه ، لأن من شهد بدرًا مثل  
الزبير ، وطلحة ، وسعد ، وعبد الرحمن ، وعثمان ، وبلال ، ومسطح  
١٥ ابن أثانة ، وعامر بن فهيرة . وكان في البريش ، فلا أحد يمدّ له  
في النباهة ، ولا في الفناء والرفعة ، والاحتمال لقدّر الخلافة ؛ لأن الذين  
عدّدنا على ثلاثة أصناف : رجل أسلم على يده وبدعاه وشرّحه فهو سبب  
حضوره وحسن بلائه ، ورجل أسلم على يده وأعتقه بعد ذلك من رق  
المذاب ورق العبودية وشهد بدرًا وقبيل ذلك بموؤته وكلفته ، وإما ربيب

ونسبُ وابن خالته كسطح بن أئامة ، فقد كان ربيبته وابن خالته <sup>(١)</sup> وعلى يده أسلم ، وبه استبصر ، ولم يزل في مؤوته قبل بدر وبمعد ذلك وفي أيامه ، إلّا ما كان من يمينه أيام حلف ألا يقربه ولا ينفق عليه ولا يطلأ رَحله ، للذي كان كبر <sup>(٢)</sup> على عائشة مع حسان بن ثابت ، حتى أنزل الله سبحانه على رسوله براءة عائشة ، وأمر أبا بكر بالإنفاق على مسطح وعياله ، وبالمفو عنه ، وأن يميده إلى رَحله ونمحت جناحه ، فانزل الله في حكم كتابه على نبيه يريد أبا بكر — وبين أن <sup>(٣)</sup> بفرّد الله الآي ويخصه بمخاطبته وبين أن يريدَه في الجمهور فرق عظيم ، كما أتى على جملة المهاجرين والأنصار — فقال الله وهو يريد أبا بكر : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسمة أن يؤتوا أولي القربى والساركن والمهاجرين في سبيل الله ١٠ وليصنفوا وليصنفوا ألا تحبون أن ينفق الله لكم » . قال أبو بكر : بلى يارب . فردّه إلى رَحله وعفا عنه كما أمره الله ، وأجرى عليه وعلى عياله مثل الذي كان يُجريه .

وإنما ذكر الله في هذه الآية القربى لأنه كان ابن خالته <sup>(٤)</sup> ، وجعل أهلَه وعياله مساكين أبي بكر ، وهو أحد بني المطلب بن عبد مناف <sup>(٥)</sup> ، وشأنه عظيم .

(١) التحقيق أنه ابن بنت خالته . الإصابة ٧٩٢٩ والسيرة ٧٣٣ وإمتاع الأسماع ٢٠٧ . ومسطح لقب له ، واسمه عوف .

(٢) كبر من الكبير بالكسر ، وهو الإثم . وفي الكتاب الكريم : « واذقوا تولى كبره » ، قيل الكبر الإثم . وفي الحديث أيضا : « أن حسان كان من كبر عنها » . الله ن (كبر) . في الأصل : « كان كثر » .

(٣) في الأصل : « وبين مؤمن » .

(٤) انظر ما سبق في الحاشية الأولى .

(٥) في الأصل : « بني عبد مناف » ، تحريف . انظر للمعارف ٣٣ والإنباء على قبائل

الرواة ٧٠ مع السيرة ٧٣٣ . ٢٥

وكان أوَّل مَنْ حَتَّ عَلَى قتالِ التَّوَكُّلِ يَدْرِي وَتَكَلَّمَ فِيهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ .

فَإِذَا شَهِدَ بِنَفْسِهِ وَرَأَى مَالَهُ وَمُسْتَجِيبِيهِ وَأَتْبَاعَهُ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُهُمْ ضِدَّهُ عِنْدَكُمْ ، مَعَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ اخْتَارَ عَلَيْهِ وَهُوَ عُثْمَانُ ، وَالْباقُونَ لَمْ يَخَارِعُوا وَيُؤَاوِزُوا [نَهَم] فَيُفَرِّقُ مَوْضِعَ أَفْضَلِهِمْ ، وَقَدْ نَفَرَ عَلَيْهِ سَعْدٌ فَلَمْ يَلَارِضْهُ ، فَأَيُّ مَبْلَغٍ مَا ذَكَرْتُمْ مِمَّا ذَكَرْنَا ، إِذَا كَانَ (١) مِثْلُ سَعْدٍ مِنْ مُسْتَجِيبِيهِ — وَهُوَ الْمُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَرَأَقَ دَمًا فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلَهُ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرِمَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » ، فَجَمَعَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَجْمَعْهُمَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ .

١٠ وَفِيهِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَالِي أَبِي فِيهِ فَلْيَاتِ كُلُّ أَرِيٍّ بِجَاهِهِ (٢) » . وَهُوَ أَزَالَ كِسْرَى عَنْ قَصْرِهِ وَمُلْكِهِ وَعَنْ مُسْتَقَرِّهِ — وَمِثْلُ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنِ عَمَّتِهِ (٣) ، مَعَ فَرُوسِيَّتِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِهِ وَالَّذِي عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ شَأْنِهِ يَدْرِي حِينَ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي زَيْتِهِ ، عَلَيْهَا عَمَاتُ صَفَرٍ .

١٥ ثُمَّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ يَدْرِي حِينَ أَتَى الْخَبْرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قُرَيْشٍ بِمُسِيرِهِمْ ، فَاسْتَشَارَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَامَ أَبُو بَكْرٍ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَإِذَا كَانَ » .

(٢) فِي رَوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ : « هَذَا خَالِي فَلْيَرِ قُرَيْشًا » . الْإِسَابَةُ

٢٠ ٣١٨٧ فِي تَرْجُمَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَهَّاسٍ . وَوَجَّهَ خَوَلُوهُ أَنَّهُ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ وَهَّابِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ ، وَأَمَّا الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْنَةً بَنَتْ وَهْبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ . قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ فِي الْمَأْرُوفِ ٥٧ : « وَلَا يَسْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لَأَمْنَةً أَخٌ فَيَكُونُ خَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ بَنَى زُهْرَةَ بِهَوْلُونٍ : نَحْنُ أَخْوَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ لَأَمْنَةُ مِنْهُمْ » . (٣) يَتَنَبَّاهُ بْنُ الْعَوَّامِ ، أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ . الْإِسَابَةُ ٢٧٨٣ .

فَتَكَلَّمْ وَحْدَ عَلَى الْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ ، ثُمَّ قَامَ عَمْرُ ، ثُمَّ قَامَ الْقِدَادُ <sup>(١)</sup> قَالَ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ، فَوَاللَّهِ لَا يَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
لِمُوسَى : « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ قِتَالًا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » ، وَلَكِنْ اذْهَبْ  
أَنْتَ وَرَبُّكَ قِتَالًا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ . فَوَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ أَنْ لَوْ سَرَتْ  
بَنُو إِسْرَائِيلَ بِرَبِّكَ ذَاتَ الْيَوْمِ <sup>(٢)</sup> لَجَالَدْنَا بَنَ دُونَهُ حَتَّى نَبْلُغَهُ .

فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يُشْهَدْ [ لَهُ ] اِحْتِمَالٌ كَاحْتِمَالِ عَلِيٍّ ، لِأَنَّ  
عَلِيًّا كَانَ يَمْنِي بِالسَّيْفِ وَأَبُو بَكْرٍ وَاذَعُ رَافِعُهُ فِي الرِّيشِ ، وَدُونَهُ  
الْحَرَسُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَالرُّكَّابُ لَهُ مُنَافَخَةٌ .  
قُلْنَا : قَدْ طَعَنْتُمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّانَ لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُونَ  
لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَادْعَا وَكَانَ عَلَى مُحْتِمَلًا صَابِرًا . وَهَذَا كَلَامٌ قَدْ  
فَرَّغْنَا مِنْهُ <sup>(٣)</sup> .

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ صَاحِبَ الْوَأَاءِ وَإِنْ كَانَ لَا يُبَارِزُ وَلَا يَمْنِي بِالسَّيْفِ  
أَنَّهُ يَحْتَاجُ مِنَ الْمَرْفَةِ بِالْحَرْبِ وَعَوْدَتِهَا ، وَإِقْبَالِ أَمْرِهِ وَإِدْبَارِهِ ، وَيَحْتَاجُ  
مَعَ اجْتِمَاعِ الْقَلْبِ وَالْيَقِظَةِ وَقَلَّةِ الْحَيَرَةِ ، وَالثَّبَاتِ عِنْدَ الْجَوْلَةِ ، وَالْعِلْمِ

(١) السيرة ٣٣٤ . وهو للقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك ، تبناه الأسود بن عبد يغوث  
الزهرى فغضب إليه فقبل القداد بن الأسود ، فلما تزلت : « ادعوم لأبائهم » قبل له القداد بن  
عمرو . الإصابة ٨١٧٩ .

(٢) في الأصل : « برك ذات النهار » ، تحريف . وبرك بفتح الباء في الأكثر وكسرهما بضمهم .  
والنهاد بكسر النين في الأكثر وضمهما بضمهم . وكلمة « ذات » و « ذو » تزداد كثيرا في  
أعلام البلدان ، كما قالوا : ذو أنيل ، وذو حسم ، وذو الرجاء ، وذات اللندی ، وذات  
الإصاء . انظر كتاب أسماء جبال تهامة ٣١ . وبرك النهار : موضع في أقصى هجر . والبرك :  
حجارة مثل حجارة المرة خشفة يصعب السالك عليها وعرة ، كما ذكر ياقوت .

(٣) انظر ما سبق في ص ٤٥ — ٤٦ .

بوضع الشدة والانهيار<sup>(١)</sup> إلى أكثر مما يحتاج إليه البارز ، لأن حفظ الجميع أشد من حفظ الواحد ، ولأن كل المدو يطلبه ويريد ختله ، وكل ذلك يعلمه وعينه ؛ لأن خطأ وضعفه أقرب إلى هلكة الجميع من ضعف البارز وخطئه .

• ولو كان الأمر كما يقولون ما كان أحد أسقط في الحرب ولا أصر خطأ ولا أقل أجراً ومكاناً من الإمام الأكبر والرئيس الأعظم<sup>(٢)</sup> لمُد ما بين بلاد عدوه من بلاده ، ولكان عامله أفضل منه .

<sup>(٣)</sup> مع أنكم تزيدون في كثرة القتل وتمطمون شأنهم لتطموا به من شأن على ، كسنيكم في أمر على ومرحب ، حيث فخمتموه بالأشعار وفخمتموه<sup>(٤)</sup> بالبلاغات ، وسكنتم عن قتل الزبير في ذلك اليوم . ومرحب وإسار أخوان شهدا الوقعة ، والنباهة لياسر<sup>(٥)</sup> . وقصدتم إلى الأخل فرفقتهم وشهرتموه إذ كان قتل على ، وقصدتم إلى الأرفع فأخلمتموه<sup>(٦)</sup> وأخفتموه ، إذ كان قتل الزبير . أو ما علمت أن الزبير وإسار التقياً فاضطربا بأسيا فمهما فلم يُفنيا شيئاً مزاراً ، حتى لججاً في موضع<sup>(٧)</sup> واعتزنت

١٥ (١) في الأصل : « الانهيار » ، تحريف . والانهيار : أن يدل عن المكان ويتركه إلى آخر . وفي السان : « يقال للأولياء انحازوا عن المدو وحاصوا ، وللأعداء انهزموا وولوا مدبرين » .

(٢) يده في الأصل : « أقل أجراً وأصر خطاً » ، وهو تكرار .

(٣) في الأصل : « فخمتموه » .

٢٠ (٤) مرحب اليهودي وأخوه ياسر ، قتلا في غزوة خير . السيرة ٧٦٠ - ٧٦١ . وقد ذكر ابن إسحاق أن القتيل مرحباً هو محمد بن مسلمة . قال ابن سيد الناس ١٣٤ : « عنه رواية ابن إسحاق في قتل مرحب . وروينا في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع أن علي بن أبي طالب قتله » .

(٥) في الأصل : « فاحتلمتموه » .

٢٥ (٦) لجج في موضع : نشب فيه ولزمه .



بينهما شجرة ، فغذَّباها<sup>(١)</sup> ضرباً وخبطاً ، ثم جمع الزُّبير نفسه ومكَّن سيقه فضرب رأس ياسرَ ضربةً قدَّ منها البيضةَ ومراراً السيِّفُ حتَّى عَصَّ نَبْيَتَيْهِ ، قَبِيلُ له : يا أبا عبد الله ، ما أجودَ سيفك ! فغضب<sup>(٢)</sup> .

وقصدتُم إلى عمرو بن عبد ودٍّ ، فتركتموه أشدَّ من عامر بن الطفيل ، وعُتِيَّة بن الحارث ، وبسطام بن قيس .

٥

وقد سمعنا بأحاديث حروب الفِجار ، والذي كان بين الطُّيَين والأحلاف ، وما كان بين قريش ودَّوس وأمر خُرَاعة وحِلْف الفضول ، وجميع أمر قُريش من خيرٍ وشرٍّ ، فما سمعنا لعمرو بن عبد ودٍّ في شيء من ذلك ذكراً<sup>(٣)</sup> .

<sup>(٤)</sup> وكذا قتيل<sup>(٥)</sup> على الوليد بن عُتْبَةَ يوم بدر ، وما علمنا الوليدَ حضَرَ حرباً قطُّ قبلها ولا بعدها ، ولا ذَكَرَ فيها بطائل<sup>(٦)</sup> .

فلو ذهبتم إلى أنَّ عليّاً قد بارز وقتل ، وأبلى واحتمل ، كان ذلك

(١) جذب العى . وجنمه : قلمه .

(٢) في السيرة ٧٦١ : « كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً مضياً ، قال : والله ما كان صارماً ولكي أكرهته » .

١٥

(٣) أوجز الإِسكافي — على ما أورده ابن أبي الحديد في ٤ : ٢٧٩ — عبارة الجاحظ من قوله « مع أنكم تريدون في كثرة القتل » في س ٨ س ٨ إلى هنا على هذه الصورة « قال الجاحظ : ثم قصد الناصرون لئلي والقاتلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروم وغلوا فيهم ولبسوا هناك . فنهج عمرو بن عبد ود ، زكوه أشجع من عامر بن الطفيل ، وعُتِيَّة ابن الحارث ، وبسطام بن قيس . وقد سمعنا بأحاديث حروب الفِجار وما كان بين قريش ودوس وحلف الفضول فاسمعت لعمرو بن عبد ود ذكرنا في ذلك » . ورد عليه بالناقضة رقم (٢٣) . (٣) في الأصل : « ولوقيل » بالإهمال . وعند ابن أبي الحديد ٤ : ٢٨١ : « وقد أكثروا

في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتله يوم بدر » .

(٤) هذه الفقرة موضع الرد رقم (٢٤) .

جَيْلاً ، وكان قصداً مقبولاً ، ولكنكم أخرجتموه من حدِّ الشجاعة ،  
وظننتم أنَّ السَّرَفَ أَمَلُّ وَأَجَلُّ .

وزعمتم أنَّ الذي <sup>(١)</sup> مَنَعَ الرَّبَّ وَفَرِشاً أَنْ يَجْمَلَ الْخُلَيْفَةَ بِعَدِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ قَتَلَ أَبْنَاءَهَا وَإِخْوَتَهَا وَأَعْمَامَهَا ، وَمَا يُعْلَمُ مَوْضِعُ  
٥ رَجُلٍ وَاحِدٍ يَوْمَ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْمَعُ لَهُ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ  
وَتَرَى لَهُ طَاعَةً ، قَتَلَ عَلَى أَبِيهِ أَوْ أَخَاهُ ، غَيْرَ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ  
حَرْبٍ ، فَقَدْ كَانَ عَلَى قَتْلِ ابْنِهِ حَفْظَةً ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ مِنْ عِلْيَةَ قَرِيشٍ  
وَالرَّبَّ أَقْرَبَ إِلَى أَنْ يُخَالِفَهُ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي ذَلِكَ الدَّهْرِ مِنْ  
أَبِي سَفْيَانَ ، وَقَدْ كَانَ أَكْرَهَ النَّاسِ لِأَبِي بَكْرٍ حِينَ قَالَ لِابْنِي هَاشِمٍ  
١٠ وَابْنِي أُمَيَّةَ : « رَضِيْتُمْ مَعَشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ يَلِيَ أُمُورَكُمْ رَجُلٌ مِنْ  
بَنِي تَيْمٍ » . فَإِذَا كَانَ الَّذِي قَتَلَ عَلَى ابْنِهِ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ كَرَاهِيَةَ أَبِي بَكْرٍ  
مِنْ بَيْنِ النَّاسِ فَكَيْفَ حَوَّلْتُمْ الْقَضِيَّةَ وَقَلَّبْتُمْ الْمَنَى ؟ !

فَإِنْ ذَكَرُوا أَبَا حَذِيفَةَ بْنَ عَتَبَةَ لِأَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ أَخَاهُ ، قِيلَ : أَيْسَكُونُ  
أَبُو حَذِيفَةَ مِمَّنْ أَتَى عَلِيًّا بِهَذِهِ الْعَلَّةِ ، وَأَبُو حَذِيفَةَ شَهِدَ بَدْرًا فَقَاتَلَ أَبَاهُ  
وَأَخَاهُ وَعَمَّهُ ، وَاحْتَمَلَتْ نَفْسُهُ وَعِزُّهُ وَصِحَّةُ إِسْلَامِهِ هَذَا الصَّنِيعَ ثُمَّ يَجْزَعُ  
١٥ مِنْ أَقْلٍ مِنْهُ بَسَدَ الزُّيَادَةِ فِي الْإِسْتِصَارِ ، وَبِئْسَ طَوْلُ الدَّهْرِ وَمَوْتُ  
الْأَحْقَادِ ؟ ! وَهَذَا مَا لَا يُشْبِهُ وَلَا يَجُوزُ . وَكَيْفَ يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَهُوَ مِنْ  
الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَالْمُشَاهِدَةَ كُلَّهَا ،  
وَقُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ ، وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ  
٢٠ وَلَوْ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ فِي يَدِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « النَّبِيُّ » تَحْرِيفٌ .

وكيف يُظَنُّ هذا بأبي حذيفة ولم يُرو عنه في كراهية عليّ حرف قط ، ولا قبض لذلك وجهاً ولا أظهر تمجّياً ؟ !

وكيف يُظَنُّ هذا بالبدريين والمهاجرين الأولين ومنع عليّ القيام بأمر الناس على هذا الوجه وعلى هذا المعنى كُفِّرَ بالله ورسوله . وكيف يَنْطَلِقُ امرؤ على عليّ ويُسَلِّمُ قلبه لرسول الله صلى الله عليه ؟ ! لأنّه إن كان يستدُّ صنيع عليّ ذنباً حتّى يولّد له حقداً والذي تفرد<sup>(١)</sup> على بذلك أعظم ذنباً وأجدر أن يولّد حقداً . وهذا أغفص قبحاً ، وأبين خطأ من أن يُجورَنا إلى<sup>(٢)</sup> كشفه وتبيينه .

وكيف يجوز هذا على أبي حذيفة ولا نعلم رجلاً في الأرض أبداً من حميّة الجاهليّة منه ، ولا أسمع نقساً بما وافق كتاب الله منه . ولقد باغ<sup>١٠</sup> من إخلاصه ورسوخ الإسلام في قلبه ، وحُبّه عليه وبنصته فيه أن طرَحَ كلَّ ما سواه ، وأخرجه ذلك إلى أن زوّج أخته فاطمة بنت عتبة ابن عبد شمس<sup>(٣)</sup> ، من سالم مولى أبي حذيفة ، وقال له : والله إنّي لأزوّجُكِها وأعلم أنّك خيرُ منها !! فعاتبه على ذلك بعضُ من نكّره ذكّره فقال : أفى سالمٍ تعاتبني وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أراد أن ينظر إلى رجلٍ يحبُّ الله بكلِّ قلبه فلينظر إلى سالم .

(١) كذا وردت هذه العبارة .

(٢) في الأصل : « على » .

(٣) هذا اختصار في النسب ، وإنما هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . على أن في السلام خطأ تاريخياً ، فإنّ أباً حذيفة إما زوج سالما ابنة أخيه فاطمة الوليد بن عتبة ، كما في ترجمة سالم في الإصابة ٣٠٤٦ وترجمة فاطمة في الإصابة ٨٥٢ من قسم النساء . وكان أبو حذيفة قد تبنى سالما يرى أنه ابنه . وأما فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة بن عتبة فهي عمته .

(١) مع أن لأبي بكر من حُسن الأثر في حروب النبي صلى الله عليه ومن أحوال المكروه وتجرُّع المرار ما ليس لأحد .

(٢) من ذلك أن أبا بكر خرج إلى ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ليأرزّه يوم أحد ، لأنَّ عبد الرحمن طلع يوم أحد على فرس وهو مُكفّر في السّلاح لا يرى منه إلّا عيناه وهو يقول : [ هل (١) ] من مبارز !! ثلاثاً ، كلّ ذلك يقول : أما عبد الرحمن بن عتيق . فهض أبو بكر يَسْتَسِي إليه بِسَيْفه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى غضبه وحِدْثه ، وعرف الذي عليه من الشّدّة في قتل ابنه : « سِمٌ سَيْفَكَ وارجع إلى مكانك ومتّعنا بِنَفْسِكَ » .

١٠ (٣) وإنّما يمكن أبا بكر بذل الجهد ، فإذا فعل ذلك فلا حال أفضل من حاله (٤) .

فاجتمع له في ذلك أمران : أحدهما الثّواب على شِدّة الاحتمال ، والثاني صيانة النبي صلى الله عليه وإشفاقه عليه .

(٥) قل ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ نصاً من الثمانية لمل موقعه قبل هذا . وهو : ١٥ د قال الماحظ : وقد ثبت أبو بكر يوم أحد كما ثبت على ، فلا غر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم » .

ثم رد عليه بالرد رقم ( ٢٥ ) .

(٦) التّكلمة من ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ .

(٧) شام سيفه يشبهه : رده إلى قرابه . وانظر رد الإسكافي على هذه الفقرة في

٢٥ رقم ( ٢٦ ) .

(٨) أورد الإسكافي هذه العبارة بهذه الصورة كما قل ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ . « قال الماحظ : على أن أبا بكر وإن لم تكن آثاره في الحرب كآثار غيره قد بذل الجهد وصل

ما يستطيعه وتلقته قوته . وإذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله » .

ثم رد عليها بالرد رقم ( ٢٧ ) .

وقوله « ارجع إلى مكانك وتمعنا بنفسك » ، فليس في الأرض معنى شريف فاضل من معاني الدِّين والدُّنيا إلّا وهو في هذه الكلمة .

وأبو بكر الذي كَمَا رُمِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في يومٍ أحدٍ أقبل يسمي وإذا إنسانٌ قَبَلَ للشرق يطير طيرانًا ، فلما رآه أبو بكر قال :  
 اللَّهُمَّ اجعله طلحة ! فلما تَوَاتَا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا هو أبو عبيدة •  
 ابن الجراح ، فبدره أبو عبيدة وقال : أسألك بالله يا أبا بكرٍ إلا تركتني فوَلَّيتِي نَزَعَهَا — بمعنى حدائد انزَرَدَ اللّوَاتِي نَشَيْنَ في وَجْهه [و] جبينه من المغفر —  
 فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : عَلَيْكُمْ صَاحِبَكُمْ ! بمعنى طلحة .  
 وَرَمَ أبو عبيدة يومئذٍ من نَزَعِ حَلْفَةٍ امْتَنَعَتْ عليه .

ولصنيع طلحة وأبي بكر وموقفهما قالوا : « يومٌ أحدٌ لبني تيم ! » ؛ لَأَنَّ ١٠  
 الذين صَبَرُوا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار سبعة : أبو بكر  
 وطلحة من تيم ، وعبد الرحمن بن عوف من بني زُهرة ، وعلى من بني  
 هاشم ، والزبير من بني أسد ، وأبو عبيدة من بني عامر . وإنما قالوا « يومٌ  
 أحدٌ لبني تيم » لأنَّهُ لم يكن من كل قبيلةٍ إلّا رجلٌ واحد من المهاجرين ،  
 وكان فيه رجلان من بني تيم كما ذكرنا . ١٥

وكان من الأنصار سبعة : الحُجَاب بن المُنفَرِج الجُلُوح ، وأبو دُجَانة ،  
 وعاصم بن ثابت بن أبي الأُفْلَح ، والحارث بن الصَّمَّة ، وسهل بن حُنَيف  
 وأُسَيْد بن حُضَيْر ، وسعد بن مُعَاذ .

وأبو بكرٍ أَوَّلُ من تكلم يوم بدرٍ وحثَّ الناس على الجهاد .

وأبو بكر الذي كَمَا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : « كيف ترونَ ٢٠

يا معشر المسلمين في هؤلاء الذين قد<sup>(١)</sup>... إلينا مَنْ أطاعهم ليصدُّونا عن المسجد الحرام » قام أولُ النَّاسِ فقال : نرى — والله ورسوله أعلم — أن نحضِّيَ لوجهنا ، فمن صدَّنا عن البيت الحرام قتلناه .

وأبو بكر الذي لما أتى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيَّ يومَ الحديبية في نفرٍ من أصحابه ، فأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، لقد اغتررتَ بقتال قومك وإنَّ قريشاً ستقاتلكم عن ذراريهم وأموالهم ، قد استنفروا الأحابيش وخرجوا إلى بَلَدَحِ<sup>(٢)</sup> ، معهم المَوْذُ المِطَافِيلُ ، والله ما أرى مَعَكَ أحداً له وجه ، مع أنَّي أراكم قوماً لا سلاحَ لكم ، ولو قد عَضَّ هؤلاء الحديدُ لقد أسلوكم . قال أبو بكر : عَضَضْتُ بِيْظُرِ اللَّاتِ ، أتحنُّ نُسْلَهُ ؟ !  
١٠ قال له بُدَيْلُ : أَمَا واللهِ لولا يدُكَ عندي لأجيتكَ ، واللهِ إني وقوى لنحْبُ أَنْ يَظْهَرَ مُحَمَّدٌ !

وأقبل عُروَةُ بْنُ مَسْعُودٍ في نفرٍ من قومه حتَّى أَنَاخَ راحلته عند النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إني تركتُ كعباً وعامراً على أعدادِ الحديبية<sup>(٣)</sup> معهم المَوْذُ المِطَافِيلُ ، وما أرى مَعَكَ أحداً أعرفُ وجهه ونسبه ، وإنَّهم لَخُلُقاهُ أَنْ يَخْذُلُوكَ — والقومُ سُكُوتٌ — ففضبَّ أبو بكر وقال : امصَّنْ  
١٥ بِيْظُرِ اللَّاتِ<sup>(٤)</sup> ، أتحنُّ نخذه ؟ ! قال عُروَةُ : أَمَا واللهِ لولا يدُكَ عندي

(١) كذا ورد في الأصل .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب . وانظر لمتاع الأسماع ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(٣) أعداد : جمع عبد الكسر . وفي اللسان : « وفي الحديث : نزلوا أعداد مياها

٢٠ المربية ، أى ذوات المادة كالسيون والآبار » . في الأصل : « عداد » تحريف .

(٤) في السيرة ٧٤١ وعون الأثر ٢ : ١١٦ : « بظر اللات » .

لأَجِبْتُكَ ! وكان عروة قد استملأ في حَمَاقِهِ ، فكان الرَّجُلُ يُسِنُهُ  
بالفريضة والثلاث ، فثنى إلى أبي بكرٍ فأعطاه عشر فرائض<sup>(١)</sup> .

ألا ترى كثرةَ أبياديه ونُبَيْلَه وأمنما<sup>(٢)</sup> ، وَحَدَّه وشهامته ورياسته ؟  
فهذا وأشباهه يعرف قدر الرجل بِمَكَّةَ وفي قَوْمِهِ ، وعند النبيِّ صلى الله عليه  
وسلم وجاعةُ أصحابِهِ .

- ولو لم يُعَلِّمْ من شدَّةِ قلبه ومصاب رأيه وقوَّةِ عزِّمه وقلةِ وَخْشَتِهِ  
وُجُنْ بركته إِلَّا أَنَّ كبارَ المهاجرين دخلوا عليه ، منهم عمر وعُثْمَانُ  
وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقَّاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل في جمع  
كثيفٍ من المهاجرين ، فقالوا بأجمعهم : يا خليفةَ رسولِ الله ، إِنَّ العرب  
قد انتقضت عليك ، وإنك لن تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً ، ١٠  
اجعلهم عُدَّةً لأهل الرِّدَّةِ ترى بهم مُنْخَوِّمٌ ، وأخرى أَنَا لا نَأْمَنُ على  
المدينة أن يُنَازَ عليها وفيها الذَّرَارِيُّ والنِّسَاءُ ، فلو استأثرت بِمَزْوِ الرُّومِ  
حَتَّى يَصْرِبَ الإسلامُ بِجِزَانِهِ ويعودَ أَهْلُ الرِّدَّةِ إلى ما خرجوا منه  
[أَوْ] يَفْنِيَهُمُ السَّيْفُ ، ثم تَبِعَتْ أُسَامَةُ جَيْتَذِرٌ ، فتكون قد أَفْنَيْتَ الجيشَ  
كما أَمَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقد دَفَعْتَ بهم أَهْلَ الرِّدَّةِ ، ولأَنَّا نَخَافُ ١٥  
الرُّومَ أَن تَرْحَفَ إِلَيْنَا يَوْمَنَا هذا .

- فلما استوعَبَ أبو بكرٍ كلامَهُمْ قال : هل منكم أَحَدٌ يريد أن يقول  
شيئاً ؟ قالوا : قد سمعتَ مَقَالَتَنَا . قال : والذي نَفْسِي بيده لو ظَنَنْتُ أَنَّ  
السَّيِّئَ نَأْكُلُنِي لَأَفْنَيْتُ هذا البعثَ ، ولا بدأتُ بِأَوَّلِي منه ، والنبيُّ صلى الله عليه  
وسلم يَزُلُّ عليه الوحيُّ من السَّمَاءِ وهو يقول : أَفْنِدُوا جَيْشَ أُسَامَةَ . ٢٠

(١) أصل الفريضة البعير للأخذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه فسمي كل بعير فريضة .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

فلما رأى إبطاءهم عن ذلك وتلكوهم خرج وحده منفصلاً نحو أهل الردة حتى لحقه المهاجرون والأنصار في السلمين ، فقالوا : نكفينا يا خليفة رسول الله ، وننفذ لأمرك ، والصواب ما رأيت .

فلو لم تعلم من شدة قلبه واجتماع رأيه وقلة وحشته إلا هذا كان كافياً . ■

وأبو بكر القتي ولأه النبي صلى الله عليه يوم حنين ميمته ، وولي عمر ميسرته . فلم يكن النبي صلى الله عليه ليستكفهما أم الواضع إليه وما لا يكتفيانه .

وقد انكشف الناس وثبتا في مواضعهما ، وكان أقرب القوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ - إذ كان لا يد لصاحب البيعة والميسرة ١٠ من أن يكون أبعد ممن يكون في القلب - أبو سفيان بن الحارث ، والمعبس بن عبد المطلب ، والفضل بن عباس ، وربيعة بن الحارث ، وأمين بن عبيد<sup>(١)</sup> أخو أسامة بن زيد لأمه . وصبر مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة وستون من الأنصار . ١٥

ومما نعرف به شدة شكيمته وصدق وصرامته رأيه قوله للسلمين يوم توى النبي صلى الله عليه وسلم حيث قام خطيباً والبلدية مناقبون لا يألونهم خبالاً يمتصون عليهم الأنامل من النيط ، وقد انتفض ماحول المدينة ، فكان ممّا قال في خطبته :

٢٠ (١) في الأصل : « أمين من عبد الله » ، صوابه في السيرة ٨٤٥ والإصابة ٣٩١ وامتاع الأصماح ٤٠٧ . ويسمى أيضاً « أمين بن أم أمين » .



- مَنْ كَانَ يَمْبُدُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوت ، فليعبده . وَمَنْ كَانَ يَمْبُدُ مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِمَامًا فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ . فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاعْتَصِمُوا بِدِينِكُمْ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ قَائِمٌ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ قَائِمَةٌ ، وَاللَّهُ نَاصِرٌ مَنِ نَصَرَهُ ، وَمَعَرُضٌ دِينُهُ . وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وَهُوَ النُّورُ وَالشَّفَاءُ ، وَبِهِ هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ، وَفِيهِ خَلَّالُ اللَّهِ وَحَرَامُهُ .
- ثم قال : وَاللَّهُ مَا نُبَالِي مَنْ أَجْلَبَ عَلَيْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . إِنَّ سَيُوفَ اللَّهِ السَّلَاطَةَ مَا وَضَعْنَاهَا عَنْ عَوَاتِقِنَا ، وَلِنُجَاهِدَنَّ مَنْ خَالَفَنَا ، فَقَدْ جَاهَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَلَا يُبَيِّنُ مُبَيِّنٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ .
- وإنما قال : « مَنْ كَانَ يَمْبُدُ مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِمَامًا فَقَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ » لِأَنَّهُ كَانَ سَمِيعَ مَنْ عَثَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ كَلَامًا قَبِيحًا ١٠ حَتَّى مَاجَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَامَات ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ كَمَا رَفَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، فِي كَلَامٍ سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .
- وَمَا يَدُلُّ عَلَى خَاصَّةٍ مَكَانِهِ وَتَقْدِيمِ النَّاسِ لَهُ ، وَمَعْرِفَةِ الْجَمِيعِ لِفَضْلِهِ ، الَّذِي كَانَ مِنْ صَنِيعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ صَنِيعِ جَمِيعِ السَّلَاحِينَ ، وَمِنْ صَنِيعِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِهِ ، حَيْثُ فُرِضَتْ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ أُسَارَى ١٥ بِدَرٍّ دُونَ غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا حُيِسُوا بِدَرٍّ وَاقْتَرَعَ السَّلَاحُونَ عَلَيْهِمْ طِمَعُوا فِي الْحَيَاةِ ؛ فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَوْ بَعَثْنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَوْصَلُ قُرَيْشٍ لِأَرْحَامِنَا ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا آثَرَ عِنْدَ مُحَمَّدٍ مِنْهُ ؛ فَبَشْتُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَتَاهُمُ فَقَالُوا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ فِينَا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَالْإِخْوَانَ وَالْمَعْمُومَةَ ، وَبَنِي التَّمِّ ، وَأَبْنَاءَ قُرَيْبٍ ، فَكَلِّمْ سَاحِبَكَ يَمُنُّ عَلَيْنَا أَوْ يُفَادِينَا . قَالَ : تَمَّ ٢٠ لَا أَلُوْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَيْرًا ! ثُمَّ انصرفت إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

- فقالوا : ولو بشئنا إلى عمر ، فإننا لا نأمن أن يُفسيِد علينا ، فطلَّه أن يكفَّ عنا شرًّا ! فأرسلوا إليه فجاءهم ، فقالوا مثل قولهم لأبي بكر ، فقال : لا آلوكم إن شاء الله شرًّا ! ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه ، وإذا الناس حول النبي ، وأبو بكر يفتؤه <sup>(١)</sup> ويلبَّنه وهو يقول : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، قومك فيهم الآباء والأبناء ، والعمومة والإخوان ، وبنو العم ، وأبدمم منك قريب ، فامنَّ عليهم من الله عليك ، أو فادِّهم يستنقذهم الله بك من النار ، فإأخذت منهم فهو قوَّة للمسلمين ، ولعلَّ الله أن يقبل بقلوبهم !! ثم قام فتنحى ناحية وسكت النبي صلى الله عليه ، فاجاء عمرُ فجلسَ مجلسَ أبي بكر فقال : يا نبي الله ، هم أعداء الله كذبوك وقَاتلوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم فإنهم رهوس الكفر ، وأعمَّة الضلالة ، يمزَّ الله بذلك الإسلام ويذلَّ الشُّرك !! فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وعادَ أبو بكرٍ إلى مجلسه وإلى مثل ذلك الكلام ، ثم تنحى وقام عمرُ فجلسَ مجلسَه وأعاد مثل الكلام الأول ، ثم تنحى عمر وجلس أبو بكر ، ثلاث مرَّات . فسكت النبي عليه السلام ، ثم قام فدخلَ قُبَّته فكث ساعةً وخرجَ والناسُ يخوضون ، يقول ١٥ بعضهم : القولُ ما قال أبو بكر ، وبعضهم يقول : القول ما قال عمر . فخرجَ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تقولون في صاحبكم ؟ دعوها فإنَّ لها مثلاً : مثلُ أبي بكر في اللائكة مثلُ ميكايل ينزل بالرضا والتقوى ، ومثله في الأنبياء مثلُ إبراهيمَ كان آليَن على قومه من العسل ، أو قدَّ له قومه النارَ فطرحوه فيها ، فما زاد على أن قال : «أنتَ لكم

(١) يفتؤه : يسكن غضبه . ورسمت في الأصل « حنؤه » .

- وَلَا تَبْدُوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ . وقال : « فَمَنْ يَسْحَقْ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ . ومثله كمثل عيسى إذ يقول : « إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ عِيَاذُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » . ومثْلُ عَمْرٍ فِي اللَّائِكَةِ مِثْلُ رَجَبِ بْنِ رَجَبٍ بِالشَّخْطِ مِنَ اللَّهِ وَالنَّقْمَةِ . ومثله فِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ نُوحٍ كَانَ أَشَدَّ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحَجَارَةِ إِذْ يَقُولُ : « رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » . فدَعَا عَلَيْهِمْ دَعْوَةً أَغْرَقَ اللَّهُ بِهَا الْأَرْضَ جَمِيعًا . ومثله مثلُ مُوسَى إِذْ يَقُولُ : « رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرْوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » . فهذا يدلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ الْمَفْرُوعَ وَالشَّفِيعَ ، وَالْخَاسَةَ وَالْقَتْلَ وموضع الغضبية .
- ١٠

- وَقَبْلَ ذَلِكَ لَمَّا قَسَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ كَيْفَ أُسْرِىَ بِهِ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ عَلَى التَّكْذِيبِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : وَاللَّهِ إِنْ الْعِيرَ لَتَطْرُدُ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ يَكُونُ إِقْبَالُهَا شَهْرًا<sup>(١)</sup> ، وَزَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ مَضَى إِلَى بَيْتِ الْقُدُسِ وَرَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ !! فَاتُوا أَبَا بَكْرٍ لِيَحْتَجُّوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ وَلِيَعْرِفُوهُ خَطَأً فِي أَتْبَاعِهِ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ ١٥ الْجَوَابَ فِي ذَلِكَ يَمْتَنِعُ إِذْ كَانَ قَدْ امْتَنَعَ عَلَيْهِمْ . فَاتُوا أَبَا بَكْرٍ فَقَالُوا : هَلْكَ سَاحِبُكَ ! — أَلَا تَرَى أَنَّهُ الذَّكَورُ بِالصُّحْبَةِ ، وَمَوْضِعُ الْحَاجَةِ ، وَأَنَّهُ الْمُبْتَدَأُ وَالْمَفْرُوعُ — زَعَمَ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ الْقُدُسِ فِي لَيْلَةٍ وَغَدَا عَلَيْنَا !! قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ سَكِمَ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ مَدَقَ ، فَمَا تَعَجَّبُونَ مِنْ ذَلِكَ ؟ ! فَوَاقِدُ إِنَّهُ لَيُخْبِرُنَا أَنَّ الْخَبَرَ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ ٢٠

(١) فِي السِّيرَةِ ٢٦٤ : « إِنْ الْعِيرَ لَتَطْرُدُ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مَدِيرَةً وَشَهْرًا مُقْبِلَةً » .

إلى الأرض في ساعة من ليلٍ أو نهار فأسدّقه . فهذا أبعد من مصر<sup>(١)</sup> .  
ثم نهض أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه ليسأله عن القضية ، فأقبل  
النبي صلى الله عليه وسلم يصف له وهو يقول : صدقت صدقت ! أشهد  
أنك رسول الله ! قال النبي صلى الله عليه : وأنت الصديق ! وقد كان  
أبو بكر الصديق أنى الشام وعرف طرقها وأمورها ، وقلّها وعرف  
جميع ما فيها .

ثم الذي كان من تقديم النبي صلى الله عليه له والمسلمين في قضية  
الحديبية . وذلك أنهم كتبوا كتاباً :

هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو . اصطاحا على  
١٠ وضع الحرب عشر حجج يأتى فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .  
على أنه لا إسلال ولا إغلال<sup>(٢)</sup> ، وعلى أن من أحب أن يدخل في عقد  
محمد وعهده فمّل ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها فمل ،  
وعلى أنه من أتى منهم محمداً بنير إذن رده ، ومن أتى قريشاً من أصحاب محمد  
لم رده ، وعلى أن محمداً يرجع عامه هذا بأصحابه ، ويدخل عليهم قابلاً<sup>(٣)</sup>  
١٥ في أصحابه فيقيم ثلاثاً ، لا يدخل علينا السلاح إلا سلاح المسافر ، الثيوف  
في القرب . شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ،  
وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد بن مسلمة<sup>(٤)</sup> . وشهد حويط بن عبد العزى  
وميكرز بن حفص بن الأخيف .

(١) في الأصل : « أقعد من مصر » . وفي السيرة : « أبعد مما تجبون منه » .

(٢) الإسلال : الفارة الظاهرة بسل السيوف . والإغلال : الحياة والقدور

(٣) أى في العام القابل .

(٤) وكذا في إمتاع الأسماع ٢٩٨ . وفي السيرة ٧٤٩ وعيون الأثر ٢ : ١٢٠ . محمد  
ابن مسلمة . وهو أخوان .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ شَاهِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ ، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يَمْدَهُ .

وَنَحَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمَلَ عَنْ سَبْعَةٍ <sup>(١)</sup> . فَأَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ سَمَّى أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ . فَعَذَا هَذَا .

- ٥ ثُمَّ لَمَّا تَحَاجَزَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ الْإِنْصِرَافَ أَقْبَلَ سِيرَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَتَقَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عُرْضِ الْجَبَلِ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ يَوْمَ يَوْمٍ بَدَأَ .
- أَلَا إِنَّ الْأَيَّامَ دَوَّلٌ وَالْحَرْبَ سِجَالٌ ، وَحَنْظَلَةُ بِحَنْظَلَةٍ <sup>(٢)</sup> قَالَ عُمَرُ :
- أَلَا أَجِيبُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَعْلَرَ هُبَيْلَ <sup>(٣)</sup> ؟
- ١٠ قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَنَا عُرْزَى وَلَا عُرْزَى لَكُمْ ! قَالَ عُمَرُ : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .

فَلَوْلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلَ مَنْ شَهِدَ أَحَدًا وَأَنْبَى ، أَوْ أَعْيَظَ لِأَبِي سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكِينَ ، مَا جَمَلَهُ أَبُو سَفْيَانَ — وَهُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ — ثَانِيًا ، وَالَّذِي يَتْلُو النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي النَّدَاءِ وَالْمُخَاطَبَةِ ، حِينَ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟

١٥ ثُمَّ يَقُولُ : أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ . فَعَذَا هَذَا .

(١) هَذَا الْجَمَلُ هُوَ جَمَلُ أَبِي جَهْلٍ ، كَانَ قَدْ غَنِمَهُ يَوْمَ بَدْرٍ . لِمَتَاعِ الْأَسْوَاحِ ٢٧٥ ، ٢٩٩ — ٣٠٠ وَالسَّيْرَةُ ٧٤٩ وَعَيُونُ الْأَثَرِ ٢ : ١٢١ .

(٢) يَعْنِي لِمَا كَانَ مِنْ مَقْتَلٍ وَلِهَذَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي وَقْتِهِ بَدْرٍ ، وَمَصْرُوحُ حَنْظَلَةَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ غَسَلَ لِلْإِسْكَاحِ حِينَ لَفِيَ فِي غَزَاةِ أُحُدٍ ، فَلَمَّا اسْتَمْلَأَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لِحْمَ شِدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ فَضْرِبَهُ شِدَادُ فَنَقَلَهُ . فَهُوَ يَذْكُرُ ثَأْرَهُ لَوْلَهُ . انْظُرِ السَّيْرَةَ ٥٠٧ ، ٥٦٧ .

— ٥٦٨ وَلِمَتَاعِ الْأَسْوَاحِ ١٥٨ ، ١٤٩ .

(٣) هُبَيْلٌ : صَمٌّ مَشْهُورٌ . أَهْلُ هُبَيْلٍ ، أَيْ أَظْهَرَ دِينِكَ . السَّيْرَةُ ٥٨٧ وَلِلْيَسْرِ وَالْأَزْلَامِ لِحَقِّقِ السَّانِيَةَ ص ٦٨ .

وفي نزول أبي بكر قبر حمزة قبل كل نازل بأمر رسول الله صلى الله عليه ،  
دليل على الفضيلة والنباهة ، والتقدير والوزارة .

ولما دخل أبو سفيان المدينة أتى النبي صلى الله عليه وقال : يا محمد ،  
إني كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدّد العهد وزدنا في المدة . قال .

٥ أو لعلك قدمت يا أبا سفيان ؟ قال : نعم . قال : فهل كان فيكم من حدث ؟  
قال : معاذ الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فنحن على مدتنا وسلحنا ،  
لا نبذل ولا نفدير . فلما خرج من عنده بدأ بأبي بكر <sup>(١)</sup> فقال له : هل لك  
إلى أن نجبر بين الناس ؟ قال أبو بكر : جوارى في جوار رسول الله .  
ثم خرج من عنده فأتى عمر فكلّمه بمثل ذلك ، قال عمر : إني لو وجدت  
١٠ الذرّ فأتيتكم لأعنتها عليكم ! قال أبو سفيان : جئيت من ذي رحم شرّاً !  
ثم أتى عثمان ، ثم أتى فاطمة ، ثم أتى عليّاً .

ألا ترى كيف جعلوه المقصد والتمتع قبل الناس وبعد رسول الله  
صلى الله عليه . ولو لم يكن حال عند أبي سفيان من النبي صلى الله عليه  
فوق كل حال ما بدأ به قبل جميع من نزع إليه . فهذا هذا .

١٥ ثم أتى كان من تقرب النبي عليه السلام ، وإكرامه له يوم فتح  
مكة ، وهي الدار التي خرج منها هاربتين معاً ثم رجعا إليها آمنتين معاً ،  
يتسايران ويتحدثان ، حيث طلع النبي صلى الله عليه وسلم على العباس  
وأبي سفيان ، والنبي عليه السلام بين أبي بكر وأسيد بن حضير ، أبو بكر  
عن يمينه . وقبل ذلك في الطريق كان بين أبي بكر وعمر ، أبو بكر عن يمينه

٢٠ (١) كان قد دخل قبل ذلك على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول طوته دونه . إمتاع الأسماع ٣٠٨ . وفي البيرة ٨٠٧ .  
أنه دخل أول الأمر على ابنته ، ثم أتى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بأبي بكر .

وعمر عن يساره . فلما سارت الخيلُ بذى طُوى بين الخدمة إلى الحجون ،  
مرَّ النبي صلى الله عليه وأبو بكر يساره وَخَدَهُ ، وإذا بناتُ أبي أحيحة  
قد نثرن شعورهنَّ يَلَطَّمن وجوه الخيل بالخمُر ، فنظر النبي صلى الله عليه  
إلى أبي بكر وتبسَّم وقال : كيف كان قال حسان :

\* يُلَطَّمنُ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ \*

قال أبو بكر :

\* تَطْلُ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتِ \*

فهذه حاله وخاصته ومكانه وارتفاع قدره . ألا تراها خرجا من مكة  
هاريين مستخفيين مصطحبين ، ثمَّ رجبا آمنين ظافرين مُعلَّنين مصطحبين .  
وصعد أبو قحافة الجبلَ بصُغرى بناته وهو يومئذ مكفوف ، فبكت  
بنته فقال لها : لا تخافى فإنَّ أخاك عتيقاً أكبر النَّاسِ عهداً ! فلما دخلوا  
مكة أقبل أبو بكر بأبيه وهو يومئذ شيخٌ مكفوف له غَدِرتان ، كأنَّ  
رأسه ثنَّامة<sup>(١)</sup> حتَّى هجَمَ به على النبي صلى الله عليه وقال : أتيتك بأبي  
يا رسولَ الله ليُسَلِّمَ . قال النبي صلى الله عليه : هلاًَّ رَكَتَ الشَّيْخُ في رحله  
حتَّى آتَيْتَهُ . فمسَحَ النبي صلى الله عليه يده على صدره ، ودعاه إلى  
الإسلام فأسلم .

وهذا كلُّه يدلُّ على تقديم النبي صلى الله عليه .

كما قلَّ الفقهاء أنَّ النبي صلى الله عليه أتى بِسُرٍّ من لبنٍ وهو  
في أصحابه ، وأبو بكر عن يساره ورجلٌ من الأعراب عن يمينه ، وأصحابه  
قد أحْبَبُوا سُورَهُ<sup>(٢)</sup> ، فشرَّب النبي وأهوى بالقدح نحو الأعرابي . قال عمر :

(١) النديرة : الثَّوَابَةُ . والثنام ، بالفتح : نبت أبيض يشبه به الشيب .

(٢) رسمت في الأصل : « قد أحبو سورة » .

أبو بكر يارسول الله ! قال النبي صلى الله عليه : الأيمن فالأيمن<sup>(١)</sup> . ولم ينقلوا هذا الحديث ليخبروا عن فضيلة أبي بكر ولا عن قرب مقعده ولا عن تقديم عمر له ، ولا أن عادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت التقديم له ، ولا قال عمر ذلك على التذكير له ، وإنما أرادوا أن يخبروا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الشرب ، وعن فضيلة اليمين على اليسار ، وعن التبريد لحمة المجلس .

ولو كان هذا الخبر في علي وعثمان ما كان الأمر إلا كما أخبروا أنهم لم يقصدا في الحديث إلا تفضيل اليمين على اليسار .

فإن قالوا : فإن عليا كان أفضل من أبي بكر وأعلم بالحرام والحلال منه . والله ليل على ذلك أن كثرة ما نقلوا إلينا من اختياراته وأقواله في الحوادث ، من الحلال والحرام ، وأبواب الفقه والفنن والتأويل ، مع كثرة الرواية السند ، وكان يسأل ولا يسأل ، ولم يرجع عن شيء قط وليس أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا وله رجمة وأكثر من ذلك ، ولم يسمع لأبي بكر بفتن كثير ولا كثير رواية ، ورأس الدين الفقه فيه والدم به . فلما كان أبو بكر وعلي بن أبي طالب على ما وصفنا وذكرنا ، علمنا أن أفضلهما أفضل فضلا وأولى بالإمامة ، لأن عمل الفقه أفضل من غيره ، لأن أولى الناس بالسلمين أعلمهم بدينهم ، لأن من علم الدين لم يجهل أمر الدنيا ، لأن أمور الدنيا مياسرة أو شبيهة بعم المياسرة ، وعلم الدين مستنبط ، وتأويله فاض .

٢٠ قالت ( الثمانية ) عند ذلك : أما العدل والوسط فإن نظر يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعلي حيان ظاهر أمرهما ، معروف قدرهما

(١) روى من حديث أنس بن مالك في صحيح البخاري فتح الباري ١٠ : ٦٦ ، ٧٠ .



واحتالها للعلم والعمل . فلمرى لئن كان لعل من طول الشجبة وكثرة السماع ومفاوضة الرسول الأ [مر] ، والمعرفة ، وكثرة الإرشاد للأمة وصحة الرأي وكثرة الصواب ، وكان الناس إليه أشدّ فزعاً ، [و] ظهر من روايته وحاجة الناس إلى فقّهه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام وفاته وأيام أبي بكر ، أكثر ممّا ظهر من أبي بكر في ذلك الدهر ، إنّه ٥ لأفقه منه في الدّين وأعلم بأبواب الدّنيا .

[و] لئن كان إنّما كثر ممّا قلّ الناس عنه لآله عاش والحادثات تحدّث ، وبقي حتّى كان يُستفتى ويُفتى ويُسأل ويُجيب ، ويروى عنه في الزّمان الذي كان يُستفتى فيه مثل أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وابن عمر ، وابن الزّبير ، وعبد الله بن عمرو ، فكان ذلك منه أيام أبي بكر وهي سنتان ، وأيام عمر ١٥ وهي عشر سنين ، وأيام عثمان وهي اثنتا عشرة سنة ، وأيام نفسه وهي خمس سنين ، فليس في ذلك حُجّة ولا دليل ؛ لأنّك تُحصى ما يقول الرّجل في الدهر الطويل مع كثرة الحادثات ، وما يقول الرّجل في الدهر القصير مع قلة الحادثات ؛ وإنّما ينبغي أن ننظر يوم توفّي النبي صلى الله عليه من كان أفضل السّلمين وأفقه في الدّين ، وأعرف بالأُمور ، وأصوب رأياً وأشدّ احتيالا ، في ذلك الوقت الذي اختير فيه للخلاف . ونحن نعلم أنّ عليّاً لو عاش إلى دهر الحسن وابن سيرين لكان قد ازداد فقهاً وعلماً وتجربةً على قدره يوم استشهد رضى الله عنه .

ولا يجوز أن تقدّر الرّجل بقدر<sup>(١)</sup> طول الزّمان وكثرة الحادثات ، ويقدّر قصر الزّمان وقلة الحادثات . فلنّ صح<sup>(٢)</sup> عندنا وعندكم أنّ أمورا ٢٠

(١) في الأصل : « وإنّما يجوز أن يقول الرّجل بعد » .

(٢) في الأصل : « فليس صح » .

حدثت ، وبلايا تزلت في زمن أبي بكر وأيام وفاة النبي صلى الله عليه ،  
من حلال وحرام أو سياسة جند أو سد نفراً أو تدبير حرب ، أو استصلاح  
عوام ، أو ترتيب خواص ، فظهر فيه من رأى على وصوابه وحسن  
نظريه وإرشاده ما لم يظهر من أبي بكر - فقد أفلح من زعم أن علياً كان  
٥ أفتقه منه قمها ، وأصوب رأياً ، وأشد للأمر احتمالاً ! مع أننا قد نجد  
عنده من دقائق الفتيا وغامضه وعويصه <sup>(١)</sup> ما لم يُبتَل به أحد ولا يبتلى به  
أحد أبداً . ولعل ذلك لا يُصاب عند الإمام إلا في جملة الأمور وأصولها ،  
ثم لو دهم الناس عدو ، أو خربهم أمر ، أو أعزل بهم ملتم من فائق  
يختطب الملك بتأويل قد زخرقه ، ومن اقتضاه <sup>(٢)</sup> جُند أو اضطراب  
١٠ عوام ، أو بدعة شاملة ، لم يكن عنده من القناء والاحتمال والعرفة  
بملاج أدوائها والثبات لاستصلاحها قليل وكثير . وإنما مدار الأمور على  
أسالة الرأي ، واتساع الصدر ، وقوة العزم .

فإن كنا لم نجد لعل مما ذكرنا شيئاً يفضل به أبا بكر في ذلك  
الدهر فإننا نستدل على صواب رأيه واتساع صدره ، وأنه كان المفزع  
والمرشد بعد رسول الله في المضلات وعند الشبهات والحادثات ، والناس  
١٥ في ذلك الدهر بين مستمع مرشد وبين مستمع مسلم ، وبين مُطوِّق واجم  
وبين خائض قد رنحه <sup>(٣)</sup> الحادثات ، واستبهم عليه وجه الصواب ، كالقدي  
كان من المسلمين لما اسطلحوا على القضية يوم الحديبية ، لأنهم لما  
صاروا إلى الكتاب وراضى النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو

٢٠ (١) أي غامض ذلك وعويصه .

(٢) أي يفرقهم ويخرجهم على القواد ؛ وأمله في الإبل والغنم أن تفرق عن عزة من  
واهبها . في الأصل : « استشار » تخريف ، وانظر ص ٦٥ س ١٠ .

(٣) الكلمة خالية من النقط في الأصل . رنحه : دارت به وبيلته .

- على أن يُكتَبَ في الكتاب : « وعلى [ أن ] من أتى قريشاً ممن كان على دين محمد بنير إذن لم تَرُدَّهُ إليه » ، فبلغ من أمر الناس والذي دخل عليهم أن اضطربت قلوبهم ، حتَّى إنَّ النبيَّ صلى الله عليه قال لأصحابه بعد انصراف سهيل بن عمرو : « قوموا فانحروا وأحِلُّوا واحلِّقوا » ، يقولها ثلاثاً ، كلَّ ذلك ينظرون في وجهه ويسمعون قوله ولا يطيعون أمره ، حتَّى غضبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فدخَلَ على أمِّ سلمة فأخبرها بذلك متمجِّباً ، وكانت معه في تلك السَّفرة ، قالت أمُّ سلمة : « انطلقِ أنتَ يا رسول الله إلى الهدى فانحمره ، فإنهم سيقتدون بك » . فكان أولُ مَنْ وثبَ عند الكتابِ عمرُ وهو يقول : يا رسول الله ، ألسنا بالمسلمين ؟ قال النبيُّ صلى الله عليه : بلى . قال : ١٠ فلامَ نُمطى الدَّيْنَةَ في دينا ؟ قال النبيُّ عليه السلام : أنا عبدُ الله ورسوله ، ولن أخالفَ أمره . فأقبل أبو بكرٍ على عمر فقال : يا عمر ، الزَّمَّ غَرَزَهُ <sup>(١)</sup> فإني أشهد أنه رسول الله ، وأن الحقَّ ما أُمِرَ [ به ] ، ولن يضيِّعه الله !
- ثمَّ إنَّ عمر بن الخطاب عاد إلى أبي بكرٍ فسأله فقال أبو بكر : سلم ١٥ لله ورسوله وأتَّهم رأيتك .
- وقال أبو عبيدة : لا نُمطى الدَّيْنَةَ أبداً ! فقال أبو بكر ، يا عمُّ إنها ليست بدَّيْنَةٍ ، ولو كانت دَينَةً ما أعطاهَا النبيُّ صلى الله عليه وتأباها أنت ، وما كان الله ليرضى بذلك .

(١) يقول : اعتلق به وأمسكه واتبع قوله وفضله ، ولا تخافه . وأصل الفرز للجدل مثل الركاب للفرس .

(٢) التكملة من إمتاع الأصابع ٢٩٣ .

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَمِيعِ أَشَدُّ فِي ذَلِكَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ؟! وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ كَانَ كَاتِبَ كِتَابِ الْقَضِيَّةِ ، فَلَمَّا كَتَبَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » قَالَ الْمُشْرِكُونَ : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ مَا حَارَبْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَكْتَبَ : « مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ لِمَلِيٍّ : ائْتِهَا يَا عَلِيٌّ . فَقَالَ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ لَا تَحْوَنُهَا أَبَدًا ! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرِنِي مَكَانَهَا . فَأَرَاهَا فَحَاطَهَا وَكَتَبَ « مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا بَنِي أُتَى وَأَمَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا كُلَّهُ حَدَبٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَقَضَبٌ لَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَطْلُمُوا مِنَ الْأُمُورِ مَا تَطْلُمُهُ الرُّسُلُ . فَهَذَا مَوْقِفٌ لِأَبِي بَكْرٍ مَشْهُورٌ .

١٠ وَإِنَّمَا عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ ، لَرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ حَلَّقَ رَأْسَهُ وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْكِعْبَةِ وَعَرَّفَ مَعَ الْمَرْفُوعِينَ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ تَجَمَّزَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَهُوَ يَرِيدُ مَكَّةَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ تَلَا عَلَيْهِمْ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ » الْآيَةَ . فَلَمَّا رَأَوْا الصَّلُوحَ وَالشَّرْطَ ، وَعَابَتُوا الرُّجُوعَ اضْطَرَبُوا لِفَتْكِهِ ، مَعَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ : « إِنْ أَتَى قَرِيشًا أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ لَمْ تَرُدَّهُ ، وَمَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْهُمْ عَلَى دِينِ قَرِيشٍ رَدَّهُ » . فَأَخْرَجَهُمْ مَا ذَكَرْتُكَ إِلَى مَا ذَكَرْتُ قَبْلَ . وَأَقْبَلَ عَمْرٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ وَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ » ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَعَمْ .

قال عمر : فما باله رجّع بنا ولم ندخلها ؟ قال له أبو بكر : وهل قال لك متى ؟ إنما قال : لتدخلنَّ ؛ وأنتم داخلوها لا عمالة . وإنما كان لك مقالاً لو ضرب لك أجلاً فرأيتَ خلافه . واعلم أن الحق ما قال ومنع .

فلم يُبقِ في قلبه مخلص جلاً بموضع الحجّة في ذلك ، ولا في قلبه مستريب دخله الشك شيئاً إلا أصلحه . فهذا وشبهه نعرف إخلاص الرجل وقدره ، وسعة صدره ، وكثرة علمه .

ثم أخرى ، أهد الله به من الضلالة ، والناس بين ساكتٍ لاغناء عنده ، أو خائضٍ مستريب يحتاج إلى التعريف ، أو موقن يحتاج إلى المائدة وتلقين الحجّة .

- ١٠ من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفّي اقتحم الناس عليه في منزل عائشة ، فلما نظروا إليه مسجّي دخلهم أمر عظيم أذهلهم وحيرهم ، حتّى قالوا : لم يمّت ، وكيف يموت وهو شهيدٌ علينا ونحن شهداء على الناس ؟ وكيف يموت وقد قال الله : « لِيُظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ولم يُظْهَر بعد ؟

- ١٥ وكان عثمان بن عفّان وعمر بن الخطاب يردّدان هذه الآيات ، وتوعّدا أصحاب النبي صلى الله عليه عليه : مَنْ قال إنّه مات . وثاروا في حجرة عائشة وعلى الباب : لم يمّت !

وكان أوّل مَنْ رآه مسجّي فأنكَرَ موته عثمان ، وقال : إنّه والله مامات ، ولكنّ الله رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم ! والله لا نسمع أحداً يقول ماتَ إلّا قطعنا لسانه !

واضطرب الناس وماجؤا وقام عمر في الناس خطيباً فقال :

لا أسمع أحداً يقول إنَّ محمداً مات ! وإنَّ محمداً لم يمت ، ولكنَّ الله رفعه . أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عند قومه أربعين ليلة<sup>(١)</sup> . وإنى لأرجو أن يقطع الله أبدى رجال وأرجلهم يَرْمُون أنَّ محمداً مات !

• فبينما الناس هكذا إذ أقبل أبو بكر ، على فرس له ، من الشَّح<sup>(٢)</sup> فسمع مقالة عمر وما يقوله الناس وما خاضوا فيه ، فبدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وهو مسجى ، فكشَفَ عن وجهه فقبَّله ، ثم أقبل نحو المنبر وقال : أيُّها ... الخالف<sup>(٣)</sup> على رسلك ! فلما رآه عمر قد ، وقام أبو بكر خلياً ثم قال : أيُّها الناس اجلسوا وأنصتوا ، ثم حمد الله وأثنى عليه

١٠ وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أيُّها الناس ، إنَّ الله قد نعى نبيكم إلى نفسه وهو حيٌّ بين أظهركم ونسألكم إلى أنفسكم ، فهو الموتُ حتَّى لا يبقَى أحد . ألم تعلموا أنَّ الله قال « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » .

قال عمر : بأبي أنت وأُمِّي ! فسكت القاسُ وأظهروا التسليم ، وعرفوا الحق وبكوا ، كأنَّهم لم يكونوا سمعوا بهذه الآية قطُّ .

١٥

ثم تلا : « وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسلُ أفإنَّ ماتَ أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » ثم تلا : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

(١) في السيرة ١٠١٢ : « ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات » . ونحوه في سيرة ابن سيد الناس

٢٠ : ٣٣٩ .

(٢) الشَّح ، بالضم : إحدى محال المدينة في طرف من أطرافها . كان بها منزل أبي بكر حين تزوج مليكة ، وقيل حبيبة بنت خارجة .

(٣) بين هذه الكلمة وسابقتها في الأصل يائض بقدر كلمة ، لعلها « أيهاذا » .

الموت « ثم تلا : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » ، ثم مرَّ في خطبته المشهورة المروفة<sup>(١)</sup> . فهذا هذا .

ثم أقبل على عمر وعثمان فقال : قال الله : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ، يقول : إنكم شهداء على مَنْ تَلْقَوْنَ مِنْ لَمْ يَلْقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، كما كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . وقال الله : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ، وإنما أراد دينه ، واللهُ مُبَيِّنُ نُورِهِ ومُظْهِرُ دِينِهِ . فإذا أظهر دينه فقد أظهره<sup>(٢)</sup> .  
فهذا علمه وقدره وفهمه وحاجة الناس إليه .

ثم الذي كان مِنْ مَثْنَى المهاجرين والأنصار إليه وكلامهم له ، لتقبل الصلاة من العرب ويترك الزكاة ، وقالوا : إنهم لو قد سَلَكُوا لَقَدْ زَكَّوْا . قال : والله لو مَنَعُونِي عَقَالًا مِمَّا أُعْطَوْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ لَجَاهِدْتُهُمْ عَلَيْهِ ! فقال له المهاجرون والأنصار : أَوَ لَيْسَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا حَقَّقُوا بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ » . قال أبو بكر : إنَّ فيها « إِلَّا بِحَقِّهَا<sup>(٣)</sup> » . قالوا : صدقت . ألا تَرَى إِلَى أَنَّهُ قَدْ عَلَّمَ الْجَمِيعَ مَا لَمْ يَعْلَمُوا ، أَوْ صَدِّمَ إِلَى رَأْيِهِ بِقَدْرِ الْخَالِفَةِ لَهُ .

(١) انظر خطبة أبي بكر في البصرة ١٠١٢ — ١٠١٣ وابن سعد ٢ : ٥٤ والطبري

٣ : ١٩٨ وزهر الآداب ١ : ٣٥ . (٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : « إلّا لحقها » . يشير إلى ما ورد من تمة الحديث فيما سيأتي في الصفحة

التالية ، وفيما رواه الحب الطبري ١ : ٩٨ ونصه : « فن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلّا بحقه وحسابه على الله » .

وقلوا إنا أن الأنصار قالت : يا خليفة رسول الله ، أليس قد قال النبي صلى الله عليه : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا حَسْبُوا بِهَا دَعَاءُكُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » قال أبو بكر : فهذا من حقها ، والله لو كنتُ وحدي لجاهدتهم حتى أَقْتَلَ أَوْ يُظْهَرَ اللَّهُ الْحَقُّ وَيُزْهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا .

ثم مضى نحو أهل الرِّدَّةِ يُريدُهم مُضْطَبًّا حَتَّى لَحِقَهُ الْمَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَنَمَوْهُ وَكَفَّوهُ وَقَدَّمُوا أَمَامَهُ .

وهذا خبرٌ نقله أصحاب الأخبار مُرْجِيهِمْ وَشَيْعِيهِمْ <sup>(١)</sup> إِلَّا الرِّوَافِضُ ، فَإِنَّهُمْ لَا يُطَاقُونَ ؛ لِأَنَّ مِنْ يَجْعِدُ الْمُسْتَفِيزَ الشَّائِعَ بِالْأَسَانِيدِ الْمُخْتَلِفَةِ ١٠ فِي الدَّهْرِ التَّفَاوُتَ ، وَيُوجِبُ عَلَى خَصْمِهِ لَهُ تَصْدِيقَ الشَّاذِّ <sup>(٢)</sup> الَّذِي لَا يُعْرَفُ وَلَا يُدْعِيهِ إِلَّا أَهْلُ التَّلَوُّ مِنَ الرِّوَافِضِ ، مَمْتَنِعَ الْجَانِبِ ، عَسِيرَ الْمَطْلَبِ ، لَا يُطَاقُ وَلَا يُجَارَى .

ثم رأينا عليًّا يَروِي عنه ، وَزَكِيَّهَ وَيُفَضِّلَهُ ، وَلَمْ نَسْمَعْهُ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ شَيْئًا وَلَا زَكَاةً وَلَا فَضْلًا . عَلَى أَنَّ عَلِيًّا قَدْ كَانَ عَنْده فَاضِلًا عَالِيًا ، ١٥ طَالَمَا وَجِبَهَا .

ثم الذي كان من قول عثمان بن عفان له . وَذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ حَزَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حُزْنًا لَمْ يَحْزَنْهُ أَحَدٌ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يُعْزِيهِ لِلَّذِي رَى بِهِ مِنْ عَظِيمِ مَا فَدَحَهُ وَتَمَرَّه ، فَقَالَ عُثْمَانُ : مَا آتَى عَلَى شَيْءٍ ، إِنَّمَا آتَى عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَسْأَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَمَّا فِيهِ نَجَاةٌ

٢٠ (١) في الأصل : « مرجعهم وشيعتهم » بدون نقط .

(٢) في الأصل : « الشاذ » .



- هذه الأمة ! قال أبو بكر : قد سألتُ النبي صلى الله عليه عن ذلك : فقال : « مَنْ قَبِلَ الكلمةَ التي عَرَضْتُهَا على عَمِّي فَأَبَاهَا » .
- ألا ترى إلى حاجة الجميع إليه واستغاثته عنهم .
- ولو لم يُكَلِّمْ من سمة علمه إلا قوله للمهاجرين والأنصار حين أشاروا عليه بأن يقبل الصلاة وقالوا إنهم لو قد أقاموا الصلاة لَأَتَوْا الزَّكَاةَ .
- قال أبو بكر : إِنَّ تَيْمَنًا إِنَّ أُذُنَ لَهَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي قُبُضِ عُرْوَةٍ لَمْ تَرْضَ بِثَلَاثَةِ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ ، وَلَوْ أُعْطِيتُ كِفَانَةً وَأُلْفَاغًا وَأَحْيَيْشًا أَمْرًا لَمْ تَرْضَ قَيْسُ حَتَّى تَزْدَادَ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ لِأَقْصَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً .
- وفي مشهم إليه في تأخير جيش أسامة بشيرون عليه ويقولون ما كتبنا في صدر الكتاب<sup>(١)</sup> ، وفي قوله : « لو بقيتُ وحدي حَتَّى تَأْكُلَنِي » .
- الكلابُ مَا أَخْرَتُ جَيْشًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِإِنْفَاذِهِ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ ، فَلَنْ كَانَ مَا وَصَفْنَا لَا يَدُلُّ عَلَى جَوْدَةِ الرَّأْيِ وَحِجَّةِ الْعِزِّ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَعَلَى الشَّهَامَةِ وَالصَّرَامَةِ ، وَالْبَيْنِ وَالْبِرْكَ ، فَا فِي الْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ رَجُلٍ وَنَقْصِهِ .
- وما يدلُّ على سَمَةِ علمه وَأَنَّهُ كَانَ التَّمَرُّزَ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ عَامَةً وَبَنِي هَاشِمٍ خَاصَةً اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ دَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ قَائِلٌ : خَيْرُ الْمَدَافِنِ الْبَقِيعُ ، لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَنْفِرُ لِأَهْلِهِ<sup>(٢)</sup> . وَقَالَ آخَرُونَ : خَيْرُ الْمَوَاضِعِ مَوْضِعُ مَصَلَاةٍ . وَقَالَ آخَرُونَ : عِنْدَ النَّبْرِ . قَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ عِنْدِي فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ عِلْمًا . قَالُوا : قُفْلٌ يَا أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : « مَا مَلَتْ » .

(١) انظر ما مضى في ص ٦٥ .

(٢) انظر الميرة ٩٩٩ — ١٠٠٠ ولطاع الأسماع ١ : ٥٤١ .

نبي قطُّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » . فَخَطُّوا حَوْلَ زِوَارِهِ ثُمَّ حَوَّلُوا  
رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفِرَاشِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ . فَلَمْ يَجِدِ  
النَّاسَ احْتِاجًا مَعَ خَبَرِهِ إِلَى شَاهِدٍ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ ،  
وَلَا أَظْهَرَ الشَّكِّ فِي خَبَرِهِ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ . هَذَا وَالْثَّرْلُ  
مَنْزِلَ ابْنَتِهِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ مَنَفَعَةً وَكَأَنَّ تَكُونَ النِّفْعَةَ ، وَهِيَ الْمَأْتَرَةُ ٥  
المعظمى والشرف الأعلى .

فَمَنْ لَمْ يُبَيِّنْ فِي خَبَرِهِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَمَعَ هَذِهِ الْمِلَّةِ حَتَّى قُبِلَتْ  
شَهَادَتُهُ وَخَدَّه ، لَجْدِيرٌ أَلَّا يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ فِي الْقَدْرِ وَالْعِلْمِ ، وَالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ .  
وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ ثَابِتًا عِنْدَهُمْ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَرَوَاتِهِ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ ، فَإِذَا حَدَّثَنِي غَيْرُهُ  
اسْتَحْلَفْتُهُ <sup>(١)</sup> ، فَإِذَا حَلَفَ لِي بِصِدْقِهِ ، وَإِنْ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَنِي — وَصَدَّقَ  
أَبُو بَكْرٍ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا  
فَيَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَسْأَلُ رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ <sup>(٢)</sup> » .  
وَهَذَا حَدِيثٌ مَأْمُومٌ لَهُ بَرَادِرٌ إِلَّا أَهْلَ النَّوَلِ مِنَ الرُّوَاقِصِ . وَقَدْ  
قَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : إِنَّمَا كَانَ هَذَا مِنْ عَلِيٍّ عَلَى التَّقْيَةِ لِلْعَوَامِّ <sup>(٣)</sup> ، لَطَاعَةِ الْعَوَامِّ  
لَأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ . وَمَا فِي هَذَا مِنَ التَّقْيَةِ ؟ أَنْ يَصَدِّقَ رَجُلًا عَلَى خَبَرِهِ  
وَأَنْ يَكْذِبَ غَيْرُهُ <sup>(٤)</sup> أَوْ يُؤْمِنَ غَيْرُهُ . وَإِنَّ هَذَا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ

(١) فِي الرِّيَاضِ النَّصْرَةِ ١ : ١٤٣ : « يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ » ، فَإِذَا حَدَّثَنِي عَنْهُ غَيْرُهُ اسْتَحْلَفْتُهُ .

(٢) قَالَ الْمَجْلِبُ الطَّبْرِيُّ فِي الرِّيَاسِ : « خَرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَافِظُ فِي الْأَرْبَعِينَ الْبُلْدَانِيَّةِ » .

(٣) فِي الْأَسْلِ : « لِلْعَوَامِّ » .

(٤) فِي الْأَسْلِ : « وَأَنْ يَكُونَ عَنْده » .

لوجود : أن يزكّي بعضاً ببعضاً وبفضل . فزى علياً يحمل عنه ويرى عنه ويزكّيه ويفضله ، ولم نره صنع بعلّ من ذلك شيئاً .

وقد بلغ من تبطنه<sup>(١)</sup> لأمر النبي صلى الله عليه أن النبي صلى الله عليه لما حاصر أهل الطائف قال عمر لأبي عبيد : إنما أنت ثعلب في جحر يوشك أن يخرج ! قال أبو عبيد : هل هو إلا أن قطعتم حبلات عنب<sup>(٢)</sup> ، وفي الماء والتراب ما يئمه . قال عمر : لا تقدر أن تخرج إلى ماء وتراب ، ولا تبرح باب جحر حتى تموت جوعاً . قال أبو بكر : يا عمر لا تقل هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في فتح الطائف . فسأل عمر النبي صلى الله عليه فقال : نعم لم يؤذن لي .

قالوا : ولم يكن علم ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر . ولو علمه أحد غيره لكان عمر .

قالوا : في خطبة النبي صلى الله عليه في شكاه التي توفى فيها والمسلمون شهود ، وفي معرفته بالذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم بكلهم دون جميع الناس ، دليل على أنه المخصوص بحسن المعرفة ، وفضيلة الدراية .

وذلك أن أول ما تكلم به النبي صلى الله عليه على المنبر أن قال :  
« والذى نفسى بيده ، إني لقاتم على الخوض الساعة » . ثم تشهد فلما قضى  
تشهده كان أول ما تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ،  
ثم قال « إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله » .  
فبكى أبو بكر . قالوا : فتمجّبنا من بكائه . وقال : بأبي أنت وأمي وبآبائنا

(١) في اللسان : « تبطن الأمر : علمت باطنه » .

(٢) الحبل ، بالحريك وبالفتح : شجرة العنب . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقطع أعناب عفيف ، فوق الناس فيها يقطعون . السيرة ٨٧٣ وعيون الأثر ٢ : ٢٠١ .

وأُمَّهَاتُنَا وَأَنْفُسُنَا وَأَمْوَالُنَا . قَالُوا : فَتَجَبَّ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَبَكَاهُ  
وَقَالُوا : أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَجُلٍ ١  
قَالُوا : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَنَ<sup>(١)</sup> رَسُولَ اللَّهِ .

ولم يكن من صواب رأيه ورحمة فراسته ، وتوفيق الله إياه إلا توليته  
٥ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ حَرْبَ مُسَيْلِمَةَ وَطَلِيحَةَ وَأَهْلَ الرِّدَّةِ ، وَقَدْ عُوتِبَ فِيهِ مِنْ  
كُلِّ جَانِبٍ - وَعَمَرَ تَنَاقُلَهُ - وَهُوَ يَقُولُ : لَا أَشِيحُ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ  
ثُمَّ اخْتَارَهُ عَمْرٌ وَفَرَّاسْتُهُ فِيهِ ، حَيْثُ حَلَّ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعُوتِبَ  
فِيهِ وَنُوزِعَ فِي أَمْرِهِ .

وَكَذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
١٠ « رَسَيْتُ لِأُمِّ مَيِّ مَارِضَى لَهَا ابْنٌ أُمُّ عَبْدٍ ، وَكَرِهَتْ لَهَا مَا كَرِهَ لَهَا ابْنُ  
أُمِّ عَبْدِ » ، قَالَ : أَفَرَسُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ : الْمَرْأَةَ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى اسْتِجْيَاءِ حِينَ  
قَالَتْ لِأَيُّهَا فِي مُوسَى : « يَا بَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى  
الْأَمِينَ » وَامْرَأَةَ الْمَزِينِ ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي عَمْرٍ .

فَهَلْ رَأَيْتُهُ ضَامًّا قَوْمًا قَطُّ وَجَانَهُمْ<sup>(٢)</sup> فَكَانَ لِمَنْ الرُّأْيُ دُونَهُ ، وَهَلْ  
١٥ عُوتِبَ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا وَالصَّوَابَ مَا عَمِلَ بِهِ دُونَ رَأْيِ الْمُنَافِقِ لَهُ . وَهَلْ أَشِيرَ  
عَلَيْهِ بِرَأْيٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ الْمَصِيبُ دُونَ الْمُخِيرِ عَلَيْهِ ؟

فَأَيُّ قَعَةٍ وَأَيُّ عِلْمٍ أَسَحَّ وَأَيُّ مَذْهَبٍ أَمَحَدَ مِمَّا عَدَدْنَا وَكَثَرْنَا .  
ثُمَّ أَنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تُخْبِرُوا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِمَوْقِفٍ وَاحِدٍ  
مِنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ ، وَكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَمِنْ الصَّوَابِ الَّذِي حَكَبْنَا

٣٠ . (١) فِي الْأَسْلِ : « وَكَانَ أَبُو عَلَنًا » . وَانْظُرْ صِفَةَ الصَّقِوَةِ ١ : ٩١ .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « وَجَاءَ بِهِمْ » .

عن أبي بكرٍ في حياة النبي صلى الله عليه ، وعند وفاته ، وفي أيام خلافته ، حتى كأنَّ عليًّا ورجلاً من عُرض المسلمين في ذلك الدهر سواه .  
وما يُخَيِّلُ إلينا إلا أنَّ الذي قطعَه عن كثير من ذلك حدائهُ سنهُ ،  
وقديمُهُ المشيخة على نفسه .

•  
فلن قالوا : إنَّ عليًّا قد أشار على عُمرَ بكذا ، وقال له يوم كذا وكذا : كذا .

قلنا : إنَّا لم نكنْ في عُمرَ وعليٍّ ، ولو قد صرنا إلى الإخبار عنهما قدَّمنا بالذي يُمرِّفكم فضيلةَ عمر ، كما حكينا ووصفنا وقدَّمنا في الإخبار عن فضيلة أبي بكر .

ولقد بلغ من حجةِ فكرِهِ وصِدقِ ظَنِّهِ وقُوَّةِ حِسِّهِ أنَّه كان يظُنُّ الأمرَ ١٠ فيقع به أوقريباً منه . ولذلك قال عمر : إنَّك لن تنفع بمقل المرء حتى تنفع بظنِّهِ .

فمَّا يدلُّ على صِدقِ ظنِّ أبي بكرٍ وحِسِّ نفسه أنَّ عائشة لما دخَّنتْ عليه في شكائِهِ التي قبضَهُ الله إليه فيها ، أنشدتْ عنده شعراً تذكر فيه ما رأَتْ في أبيها . قال أبو بكر : لا تقول هذا يا بُنَيَّةُ ، ولكن قلِي : ١٥ « وجاءتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحقِّ ذلك ما كنتُ منه تجيد » ، أي بُنيَّةُ إنِّي كنتُ نَحَلْتُكَ جِدادَ عشرينَ وسقاً من مالى بالمالية ، وإنَّك لم تحوزيه ولم تقبضيه ، وإنَّما هو مال الوارث ، وإنَّما ما أخواك وأختاك . قالت عائشة : إنَّما هي أسماء <sup>(١)</sup> . قال : إنَّه ألتي في رُوعي أنَّ ذاك <sup>(٢)</sup> بطن بنتِ

٢٠ (١) في الحيوان ٦ : ٥٠ - ٥١ : « قالت : ما أعرف لى أختا غير أسماء » .

(٢) في الأمل : « أردا » صوابه في الحيوان .

خارجة [ جارية<sup>(١)</sup> ] . فوضعت جاريةً فسميت أم كلثوم .

وله مما كان يقع في خَلده وَيَصْدُق فيه ظنه ونصح فيه فراسته أمورٌ محجية .  
ولو قالوا : إنَّ علياً كان من فقهاء أصحاب النبي صلى الله عليه لقد كان  
ذلك عدلاً وقصداً ، وحسناً جميلاً ، كما قال إبراهيم<sup>(٢)</sup> والشَّعبي : الفقه من  
أصحاب النبي صلى الله عليه في ستة : في عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ،  
وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت .  
وقد زاد قومٌ أبا الدرداء ، وأبا موسى . وقد قال مسروق : انتهى علمُ  
أصحاب رسول الله إلى هؤلاء الستة : عمر ، وعلي ، وعبد الله ، وأبي ،  
ومعاذ ، وزيد .

١٠ وقال الشعبي : كانت القضاة أربعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب  
وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشمري .

فلو أنهم كانوا يرضون بقول الفقهاء ورأى التابعين ، ولم يُسرفوا  
وقصدوا ، كان ذلك قصداً . ولقد تسدوا فيه الحق حتى قالوا : لم يقل قطُّ  
قولاً يُمكن أحسن منه ، ولا قال قولاً قطُّ فرجع عنه . وقد علمنا أن له  
١٥ غيرَ رَجعة ، لا اثنتين ولا ثلاثاً<sup>(٣)</sup> ، وأماويل لا يجوزها أصحاب الفتيا .  
وما كان إلَّا كبعض فقهاءهم الذين يكثرُ صوابهم ويقلُّ خطأُهم . ولم  
تكن لتجتمع جميع هفوات إنسان وأخطاءه حتى تقرأه<sup>(٤)</sup> مجموعاً إلَّا ظننت به

(١) النكلا من الحيوان . وبنت خارجة هي حبيبة بنت خارجة زوج أبي بكر . انظر  
حواشي الحيوان في الموضع السابق وانظر الرياض النضرة ١٢٩:١ وصفة الصفوة ١٠١:١ .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعي .

(٣) أي بل أكثر من ذلك . في الأصل : « ولا اثنين ولا ثلاث » .

(٤) في الأصل : « ولم يكن ليجمع جميع هفوات إنسان وخطأه فبقراءه » .

المعجز . وليس ذلك كذلك ، لأنك لو قذفت بجميع ذلك في محاسنه لحفي عليك موضعه ، ولصغر خطره وقدره .

وإنما حكينا هذا لأنهم جمعوا لمرّ وعنان أموراً أرادوا بها عيبتهم ونقصهم ، ولمعمرى إن الخطأ لخطأ حيث وقع ، ولكن ربما كان خطأ لا يخرج صاحبه من الحكمة . والخطأ<sup>(١)</sup> أمر لكلّ بنى آدم فيه حظّ ونصيب ، وهو أمر لم يسلم منه نبي ولا سيّد يق ولا شهيد ولا أحد من العالمين .  
وما قرّرم به مما رَوَاهُ مُحمَّدُ الأَمارُ من رُجوعه وما لا يجوز من فُتياه ، قوله : أجمع رأبي ورأى عمر على عتق أمّهات الأولاد ، ثم رأيت أن أربهن<sup>(٢)</sup> .  
وقلوا جميعاً أن عمر وعلياً اختلفوا في الجُدّة ، فقال عليّ بقول ، وقال عمرُ بقول ، ثم رجع عمرُ إلى قول عليّ ورجع عليّ إلى قول عمر . ١٠  
وقلوا جميعاً أن زيد بن ثابتٍ قال لعلّيه وهو يحاجّه في الكتاب : أ رأيت إن زنى أ كنت راجحه ، قال : لا . قال : أ رأيت إن شهد أقبل شهادته ؟ قال : لا . قال زيد : فهو إذن عبدٌ ما بقي عليه درهم . فسكت عليّ .

وزعم أصحابُ داودَ بنِ أبي هند<sup>(٣)</sup> ، عن داودَ عن الشعبي ، أن علياً رجّع عن قوله : « في الحرام ثلاث<sup>(٤)</sup> » .

(١) في الأصل : « والخطابة » .

(٢) ربه يربه ربا : ملكه وصار سيده . والباء مهملة في الأصل .

(٣) داود بن أبي هند — واسمه دينار — بن عذافر القشيري البصري ، كان ثقة من الحفاظ . توفي سنة ١٤٠ هـ تهبذ التهذيب .

٢٠

(٤) ورد نحوه في اللسان ( حرم ) قول عمر : « في الحرام كفارة بين » . قال :

« هو أن يقول : حرام الله لا أضل ، كما يقول بين الله لا أضل » . ثلاث ، أى صيام ثلاثة أيام . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلقت .

وكلم علي<sup>١</sup> عمارَ أن يحجرَ عليَ عبد الله بن جعفر في شيء كان اشتراه ، وقد كان الزبير قال لعبد الله : خذْه فأنا شريكك . فقال له عثمان : كيف أحجرُ عليَ إنسانٍ شريكه الزبير ؟ فسكتَ علي<sup>٢</sup> .

وقال في الكتاب ، إذا أدَّى من ثمنه شيئاً : إنَّه يُسْتَرَقُّ بحسابٍ ويُمْتَقَ بحساب .

وقال في النَّصْرَانِيَّةِ نُسْلِمُ وهي تحت النصراني قال : هو أحقُّ بها ما لم يُخْرِجْها من دار الهجرة .

وقال في رجلٍ قال لامرأته : « اختارى » واختارته ، ثم قال : « اختارى » فاختارته ، ثم قال الثالثة : « اختارى » فاختارته ؟ قال : ١٠ أفرَّق بينهما ، فإن<sup>(١)</sup> أنا فعلت كذا وكذا .

وقال في أعورٍ فقأ عين صحيح ، فأرادَ الصحيحُ أن يفقأ عينَ الأمور الذي فقأ ؟ قال : لا يفقؤها إلا أن يؤدَّى نصفَ الذبَّةِ .

وقال في الجذَّةِ : إنَّه سادسُ ستَّة ، وسابعُ سبعة . وكتب إلى عبد الله بذلك ، وقال : قطع الكتابَ واجمله سابعا .

١٥ وقال في جاريةٍ وثبت عليها امرأةٌ رجلٍ غائبٍ فاقتضتْ عُذْرَها بإصبعها ، ثم قدَّمها لتسقطها من عين بلها ، وكانت خافت أن يترجَّعها ، فرمَعَ ذلك إليه فقال لبعضِ بنيهِ : قُلْ في هذه السَّألةِ . قال : عليها صدَّقَ مثلاً . قال : لو كلفت الإبلَ الطَّحْنَ<sup>(٢)</sup> طحنتْ ! فاشدَّدْ نَجْبَ أصحابِ عبد الله من هذه القالة .

٢٠ وكان يرى حَكَّ أسابِعِ الصَّيَّانِ إذا سرَّقوا .

(٢) في الأصل : « الطحين » .

(١) كذا في الأصل .



وكان إذا قَطَعَ الرَّجُلَ قَطَعَ الْقَدَمَ وَزَكَ النَّبِ لِيَشَى عَلَيْهِ  
الْمَقْطُوعُ ، وَلِيَتَمَدَّ بِهِ . وَكَانَ يَقَطَعُ الْيَدَ مِنْ أَسْوَلِ الْأَصَابِعِ  
وَيَدْعُ الْكَفَّ .

- وزعم عبدُ الله بنُ سَلَمَةَ<sup>(١)</sup> وغيره ، عن الأعمش ، عن الشَّعْبِيِّ  
أو عن غيره ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ قَالَ لَامْرَأَتِهِ : أَنْتِ مَا لَوْ أَنَّ  
تَطْلِقِينَ ، وَلَهُ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ؟ قَالَ : تَبَيَّنُ بِثَلَاثٍ وَهُمْمُ الْبَاقِيَةُ عَلَى نِسَائِهِ .  
وَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ تَمْلِكُونَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ آدَمَ وَهُوَ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ فَقَالَ :  
« فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً<sup>(٢)</sup> » .

- وَذَكَرَ مُوسَى وَقَتْلَهُ النَّفْسِ . وَذَكَرَ يُونُسَ بَنَ مَتَّى فَقَالَ :  
« وَذَا النَّونِ إِذَا ذَهَبَ مُنَاضِياً فَظَنَّ أَنَّ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ » . فَالْأَوَّلُ عَلَى  
أَنَّ يُونُسَ قَدْ كَانَ صَبِيحَ وَأَسَاءَ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ »  
وَقَوْلُ اللَّهِ : « فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ » .

- وَذَكَرُوا دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ فِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ ذَهَبَ عَنْهَا دَاوُدُ وَأَصَابَهَا  
سُلَيْمَانُ ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ : « وَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ » فَلَمْ يَكُنْ ذَهَابُ دَاوُدَ  
بِمُخْرِجِهِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : « وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخَطَّابَ » . وَقَدْ  
كَانَ مِنْهُ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، حَتَّى أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ يَكْنِيَانِ عَنْ

(١) عبد الله بن سلمة البصري الأفضلي ، يروى عن الأعمش وغيره ، وليس بثقة .

لسان الميزان . وفي الرواية عبد الله بن سلمة . يكسر اللام — للراعي الكوفي . وهذا  
ناهي عن الثقات . تهذيب التهذيب .

(٢) الآية ١١٥ من سورة طه . في الأصل : « فلم نجد له » ، تحريف . انظر كتاب

تحقيق النصوص من تأليفنا ص ٣٨ — ٣٩ .

رَقَصْتَهُ ، وَزَيَّدَانِ وَغَطَهُ فِي رِصَّةٍ : « وَهَلْ أَنْتَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمَحْرَابَ » .

وقد عاتبَ الله جل ثناؤه نبيه في غير موضع فقال : « عَبَسَ وَتَوَلَّى » ، وقال : « لَقَدْ رَكِدَتْ لِرَكَنٍ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا » ، وقال : « لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » .

وعاتبه في الأسرى وأخبره أنه قد تقدم أمره في إطلاقهم حتى قال : « لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِسُكْمٍ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ <sup>(١)</sup> » . وقال الله وهو يريد جمع المأمورين والمنهين : « وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ <sup>(٢)</sup> » .

١٠ فإذا كان الله قد أخبر بما ترى عن المسمومين فلم يتتبع قومٌ على عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان خطاياهم وهفواتهم ، وللمُعمرية والمُثانيّة أن يمودوا عليهم بمثل ذلك وأكثر منه ؟

وَمَنْ أَجَهْلُ مِنْ رَجُلٍ زَعَمَ أَنْ عَلِيًّا لَمْ يُحْطِ قَطُّ وَلَمْ يَمِصْ قَطُّ ، وَلَمْ يَضْبَعْ شَيْئًا قَطُّ ، وَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ يَحْكِي أُمُورَ أَنْبِيَائِهِ ، وَيَذْكُرُ أَحْوَالَ رُسُلِهِ ؟ ! ولستنا نحتاج في هذا الباب إلى أكثر من هذا .

١٥ وكيف يقولون : على قوة الناس كلهم في صواب الرأي ، والفقهُ في الدين ، ولا يكون كالرَّجُلِ من عُظَمَاءِ السَّلَفِ لَضَرْبِ يَخْصُهُ فِيهِمَا ، وَنَحْنُ إِذَا سَأَلْنَا الْقُفَهَاءَ وَأَحْبَابَ الْأَثَارِ وَالْعُلَمَاءَ ، عَنْ أَحْصَابِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ كَانُوا مَخْصُوصِينَ بِحِفْظِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالُوا : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ

(١) الآية ٦٨ من سورة الأخال .

(٢) الآية ٤٥ في سورة طاطر .

وأبو زيد<sup>(١)</sup> ، وفلان وفلان . ولم يذكره في باب المخصوصين بحفظ القرآن أبيات حياة رسول الله صلى الله عليه .

فإن سألناهم عن أصحاب الحروف والقراءات والوجوه ، الذين بقراءتهم يقرأ الناس ، ويقدّر اختلافهم اختلف الناس ، قالوا : زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود . ولم يذكر معهم . لأننا شاهدنا الناس يقولون : هذا في قراءة عبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup> ، وهكذا هو في مصحف عبد الله . وهذا في قراءة أبي ، وهكذا هو في مصحف أبي . وهذا في قراءة زيد ، وهكذا هو في مصحف زيد . ولم نرهم يقولون : هذا في قراءة علي ، وهكذا هو في مصحف علي .

وإن سألناهم عن أصحاب التأويل والتفسير قالوا : عبد الله بن عباس ، والحسن ، وفلان وفلان . ولم يذكره في هذا الباب .  
وإن سألناهم عن أصحاب الرواية ، والمشهورين بكثرة الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه قالوا : ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة ، وأبو هريرة . ولم يذكر معهم في هذا الباب .

وإن كان الدليل على قه المتبوع قه أتباعه فمبدؤ الله بن مسعود وعائشة أقه منه ، لأن أصحاب عبد الله وعائشة أقه من أصحابه ، فكيف صار أقه خلق الله كلمهم والقيعة على ما أنبأناكم ووصفنا لكم .  
على أنه كان قهها عالماً ، قد أخذ من كل باب بنصيب ، ولا نقول

(١) في الإصابة ٤٠٨ من باب الكنى : « أبو زيد ألقى جمع القرآن ، وقع في حديث أنس في صحيح البخاري غير مسمى . وقال أنس : هو أحد عمومي . واختلفوا في اسمه ، قيل : أوس ، وقيل : ثابت بن زيد ، وقيل : معاذ ، وقيل : سعد بن عبيد ، وقيل : قيس بن السكن وهذا هو الراجح . وانظر الإصابة ٧١٧٥ .

(٢) في الأصل : « هذا في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود » .

فيه - إذ كنا عثمانيةً وعمريةً - قولكم في عمر وعثمان . أو ما تعلم أن الخبر مستفيض بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أقرؤكم أبي » ؟ أقرى أبياً<sup>(١)</sup> كان أقرأ منه . وقال : « أفرضكم زيد » فترى زيدا كان أفرض منه . وقال : « وأعلمكم بالحلال والحرام مُعَاذ » فترى مُعَاذاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم أعلم منه . وقال : « وأقضاكم علي » فبينى أن يكون علي أقضى منهم . وأنتم لا ترضون أن يكون زيد أفرض منه ، ولا أبي أقرأ منه ، مع أن « أقضاكم علي » ليس هو في حديث البصريين ، فإن كان كما رواه البصريون فهو لا التفرع أعلم منه . وإن كان كما رواه غيرهم فكل واحد أقمه من الآخرين فيما ذكرته . فهذا هذا .

١٠ فإن صرت إلى أن تسأل الناس عن الاختيار ، وجودة الرأي ، والقوة في السلطان ، والضبط للمدوِّ والموام قالوا : أبو بكر وعمر .

وإن سألت عن الفتوح قالوا : أبو بكر وعمر وعثمان ، لأن أبا بكر ردَّ الإسلام في نصابه ردَّ أهل الردَّة ، وهو الفتوح الأكبر ، وقتل مُسَيْلِمَةَ ، وأسر طليحة ، وغزا<sup>(٢)</sup> المدوِّ ومنع الحوزة .

١٥ ولأن عمر دَوَّنَ الدَّوَاوين ، وفَرَضَ الأهلية وجند الأجناد ، ومَصَّرَ الأمصار ، وجبى الغنى<sup>(٣)</sup> ، وبلغت خيله إفريقية ، وأوطأ خيله خراسان وأقصى كرمان ، وأزال ملك بني ساسان .

ولأن عثمان هو الذي افتتح الثغور كلها : افتتح إرمينية ، افتتحها حبيب بن مسلة الفهري . وافتتح أذربيجان ، افتتحها المنيرة بن شُعبة ، وقد

٢٠ (١) في الأصل : « أبي » .

(٢) في الأصل : « وعدا » .

(٣) في الأصل : « وحبا النى » . والننى : الغنية والمخارج .

كان الأشعث معه فيها . وافتتح إفريقية ، افتتحها له عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وافتتح سجستان ، افتتحها له عبد الله بن سكرة .  
فهذا باب المخصوصين بالفتوح .

وإن سألت عن الدعاة وأصحاب الإزب<sup>(١)</sup> والمكايد قالوا : عمرو ابن الناص ، والمغيرة بن شعبة ، ومماوية بن أبي سفيان . ولم نذكر فيهم زياداً ٥  
لأن زياداً لا صُحبة له . فهذا باب الدعاة .

وروى الناس عن قبيصة بن جابر الأسدي<sup>(٢)</sup> وكان علامة داهية حكماً ، أنه قال : « ما رأيت رجلاً قط أخوف لله من أبي بكر ، ولا أقوى في دين الله من عمر ، ولا أصدق حياء من عثمان ، ولا أوصل لرحم ولا أعطى من تِلَاد مال من طلحة ، ولا أكثر تخارج في الأمور من مَماوية ١٠  
ولا أخضر جواباً ، ولا أكثر صواباً من عمرو » . ولم نره ذكره .

ثم الذي كان من أسماء بنت عميس ، ومن قولها - وعلي بن أبي طالب شاهدٌ ، لما تفاخر عندها بنوها من جعفر وأبي بكر وعلي ، قال لها علي : اقضي بينهم - قالت : ما رأيتُ شاباً أطهر من جعفر ، ولا رأيتُ شيخاً أفضل من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أحضهم لفضل . ١٥

فهذه قضيتُها<sup>(٣)</sup> ؛ ولم يرو عن علي في ذلك إنكار .

فإن قلتم : إن قولها ليس بحجة . قلنا : قد صدقتم لو كان ليس بحجة إلا قولها فقط ، ولكن الأمور إذا جاءت من هاهنا وهاهنا كان اجتماعها دليلاً على أنه لم يكن عندها مع فعله وسلاحه وسابقته وقرابته ذا رأى .

(١) الإزب ، بالكسر : الدعاة والفكر .

(٢) مما يذكر أنه كان أخا مَماوية من الرضاع . تهذيب التهذيب .

(٣) القضية : الحكم والقضاء .

ولقد بكتنه ذلك عن قريش حتى قام خطيباً معتمدا فقال في خطبته :  
 « حتى قالت قريش : ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ،  
 فه أبوهم ! وهل منهم <sup>(١)</sup> أحد أشد مراماً لها ولا أطول تجربة مني . لقد نهضت  
 فيها وما بلغت العشرين ، فما أنا الآن <sup>(٢)</sup> قد ذرقت على السنين ، ولكنه  
 لا رأي لمن لا يطاع » .

وقال الأحنف بن قيس لما قدم عبيد الله <sup>(٣)</sup> بن علي بن أبي طالب - وهو  
 قتيل <sup>(٤)</sup> المختار بن أبي عبيد في أيام فتنة ابن مُحَرَّبَة العبدي <sup>(٥)</sup> : ما هذا  
 الذي أنتم فيه ؟ قالوا : قدم عبيد الله بن علي يدعو الناس . قال : إن كان  
 لابد فنجنبوها حسناً وأباً حسن ، فإننا لم نجد عندكم علماً بالحرب ، ولا إنالة للمال .  
 ١٠ وقيل لأبي بَرَزَة الأسلمي <sup>(٦)</sup> : لم آتَ صاحب الشام على صاحب العراق ؟  
 قال : وجدته أطوى ليرء ، وأملك لِمَنان جيشه <sup>(٧)</sup> ، وأنظر لما في نفسه .  
 وفي قول العباس بن عبد المطلب ، وهو حليم قريش - وإذا كان حليم

(١) في الأصل : « وهم امنهم » ، صوابه من البيان ٢ : ٥٥ حيث تجد مراجع الخطبة .

(٢) في البيان وابن أبي الحديد ١ : ١٤١ : « فهأنذا » . ١٥

(٣) في الأصل : « عبد الله » ، تحريف ، انظر الطبري ٦ : ٨٩ / ٧ : ١٥٣ ومقاتل  
 الطالبين ٨٧ . وفي الطبري : « إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شعبة » . أما إنهم قتلوه  
 وهم يعرفونه » .

(٤) في الأصل : « قتل » .

(٥) هو المثنى بن عوفية . الطبري ٧ : ٩٣ والقاموس ( خرب ) . ٢٠

(٦) في الأصل : « أبو بردة » ، تحريف . وهو نضلة بن عبيد أبو بَرَزَة الأسلمي ؟  
 صاحب رسول الله الإصابة وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٦٦ والمعارف ١٤٦ . وفي تاريخ  
 الإسلام للذهبي ٢ : ٣٧٨ : « وكان مع معاوية بالشام ، وقيل : شهد صفين مع علي رضي الله  
 ويبدو أنه كان مرة مع علي ، ومرة مع معاوية . انظر أيضاً وقعة صفين ٢٤٦ .  
 (٧) وردت الكلمة ههنا في الأصل هكذا : « حبسه » .

قريش فهو حلم العرب ، والحلم اسم جامع للعلم والحزم - وذلك أنه لا قبض  
 عمر وصلى صُهِيبٌ بالناس دعا العباسُ علياً فقال : هل أحدثتم شيئاً ؟  
 فقال : فاحفظ عني ، فإنني لم أقدمك في شيء إلا رأيتك مُستأخراً . من ذلك  
 أني قلتُ لك ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثقيل<sup>(١)</sup> : اذْخُلْ عليه فسَله ،  
 فإن يكن هذا الأمرُ فينا أَعْلَه النَّاسَ ، وإن يكن في غيرنا أَوْصَى بنا .  
 ٥ فتركتُ ذلك وقد مُنيتُ<sup>(٢)</sup> بدهاء قريش ، وقد حِيلَ دُوني ، فلا يُرَضَّنْ عليك  
 شيء إلا قلت : لا لا ، ولا يا أباي ، تقصر عَيْنُكَ وتحكُّ قفاكَ ، بمد  
 فَوْتِ الأمر .

ففيما ذكرنا دليلُ أنه كان لا يساوي أبا بكر ولا يجاربه ، ولا يدانيه  
 ولا يقاربه ، وأنه في طبقة أمثاله طلحة والزبير ، وعبد الرحمن وسعد .  
 ١٠ فإن قالوا : فإن علياً كان أزهدهم فيما تناحر الناس عليه ، ولأنَّ  
 أزهدهم الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة ، ولأنَّ أرغبهم في الآخرة  
 أعلمهم بأحوال الآخرة .

قلنا : قد صدقتم في صفة الزُّهد ، ولكنَّ أبا بكر كان أزهدهم منه .  
 ١٥ وسندُكم على ذلك .

فمن ذلك أنَّ أبا بكر كان ذا مال كثير ، ووجه عريض ، وتجارت  
 واسعة ، فأفق ذلك في سبيل الخير وعلى أهله ، لإيثار الله ورسوله ،  
 وطلب ما عنده ، حتَّى لقي<sup>(٣)</sup> [ الله ] ، وما كانت تركته يوم مات غير  
 بعير ناضح ، وعبدٍ صَبَقِل<sup>(٤)</sup> ، مع الخلافة وكثرة الفتوح والغنائم  
 والخروج والصَّدقة .  
 ٢٠

(١) أي أمله المرضي وأشرف على الرقة .

(٢) في الأصل : « عصب » بالإهمال .

(٣) في الأصل : « تقى » بإهمال الحرف الأول .

(٤) الصبقل : شحاذ السيوف وجلأؤهما .

وكان على بن أبي طالب مُقِلًّا مُخَفِّقًا<sup>(١)</sup> يُمال ولا يعول ، فاستفاد الرباع<sup>(٢)</sup> ، والمزارع ، والسيون والتخيل ، ومات ذا مال وأوقاف ، وما يحسب ماله ووقفه بينيع<sup>(٣)</sup> إلا مثل كل شيء ملكه أبو بكر مذ كان في الدنيا إلى أن فارها . وتزوج فأكثر ، وطلق فأكثر ، حتى عابه بذلك معاوية ، وجمه طريقاً إلى تنقصه ، وسبيلاً إلى الطعن عليه ، فقال وهو يكفى عن ذكره ويريد ؛ ليكون أسدً لسهمه ، وأوقع في<sup>(٤)</sup> قلب من سمه : « إني والله ما أنا بنكحتم ولا طلقتم » .

والآثار أن علياً رحمة الله عليه ، استشهد وعنده نسع عشرة سُرِّيَّة مطهمة<sup>(٥)</sup> وأربع نسوة عقائل .

١٠ ولا سواها من كان ذا مال فأنفق ، ومن كان مُقِلًّا فكسبه . ولم يتزوج أبو بكر في خلافة امرأة ولا اتخذ سُرِّيَّة ، ولا تفكه بشيء ، ولا آثر لذة<sup>(٦)</sup> إن كان له طلقاً مباحاً .

ثم الذي كان من أبي بكر في عماله<sup>(٧)</sup> : أنه كلف بني تيم ومن عنده أياديه ومنته أن يردوا ما أخذ من بيت المال فيه ، لكي يعمل عماله لله . وعلى ذلك احتدى عمر . وقد كان عليٌّ يأخذ عماله ، ولم يُخبرنا أصحاب الآثار أنه ردّها في بيت المال ، ولا كلف ذلك بني هاشم

(١) أخفق الرجل : قل ماله .

(٢) الرباع : للنازل ، جمع ربيع .

(٣) جملة في الأصل « يسع » . وانظر معجم البلدان .

(٤) في الأصل : « فأوقع من » .

(٥) السرية : الجارية المتسرة . المطهمة : الحسنة الجميلة .

(٦) في الأصل : « ارهم » بالإعمال .

(٧) العمالة ، بتثنية العين : أجر العامل .



في وصية . وهذا مالا يختلف فيه رجلائ من أصحاب الآثار ،  
وحال الأخبار .

وقد كان أخذ لقوحاً وحَبَشِيَّةً لرضاع بعض ولده فردَّ ذلك<sup>(١)</sup>  
في بيت المال .

- ولما بايع الناس أبا بكر غدا على سُوْقِهِ كما كان يفعل ، قالوا :  
فلا بدَّ أن نجعل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يُقيمه . قالوا :  
يُردِّيه إذا أخلقهما وضَمَّهما وأخذ مكانهما ، وظهره إذا سافر ، ونفقته  
على أهله كما كان يُنفق قبل خلافته . قال : رضيت . فجمع ذلك كله  
وحَفِظَته ، ثمَّ أمرَ بني تيمر فردَّوه في بيت المال . فخرج من الدنيا  
خفيفَ الظهر ، خبيصَ البطن . فلما فعل ذلك قال عمر : رَحِمَ اللهُ  
أبا بكر ، لقد شَقَّ على مَنْ بعده !

فإن قالوا : أوليس قد كان على يُنْصَحَ بيتَ المال في كلِّ مُجمَعٍ  
ويُصلى فيه ركعتين ؟

- قلنا : إننا لم نكنْ في ذكر الأمانة والخيانة ؛ لأنَّ أبا بكرٍ وعلياً  
يرتفعان عن هذا الضَّرْبِ من اللدب ، وعن هذا الضَّرْبِ من التناء ،  
وإنما كنَّا في ذكر الزُّهد في المباح ، وفي الإيثار والرفق للفقول ،  
لأنَّ بينَ الرَّجُلِ يُعطى ماله وعليه ، وبين مَنْ يُعطى ماله ولا يعطى  
ماله فرقٌ .

ومما يدلُّ على فعله أنَّ الله أَرْزَلَ فيه من القرآن ما لم يُنْزَلْه في أحد

من المهاجرين والأنصار . كل ذلك يجبر عن فضله ، ويدل فيه على مكانته منه ، ويثني عليه ويزكيه ويمظلمه . وليس من أفرد الله فيه الآتي ، وأفردته بالذكر كمن ذكره في جملة المؤمنين ، وجمهور الأنصار والمهاجرين .

- ٥ ولا سبيل إلى المعرفة بأن الله عني بآية كذا وآية كذا فلاناً دون غيره إلا بصرين : إما أن يكون اسمه وخاصة نسبه ونمته <sup>(١)</sup> مسطوراً في الآية ، كما ذكر فرعون وأبا لهب ، وفلاناً وفلاناً ، وكما ذكر آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وعليهم . أو يكون المراد بالآية وإن لم يذكر اسمه ، كما ذكر لقمان ، وزيد <sup>(٢)</sup> .
- ١٠ [ وزيد ] مشهور النسب معروف القصة أنه المراد بالآية ، وبشهرة القصة والنسبة حتى لا يكون بين أهل ذلك الدهر في ذلك تنازع ، ولابن أصحاب التأويل والأخبار في دهرنا هذا ؛ فيكون كأنه مسمى وإن لم يسم . وقد كانت تحدث بين الناس أمورٌ فينزل القرآن عقيب ذلك ، فيعلم المهاجرون والأنصار من المراد بهذا التنزيل . كالذي كان من شأن عائشة وما قرئت به ، حتى أنزل الله لذلك السبب آياتاً كثيراً ، وإن لم يكن الله سمى عائشة ولا من قرأها . كالذي نزل من القرآن في قصة الفار وهجرة النبي صلى الله عليه وآبي بكر ، وهربهما من قريش ، ونصرة الله لهما .

فكان مما أنزل الله في أبي بكر من تفضيله وتزكيته وإن لم يسمه قوله لجميع المؤمنين : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

(١) في الأصل : • له • .

(٢) أي ولم يذكر اسمها في القرآن لكان معروفاً أيضاً لأنها للرادان .

كفروا ثانی اثنين إذ هما فی النار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم <sup>(١)</sup> .

فلا يخلو قوله : « إَلَّا تَنْصُرُوهُ » من أحد وجوه : إمَّا أن يكون

- خاطب به المشركين عامة ، أو خص به المخالذين المادين والباغين ، أو يكون خاطب به المؤمنين .

ولا يجوز أن يكون عني به المشركين ، لأنه لا يجوز في الحكمة

وفي المروف من البيان أن يقول الرجل الحكيم البين ، للمدو المكاشف بمداوته ، المظهر لضعفه ، البازل رأيه وماله ، الماند في فله : إَلَّا تنصرني

- ١٠ فقد نصرني فلان ! لأن النصر لا يلتصق من المدو المكاشف ، وإنما يلتصق من الولي أو من المخالذ .

وكيف يقول هذا وإنما غايته الانتصار منه بنيره .

وفي قول الله عز وجل : « إذ أخرجه الذين كفروا » دليل أن

المخاطب بالكلام غير الذين كفروا به وجحدوه وأخرجوه . ولا يجوز

- ١٥ أن يكون عني المخالذين له من قريش ومشركي مكة إَلَّا والمخالذون

قد كانوا هناك معروفين ، باثنين من المادين التوثيين الشبايين بالمداوة ،

المظهرين للمحاربة . ولا نعلمهم كانوا يبطن مكة صنفين متباينين ،

[و] فريقين متباينين ، حتى يكون كل حزب مشهوراً بالذي هو عليه

من الخذلان والمداوة . وليس بطن من بطون قريش إلا وقد لقي النبي

- ٢٠ صلى الله عليه وسلم منه أعظم الكروه وإن كانوا في ذلك على طائفت : ٢٠

من مجتهد لا يقي ، ولا يفتقر ولا يسأم ، ومن رجل مائل معهم بضلكه <sup>(٢)</sup>

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) الضلع ، بالفتح ، البذل .

مُنِيْدٌ مَعَهُمْ لِنَصْرَةٍ<sup>(١)</sup> وَإِنْ كَانَ لَا يَبْلُغُ غُلُوَّ الْآخَرِ وَتَصْمِيْمِهِ وَقَلَّةُ إِغْفَالِهِ .  
 وَلَقَدْ كَانَتْ مُخْرَاجَةُ وَتَقْيِيفُ عَلَى بَدَنِ أَنْسَابِهَا وَأَرْحَامِهَا أَحْسَنَ تَقْيِيفٍ  
 مِنْ قَرِيْشٍ فِي إِظْهَارِ الْمَدَاوَةِ ، وَالْإِرْسَادِ بِالْمَكْرُوهِ ، وَالتَّثْبَاتِ عَلَى الْبَنَى ،  
 كَالَّذِي بَلَّنَاكَ عَنْ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ وَعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَبُدَيْلَ بْنِ  
 وَرْقَاءَ ، مِنْ رُكُوْنِهِمْ إِلَى الصُّلْحِ وَجَهِّهِمْ لِلْسَّلَامَةِ ، مَعَ قَلَّةِ التَّسَرُّعِ  
 وَالتَّوَثُّبِ . عَلَى أَنْتَهُمْ قَدْ أَجْلَبُوا وَطَمَنُوا ، وَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا ، بَدَنُ  
 الْإِنْفِصَاحِ لَهُمْ بِالْحِجَّةِ ، وَالْإِبَانَةِ لَهُمْ عَنِ الْحِجَّةِ .

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى قُرْبِهِ وَقَرَابَتِهِ ، شَبِيْهًا بِأَبِي جَهْلٍ فِي النِّلْفَلَةِ  
 وَالْقِسْوَةِ وَالْجَفَاءِ ، وَكَثْرَةِ التَّحْدِيْ<sup>(٢)</sup> ، وَقَلَّةِ السَّامَةِ .

١٠ وَلَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حَيًّا مُقْبِيًا فَيَكُوْنُ اللَّهُ جَلًّا  
 ذَكَرَهُ عَنْهُ فَمِنْ أَطَاعَهُ مِنْ رَهْطِهِ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا  
 لَقَدْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ أَحْسَنَ ذَبًّا ، وَلَا أَشَدَّ نَصْرًا ،  
 وَلَا أَظْهَرَ مَعُونَةً ، وَلَا أَشَدَّ حِمَايَةً مِنْهُ .

وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ يُعْرِفُ قَوْمًا مَوْضِعَ الْخَلَّةِ فِي النَّصْرَةِ ، وَالتَّقْصِيْرِ فِي الْمَدَاْفَةِ ،  
 ١٥ إِلَّا وَأَدْنَى مَنَازِلِهِمْ أَنْ يَكُوْنُوا مُقَرَّنِينَ<sup>(٣)</sup> لِمَنْ نَاوَأَمُ ، مُضْطَلَمِينَ بِدَفْعٍ مِنْ  
 شَانِقِهِمْ<sup>(٤)</sup> .

وَلَا نَلْمُ يَوْمَ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَبَعَثَ رَجُلٌ

(١) فِي الْأَسْلِ : « لَصْرَةٍ » .

(٢) التَّحْدِيْ : الْخُلَّةُ .

(٣) الْمُتَرَنِّمِينَ : الْمُتَرَنِّمِينَ . وَفِي الْكِتَابِ : « وَمَا كُنَّا لَهُ مُتَرَنِّمِينَ » .

(٤) فِي الْأَسْلِ : « مُصْلِحِينَ » . يُقَالُ هُوَ مُضْطَلَمٌ بِالْعَمَى ، أَيْ قَوِيٌّ عَلَيْهِ هَادِرٌ .

من بنى هاشم مطاعٌ متبوعٌ غير العباس بن عبد المطلب . ولا يجوز أن يقول الله للعباس ومن كان في ذراه ممن يسمعُ له ويُنفذ لأمره : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » ، وقد علم أن العباس وأشباهه من مشيخة بنى عبد مناف لا أعوان لهم يومئذ من بنى عبد مناف ، لأن بنى عبد مناف دنيا<sup>(١)</sup> على قربهم وقربهم ، كانوا أشدَّ الخلق على رسول الله ، كأبي سفيان بن حرب ، وعقبة بن أبي مُعيط ، والحكم بن أبي العاص ، وأبي أحيحة ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وفلان وفلان . ولم تكن أمةٌ اتمازت في ذلك الدهر من هاشم ، وكان يقال للحَيَّين : عبد مناف . [ و ] كان من أمر عُثمان الذي بَلَغَكَ .

١٠ فقد دلَّ الكلام على أن الله إنما عَيَّ بالآية المؤمنينَ دون الكافرين ؛ إذ كانت مخاطبةُ المادي والمخاذل على ما وصفنا . وليس أنه أراد تأنيب المؤمنين وتقريع المهاجرين ، ولكنه أخبر عن تقصيرهم عن فضيلة أبي بكر إذ ظنوا وأقام . وليس النقص في الفضل كالتقص في الفرض . فكأنه تعالى وعزَّ قال : لو كنتم صبرتم مع نبيِّكم ، ما أقام ، إلى وقت الإذن<sup>(٢)</sup> كصبر أبي بكر معه ، ولم تخرجوا هاربين جازعين ، ولما نبيِّكم مهاجرين ، كان أشدَّ لصبركم ، وأكلَ لرغبتكم ، وأنتم لتفتنَّكم . وليس أنكم عصيتم في خروجكم ، ولكن بمض الصبر والاحتمال أفضلُ من بعض ، وكذلك الطاعة تطوُّعها وفرضها . كما قد علمتم أن بلالاً وحجاباً وعماراً حين فضَّهم<sup>(٣)</sup> المشركون عن دينهم جزعَ عمارٌ وأعطاهم الرضا ، مع اضواء قلبه

(١) يقال حوَّاهنَّ عنه دنيا ، أى لما . (٢) أى الإذن بالخروج والهجرة .

(٣) كذا في الأصل مع شدة قوف الصاد . و « فتنهم » أولى بهذا المقام .

على الإخلاص ، وتَلَجَّ صدره بالإيمان ، ولكنَّ عزَّته كان منقوصاً عن  
التمام ، من غير أن يكون ذلك عصياناً ولا خِلافاً . وبذلك على ذلك قول الله :  
« إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » . ولذلك قال النبي صلى الله  
عليه وسلم : « إِنْ عَادُوا فَمَدٌّ » ، يريد به التوسُّع والرُّخْصَة والإطلاق ،  
٥ وليس على الأمر والترغيب .

وكما بَلَغَكَ عن الرَّجُلَيْنِ الوَارِدَيْنِ على مُسَلِّمَةٍ ، حين قال لأحدهما : أتعلم  
أني رسولُ الله ؟ قال : نعم . قال : أتعلم أنَّ محمداً رسولُ الله ؟ قال : نعم .  
قال : فأمر به قَتْل . وقال للآخر : أتعلم أني رسولُ الله ؟ قال : نعم . قال :  
فَعَلِمَ أنَّ محمداً رسولُ الله ؟ قال : نعم . فأمر بتخلية سبيله . فلما بلغ ذلك  
النبي صلى الله عليه قال : أمَّا الأوَّلُ فمَضَى على عَزِّهِ وبِقِيَّتِهِ فِهْنِيثاً له ، وأمَّا  
١٠ الثَّانِي فأَخَذَ بِرُخْصَةِ الله فَلَا تَبِعَهُ عَلَيْهِ .

فعلى هذا المثال كان قصير القوم ، لا على وجه الخلاف والمعصية .  
وذلك أنَّ أيا بكره أقام بمكة ما أقام النبي صلى الله عليه وسلم ،  
وهاجرَ الناسُ الأوَّلُ فالأوَّلُ ، فبعضُ أتَى المدينة ، وبعضُ أتَى الحبشة ،  
١٥ حينَ اشتدَّ عليهم البلاء وظالَّ الدُّلُّ وَقَلَّ الناصر ، وَقَوِيَتِ الضُّغائنُ ،  
فكان النَّفَرُ بعد النَّفَر ، والرجلُ بعد الرجل ، يستأذنُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم  
في الهجرة فيأذنُ له . وأقام أبو بكرٍ وحيداً لا أنيسَ له ، وذليلاً لا ناصرَ له ،  
وغافقاً لا أمانَ معه ، في كلِّ يومٍ يزدادون عليه قوَّةً ويزداد عنهم ضغفاً  
فإذا بَلَغَ <sup>(١)</sup> وبلغَ المجهود ، ولم يبقَ في قُوَّاهُ فَضْلٌ يستعين به على الصَّبْرِ ،  
٢٠ استأذنُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المضيَّ إلى إخوانه والأحقاقِ بهم ،

(١) الكلمة مهمة في الأصل . وبلغ تليخاً : أمياً .

فيقول له : « لعلَّ الله أن يجعل لك صاحباً » فيزداد بها أبو بكر قوَّة ،  
وتحدُّثُ له بها حِمة . وهذه كلمة ما قالها النبي صلى الله عليه لستأذن قبله ،  
فيلم أبو بكر عند ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عناء ؛ فيشجِّع  
من نفسه ، ويشدُّ من مُنته ، طعمه في شرف الصُّعبة ، وإكرامه إِيَّاه  
بفضيلة المرافقة .

٥

وقد استأذن النبي صلى الله عليه الناس [ قبله <sup>(١)</sup> ] بسنين ، فكان  
أولهم أبو سلة بن عبد الأسد <sup>(٢)</sup> ، وآخرهم عمر بن الخطاب ، لقرب حال عمر  
في الفضل والصبر من حال أبي بكر . فكانه خاطب المهاجرين ، على التمرير  
لهم بفضيلة <sup>(٣)</sup> صبر أبي بكر على صبرهم ، مشحذة لهم على إعطاء الجهد ،  
وترغياً لهم في غاية الصبر في مستقبل الأمور وحوادث الامتحان . فكانه ١٠  
قال : إذا لم تستمروا الصبر ، ولم تبلنوا غاية الجهد ، ولم تصبروا ما أقام ، فقد  
نصرته أنا إذ أخرجته ثانی اثنين .

والدليل على ما قلنا قولُ عمر لقريش حين بادأهم المداوة ، ونصَّب لهم  
الحرب ، وأحسَّ من نفسه بالجلد وشدة الشكيمة ، وقوَّة العزيمة :  
« أما والله أن لو قد صيرنا مائةً تركتموها لنا إن تركناها لكم » ١٥  
يعنى مكة .

فلو كان جميعُ من هاجر إلى الحبشة وأتى المدينة على مثل هذا الزم

(١) تمكة بخضر إليها الكلام .

(٢) اسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن عمرو الخزومي ، أسلم بعد

عشرة أعش ؛ وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع . الإصابة ٤٧٧ . ٢٥

(٣) في الأصل : « فضيلة » .

والاحتمال والدفع ، وم جميع ، لكانَ ذلُّ من أقام ووحشته أفلُ ، وقوسهم أطيَّب .

والدليل على فضيلة مقام أبي بكرٍ على ظنهم أنهم حيثُ هاجروا ونزلوا بالنجاشي والأنصار فنزلوا بأكرم منزلٍ به ، فكانوا في ذرأه آمنين ، راضين وادعين ، إلّا ما كان من رصة جعفر ، وسماية عمرو ، وإعاش النجاشي ونهيجه<sup>(١)</sup> . فما كان ذاك إلّا سدرَ نهار حتى جمل الله العاقبة للمتقين . وأبو بكر والنبي من الوحدة والقلة ، والجفوة والوحشة ، وخيفة ذات اليد ، والسب والإهانة ، والخوف بالقدر الذي لا يأتي عليه قولٌ وإن كثُر ، ولا يملئه ومٌ وإن اتسع .

١٠ وهكذا روينا عن الضحّاك وقتادة وأبي بكر المذني في تأويل هذه الآية : أن الله عاتب جميع المؤمنين بها غير أبي بكر . ولو لم يكن رواية<sup>(٢)</sup> ولم يفسر ذلك صاحبُ تأويل ، لم يجرُ أن يكون تأويله غير الذي قلنا ؛ الذي شرحنا وفصلنا .

ولو كانت هذه المخاطبة وقمت على المخالذين والمادين ، أو على المخالذين دون المادين والمؤمنين ، لقد كان لأبي بكر في الآية ما ليس لأحد ، فكيف بها

(١) أما جعفر بن أبي طالب ، فكان سبياً في إسلام النجاشي حين أبان له حقيقة الدين وشرح له ما يدعو إليه . وأما عمرو بن العاص — وهو أحد رجلين كانت قریش أرسلتهما إلى النجاشي ليرد عليهم المؤمنين المهاجرين ليفتنوهم كما فتنهم من قبل . والآخر هو عبد الله ابن أبي ربيعة — فإنه سعى سعيًا حثيثاً لدى النجاشي في ذلك ، وحاول أن يفسد نجاحهما في دعوة النجاشي إلى الدين ، وكان مما قاله في تهيج النجاشي : « أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً » . ولكنه أخفق في ذلك وتم إسلام النجاشي . السيرة ٢١٥ — ٢٢٥ .

(٢) في الأصل : « ولم كان يكن » مع خط « كان » .



إن كانت في المهاجرين ؛ لأنَّ في قوله « ثَانِيَانِ » معنى عظيم ، وفي قوله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ » معنى عظيم .

فإن قالوا : كلُّ ما عظمتم فمظيم ، ولكنَّ بعضه لا يجوز إلا للنبي صلى الله عليه وآله دون أبي بكر ، وهو قوله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

- قيل لهم : استكرهتم التَّأْوِيلَ ، وصرفتم الكلامَ عَنْ سَنَنِهِ ، وغيرُ تأويلكم أشبهُ بكلام العرب ، وأظهر في بيان الخطباء ، ومراجعة الحكماء . وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله كان هو الرَّابِطُ الجَانِسُ ، الثَّابِتُ الجُنَانُ ، السَّاكِنُ النَّفْسِ ، وهو المرزى لأبي بكر ، والمسَّهَّلُ عليه شِدَّةُ حُزْنِهِ ، والمُطِيبُ لِنَفْسِهِ ، والمسْكُنُ لحركة قلبه ، لهذا<sup>(١)</sup> رأى وعيَّ من أكراته ومن اضطرابه ، وقلة سكينته . وهذه الحالُ التي فيها قَلَبَ النبي صلى الله عليه وآله عليه وخليفته ، وأبو بكر على ما وصفنا وفرقنا ، هي الفاصلة بين النبي صلى الله عليه وآله عليه وبين خليفته ، إذ كان الخليفة قد شارك النبي صلى الله عليه وآله عليه في حضوره واحتماله ، وبأن منه النبي صلى الله عليه وآله عليه بشدَّةِ عِزِّهِ وَسَمَةِ صَدْرِهِ ، وسُكُونِ قلبه ، كالفصل الذي بين الخليفة ووليَّ عهده .

- وكذلك<sup>(٢)</sup> تمجَّلَ عمرُ الهجرة قبل أبي بكر ، فكان بذلك أَقْصَى فضلا منه . وتأخَّرَ بعد المهاجرين ، فكان بذلك أتمَّ فضلا منهم .

<sup>(١)</sup> وفي قول الله : « إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » دليلٌ على أَنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ على صاحبه ، وَأَنَّ الماءَ الذي في « عَلَيْهِ » مضمَرٌ فيها صاحبه . ولا يشبه أن تكون

السَّكِينَةُ زَلَّتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْجُلْ مِنَ السَّكِينَةِ وَقِلَّةِ الاضطراب ، وعلى السَّهْلِ عَلَى صَاحِبِهِ وَالطَّيِّبِ لِنَفْسِهِ<sup>(١)</sup> وَالْبَشْرَ لَهُ بِالنَّصْرِ ، حِينَ يَقُولُ : « لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » . وهو كما أَخْبَرَ أَبُو مَآوِيَةَ الضَّرِيرُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَزِيدِ بْنِ سَيَّاهُ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ : فِي قَوْلِ اللَّهِ : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » قَالَ : عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ فَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَتْ السَّكِينَةُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ .

فَإِنْ قَالُوا : فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَلَى نَسَقِ الْكَلَامِ : « وَأَيَّدَهُ بِمُجَنودٍ لَمْ تَزَوْهَا » ، وَالْوَيْدُ بِالْجُنُودِ فِي هَذَا الْوَضْعِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْجُنُودَ الَّذِينَ هَمَّى اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ .

١٠ قِيلَ لَهُمْ : وَمَا تَفَكَّرُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَيَّدَ رَجُلًا بِالْمَلَائِكَةِ ، بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبِشَارَتِهِ وَبِحَقِّ مُصْحَبَتِهِ ، كَمَا أَيَّدَ اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ بِالْمَلَائِكَةِ ، وَكَأَيُّ زَعْمَاءٍ أَنْ الْمَلَائِكَةَ زَلَّتْ فِي زِيِّ الزُّبَيْرِ ، وَلَيْسَ أَنَّ اللَّهَ حِينَ أَيَّدَ أَبَا بَكْرٍ بِالْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ أَرَاهُ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَلَكِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالطَّيِّبِ لِنَفْسِهِ » . انظر ما مضى فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ س ٩ .  
 ١٥ (٥) الْكَلَامُ مِنْ « وَقِي قَوْلُ اللَّهِ » س ١٠٧ س ١٧ إِلَى هُنَا هُوَ مَوْضِعُ الرَّدِّ (٢٨) أَقْدَى سَيِّئَاتِي فِي نِهَايَةِ الْكِتَابِ . وَالنَّسْ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٣ : ٢٧١ :  
 « قَالَ الْجَاهِلُ : وَمَنْ جَعَلَ كُونَ أَبِي بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَسِي الْكِتَابِ . ثُمَّ انْظُرْ إِلَى مَا قِي قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ، مِنْ الْفَضِيلَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، لِأَنَّهُ شَرِيكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَهُ ، وَإِنْزَالِ السَّكِينَةِ . قَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ :  
 ٢٠ إِنَّهُ فِي آيَةِ الْغَوْصِ بِأَبِي بَكْرٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَتَابًا إِلَى السَّكِينَةِ لِأَنَّهُ تَدَاخَلَ مِنْ رَقَةِ الطَّبْعِ الْبَصَرِي وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ غَيْرَ عَتَاجٍ لَهَا ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَمْرُوسُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَلَا مَعْنَى أَنْزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ . وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ ثَالِثَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ . وَفَدَّ جَمْعٌ فِي هَذَا النَّصِّ مِنْ مَا وَرَدَ فِي س ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ .

ليمه<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه أن بحضرته ملائكة قد أرسلهم الله ليمنوه من المشركين ، ليسكن بذلك رُوعه ، وتهدأ نفسه ، وليثق بحضور النصر وتمجيل الدافع .

وقد علمنا أن الله لم يجعل مع كل مؤمن ملكين يكتبان خيره وشره استدكاراً ، ولكن المؤمن إذا شمر بمكانهما كان أقطع له عن ركوب الأدناس ، وأدعى له إلى الاستحياء ، وليعلم أن الأمر جِدٌّ وليس بهزل .

فكذلك إحضار الملائكة لأبي بكر ، ليكون إشارة النبي صلى الله عليه له بذلك تسكيناً لنفسه ، وتمجيلاً لبعض ما استحق بالاحتمال والمواساة والصبر ، من الثواب المجمل دون المؤجل .

١٠ وقد بلغ من ظهور قصة أبي بكر ومحبته ومراقبته وكونه مع النبي صلى الله عليه في النار ، أن الروافض مع شدة الإعدام ، والجرأة على تكذيب الناقلين ، لم تقدر على دفعه وردّه ، حتى قال منهم قائلون : إنما أخرجه النبي صلى الله عليه خوفاً من أن يدلّ عليه ويسمى بأمره إلى أعدائه ، لأنه كان حسّاً من النبي بالمجرة ، وعرف ميقاته الذي عزم عليه .

وكيف يجوز أن يخاطب الله الناس فيقول : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » والذي به كان النبي صلى الله عليه بائناً قد أبرّ على الأعداء<sup>(٢)</sup> وأرَبى على الكفار ، لأن النفاق أعظم من التصريح .

وهذا ما لا يجوز في عقل ، ولا يَسْنَح في فكر ، ولا يجوز في التَّعارف ، ولا يليق بالبيان .

وكيف والله يقول على اتِّصال اللَّفْظ بِاللَّفْظ والمعنى بالمعنى ، وتركيب الآية الأخرى على الأولى : « وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبَةُ » .

ولا كافر أعظمُ كفرًا ، ولا أشدُّ عنودًا من ثارنيه وصاحبه في النار ، ورفيقه في الطريق ، والمترجى لشدة حُرْزِه ، إنْ كان الشَّانُ على ما قالوا وكما وصَّوْا . وإِنَّمَا الْمُنَاقِقَةُ<sup>(١)</sup> أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُعْتَدًّا لِلْجِدِّ الرَّسُولِ وَعِدَاوَتِهِ وَلَكِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى دَارِهِ الْقَاتِلِ مَنْ بَادَاهُ بِالْعِدَاوَةِ ، وَنَاوَاهُ فِي الْفَضِيلَةِ ، فَإِنَّمَا يَسْتَبْقِي نَفْسَهُ بِنِفَاقِهِ ، وَيُزْمِلُ حَقْدَهُ ، وَإِخْفَاءَ ضِيئِهِ . فَأَمَّا رَجُلٌ مُقِيمٌ بِمَكَّةَ قَلِيلٌ مُفْرَدٌ ، وَذَلِيلٌ مُطْرَدٌ ، وَخَائِفٌ مُشْرَدٌ ، بَيْنَ اسْتِخْفَاءِ يَمْدِلِ الْمَوْتِ ، أَوْ هَرَبِ يَقْطَعِ الْأَحْشَاءَ ، وَالَّذِي هَرَبَ مَعَهُ مَقْهُورٌ مَخْذُولٌ ، وَالْغَالِبُ عَلَى دَارِهِ عَدُوُّهُ ، فَكَيْفَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مُنَاقِقًا وَالْحَالُ عَلَى مَا وَصَفْنَا !؟

١٥ ولولا كثرةُ الفساد وما عمَّ النَّاسَ مِنَ الْفَلْطِ وَفُتُوحِ الْخَطَايَا مَا كَانَ لَذِكْرِ هَذَا وَشِبْهِهِ مَعْنَى .

والأثرُ المَجْتَمِعُ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ السَّيْرِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَخْبَارِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِحَسَّانَ : أَمَا قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا<sup>(٢)</sup> ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) في الأصل : « لِلْمُنَاقِقُونَ » .

(٢) في البيان ٣ : ٣٦١ أن الأبيات رثاء في أبي بكر - وانظر ما كتبت هناك في حواشي ٢٠ وكذا جهرة أشعار العرب ص ١٣ وصفة الصفوة ١ : ٨٩ .

إذا تذكّرتَ شَجَوًا من أخى تَهَمَّ فازكرُ أخاك أبا بكرٍ بما ضلّا  
التَّالِيَّ الثَّانِيَّ المَحمودَ مشهده وأوَّلُ النَّاسِ منهم صدِّقُ الرُّسُلَا  
وثاني اثنين في النارِ النِّيفِ وقد طافَ السُّدَادُ به إذ صعدَ الجبلا  
خيرَ البرية أُنَاسَهَا وأطهرها إلَّا النَّبيَّ وأوقعا بما حلا  
فجمله تالياً ، وثانياً ، وصاحباً .

٥

وقال أبو عَجَبَن :

وسميتَ صدِّيقاً وكلُّ مهاجرٍ سِوَاكَ يسمي باسمه خيرَ منكر<sup>(١)</sup>  
سبقتَ إلى الإسلامِ واللهُ شاهدُ وكنتَ جليلاً بالعريشِ المشهُرِ  
وبالنارِ إذ سميتَ بالنارِ صاحباً وكنتَ رفيقاً للنبيِّ الطَّهَرِ  
فجمله سابقاً وصدِّيقاً ، وجليلاً وصاحباً .

١٠

وقال كعب بن مالك :

سبقتَ ، أختيهم ، إلى دينِ أحمدَ وكنتَ لدى النيرانِ في الكهفِ صاحباً  
فجمله سابقاً ، وجمله صاحباً .

وقال النُّجَاشِي :

غداةً أتى بدرًا وحرَّ جِلادُهم وكان جليلاً بالعريشِ مُؤازراً<sup>(٢)</sup>  
فلو لم تكن له مائِرةٌ إلَّا ما دلَّتْ عليه هذه الآية ، وإلَّا شرفَ  
هذه الصُّحبة ، وموقع هذه الخِلاصة ، ونيل هذه المِرافقة ، ومَشاهدِ  
الثَّقَّة ، لكان فوقَ الجميع في المِكانة والفضيلة ، وفي مُرافقة النبي صلى  
الله عليه .

٢٠

(١) هذه الأبيات مما لم يرو في ديوان أبي عَجَبَن .

(٢) حريجر ، من باب ضرب وقد وعلم : اشتدَّ حره .

سمع أهل مكة الحائف بالليل على قرْن الجبل<sup>(١)</sup> وهو رافع عقيرته ، يقول :  
جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ خَلِيلِي صَفَاءَ طُرْدَا كُلِّ مَطْرِدٍ  
هُمَا تَزَلَا فِي الْمُسْبَحِ نَمَتْ هَجْرًا وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ  
لَيْسَى بِنَبِيِّ كَسْبٍ مَكَانُ قَتْلِهِمْ وَمَقْعِدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ<sup>(٢)</sup>

وقال الحارث بن هشام :

رفيقان في الحيا وفي الموت ضمنا بأكرم متوى منزل ومكان  
فهذا هذا .

ثم أتى كان من قصة مسطح بن أثانة وقضيته<sup>(٣)</sup> ، وكان ربيبه وابن  
خالته<sup>(٤)</sup> ، وفي مؤوته وتحت جناحه ، فلما قُرفت عائشة بالذي قُرفت به  
وبلغتك ، أتى أبو بكر ألا ينظر في وجهه ، ولا ينفق عليه ولا يكفله  
ولا يموت عياله ، فلما أنزل الله عذرة عائشة وبراءتها ، ولم يرض لها بالطهارة  
والبيعة حتى جعلها غافلة ، فضلا على أن يكون خطر ذلك على بالها فتفتيته ،  
إشارة للحلال على الحرام . وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله في آية<sup>(٥)</sup> يأمر  
أبا بكر بالصَّح من مسطح ، والتجاوز عن ذنبه ، وتمتد ما كان منه ، وأن  
يُسبده في كنفه وعباله ، فقال : « ولا يأكل أولو الفضل منكم والسمة » .  
فاظنك بأمرى يقول الله له وفيه هذا القول ، ويصفه بهذه الصفة حتى  
يقول : « ولا يأكل أولو الفضل منكم والسمة أن يؤنوا أولي القرى  
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليصنفوا وليصنفوا ألا تحبون أن يغفر

(١) هو جبل أبي قبيس ، كما في عيون الأثر ١ : ١٨٨ .

(٢) انظر السيرة ٣٣٠ وابن سيد الناس ١ : ١٨٧ - ١٨٩ والرياض النضرة ١ : ٧٧ .

والفتاة هي أم محمد بنت كعب ، من بني كعب بن خزاعة .

(٣) في الأصل : « وقضيته » .

(٤) الصواب أنه ابن بنت خالته ، كما في الإسابة والسيرة ٧٣٣ .

(٥) في الأصل : « عن آية » .

اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١)</sup> ، فتلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر ، فلما انتهى إلى قوله : « أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » قال أبو بكر : بلى يا ربِّ ! فغفا عنه ، فوجبت له المغفرة ، وأعادته إلى نعمته ، وجعل عياله في حَسَاءٍ وَتَحْتَ ظِلِّهِ .

٥ فنَّ أعظمُ قدرًا من رجلٍ يَفْرِدُ الله له الآيَ فيه معظماً لشأنه ، ذا كَرَامَةٍ  
لفضله على لسان جبريل ومحمد عليهما السلام . فهذا هنا .

وقد أجمع أهلُ التأويل على أنَّ الله عَنَى بقوله : « وَالَّذِي قَالَ  
لِوَالِدَيْهِ أَفْئِدَةً لِّكُمَا أَنْمَا بِنِي أَنْ أُخْرَجَ » وقد حَكَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهِيَ  
بِاسْتِثْنَاءِ اللَّهِ وَيَكْفِي آيُنْ مِنْ « وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ  
الْأَوَّلِينَ »<sup>(٢)</sup> « أبا بكره ، وعبدَ الرحمن بن أبي بكر ، وأُمُّهُ . ١٠

وكان أبو بكر وأهلُ بيته أهلُ بيتِ إسلام : كان هو مسلماً ، وأمرأتهُ  
مسلمة ، وأبواه مسلمان ، وبناته مسلمات . وليس في المِثْرَةِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَلَا فِي قَرْيَةٍ قَاطِبَةً رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةٌ  
الْأَبَوَيْنِ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَلَا فِي قَرْيَةٍ خَاصَّةٍ وَالْمُهَاجِرِينَ عَامَةً صَاحِبِ  
ابْنِ صَاحِبِهِ ابْنِ صَاحِبٍ غَيْرِ عَبْدِ اللَّهِ قَتِيلِ الطَّائِفِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، ابْنُ ١٥  
أَبِي قُحَافَةَ السَّلَامِ يَوْمَ مَكَّةَ<sup>(٣)</sup> ، وَالْقَاتِلِ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
لَأَبِي بَكْرٍ : « فَهَلَّا تَرَكَتِ الشَّيْخَ فِي مَنْزِلِهِ فَأَتَيْنَاهُ ! » . وله حِجَّةٌ .

واجتمع أهلُ التأويل على أنَّ قوله : « أَقْنِ يَمْشِيَ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ »

(١) الآية ٢٢ من سورة النور .

(٢) الآية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٣) انظر خبر إسلام أبي قحافة في البيرة ٨١٥ - ٨١٦ .

أَعْدَى أَم مَنْ يَمْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ « نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَبِي جَهْلٍ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَبَا جَهْلٍ رَأْسُ الْكُفْرِ فَلَمْ يُقَرَّنْ بِهِ وَلَمْ يُوضَعْ يَلِيزَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَأْسٌ مِثْلُهُ .

وقال الله : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى « الآية ،  
 ٥ . بمعنى أبا بكرٍ في إنفاقه المَالِ وَعَقْدِهِ الرَّكَّابَ وَالْمُذَيِّنَ وقوله : « كَذَّبَ وَتَوَلَّى » بمعنى أبا جهل . وليس في الأرض صاحبٌ تأويله خالف تأويلنا<sup>(١)</sup> ولا ردَّ قولنا إنَّ هذه الآية نزلت في أبي بكر .

وأما قوله : « قُلْ لِلْخَلَائِفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ هَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَمْذُبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا<sup>(٢)</sup> » . فزعم ابن عباسٍ أنَّ القوم الذين ذكروهم بنو حنيفة ، وأبو بكر استنصر إليهم العرب ، وضمَّهم إلى المهاجرين والأنصار ، حتَّى أظفرَ الله يده وأظهر حُكْمَهُ .  
 وأما غير ابن عباسٍ فزعم أنهم فارسٌ والرُّوم .

فإنَّ كان [ ذلك<sup>(٣)</sup> ] كذلك فإنَّ أبا بكرٍ هو المستنصر إلى قتال الرُّوم . وإنَّ كان عمر هو المُقاتل لكسرى فإنَّ ذلك راجعٌ إلى أبي بكرٍ بتأسيسه لعمر واختياره له .

وقد زعم جُوَيْرٌ<sup>(٤)</sup> عن الضَّحَّاك في قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » . قال : أبو بكرٍ وعمر .

(١) في الأصل : « تأويل » .

(٢) الآية ١٦ من سورة التَّحَةِ .

(٣) زفتها مساوقة لأسلوب الجاحظ الذي يقرم هذا التصريح .

(٤) جوير بن سيمد الأزدى البغلي . مات ما بين ١٤٠ و ١٥٠ . تهذيب التهذيب .



وقد زعم وكيعٌ عن الفضل بن دَلْهَمٍ<sup>(١)</sup> ، عن الحسن في قوله :  
« فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » ، قال : هم والله أبو بكر  
وأصحابه .

ومثل هذا كثير ، ولم يجيء المجيء الذي يحتجُّ به النصف والمرشد ،  
ولكن الحجة القاطعة في إجماع<sup>(٢)</sup> المُفسِّرين في الآيات التي ذكرناها  
قبل في قصة النار ، والنُّصرة ، وفي قصة مِسْطَح ، والغفر عنه والإنفاق  
عليه ، وفي قصة عبد الرحمن بن أبي بكر وأبويه ودعائهما له إلى الإسلام  
ورده عليهما ، وقصة أبي بكر وأبي جهل .

وقالت (السمانية) : فإن زعمت الرَّافضة أن الله أنزل في عليٍّ آياتاً  
كثيراً ، فكان ممَّا أنزل فيه وفي ولده قوله : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »<sup>(٣)</sup> . فأولى الأمر عليٌّ وولده . فلم يرد  
لأن كان أصحاب الأخبار قد أطيعوا على أنها نزلت في عليٍّ وولده لأنَّ  
طاعتهم لواجبة . وإن كان هذا شيئاً نقوله متقولاً ، أو جاء من وجه  
ضعيف ، فهو مع ضَمفه شاذٌّ ، وليس في ذلك لكم حُجَّة ؛ لأنَّ الحديث  
قد يحتمله الرجلُ الواحد الثقةُ عن مثله ، فيكون شاذًّا ، ما لم يكن  
مستفيضاً شائناً قد نُقلَ عن المستفيض الشائع . وقد يكون الحديث  
يحتمله الرجلان والثلاثة وهم ضعفاء عند أهل الأثر فيكون  
الحديث ضعيفاً لضعف ناقله ، ولا يسمونه شاذًّا ، إذا كان قد جاء من

(١) الفضل بن دلم البصري ، كان قصاباً شاعراً معتزلياً . ذكره في تهذيب التهذيب .

(٢) في الأصل : « إجماع » :

(٣) الآية ٩٠ من سورة النساء .

ثلاثة أوجه . وإنما الحجة في الجيء الذي يمتنع فيه الصمد والاتفاق .  
وهذا الجنس من الخبر هو الإجماع .

وليس يكون الخبر إجماعاً من قِبَل كثرة عدد الناقلين ، ولا من قِبَل  
عدالة المحدثين ، وإنما هو المدد الذي نعلم أنهم لم يتلاقوا ولم يترأسوا  
ولا تتفق ألسنتهم على خبر موضوع ، مع اختلاف علمهم وأسبابهم ،  
ثم يكون معلوماً عند سماع ذلك الخبر من ذلك المدد ، أنهم قد قالوه  
عن مثلهم في مثل أسبابهم وعلمهم .

فإذا كان معلوماً أن فرعه كأصله كان ذلك موجباً لليقين ، ونافياً لمرؤ  
الشك واسترابة التقليد .

١٠ وهو كخبر ما قلوا من قصة النار ، وقصة مسطح .  
فأما ما قالوا وادّعوا أن الله عنى بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا  
الرسول وأولي الأمر منكم » علياً وولده دون جميع المهاجرين ، فليس  
من شكل ما اشترطنا ، ولا من فنٍّ ما بيننا ؛ لأن أصحاب التأويل زعموا  
أنها نزلت في عمّال النبي صلى عليه وسلم وولاه ، وفي السليين ،  
١٥ وفي أصحاب سراياه وأجنادهم كالملء بن الحضرمي ، وأبي موسى الأشعري ،  
وعتّاب بن أسيد ، وخالد بن الوليد ، ومُعاذ بن جبل ، يأمر الناس بطاعة  
الأمراء والتسليم لولاه أمورهم .

حديث عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قال : حدثنا  
عبد الملك بن أبي سليمان قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن تأويل  
٢٠ قول الله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » قلت :  
من أولو الأمر ؟ فقال : هم أصحاب محمد . قلت : إنهم يزعمون أنه علي .  
فقال : عليّ منهم .

وهذا من أثبت وأحسن ما يروون في تأويل هذه الآية ، ومن أخرى ما جَمَعَ الفريقين على هَبْلِهِ<sup>(١)</sup> والرضا به ، إذ قاله العالم القبول عند الفريقين ، والرئيس الذي لا أحد فوقه في عصره عند الروافض .

وزعم محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح<sup>(٢)</sup> ، عن ابن عباس ، أن الله أنزلها في عبد الله بن خُفافة السهمي<sup>(٣)</sup> .

فإذا كان تأويلها مشهوراً بما ذكرنا من الاختلاف ، فليس فيها للتنشيع حُجَّة .

وزعموا أيضاً أن الله أنزل في عليّ : « يا أيُّها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة »<sup>(٤)</sup> يقول : في طاعة علي .

والكلام في هذا كالكلام فيما قبله ؛ لأن أصحاب الأخبار والتأويل لا يعرفون ذلك .

والخبر المشهور عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وغيره أن الله أنزلها في ناسٍ من مُسَلِّي أهل الكتاب ، كانوا بحد إسلامهم يُقيمون السبت<sup>(٥)</sup> ، ويمافون الذبيحة ، لرُسُوخ المادة ، وغلبة الإلف<sup>(٦)</sup> ، فأُزيل الله فيهم : « يا أيُّها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » يقول : ادخلوا في جميع الشريعة ، « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » وزينته لكم الحكم بالفِكم له ، ونُشِركم كان فيه .

(١) في الأصل : « نغله » .

(٢) هو أبو صالح باذام ، أو باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب . تهذيب التهذيب .

١٧٨ : ٩ / ٤١٦ : ١

(٣) ورد في صحيح البخاري . الإصابة ٤٦١٣ .

(٤) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٥) في الأصل : « السبت » . وللمراد سنة اليهود في سبتهم .

(٦) في الأصل : « وعليه الألف » .

وزعموا أَنَّ اللهَ أزل : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ <sup>(١)</sup> » .

قيل لهم : أمّا ظاهر الكلام فيدلُّ على ما قال أصحابُ التأويل ، كابن  
عباس وغيره ، حين زعموا أنَّها نزلت في عبد الله بن سلام <sup>(٢)</sup> ،  
وربطه من مشركي أهل الكتاب ، وذلك أنَّهم أتوا النبيَّ صلى الله عليه  
عند الظهر فقالوا : يا رسولَ الله ، إنَّ بيوتنا قاصيةٌ ولا نجد مسجداً  
دونَ هذا المسجد ، وإنَّ قومنا لكَا صدقنا اللهَ ورسولهَ عادونا وتركوا  
مُحَاظَظَتَنَا ، وَأَقْسَمُوا أَلَّا يُكَلِّمُونَا .

فبينما همُ يشكُون عداوةَ قومهم لهم إذ نزلت : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ  
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
رَاكِعُونَ » . فلما قرأها النبيُّ صلى الله عليه وآله رضيها بولاية الله  
ورسوله والمؤمنين . وأذن بلالٌ للصلاة <sup>(٣)</sup> ، فخرج النبيُّ صلى الله عليه  
وسلم إلى المسجد وهم معه ، والناس من بين رَاكِع وساجد ، وقائم  
وقاعد ، فتلا النبيُّ صلى الله عليه وآله : « وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ النَّالِبُونَ <sup>(٤)</sup> » الآية . فإن تكن هذه الآية  
كما قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ ، فليس لعلَّ فيها ذكر . وإن يكن الأمرُ  
ليس على ما قال ابنُ عباسٍ فليس نأويلُ الرَّافضة بأقربِ التأويل .

(١) الآية ٥٥ من سورة الثالثة .

(٢) سلام ، بتخفيف اللام . أسلم عبد الله قبل وفاة الرسول بعامين ، وكان قبل من

٣٠ أخبار يهود - توفي سنة ٤٣ . الإصابة ٤٧١٦ .

(٣) في الأصل : « الصلاة » .

(٤) هي الآية ٥٦ من سورة الثالثة .

- وقد عرفنا أن تأويل ظاهر هذا الكلام يُشبه غير الذى قالوا ،  
وليس لنا أن نجمله كما قالوا إلا بنحبر عن النبي صلى الله عليه ، أو بإجماع  
من أصحاب التأويل على تفسيره . وذلك أن قوله . « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ  
ورَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ »  
يبدلُ على العدد الكبير وأنتم تزعُمون أنه عَنَى عليًا وحده ؛ وليس  
لأحد أن يحمل « الذين » لواحدٍ إلا بنحبرٍ مُجْمَعٍ عليه ، فإن لم يُقدَّر  
على ذلك فليس له أن يحوِّل معنى الكلام عن ظاهر لفظه ، والذى  
عليه التَّمَامُ والتَّضَامُفُ . ولفظ الجميع معروف من لفظ المفرد . لأنَّ  
الرافضة تزعُمُ أن سائلاً دخل المسجد فسأل النَّاسَ وعلى رَاكِعٍ ، فلم  
يُطْعَمَ شيئاً ، فنزعَ على خاتمه فأعطاه ، فأُزِلَّ الله فيه : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ  
اللهُ وِرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
رَاكِعُونَ » . وأنت إذا سمعتَ بتأويل ابن عباس وتأويلهم علمتَ أن  
تأويلهم بعيدٌ من لفظ التنزيل ، قُرْبٌ<sup>(١)</sup> تأويل ابن عباس منه .
- ولو كان الأمر كما قالوا ما كان أحدٌ أعلمَ به من ابن عباسٍ  
ولا أشمَرٌ<sup>(٢)</sup> به منه .
- وأنتم تزعُمون أن عليًا كان أزهَدَ من أن يحوِّلَ عليه الحولُ وعنده مالٌ  
راهنٌ يجبُ عليه فيه الزَّكَاةُ .
- ولو كان ذلك كذلك ما كان بلغ من قدر صنيع رجل في إعطاءِ درهمٍ  
ودرهَمين من زكاته الواجبة ما إن يبلغ به إلى هذا القدر الذى ليس فوقه قَدْرٌ ،  
أو يكون كان على مشهوراً بإعطاء الزَّكَاة وهو يصلَّى .

٢٠

(٢) في الأصل : « أسعد » .

(١) في الأصل : « وقرب » .

ولو كان هذا هكذا لكان مشهوراً مستفيضاً . وكيف اتفق له ألا يزكى  
إلا وهو يصلي ؟

وإن كان تطوع يعطاه الخاتم على جهة الإيثار والمواساة فليس بمعروف  
في الكلام أن يكون الرجل إن تصدق بالدرهم والدرهمين مُتَطَلِّحاً ومتطوعاً  
أنه ممطر زكاة ، لأن الزكاة عندنا ما وجب إخراجُه وكان تطهيراً لساكنه ،  
وسبباً للنماء والبقاء . إلا أن يُحمَّل الكلام على الشاذ ، وعلى أبعد المجاز .  
وليس هكذا كلام الحكمير يريد أن يدلَّ الأُمَّة على إمامته ، ويوجب  
عليهم طاعته .

ولا بد في هذه الآية من أحد ضربين : إمَّا أن يكون لفظها يدل على  
١٠ ما قالوا دون ما قال غيرهم ، وإمَّا أن تكون قد نزلت في قصَّة مشهورة لمجر  
كفسة النار حين كانت لأبي بكر .

فإن لم تجدوا إلى واحد من هذين سبيلاً فلم يبق إلا أن تزعموا أن  
الرسول صلى الله عليه قال للناس : إنَّ هذه في عليٍّ فاعرفوا له حقَّه  
وفضيلته . ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال  
١٥ فيه ابن عباس الذي قال .

قالت ( الثمانية ) : قد زعمت الرِّوَاغُضُ أَنَّ اللهَ أُنْزَلَ هذه الآية في  
عليٍّ فاعرفوا له حقَّه وفضيلته .

ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال فيه  
ابن عباس الذي قال <sup>(١)</sup> .

٢٠ قالت ( الثمانية ) : وقد زعمت الرِّوَاغُضُ أَنَّ اللهَ أُنْزَلَ فيه : « قُلْ كَمْ

(١) كذا وردت هذه البارة . ولها تكرار لما سبق .

بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ<sup>(١)</sup> .

ولا يجوز أن يقول : « ومن عنده علم الكتاب » وهو يعني علياً  
إلا وعلى قد كان أشهر من هُناك بعلم الكتاب .

وكيف يكون ذلك وقد تَوَقَّى النبي صلى الله عليه وهو لم يَجْمَعِ الكتابَ  
بعد ؟ وقد زعم السَّعْبِيُّ أنه لم يجمعه إلى أن مات .

•

وكيف يكون من المشهرين بعلم الكتاب وأنت إذا سألت أصحابَ  
الأخبار والتَّأويل عن أسماء أصحاب التَّأويل ذكروا ابنَ عَبَّاسٍ وَمَنْ دُونَ  
ابنِ عَبَّاسٍ بطبقاتِ كالحسن البصري ، ومجاهد ، والضَّحَّاك ، وعكرمة ،  
وفلان وفلان وفلان ، ولا يذكرونه في هذا الصَّنَف ، كما لا يذكرون

فيه أبا بكر ومُحَمَّدٌ وَعِثَانٌ ؛ لأنَّهم لم يكونوا بالمشهرين بالتَّأويل وحفظ  
القرآن ومعرفة معانيه ؛ لأنَّ غير ذلك كان أغلبَ عليهم منه ، وقد أخذوا  
منه بنصيب . ولم يكونوا كمن تجرَّدَ لمعرفة التَّأويل حتَّى غلبَ عليه  
كما غلب على زيد بن ثابت الفرائض ، وكما غلب على التَّأويل على ابنِ عَبَّاسٍ ،  
وكما غلب كثرةُ الأسانيد وعددُ الآثار على ابنِ مُعَرٍّ وجابرٍ وعائشة ، وكما  
غلب على أبيهِ وعلى عبد الله القراءات .

١٥

ولو كان للناس أن يقولوا في هذه الآية على الظنِّ وما هو أشبهُ لكانَ  
أولى الناس بها عبد الله بن عَبَّاسٍ ، لأنه كان أعلمَ النَّاسِ بالقرآن . ولو  
لم يكن عَرَفْنَا فضلَه فيه بالتَّأويل ظهرَ منه ، لمرَفْنَا فضلَه وإنَّ بَطْنَ وغلب  
عن البيان لقول النبي صلى الله عليه فيه : « اللهم قَهَّه في الدِّينِ وعلمُه  
التَّأويل » . فكيف وقد ظهرَ مِنْ علمه بمعانيه وغريبه ، وإعراجه وقصمه

٢٠

(١) الآية ٤٣ من سورة الرعد ، وهي خاتمتها .

ومُحَكَّمه ومُتَشَابِهه ، وخاصَّه وعامَّه ، وناسخه ومنسوخه ، ومَكِّيَّه ومدنِيَّه ،  
ما لم يَحْجِذْ عند أحد شَطْرَه ولا قَرِيباً منه .

وقالت ( المِثْنَانِيَّة ) : إِنَّه لَا يَمْحِزُ أَحَدٌ أَنْ يَمِدَّ إِلَى كُلِّ آيَةٍ فِي  
الْقُرْآنِ فَيَدْعِيَ أَنَّهَا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ كَمَا ادَّعَيْتُمْ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ ، وَإِنَّمَا الشُّغْلُ  
وَالْبَيَانُ فِي صِحَّةِ الشَّهَادَةِ ، وَظُهُورِ الْحُجَّةِ . ٥

وزعمت المِثْنَانِيَّةُ أَنَّ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُ « الصَّدِّيقَ » دُونَهُ ، وَلَيْسَ بِمَدَّ اسْمِ النَّبِيِّ اسْمُ أَنْبِيَاءٍ  
مِنَ الصَّدِّيقِ ، حَتَّى كَانَ لَا يُقَالُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَفَعَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا وَالصَّدِّيقُ  
مُتَّصِلٌ بِهِ ، وَحَتَّى رَجَعُوا قَالُوا قَالَ الصَّدِّيقُ وَفَعَلَ الصَّدِّيقُ ، اسْتِثْنَاءً عَنْ  
اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ . ١٠

ولقد قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الزُّبَيْرُ حَوَارِيٌُّّ وَابْنُ عَمَّتِي ، وَطَلْحَةُ  
حَوَارِيٌُّّ » وَقَالَ : « عُمَانُ ذُو النُّورَيْنِ » فَلَمْ يَقُلِ السَّلْمُونُ : قَالَ عُمَانُ  
ذُو النُّورَيْنِ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ الْحَوَارِيُّ ، وَقَالَ ذُو النُّورَيْنِ ؛ اسْتِثْنَاءً عَنْ  
أَسْمَائِهِمَا وَكُنَاهُمَا .

١٥ فَإِنْ كَانَ السَّلْمُونُ أَشَاعَرُوا اسْمَ أَبِي بَكْرٍ وَتَرَكَوا أَنْ يُشِيمُوا اسْمَ غَيْرِ  
أَبِي بَكْرٍ ، لِفَضْلِهِ رَأَوْهُ فِي أَبِي بَكْرٍ ، فَهُوَ الَّذِي قُلْنَا وَادَّعَيْنَا . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
مِنْهُمْ لَشَيْءٍ رَأَوْهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَنِيعِهِ بِأَبِي بَكْرٍ ،  
فَلَا<sup>(١)</sup> شَيْءٌ أَدْلُّ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْمُبَازَنَةِ مِنْهُ .

وَلَمْ يَسْمَعْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِ يَنْسُبُهُ بِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ



لظهر كما ظهر اسم من ذكرنا . ولا سماء أحد من أصحاب رسول الله باسم .  
بأن به كما سمي أصحاب رسول الله أبا بكر خليفة رسول الله .

ولأبي بكر اسمان يدلان على الفضيلة والباينة : أحدهما لم يسم به قط  
إلا نبي أو من يتلوه ، والآخر لم يسم به أحد من الناس .

- فأما الاسم الذي لم يسم به إلا نبي قوله « الصديق » إجماع من  
المسلمين على هذا الاسم أنه لأبي بكر دون غيره . وأما الاسم الذي لم  
يُسم به مؤمن قط ، ولا بعده ، فقول جميع الأمة : يا خليفة رسول الله .  
فإن كان الذي قيل إلينا أنه [كان] يكتب في دهر النبي صلى الله عليه :  
« من خليفة رسول الله » ويكتب إليه « إلى خليفة رسول الله » وكما  
كان الحسن يخلف بالله أن النبي صلى الله عليه [عليه] هو تولى استخلافه ، ١٠  
فلا منزلة أعظم منها قدراً ، ولا أرفع منها شأنًا .  
وإن كان المسلمون أجمعوا له على ذلك لخاصة رأوها فيه ، فكفى به  
شرفاً وقدراً ، ومزيةً وذكرًا .

- وإن زعم قوم أن الأسماء التي ارتضاها الرسول صلى الله عليه وحبا  
بها أصحابه لا تدل على فضيلة ولا على خاصة كرامة ، وجسروا على أن ١٥  
يقولوا إنه ليس في قول النبي صلى الله عليه لجزء إنه أسد الله ، وأسد  
رسوله ، فضيلة ؛ وليس في قوله « الزبير حواري » فضيلة — فليس عندنا  
في ذلك إلا مثل ما لهم في صدور أهل القبلة من الإسقاط والإهانة .  
فإن قالوا : إن اسم الصديق مؤلف موضوع محدث ، أحدثته  
المنافاة والحشوية<sup>(١)</sup> .

٢٠

(١) انظر لهذه الكلمة حواشي الحيوان ٦ : ٦٢ ، وكذا دائرة المعارف الإسلامية

قبل لهم ، فلعلّ قولهم : إِنَّ حمزة أسدُ الله ، وأسدُ رسوله ، وإن جعفرًا الطيّارَ في الجنة ، وإنّ الزبيرَ حواريَّ رسولِ الله ، مولدُ موضوعٍ صنمته الشيعة ، وأحدثه أتباع الزبير يوم الجبل ، لافرقَ بين ذلك .

وكيف يكون اسمُ الصديق مولدًا محدثًا ، وأكثرُ مَنْ تكلمَ به ليسوا بذوىٍ نحلةٍ فيتقدروا<sup>(١)</sup> له ، ولا بذوى معرفةٍ فيعرفوا فضلَه ، ولا ذوى قرابةٍ فيطلبوا السبقَ به ، مع القى نحمده في الأشعار الصحيحة القديمة . وليس بين الأشعار والأخبار فرق إذا جاءت بحجى الحجاج .

وإنما ذكرنا الأشعار مع الأخبار ليعرفوا ظهور أمره ، ووجوه دلائله وقهر أسبابه ، وليكون آتس للقلوب ، وأسكنَ للنفوس ، وأقطعَ لشنَبِ الخلع ، وليجحد<sup>(٢)</sup> المنازع .

فمّا جاء من الأشعار في ذلك قول شريح بن هانيّ الحارثي<sup>(٣)</sup> ، وكان ميمرًا وكان شيعيًا ، وهو يرتجز في بعض خروبه :  
أصبحت ذا بثٍ أقامى الكبراً قد عشتُ بين المشركين أعضراً<sup>(٤)</sup>  
نمت أدركتُ الرسولَ النذرا<sup>(٥)</sup> وبمده صديقه وعمرا

١٥ (١) فيتقدروا ، مهمة في الأصل . والتقدير : التقدير ، والتحيؤ .

(٢) في الأصل : « ويجحد » .

(٣) أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وبثه على في التحكيم على أربعائة رجل ، وقتل نازياً بسجستان مع عبد الله بن أبي بكر في ولاية الحاجب بن يوسف سنة ٧٩ . وعاش مائة وعشر سنين ، أو عشرين ومائة سنة . الإصابة ، وتهذيب التهذيب ، والمهرين لسجستاني ٣٨ والطبرى ٧ : ٢٨٢ .

(٤) الإصابة : « وعشت » .

(٥) الإصابة والمهرين والطبرى : « التي للنفرا » .

ويوم مَهْرانَ ويوم تُسَرّا وباهِجِراواتٍ والشُّقْرا<sup>(١)</sup>  
والجَمْع من صَفِينِهِم والثَّهْرَا<sup>(٢)</sup> هَبَاتَ ما أطولَ هذا عُمرَا  
ألا تَرى أَنَّ هذا شُرَيْحَ بنِ هانٍ سَمَّى أبَا بَكْرٍ صَدِيقًا على ما لم  
يَزَلْ يَسْمَى به .

وقال المجاج بن دُؤْبَة ، وهو أعْرَابِيٌّ ليس بذي نَحْلَةٍ ولا صاحب  
خصومة ، وقد أدرك الجاهلية :

عَهْدَ نَسِيجٍ ما عَفَا وما دَكَرَ وَعَهْدَ عُمانَ وعَهْدًا من عَمْر<sup>(٣)</sup>  
وعَهْدَ صَدِيقٍ رأى رِأً فَبَرُّ وعَهْدَ إِخوانٍ هم كانوا الوَزَر  
وقال الحارث بن هشام بن النيرة ، حين بلغه وهو بَعْكَة أَنَّ الأنصار  
قد كانوا اجتمعوا وقالوا لقريشٍ في سَقِيفَةِ بني ساعدة : مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ : ١٠  
\* قُبِضَ النَّبِيُّ وَبُورِجَ الصَّدِيقُ \*  
في قصيدة له طويلة ، وهو التي يقول فيها :  
\* وَأَرَادَ أَمْرًا دُونَهُ المَبُوقُ \*  
وإنما أردنا منها المعنى .

وقال أبو عَجْجَنٍ في ذلك :  
سُمِّيتَ صَدِيقًا وكلُّ مهاجرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مَنْكَرٍ

(١) باجيراوات ، وهي باجيري ، وهو موضع دون تكريت ، وسماه أبو النجم « الجحيرات »  
في قوله :

\* بين الجحيرات للباركات \*

مجم ما استمع ٢٧٠ . ولم يرد هذا البيت في المعرني . وفي الإصابة : « وباجيرات » ٢٠  
وفي الأصل هنا : « وباجيرات » بإعمال الجيم والياء الثانية . وعند الطبري : « وباجيرات  
مع الشقرا » .

(٢) الطبري والإصابة والمعرني : « في صفيهم » .

(٣) هذا البيت متأخر عن تأليه في ديوانه ١٥ .

وقال طريف بن عتي بن حاتم :

أبيدوا قُرَيْشًا بالشُّيُوف لِيُظْهِرُوا مَعَاهِدَ دِينِ اللَّهِ بِمَدِّ مُحَمَّدٍ  
وَصِدِّيقِهِ التَّالِي الْمَعِينِ بِمَالِهِ طَوْرِي الْبَطْنِ مُحَمَّدُ الضَّرِيَّةُ يَدُودُ<sup>(١)</sup>  
وَأَوَّلِ مَنْ صَلَّى وَمَا حِبِّ حِكْمَةٍ<sup>(٢)</sup> أَسَاخَ لِقَوْلِ الصَّادِقِ الْمُتَطَرِّدِ  
وَبِمَدِّ قَتِيلِ الْمُرْمَزَانِ ، وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْقَدَدُ<sup>(٣)</sup>  
أَقَامُوا طُغَاءً حَارِينَ عَنِ الْمَدَى وَلَيْسَ يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِمُعْتَدٍ  
فَلَا تَوَلَّوْا طَائِفَ الْحَقِّ جَاشَهُ وَثَابَ إِلَيْهِمْ كُلُّ غَاوٍ مُطَرَّدٍ  
أَمَّا قَوْلُهُ : « وَثَابَ إِلَيْهِمْ كُلُّ غَاوٍ مُطَرَّدٍ » فَإِنَّ « النَّوَايَ » مَرَّوَانَ  
ابْنَ الْحَكَمِ ، « وَالطَّرْدَ » : أَرَادَ أَبَاهُ الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ طَرِيدَ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . ١٠

وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ أَيْضًا ، وَهُوَ يَهْجُو بَعْضَ الشُّعْرَاءِ<sup>(٤)</sup> :  
لَوْ كُنْتُ مِنْ هَاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِي أُسَيْدٍ أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَوْ أَصْحَابِ الْوَلَا الصِّدِّ  
أَوْ فِي الذَّوَابِقِ مِنْ تَيْمٍ وَقَعَتْ بِهِمْ أَوْ مِنْ بَنِي مُجَحِّحِ الْخَضِرِ الْجَلَاعِيدِ<sup>(٥)</sup>  
أَوْ مِنْ سَرَاةِ أَقْوَامٍ أَوَّلِي حَسْبٍ لَمْ تُصْبِحِ الْيَوْمَ نِكَسًا مَائِلَ التُّودِ<sup>(٦)</sup>

١٥ (١) فِي الْأَسْلِ : « قَوَى الْبَطْنِ » تَحْرِيفٌ . انْظُرِ الْحَافِظَةَ بِشَرْحِ الرَّزَوَقِيِّ  
١٦١٦ - ١٦١٧ .

(٢) حِكْمَةٌ ، كَذَا وَرَدَتْ مَهْمَلَةً وَكَتَفَ مُسْتَطِيلَةً « ك » .

(٣) قَتِيلُ الْمُرْمَزَانِ ، يَعْنِي بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ الْمُرْمَزَانُ مَتَمِّمًا فِي قَتْلِ عُمَرَ ، هُوَ  
وَأَبُو لَوْلُؤَةُ ، وَجَفِينَةُ . انْظُرِ نَسَبَ قُرَيْشٍ ٣٥٥ .

٢٥ (٤) هُوَ مِثْلُ عِيَّاشِ التَّيْمِيِّ . السَّكَاكِلُ ١٤١ لَيْسَ بِكَ وَدِيوَانُ حَسَّانَ ١٣٣ .

(٥) السَّكَاكِلُ وَالدِّيَوَانُ : « رَضِيَتْ بِهِمْ » . الْجُلُودُ وَالْجَلَاعِدُ : الصَّلْبُ الشَّدِيدُ . فِي  
الْأَسْلِ : « وَالْجَلَاعِدُ » صَوَابُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ وَالسَّكَاكِلِ .

(٦) هُوَ مِنْ سَرَائِهِمْ ، أَيْ صَبِيهِمْ . التَّكْسُ : الْفَقْرُ . الْقَصْرُ .

لولا الرسولُ وروح القدس يحفظهُ وأمرُ ربك حتمٌ غير مردود<sup>(١)</sup>  
وأنتى أحفظ الصديق مجتهداً وطلحة بن عبيد الله ذا الجود  
أتتكم خيلنا كالقود كالحمة تطوى السباسب بالشتم المناجيد<sup>(٢)</sup>  
من كل خيفانة طال الأجام بها وكل غنطف الأقرب كالسبد<sup>(٣)</sup>

وقال طليحة الأسدي في ذلك :

ندمت على ما كان من قيل ثابت وعكاشة النعمى يا أم معبد<sup>(٤)</sup>  
وأعظم من هذين عندى مُصيبة رُجوى عن الإسلام رأى المقيّد  
وتركي بلادى والخطوب كثيرة طريداً وقديماً كنت غير مطرّد  
فهل يقبل الصديق أنى تائب ومُعط بما أحدثت من حدث يدي

وقال البارقي في ذلك أيضاً :

بكر النعمى بخير كندة كلما وابن الأشجّ وخاله الصديق !  
هؤلاء الذين ذكرنا : شرح بن هاني ، والمجّاج بن روبة ، والحارث  
ابن هشام بن المنيرة ، وطريف بن عدي بن حاتم ، وحسان بن ثابت ،  
وطليحة الأسدي ، ومن أشبههم ، ليسوا بأصحاب خصومات ولا نظير  
في الفاضل والفضول .

#### (١) السكامل والديوان :

لولا الرسول فلاي لست عاصيه حتى يثيبني في الرسم ملعودي

(٢) القود : حزن الجبل وجانبه . في النسختين : « القود » .

(٣) غنطف ، من الخطف ، وهو الضر وخفة لم الجنب . وفي الأصل : « غنطف » ،

ولا وجه له . والأقرب : جمع قرب بالضم ، وهو الحاصرة . والسبد : القتب . وهذا البيت  
وسأجه لم يروى في ديوان حسان .

(٤) هو عكاشة بن محسن بن حرقان بن قيس بن ممة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسد .

وإنما قدّموه وسوّه سديقا على ما لم يرَ يُسمّى به . وهذا أكثر من أن تأتي عليه في كتابنا ونستقصيه .

والمجب من الرّوافض حين ترى ما قال رشيد المجرى<sup>(١)</sup> والسيد الحميري ، ومنصور النّمري حجة في أشعارها إذا كان ذلك القول في ٥ علي بن أبي طالب . وإذا قال حسان بن ثابت ، والمجّاج ، والحارث بن هشام ، وأشباههم بمن ذكرنا في القدم والقدر ، في أبي بكر وعمر وقديهم ، لم يكن حجة .

وفي قول عبد الله بن عباس لمائشة بمد الجمل في دار بني خلف الخراعي حين أرسله علي بن أبي طالب إليها : « لِمَ تقولين إنّه ليس ١٠ في الأرض موضع أبغض إلّ من موضع أنتم به ، ونحن جعلنا أباك سديقا وجعلناك أم المؤمنين » ، حجة في أن تسميته بالسّدّيق قد كان مستعملا في ذلك الدهر .

وإذا أحببت أن تعلم قدر هذا الاسم الذي سمي به النبي صلى الله عليه أبا بكر فانظروا في كتاب الله . قال الله جلّ ثناؤه : « واذكروا في الكتاب ١٥ إذ درس إنّه كان سديقا نبيا . ورّفعتاه مكانا عليا<sup>(٢)</sup> » وقال : « واذكروا في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا<sup>(٣)</sup> » ، فذكر سديقيته<sup>(٤)</sup> قبل أن يذكر نبوته .

(١) ذكره في لسان الميزان ٢ : ٤٦٠ والأنساب ٥٨٨ ، وكان ممن يؤمن بالرجعة ، وقد قطع زياد لساه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث .

(٢) الآية ٥٦ ، ٥٧ من سورة مريم . ٢٠

(٣) الآية ٥٤ من سورة مريم .

(٤) في الأصل : « سديقه » ، وانظر الرياض النضرة ١ : ٧١ ، ٤٠ .

وقال في كتابه : « ما الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ نِمِ انْظُرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ <sup>(١)</sup> » .

ولكن انظر كيف نُبِّينَ لَارْوَافِضِ الْحَجَّجِ بِالآيَاتِ وَالْإِجْمَاعِ ثُمَّ انْظُرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ، أَيْ يَسْخَرُونَ <sup>(٢)</sup> بهذه الفضيلة له على على . ٥

ثم القى كان من تأمير النبي صلى الله عليه أبا بكرٍ عليه حين ولَّاهُ الرِّسْمَ وَبِشْهُ أَمِيرًا عَلَى الْحَاجِّ سَنَةً تَسْعَ ، وَبَعَثَ عَلَيْهِ يقرأ على الناس آيات من سورة براءة ، وكان أبو بكر الإمام وعلى المأموم ، وكان أبو بكر الدافع بالوسم ، ولم يكن لملئ أن يندفع حتى يدفع أبو بكر ، ولا يستطيع خَلَقٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَزْعِمَ أَنْ سَنَةَ تَسْعَ دَفَعَ بِالنَّاسِ غَيْرُ أَبُو بَكْرٍ ، ١٠ ولا يستطيع أحدٌ أَنْ يَزْعِمَ أَنْ سَنَةَ تَسْعَ لَمْ يَبْعَثْ <sup>(٣)</sup> النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِصَدْرِ سُورَةِ بَرَاءَةِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِيَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ إِذَا فَرَغَ أَبُو بَكْرٍ .

فإن قال قائل : ألا ترى أنه كان لملئ بن أبي طالب في ذلك الموقف من الفضل ما ليس له لخصلتين : إحداهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَمَثَ مِمَّه بِصَدْرِ بَرَاءَةِ ، وقال : « لَا يَلْبِغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِثِّي » . والأخرى فَرَطَ ١٥ الاحتمال وَشِدَّةَ الْخِطَارِ الَّذِي احْتَمَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِقَوْمِ الْبَرَاءَةِ وَقَطَعَ الْعَهْدَ وَقَدْ وَاقَى الْوَسْمَ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ وَمِنَ الْمُتَوَرِّينَ وَالنَّاقِبِينَ وَالْحَنِفِيِّينَ ، الْعَدُوَّ الَّذِي لَا يُحْصَى ، وَالْقُوَّةَ الَّتِي لَا تُدْفَعُ ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاقِيهِ وَأَبْدَى

(١) الآية ٧٥ من سورة المائدة .

(٢) كَذَا . وقُصِرَتْ بِمَعْنَى بَصُرُونَ ، وَبَصَدُونَ ، وَنَحْدَعُونَ . ٢٠

(٣) فِي الْأَصْلِ ، « لَوْ بَعَثَ » .

صفحته . ففي هاتين الحصلتين دليلٌ على أنَّ له في ذلك ماليس لأبي بكر ،  
والحنَّةُ عليه أشدَّ .

قبل له : إن كان الشأن في شِدَّة الخطار والتفكير والتعرض على  
ما قلتم ، فتصيبُ أبي بكر في ذلك أوفر ، والأمر عليه أخوف ، وهو إليه  
٥ أسرع ؛ لأنَّ أبا بكر كان هو الأمير والوالي والتبوع ، وعلى هو المؤتم  
والرعية والسامع والطيع . وبين التابع والتبوع والآمر والمأمور فرق .  
وأما قولكم : إنَّ النبي صلى الله عليه قال حين بث بصدور سورة  
براءة مع علي بن أبي طالب : « إِنَّهُ لَا يَبْلُغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَعِيَ »  
فإنَّما<sup>(١)</sup> قال هذا وليس بحضرته أبو بكر ليكون علي قد قدَّم عليه ،  
١٠ لأنَّ النبي صلى الله عليه قد كان وجَّه أبا بكر قبل ذلك ، ثمَّ بثَّ علياً  
بعدَه فلحقه في الطريق .

وقد زعم ناسٌ من ( الثمَّانيَّة ) أنَّ النبي صلى الله عليه لم يقل ذلك  
لعلي تفضيلاً منه له على غيره في الدِّين ، ولكن النبي صلى الله عليه  
عامل العرب على مثل ما كان بعضهم يتعرَّفه من بعض ، وكما دأبهم  
١٥ في عقد الحلف وحلِّ التَّقد ، فكان السيِّد منهم إذا عقَّد لِقوم حلفاً  
أو عاهدَ عهداً لم يَحُلْ ذلك التَّقدَ غيره ، أو رجلٌ من رَهطه دنيّاً كأخيه  
أو ابن ، أو عمِّه ، أو ابن عمِّه ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه ذلك القول .  
ثمَّ الذي كان من تفضيله عليه وعلى الناس جميعاً أيَّامَ شُكوكِهِ ،  
حيث أتره أن يؤمَّ النَّاسَ ويقوم مقامَه في صلَّاته وعلى منبره ،  
٢٠ حتَّى أنَّ عائشة وحفصة أَرادتا صَرَفَ ذلك عنه لعلَّ سَنَدَ كَرها في



موضعها إن شاء الله ، فقال النبي صلى الله عليه : « إِيَّاكَ عَنَى  
صَوَابَ يُوسُفَ ، أَيْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا أَنْ يَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ » .

ولم يستطع أحدٌ من الناس أن يقولَ إِنَّهُ صَلَّى بالناس في تلك الأيام  
غَيْرُهُ ، ولا استطاع أحدٌ أن يقولَ إِنَّ المأمورَ بالصلاة كان غَيْرَهُ ،  
حَتَّى قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : اخْتَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ لِدِينِنَا فَاخْتَرْنَاهُ لِدُنْيَانَا . وحتى  
قَالُوا : وَلَآه رَسُولُ اللَّهِ صَلَاتُنَا ، وَزَكَاتُنَا تَبِعُ لَصَلَاتِنَا وَهِيَ مَعْظَا  
أَمْرِ الدِّينِ .

ولا يستطيع أحدٌ أن يقولَ : إِنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ أَبُو بَكْرٍ بالناس لِيَصَلِّيَ  
بِهِمْ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ : وَمَا لَكَ تَصَلِّيَ بِنَا  
عَلَى غَيْرِ عَهْدٍ وَلَا سَبَبٍ . وَلَا قَالَ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَلَا قَالَ ١٠  
رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : مِمَّنَّا مَصَلٍّ وَمِنْكُمْ مَصَلٍّ ، كَمَا قَالُوا : مِمَّنَّا أَمِيرٌ  
وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ .

فَإِنْ كَانَ النَّاسُ مَعَ كَثْرَةِ الْخَلِيفِ وَالشَّرِّ فِيهِمْ تَرَكَوا مَجَارَاتِهِ وَمَدَافَعَتَهُ  
فِي قِيَامِهِ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِتَبْرِيْزِهِ ، كَانَ ، عَلَيْهِمْ عِنْدَ  
أَنْفُسِهِمْ فَكَفَى بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَحُجَّةً عَلَى الْاِسْتِحْقَاقِ . ١٥

وَإِنْ كَانَ رِضَاؤُهُمْ بِذَلِكَ وَتَسْلِيمُهُمْ <sup>(١)</sup> ، لِذَلِكَ ثَبَتَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَمْرِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْدِيمِهِ إِيَّاهُ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ مَتَكَلِّمٌ ،  
وَلَا لِشَاغِبٍ <sup>(٢)</sup> فِيهِ مَتَمَلِّقٌ ، وَلَا لَوَاقِفٍ فِيهِ عُذْرٌ ، وَالْقَوْمُ جَمِيعٌ ، وَمُصَلِّمٌ  
وَاحِدٌ ، وَتَقْدِيمُهُ ظَاهِرٌ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَتَسْلِيمُهُمْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا شَاغِبٌ » .

ولم تكن صلاة واحدة فيكون خلسة<sup>(١)</sup>. والقوم كانوا أشدَّ هدياً  
لذلك القام من أن يدعوا رجلاً لم يقرهم بسيفه ، ولم يمتنع عليهم  
بمشيرة ، ولم يُفِضْ فيهم الأموال ، وليس معه فضلٌ بائن ، ولا سببٌ من  
من قرابة ، ولا أمرٌ من النبي صلى الله عليه .

- فإن صاروا إلى الاعتلال بالأحاديث وذكر الآثار قالوا<sup>(٢)</sup> : إنما نحتاج  
إلى المقابلة بين أفعالٍ على وأفعالٍ غيره ، لو كنّا لا نجد له غير الأفعال .  
فإذا كنّا قد وجدنا له من غير الأفعال ما هو أدلُّ على الفضيلة من  
الأفعال ، لم يكن لنا أن نتخطى الأفضل إلى الأقص في دفع التعلّب ،  
ورقعة المستحقّ عند ظهوره وزوال التقيّة فيه . لا أنهم<sup>(٣)</sup> قابلوا بين  
١٠ جميع المهاجرين في القرب والبعد ، ولا أنهم صنّوا العلم بفضله بعد موت  
النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم قومٌ قد كانوا من قبل ذلك بثلاث  
وعشرين سنةً يرى بعضهم بعضاً ويعرف بعضهم أمراً بعض ، يفرزون  
مما ويقيمون ممّا ، ويسمون من النبي صلى الله عليه القول بعد القول ،  
ويرون أحوال الرّجال عند النبي صلى الله عليه ، وفي المسلمين وفي أنفسهم ،  
١٥ فعلوا بذلك فضل أبي بكر ، فلما توفّي النبي لم يحتاجوا مع علمهم الأوّل  
إلى أن يضموا علماً ثانياً .

ولو أنّ رجلاً مثلاً شاهد النبي صلى الله عليه وأصحابه سنةً واحدةً  
ماخفياً عليه من القدم عنده وعند المسلمين ، ومن أشبههم به هدياً

(١) في الأصل : « حله » .

(٢) في الأصل : « وقالوا » . ٢٠

(٣) في الأصل : « ولأنهم » .

وعلاً ، وطريقةً وعزماً . فاطَّنكَ بالسَّلف الطَّيِّب ، والخيَّار المُتَخَيِّب ،  
وَأَسَّ الإسلامَ ورُوسَى قواعده .

وذلك أَنَّ أبا بكر لا يخلو حيث أَسْلَمَ أَنْ يكون أَسْلَمَ قبل الناس ،  
أو ثانياً ، أو ثالثاً . فَإِنْ كان إسلامُهُ قبل الناس قد تَبَيَّنَ للثاني تقدُّمُهُ ،  
وللثالث تقدُّمُهُما عليه . فإذا كانوا ثلاثة لم يَخَفَ عليهم أيُّهم أفضل . ٥  
ثم إِنَّ أَسْلَمَ بدمهم نَفَرٌ لم يَخَفَ أيضاً قِصَّةُ الثلاثة المُتَقَدِّمِينَ . وكلِّما  
أَسْلَمَ قومٌ لم يَتَخَفَ عليهم حالُ الأفضَلِ بالذي يرون عند من أَسْلَمَ قبلهم .  
فكانوا كذلك ثلاثاً وعشرين سنة .

قد أَيْقَنَّا أَنَّ القومَ لم يُؤَتُوا في تقديم أبي بكر من الجهل بموضع  
الفَضْلِ ، أطاعُوا اللهَ في إقامته أم عَصَوْهُ . وكذلك لو كانوا قدَّمُوا غيره . ١٠  
ما كانوا إِلَّا مُتَمَدِّدِينَ . وذلك أَنَّ الأفعالَ إِنَّمَا تَدُلُّ على ظاهر عدالة  
الرَّجُلِ وفَضيلته ، ولا تَدُلُّ على باطن طهارته <sup>(١)</sup> وإخلاسه .

وقولُ الرَّسولِ صلى الله عليه في الرَّجُلِ ومديحُه له وإخبارُه عن  
فَضْلِهِ ومنزِلَتِهِ ، والوَحْيُ يُنْزَلُ عليه مَسَاءً ، أدُلُّ على طهارته  
وإخلاسه . ١٥

وإذا كان المبد كذلك كانت النفوس إليه أَسْكَنَ ، وكان من  
التَّبَدُّلِ <sup>(٢)</sup> أبَد ، مع السلامة من التَّفَاق ، والدَّخَلُ في الاعتقاد ؛ لِأَنَّ <sup>(٣)</sup>  
الغلَطَ في خبر الرَّسولِ صلى الله عليه ونَصِّهِ وتبيينه وإقراره للرَّجُلِ <sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل : « طاهرته » .

(٢) التبذل : ترك التصاون . في الأصل : « التبذيل » .

(٣) في الأصل : « ولأن » .

(٤) في الأصل : « الرجل » .

بالفضيلة والاستحقاق ، أقلُّ من النَظَر فيما بين أقدار الناس ، من الموازنة بين أفعالهم وعقولهم ، وعلومهم وتجاربهم ، وصلاح الناس عليهم ، مع كثرة عدد الأفعال المتساوية والتقاربة ، ومع كثرة عدد المتساوين والتقاربين من الرجال .

• فما يدلُّ على تفضيل النبي صلى الله عليه له قوله يومَ غدير خُم ، وهو قابضٌ على يده وقد أشخصه قائماً لمن بحضرته : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاً فمَنْ لِي مَوْلَاً . اللهمَّ عَادِ مَنْ عَادَهُ ، ووال من والاه » . وقوله : « أَنْتَ رِسِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي » . وقوله : « اللَّهُمَّ أَنْتَ بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ يَا أَكَلُ مَعِيَ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ » ١٠ ثلاثاً ، كلٌّ ذَلِكَ يَحْبِبُهُ أَنْسٌ ، طمعاً أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًا ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَجْمَعَهُ الْآ كَلٌ ، وَالْآ تَى ، وَالْأَحَبُّ .

ومن ذلك أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه حينَ آخَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَتَرَكَ بَيْنَ الْأَشْكَالِ ، وَفَرَدَ<sup>(١)</sup> بَيْنَ الْأَمْثَالِ ، جَمَلَهُ أَخَا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ أُمَّتِهِ وَعَلِيَّةِ أَصْحَابِهِ .

١٥ قيل لهم : إِنَّ الْأَخْبَارَ لَا بَدْءَ فِيهَا مِنَ التَّصَادُقِ كَمَا لَا بَدْءَ فِي دَرْكِ الثُّقُولِ مِنَ التَّثَارِفِ ، فَإِنَّ فِي عَدَمِ التَّثَارِفِ فِي حُجْجِ الثُّقُولِ ، وَالتَّصَادُقِ فِي حُجْجِ السَّمْعِ ، عَدَمَ الْإِنْصَافِ ، وَبُطْلَانَ الْكَلَامِ .

وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَرْفَعُوا خَبْرًا لَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْإِسْنَادِ وَتَوْجِبُونَ<sup>(٢)</sup> تَصْدِيقَ مِثْلِهِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصَمِينَ لَا يُجْزِئُهُ دَفْعُ السَّتْفِيزِ بِلِسَانِهِ ،

٢٠ (١) فرد : جمع . وفي الأصل : « فرد » .

(٢) أى وأتم توجبون .

فضلاً عن دفع الثأد وإن كان ناقله عدلاً في ظاهره . فإذا كان ناقله ذلك كذلك فأولى الأمور بكم وبهم الصدق . وليس كلُّ مَنْ أراد الصدق في مثل هذا قدرَ عليه إلا بالتقدم في كثرة السَّاعِ وأنْشاعِ الرّواية . وليس لأحدٍ ، وإنْ حَسَنَ عقله وصرَّحَ فكره ، أن يقول فيما لا يضاف عليه إلا من طريق الخبر حتَّى يكون صاحبَ خبر ، وطالبُ أثر . فإذا صرَّحَ عقله وكثُرَ سماعه ، خَفَّتْ<sup>(١)</sup> مؤثنته على نفسه وعلى خصمه .

أو ما علمتم أنَّ خصوصكم وم أَكثَرُ منكم عدداً ، وأَكثَرُ فقهاءً وعِدَّةً ، يروون أنَّ النبي صلى الله عليه قال : « لَيْسَ أَحَدٌ أَمَنَ عَلَيْنَا بِصِحَّتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَلِيلاً لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، لَكِنْ وَدَّاءُ وَإِخَاءُ إِيْمَانٍ<sup>(٢)</sup> » . فإن كان هذا الحديث كما نقلوا لم يَجْزُ أن يكون النبي صلى الله عليه أخاً أحداً إلا أن يكون الأخ غير الخليل ، ولا نعلم الخليل إلاَّ أخصَّ منزلة وأقرب مودة . مع أنَّ قوله « ولكن » دليلٌ على أنَّه قد كان أخاه .

وأعجب من هذا يروون أنَّ النبي صلى الله عليه قال في شِكَائِهِ وقُبَيْلِ وفاته : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي فَيَمُوتُ حَتَّى يَتَّخِذَ مِنْ أُمَّتِهِ خَلِيلاً ، وَإِنَّ خَلِيلِي مِنْكُمْ ابْنُ أَبِي قُصَافَةَ<sup>(٣)</sup> » .

ويروون أنَّ النبي صلى الله عليه قال : « افْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَدَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ » .

(١) في الأصل : « وخفت » .

(٢) في الأصل : « ودَّاءُ وإِخَاءُ إِيْمَانٍ » صوابه من الرِّياض النُّضرة ١ : ٨٥ . وانظر فتح الباري ٧ : ١٥ .

(٣) الرِّياض النُّضرة ١ : ٨٤ .

وقد تملون أن إسنادَه عبد الملك<sup>(١)</sup> ، عن رِبعي<sup>(٢)</sup> عن حذيفة<sup>(٣)</sup> ،  
والآخر سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ ، عن أَبِي الزَّعْرَاءِ<sup>(٤)</sup> ، عن عبد الله<sup>(٥)</sup> .  
ويروون أن النبي صلى الله عليه ، نظر إلى أبي بكرٍ وعُمَرُ مُقْبِلَيْنِ .  
فقال : « هذان سيِّدا كُهولٍ أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلَّا  
الأنبياء والمرسلين . يا علِّ لا تُخَيِّرْهُما » .

فَزَعَمُوا جَمِيعاً أن عليّاً قال : ولو كانا حيَّينِ ما حدثتكم .  
ويروون جَمِيعاً أن عليّاً قام في الناس خطيباً فقال : « أَلَا إِنَّ خَيْرَ  
هذه الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ، والثاني عُمَرُ ، ولو شئتُ أن أخبركم  
بثالثٍ فقلت » . فكَفَى عن ذكر عثمان .

ويروون أن النبي صلى الله عليه لَمَّا أَسَّسَ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ جاءَ بِمُحَمَّدِ بْنِ  
فَوْضَمَةَ ، ثُمَّ جاءَ أَبُو بَكْرٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ فَوْضَمَةَ ، ثُمَّ جاءَ عُمَرُ بِمُحَمَّدِ بْنِ فَوْضَمَةَ ،  
ثُمَّ جاءَ عُثْمَانُ بِمُحَمَّدِ بْنِ فَوْضَمَةَ ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :  
« هُمُ الْأَمْرُ بِالْخِلَافَةِ<sup>(٦)</sup> مِنْ بَعْدِي » .

وقالوا : لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَطَّ لِأَهْلِ قُبَاءَ مَسْجِدَهُمْ  
بِمَنْزَرَةٍ<sup>(٧)</sup> ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ سَجَرًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ضَعْ

(١) في الأصل : « عند اللال » . وهو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي  
الكوفي . للتوفي سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٢) ربعي بن حراش الكوفي . للتوفي سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) حذيفة بن اليمان ، الصحابي الجليل ، وكان صاحب سر رسول الله . توفي سنة ٣٦ .

٢٠ الإصابة وتهذيب التهذيب .

(٤) هو خالد سلمة بن كهيل . واسمه عبد الله بن هاني الكندي الكوفي ، وهو  
أبو الزمراء الكبير ، كان من كبار التابعين . تهذيب التهذيب .

(٥) عبد الله بن مسعود .

(٦) كذا في الأصل .

٢٥ (٧) المنزلة ، بالتحريك : عصا في قدر نصف الرمح في طرفها الأسفل زج كزج الرمح .

حَجَرًا إِلَى جَنْبِ حَجَرِي ثُمَّ قَالَ : يَا عِمَّانُ خُذْ حَجَرًا فَضْمِهِ إِلَى جَنْبِ عُمَر .  
 ثُمَّ التَفَتَ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ فَقَالَ : وَضَعْتُ رَجُلًا حَجَرَهُ حَيْثُ أَحَبُّ .  
 وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ : « مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ  
 فِي الْمَلَائِكَةِ مَثَلُ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ ، وَمَثَلُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ ،  
 وَمَثَلُ عُمَرَ فِي الْمَلَائِكَةِ مَثَلُ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالسُّخْطِ ، وَفِي الْأَنْبِيَاءِ مَثَلُ  
 مُوسَى » . وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَلَكِنِّي اخْتَصَرْتُهُ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَضَعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَالْأُمَّةُ  
 فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى ، فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ أَخْرَجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَضَعَ  
 أَبُو بَكْرٍ مَكَانَهُ فَرَجَحَ بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَوَضَعَ عُمَرُ مَكَانَهُ فَرَجَحَ  
 بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَرَفَعَ الْمِيزَانَ <sup>(١)</sup> .

١٠

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ  
 بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ جَبِيلاً فَقُلْتُ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ لِي صَاحِبِي : صَدَقْتَ ، فَهَلْ  
 أَنْتُمْ تَارِكُونَ صَاحِبِي ؟ » .

وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى  
 الْإِسْلَامِ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ تَرَدُّدٌ وَكِبُورَةٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ  
 لَمْ يَتَلَمَّعْ » .

وَقَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسْوَئِ  
 قَطُّ ، فَاعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُ » ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ .

فَإِنَّ كَانَ مَارُوتِي فِي فَضِيلَةِ عَلِيٍّ حَقًّا ، وَمَا رَوَّاهُ فِي فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ  
 حَقًّا ، فَأَبُو بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ، وَعَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ . وَهَذَا هُوَ

٢٠

التَّناقض ، والحق لا يتناقض . وفي هذا دليلٌ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلمْ بذلك ولا قاله ، لأنَّ الخبر إذا خَرَجَ مخرج المأم في تفضيل أبي بكر ، وكذلك في تفضيل عليٍّ ، فليس له وجهٌ إلا ما قلنا ، إلا أنَّ يكونَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم قد قال أحدَ القولين وسمَّيَتْ به الشهادة ، ولم يَقُلْ الآخرَ وإنما ولَّده الرجال ، ومنعته حَمَلَةُ السَّيْرِ . ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إذا كان الإسناد متساوياً ، وعند الرجال مُتقارباً . وليس في هذه الأحاديث كلها حديثٌ يضطرُّ خصمه إلى معرفة صحته ، أو يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد تكلم بكثيرٍ من هاتين الروايتين وكان معناه وقصده فيها معروفاً عند من كان بحضرته ، حتَّى كان الجميع يعرفون خاصَّةً من عامَّة . ولكنَّ الثَّالِثِينَ احتملوا من السَّلفِ مجردةً<sup>(١)</sup> بغير تأويل معانيها ، فأدَّوها على اللفظ المأم ، فصار السامع يتناقض عنده إذا قَابَلَ بعضها ببعض ، لجهلها بأسول خارجها ، وكيف كان موقعها .

والذي فَسَّرَتْ لَكَ مثلُ تَمَرٍ به سَمَتِ الحِجَّة ، وقَصَدَ السَّبِيل . وهو كما تَقُولُوا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا أَقَلَّتِ النَّفِيرَ وَلَا أَثَلَّتِ الْخُضْرَاءَ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أُصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ » : ولم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى استثناء نفسه حاجةٌ ؛ لمعرفته باستثناء النَّاسِ عن ذلك .

وقد عَرَفْنَا بوجهٍ آخَرَ أنَّ حديثَ أَبِي ذَرٍّ كان يخرجُه تَخْرِجُ المأم وأنه خاصٌّ وإن لم تكن خُصُوصِيَّتُهُ موجودةً في لفظ الحديث ؛ لأنَّكَ إِذَا سَأَلْتَ الشَّيْخَ قُلْتَ : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ أُصْدَقَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :



أَبُو ذَرٍّ أَوْ عَلِيٌّ ؟ قَالُوا بِأَجْمَعٍ : عَلِيٌّ وَإِنَّمَا تَرَكَ<sup>(١)</sup> النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
لَعَلَّهُ بِمَعْرِفَةِ السَّلْمِ بِذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِ .

وَكَذَلِكَ لَوْ سَأَلْتَ الثَّانِيَةَ قُلْتَ : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ أَصْدَقَ عِنْدَ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : أَبُو بَكْرٍ أَوْ أَبُو ذَرٍّ ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، كَقَوْلِ الشَّيْخِ  
فِي عَلِيٍّ .

٥

قَدْ أَجَمَعَ الصَّنْفَانِ جَمِيعاً أَنَّ غَيْرَ أَبِي ذَرٍّ أَصْدَقُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ .  
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَنَا خَيْرَ فَارِسٍ فِي الْعَرَبِ »  
قَالُوا : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَمَّاشَةُ بْنُ مِصْحَمٍ .

وَلَيْسَ بَيْنَ الْأَمَّةِ تَنَازُعٌ أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، وَجَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الطَّيَّارَ ،  
وَالزُّبَيْرَ ، خَيْرٌ مِنْ عُمَّاشَةَ .

١٠

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « يَأْتِيَكُمُ خَيْرٌ ذِي يَمِينٍ ،  
[ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup> ] مَسْحُوحَةٌ مُلْكٌ » . فَأَتَانِمُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

فَلَوْ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ الْعَامُّ عَامّاً فِي مَعْنَاهُ ، وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
اتَّكَلُ فِيهِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْقَوْمِ ، فَتَرَكَ لِفَدَاكَ الْإِسْتِفْنَاءَ وَالتَّفْسِيرَ ، لَكَانَ  
وَاجِباً أَنْ يَكُونَ جَرِيرٌ خَيْراً مِنْ سَمْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَمِنْ حَمِيٍّ الدَّبْرِ<sup>(٣)</sup> ،

١٥

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَزَلُّ » .

(٢) انْظُرِ الْإِسَانُ ( مَسْحُوحَةٌ ٤٣٤ ) .

(٣) هُوَ حَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ مَسَافِئاً وَالْجَلَّاسَ ابْنَ  
طَلْحَةَ ، مِنْ عِظَمَاءِ الْعُرَكَيْنِ ، يَوْمَ أُحُدٍ قَتَلَ ، فَأُرْسِلَتْ قَرِيشٌ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ ،  
فَبَيْعَتْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلُ الْفَلَةِ مِنَ الدِّبْرِ ، لِحِمَتِهِ مِنْهُمْ فَارْتَدَعُوا عَنْهُ حَتَّى أَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ فَدَفَنُوهُ .  
الْإِسَابَةُ ٣٤٨ ، وَالسِّمَةُ ٦١٠ ، ٦٢٩ وَالْإِسَانُ ( دَبْرُ ) . وَالْأَبْرُ ، بِفَتْحِ الْهَاءِ  
وَكُسْرِهَا : النَّحْلُ .

٢٠

ومن غسل الملائكة<sup>(١)</sup> ، ومكلمَ الذنوب<sup>(٢)</sup> . وهذا ما لا يقوله مسلم .  
ومن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه لأبي سفيان بن الحارث<sup>(٣)</sup> : «أبوسفيانَ  
خير أهلِي» . وقد علمنا أنَّ حمزةَ والمُبَاسَ وعليَّ وجعفرًا خيرٌ من  
أبي سفيان .

٥ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه : « خير أهل الله عمر بن الخطاب »  
وقد أجمع المسلمون أنَّ غيره خيرٌ منه ؛ لأنَّ النَّاسَ إمَّا عُمرِيٌّ وإمَّا علَوِيٌّ ،  
فالعلَوِيُّ يقدِّمُ عليًّا ، والممرِيُّ يقدِّمُ أبا بكر .

والجَلَّةُ أنَّه لم يقل أحدٌ قطُّ : إنَّ عمر خيرُ الناس . فهذا بابٌ قد  
فرغْتُ [منه] ، نرف به أنَّ النبي صلى الله عليه قد يتكلم بالكلام  
١٠ المروف المعنى عند مَنْ حَضَرَهُ ، فإذا نَقَلُوا الكلامَ وتركوا المعنى التيس  
على المابرين<sup>(٤)</sup> وجهُ المعنى فيه .

فمن ذلك ما يُعرف ، كالذي حكينا من حديث أبي ذرٍّ ، وعُكَّاشَةُ  
ابنِ عِصْحَن ، وجبرر ؟ ومنه ما يُجهَلُ كحديث عليٍّ ، وأبي بكر .  
وقد نقلا عن النبي صلى الله عليه في رجال كلاماً وتفضيلاً ما نقلَ  
١٥ مثله في أبي بكر وعليٍّ ، اللَّذَيْنِ فِيهِمَا التَّنَازُع .

(١) هو حفظة بن أبي عامر بن سيني الأنصاري ، وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب  
وكان حفظة استأذن رسول الله في قتل أبيه فنهاه عن ذلك ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم  
بعدما قتله عذاد بن شعوب : « إن صاحبك لنفسه الملائكة » . الإصابة ١٨٥٩ .

(٢) هو أميان بن أوس أو ابن الأكوع ، أحد الصحابة ، زعموا أنَّ القُتُبَ كله وبهره  
٢٠ بالرسول . انظر حوائش الحيوان ٣ : ٥١٣ .

(٣) أبو سفيان ، اسمه المقيرة ، وقيل اسمه كتيه ، وهو أخو الرسول من الرضاع ، وأبوه  
الحارث بن عبد المطلب عم رسول الله . الإصابة ٣٥٠ . باب الكنى .

(٤) المابر : المقسر .

من ذلك أنهم قالوا عن النبي صلى الله عليه أنه قال : « كم من ذى طمرين <sup>(١)</sup> لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك . وهذا كلام عظيم إن كان حقاً ، وليس عندنا فيه إلا أن رده إلى الله ورسوله .

- وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في رجال كلاماً لو كان قاله في أبي بكر وعليّ لكان أصحابهما سيجملونه في أول ما يحتجّون به في الإمامة والتفضيل مثل قول النبي صلى الله عليه : « رضيت لأمتي ما رضيت لها ابن أم عبد ، وكريهت لها ما كره <sup>(٢)</sup> » .

- ومن ذلك قوله : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة .
- وقوله في طلحة يوم أحد ، حين واثاه السهم فوق النبي صلى الله عليه ١٠ فقال ، حين أسابه السهم : حس <sup>(٣)</sup> ! فقال النبي صلى الله عليه : « لو قال بسم الله لرقته الملائكة » .

- ومن ذلك دخول عثمان عليه وهو مكشوف الفخذ ؛ فغطاها ، فقيل له : يا رسول الله ، لم تغطها من أبي بكر وعمر وغطيتها عند دخول عثمان . فقال : « كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة » . ١٥
- وقال : « اهترّ العرش لموت سعد بن ماذ <sup>(٤)</sup> » .

(١) الطمر : الثوب الملق . يقول : رب ذى ثوبين خفين أطاع الله حتى لو سأل الله تعالى أباه . وروى : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٨٦ .

(٣) حس : كلمة قال عند الوجع .

(٤) وفيه يقول حسان « الكامل » ٧٧٨ :

وما اهترّ عرش الله من موت مالك سمنا به إلا لسعد ابن عمرو

فهذا أيضاً بابٌ يُعرف به أنَّ الرجل ليس يستحقُّ التَّقديمَ بالرَّواية والحديث ، إذ كان هؤلاء دونَ أبي بكرٍ وعليٍّ في الفضل ، وقد جاء فيهم ما لم يجيئ فيهما .

ولقد رَوَوْا في رجلٍ لم يُهاجر ، ولم يَصْحَبْ ، ولم يشهد المَшаهد ، ولم يُنفق ، ولم يَتَرَضَّ ، ولم يَدْعُ إلى الله ورسوله ، إلَّا أنَّهم زعموا ٥ أَنَّهُ كان يطلب الحنيفية قبل مَبِيتِ النبي صلى الله عليه ، وهو زَيْد بن عمرو ابن قُفَيْل . فزعموا أَنَّ النبي قال : « يُمِيتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَخَدَهُ » . وأىُّ شيءٍ أدلُّ على كَلِّ فضيلةٍ من قولِ النبي صلى الله عليه لمُعَاذ : « لَا تُؤْذُوا عِمَارًا فَإِنَّمَا عِمَارٌ جِلْدَةٌ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ » .

١٠ مَا أَطْعَمَتِ الرَّافِضَةُ الطَّاعَةَ أَبَدًا ، وَلَا رَسَنُوا مِنَ النَّاسِ بِالْإِنصَافِ ! وقد علمنا أَنَّ حِزْمَةَ وَجْهًا وَعِلْيَا ، كَانُوا أَفْضَلَ مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، ولم يَهْتَزُّ لِمَوْنِهِمْ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَقَتَلُوا شُهَدَاءَهُ ، وَلَمْ تَحْمَرْ لِحُومُهُمُ الدَّبِيرُ ، وَلَا غَسَلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ (١) .

فَاللهُ أَعْلَمُ بِإِمَانِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ . وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي كُلِّ رَجُلٍ قَوْلًا عَدْلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ قَوْلًا مَعْرُوفًا مَفْهُومًا عِنْدَ الْحَاضِرِ ، وَلَكِنَّهُ أَدَّى اللفظَ وَتَرَكَ الْمَعْنَى (٢) .

فَإِذَا كَانَتْ الْأَحَادِيثُ فِي أَسْلَافِنَا وَأَعْتَمَتْنَا عَلَى مَا حَكَيْتُ لَكَ لَا تَنْتَعِمْ مِنْ مَعْرِفَةٍ وَتَدَافِعْ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهُ ، كَانَ وَاجِبًا أَنْ يَكُونَ الْمَفْرُوعُ فِي أَسْرَمِ إِلَى الْخَبَرِ الْقَدِيمِ يَجِيئُ بِحُجَّةٍ ، وَتَرَكَ مَا سَوَى ذَلِكَ مِمَّا لَا يُبْرِئُ مِنْ

٢٠ (١) انظر ما سبق في ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢) في الأصل : « أدنى اللفظ وسرك المعنى » وانظر ما سبق في ص ١٤٠ س ١٠ .

سَقَمَ وَلَا يُعْرِدُ مِنْ حَبِيرة . وَإِنَّمَا الْخَبِيرُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا يَعْتَمِدُ<sup>(١)</sup> بِضَعْفِ  
الْإِسْنَادِ ، وَلَا يُتْرَكُ لَضَعْفِ الْأَصْلِ ، وَلَا يُوقَفُ فِيهِ لِكَثْرَةِ الْمَارُضِ  
وَالْمُنَاوِي<sup>(٢)</sup> ؛ كَنَحْوِ مَا رَوَيْنَا مِنْ مَآثِرِهِمْ فِي مَقَامَتِهِمْ وَمَشَاهِدِهِمْ ، وَكَصَنِيعِ  
عَلِيٍّ وَمَوَازِرَتِهِ يَدْرِ ، وَكَكُونَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَرِيضِ . وَهَذَا مَا لَا يَتَدَافَعُ  
وَلَا يَتَنَاقِضُ ؛ لِأَنَّ قَتْلَ عَلِيٍّ الْأَقْرَانَ يَدْرِي لَيْسَ بِنَاقِضٍ لَكُونَ أَبِي بَكْرٍ •  
فِي الْمَرِيضِ ، وَلِأَنَّ مَوْقِفَ عَلِيٍّ بِأَحَدِهِ لَا يَدْفَعُ كُونَ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّارِ ،  
وَلِأَنَّ صَنِيعَ عَلِيٍّ بِجَحْبِرٍ لَا يَدْفَعُ إِتِّفَاقَ أَبِي بَكْرٍ الْأَمْوَالَ ، وَعَقْفَهُ الرَّقَابَ .

فهذا وما أشبهه مما لا تجد له راداً ودافعا ، وليس هذا من شكل  
ما قالوا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي  
بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » وَقَالَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِعَلِيٍّ : « أَنْتَ مَعِيَ  
بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، وَكَمَا قَالُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ آخَى  
بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا  
لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » فِي أَشْبَاهٍ لِمَا قَدْ حُكِّيتَ لَكَ فِي صَدْرِ  
الْكِتَابِ ، لَتَعْرِفَ بِمَجْرَى الْكَلَامِ فِي السَّلَفِ .

فَإِنْ قَالُوا : فَطَلَّ النَّبِيُّ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي » وَقَدْ كَانَ  
مَعْلُومًا فِي [ ذَلِكَ ] الْوَقْتُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُسْتَقْنَى فِي هَذَا الْقَوْلِ .  
قِيلَ لَهُمْ : وَلِمَ قَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَطَلَّ مَوْلَاهُ » [ وَ ] قَدْ كَانَ  
مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مُسْتَقْنَى .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْمَاوِي » .

فإن قالوا : الفرق في ذلك أنكم لا تُفكرون روايتنا في عليٍّ ،  
ونحن نذكر روايتكم في أبي بكر .

قيل لهم : إنَّ المعجزَ كلَّ المعجز أن تמידَ على خصمك بشيء  
لا يُعجزه . فإن أبوا إلا جحدَ الأخبار وتكذيبَ الآثار والإيجابَ على  
الناس ما لا يُوجبون لهم مثله فإنَّ الذين قَلَّوا أنَّ النبي صلى الله عليه  
قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ففُلٌ مَوْلَاهُ » لم ينقلوا معه في الحديث :  
« اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

وإنما سمينا هذه الزيادة من الشيعة ، ولم نجد له أصلاً  
في الحديث المحمول .

١٠ روى الأعمش — وكان رافضياً — من سعد بن عُبَيْدة ، عن ابن بُرَيْدة<sup>(١)</sup>  
عن أبيه قال : بعثَ النبيُّ صلى الله عليه علياً في سرية واستعمله عليهم ،  
فلما جاء قال : كيف رأيتم صاحبكم ؟ قال : فلما شكوتُهُ وإما شكاه  
فيري ، وكنت رجلاً مكباباً<sup>(٢)</sup> ، فرفعتُ رأسي فلذا النبيُّ صلى الله عليه  
قد اهرجَ وجهه وهو يقول : « مَنْ كُنْتُ وَلِيَهُ ففُلٌ وَلِيَهُ<sup>(٣)</sup> » .

١٥ فواحدة أنَّ الذي رَوَى هذا الأعمش ، وهو ظنينٌّ في عليٍّ مضطربٌ  
عند أهل الحجاز . وسعدُ بن عُبَيْدة ليس هناك .

وثانية<sup>(٤)</sup> أنه لم يقلْ من كنت مولاه ، وقال : « من كنت وليه »

(١) هو عبد الله بن بريدة بن الحصب الأسلمي . تهذيب التهذيب .

(٢) في اللسان : الرجل مكب ومكباب : كثير النظر إلى الأرض .

(٣) في الأصل : « مولاة فلي مولاة » ثم كتب تحت « مولاة » : « وليه » في

الرواجين ، وهو ما يطلبه الكلام فيما بعد .

(٤) في الأصل : « وثالثة » .

فإذا اختلفت الألفاظ دلّ ذلك على الوهم . ولم يقل : « اللهم عاذ من عاده ووال من والاه » . ونحن نشهد أنّ من كان النبي صلى الله عليه وآله فسمد بن مُّاذ وليّه . وعلى أنّهم قد رَوَوْا في شكايه أقوام<sup>(١)</sup> في تلك الفزاة لعلّ كلاماً قبيحاً .

- ووجه آخر مما يدلّ في هذا الحديث على الاختلاف والوهم : أنّهم نقلوا أنّ هذا القول في عليّ كان أنّ عليّاً جارى زيد بن حارثة<sup>(٢)</sup> في بعض الأمور ، ولحاحه فيه ، لأنّه أغلظ له<sup>(٣)</sup> ، فردّ عليه زيدٌ مثل مقالته ، فقال له عليّ : تقول هذا القول لمولك ؟ ! فقال زيد : إنّما ولأبي رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولست لي بمولّى . فأبى عليّ النبي صلى الله عليه وآله عليه ، فشكا إليه زيداً ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ١٠ « من كنت مولاه فعلىّ مولاه » . وصدق النبي صلى الله عليه وآله عليه أنّ عليّاً مولى زيد ، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله عليه مولاه ، وكذلك المباس والفضل ، وعبد الله ، وقُثم ، ونعمان ، ومعبّد .

وإذا كانوا هؤلاء موالى زيد لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عليه مولاه ، فلملم النبي صلى الله عليه وآله عليه من ذلك ما ليس لهم جميعاً<sup>(٤)</sup> فإنما أراد النبي صلى الله عليه وآله عليه أن يُعلم زيداً غلطه في ذلك القول ، حين ظنّ أنّ ابن عم النبي صلى الله عليه وآله عليه ليس مولاه .

فإذا كان أمرُ عليّ وزيد مشهوراً عند أصحاب الآثار ، فإنما عني

(١) في الأصل : « أقوم » .

(٢) في الأصل : « زيد ثم حاربه » ، وهو من عجيب التحريف .

(٣) في الأصل : « غلط له » .

(٤) في الأصل : « ما ليس لهم جميعاً » .

مولى التَّمة ، وليس في هذا إخبارٌ عن فضل عليٍّ في الدين .  
ولو كان النبي صلى الله عليه وآله قال كما زعمت الروافض : « اللهم عادِ  
من عاداه ووال من والاه » ، كان هذا القول يدلُّ على أنَّ زيدا قد أتى  
جُرماً عظيماً ؛ فلم<sup>(١)</sup> يكن ليتخطى دعاه النبي صلى الله عليه وآله على من عادى  
عليّاً إلى غيره إلّا بعد وقوعه به ، لأنَّ زيدا هو المشتكى ، ومن أجل  
صنيعه خرَّج النبي صلى الله عليه وآله عليه إلى مثل هذا القول الشديد ، وهذا الدعاء  
القاصم ، ومن قوله ومنذ به غضب عليه ، وعليه نسّ وإيَّاه عني .  
وإنما يقول هذا ويجوزُه من لا علم له بقدر زيد عند النبي صلى الله  
عليه . أو ما علمت أنَّ زيدا أحدُ من روى النَّاس عنه ونقلوا أنَّه كان  
١٠ أقدم النَّاس إسلاما . وقد دلَّلنا على فضيلة إسلامه على إسلام عليٍّ  
في صدر كتابنا ، في كلام المنيّة<sup>(٢)</sup> .

وقد بلغ من قدره عند النبي صلى الله عليه وآله عليه وتفضيله إيَّاه أنَّه لم يكن  
في سرِّه قط إلّا كان أميرها ، ولا أقام يبلد إلّا وهو أميرها .  
ويدلُّك على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله عليه أمره على جعفر الطيّار ،  
١٥ وعقد له يوم مؤنة ، ثم عقد لابنه أسامة عن كبار المهاجرين والأنصار ،  
منهم عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد  
ابن أبي وقاص . حتّى قال رجال من المهاجرين — وكان أشدهم في ذلك  
عياش بن أبي ربيعة<sup>(٣)</sup> — : يولى علينا هذا النمام ! فنضب عمر وردّ

(١) في الأصل : « ولم » .

٢٠ (٢) انظر ما سبق في ص ٢٢ - ٢٤ .

(٣) في الأصل : « عباس بن أبي ربيعة » تحريف . الإصابة ٦١١٨ وإتمام الأسماع

٥٣٧ وفتح الباري ٧ : ٦٩ / ٨ : ١١٥ - ١١٦ .



عليهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ  
من رجالٍ يقولون كذا وكذا ؟ ! فثنى النبي صلى الله عليه إلى النبر  
في شكاته التي تُوقى فيها فقال :

مامقالةً بلفتني عن بَمُضْكِمْ في أَسَامَةِ وَتَأْمِيرِهِ ؟ ! ولئن طعنتم في إمارته  
لقد طعنتم في إمارَةِ أَبِيهِ . وإيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ ابْنَهُ  
خَلِيقًا لَهَا ، وَإِنْ كَانَ لَيْنُ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَابْنَهُ لَيْنُ أَحَبِّ  
النَّاسِ إِلَيَّ .

فهو الْحَبُّ وَأَبُو الْحَبِّ ، وهكذا يقال بالدينَةِ : أَسَامَةُ الْحَبِّ .  
ولذلك قال مُرُّ لابنه عبد الله حين زَادَ في فريضة أَسَامَةَ على فريضته ،  
فقال له عبد الله : لِمَ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وَنَحْنُ سَيَّانٍ ؟ فقال مر : إِنْ أَبَاهُ ١٠  
كَانَ أَحَبُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيكَ ، وَكَانَ هُوَ أَحَبُّ إِلَى النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْكَ .

وقالت عائشةُ عند وفاة النبي صلى الله عليه : لو كان زيدٌ حياً  
لاستخلفه النبي صلى الله عليه عليكم .

٥١ هذا وأبوها الخليفةُ والمجولُ إليه الإمامة .

ومما يدلُّك على فضيلةِ أَبِي بَكْرٍ ومكانته وخاصته من النبي صلى الله  
عليه وسلم وَعِظَمُ شأنِهِ عنده ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [لَنَا] أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ أَخَى بَيْنِهِ وَبَيْنَ حِزَّةٍ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حِزَّةُ يَوْمِ أُحُدٍ . وقد  
تملّون أَنَّ حِزَّةَ اسْتَشْهِدَ وهو أَجَلُ النَّاسِ في صدورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعْظَمُ  
في أَنْفُسِ الْمُهَاجِرِينَ . وَإِنْ أَرَأَى يَكُونُ كَهَاتَا لِحِزَّةٍ فِي الْإِخَاءِ ، وَحِزَّةُ عَلَى ٢٠  
مَا وَسَّغْنَا ، لَمَظِيمُ الشَّانِ ، وَفِيمَ الْمَكَانِ .

ولو لم يُعرف من قدره إلا أن ذكره الله باسمه في كتابه ، كما ذكر لقمان ، ولم يفعل هذا لغيره من هذه الأمة ، لقد كان ذلك دليلاً على المنزلة والقربة ، فكيف يجوز أن يكون في الحديث : « اللهم عارِ مَنْ عاداه ووال من والاه » وحال زيد وصفته على ما ذكرنا وفسرنا ؟ مع أن اللفظ في الحديث لو كان : اللهم عارِ مَنْ عاداه ووال من والاه ، لم يكن فيه دلالة تضطرُّ إلى إمامته ، وحجةٌ قهر العقول وتحملها على معرفة خاصته ، ولكنه لفظ يدلُّ على الفضل والقدر ، وليس بالتفضيل الذي لا يمدُّه ، والتقديم الذي لا فوقه .

وإنما الكلام الذي لا يمدُّه قول النبي صلى الله عليه : « ما أحدٌ آمنَ علينا بسجته من أبي بكر » ، وقوله : « لو كنتُ متخذاً خليلاً لا تتخذتُ أبا بكر خليلاً » ، وقوله : « أبو بكرٍ وعمر سيدا كهولِ أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين » .

فإذا كان هذا الحديثُ مختلفاً في أصله وفي صحةٍ مخرجه ، ومختلفاً في تأويله وفرعه ، والحجةُ في أصله متدافعة ، والحجةُ في فرعه متكافئة ، فكيف يكون جحدٌ على إمامته واستحقاقه وفضيلته على نظرائه .

ولو كان هذا الحديثُ مجتمعاً على أصله وصحةٍ مخرجه ، ثم كان لفظه محتملاً لضروب التأويل ، ما كان للرافض فيه حجةٌ تقطع الخصم ، وتظهر المبائة .

ولو كان هذا الحديث مجتمعاً على أصله وصحةٍ مخرجه وكان لا يحتمل من التأويل إلا معنى واحداً ما اختلفت في تأويله العلماء ، ولا اضطربت فيه الفقهاء ، ولكن ذلك ظاهراً لكلِّ مَنْ صحَّ لُبُّه ، وحسن بيانه ،

ولا سيما إذا كان الحديث ليس مُفَصِّحاً عن نفسه ، ومعرباً عن تأويله ، إلا عن قصد الرسول وإرادته لأن يكفهم مؤونة الرواية والأسباب المشككة فينبني على هذا القياس أن يكون علماء الثمانية وقهاء الرُّجعة تَعرِف من ذلك ما تعرف الرُّوافض ، ولكنها تجحد ما تعرف ، وتتكبر ما تعلم .

- ولو كان هذا الحديثُ مجتمعا على أصله ولكنه غامضُ التأويل ، ٥ وعويصُ المعنى ، لا يكاد يُدرَكُ إلاّ الراسخُ في العلم ، البارِعُ في حُسن الاستخراج ، كان المُنفرد في جهل إمامته وفضيلته على غيره واسماً مبسوطاً لأكثر المسلمين ، وجُلُّ الناقلين ، وليكبراء المتكلمين .

- وإنما صارت الرُّوافض إلى إكفار الأنصار والمهاجرين ، بزعمهم <sup>(١)</sup> أن النبي صلى الله عليه نصّ على إمامته ، ودلّ على فضيلته ، فإنه لا بدّ للناس في كلّ عصرٍ من إمام من ولده ، لأنّ ذلك الموضع إذا كان مضمناً ومتمكناً كان أخفّ على الناس في المحنة ، وأبعد من الخطأ والزلّال ، ولأنّ اختيار الله لهم لأنفسهم ، لأنه لو كان ذلك لا يكون إلا بالنظر دون النصّ لم يصلوا إلى إمامته ، لكثرة عدد الناس ، ولكثرة عدد الفضل ، ولما في ذلك من الإشكال عند الموازنة ، والشغل عن المدوّ . ١٥

فإذا كان السببُ في الإمامة <sup>(٢)</sup> هو الذي قالوا ، فلا بدّ من حديثٍ لا يحتمل التأويل ، ولا يمنع من معرفة سحّة أصله وصِدق نَحْرجه .

فإن قالوا : فإننا سنأتيكم بمثل اللفظ الذي أتيتمونا به حتّى لا يكون نَفْظٌ أدلّ على الناية منه . من ذلك قولُ النبي صلى الله عليه عند طائري <sup>(٣)</sup>

(١) في الأصل : « وهو » . (٢) في الأصل : « وزعمهم » . ٢٠

(٣) انظر ما سبق في ص ١٣٤ س ٩ - ١٠ .

أَتَى بِهِ فَأَرَادَ أَكْلَهُ فَأَحْبَبَ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي أَكْلِهِ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ  
 فَقَالَ : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ يَا أَكْلُ مَعِيَ هَذَا الطَّائِرُ »  
 ثُمَّ قَالَ لَأَنْسَ : أَخْرُجْ فَانْظُرْ مَنْ تَرَى بِالْبَابِ ؟ فَخَرَجَ فَوَجَدَ عَلَيْهِ فُلْمَ  
 يَأْذَنُ لَهُ ، وَلَمْ يُعْلَمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَكُونُ أَنْصَارِيًّا .  
 فَعَمِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يَحْبِبُهُ أَنْسُ ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ ،  
 فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ : « اللَّهُمَّ وَالْ (١) » .

قِيلَ لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ سَاقَطٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ،  
 وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا عِنْدَهُمْ فَلَمْ يَجِبْ إِلَّا مِنْ قَبْلِ أَنْسٍ فَقَطْ ، وَأَنْسٌ وَحْدَهُ  
 لَيْسَ بِحُجَّةٍ ، فَلَمْ (٢) يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ وَلَا مُتَكَلِّمٌ .

١٠. وَثَانِيَةٌ : إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ إِلَّا يَحْتَجُّ بِخَبَرِ أَنْسٍ لِأَنَّهُمْ مَشْتَرِ الشَّيْمِ ،  
 لِأَنَّ أَنْسًا عِنْدَكُمْ كَافِرٌ كَذَّابٌ .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ سُوءِ قَوْلِكُمْ فِيهِ أَنْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ كَذَّبَ عَلَى عَلِيٍّ ،  
 كَذَبَهُ وَبَهْتَهُ بِأَمْرِ ، فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصَقَ فِي وَجْهِهِ فَبَرَصَ مِنْ قَرْنِهِ  
 إِلَى قَدَمِهِ . وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَهُ بِمَلَّةِ الْحِجَّاجِ ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ  
 ١٥ أَكْفَرُ بِاللَّهِ وَلَا أَجَدُّ لِإِمَامَةِ عَلِيٍّ وَلَا أَقْضَى لِأَمْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ لِشَيْعَتِهِ  
 مِنَ الْحِجَّاجِ وَلَا مِنْ وَلَا ، وَأَنْ مَنْ وَلِيَ لَهَا فِي طَرَفَيْهَا وَحَكَمَهَا .

وَأُخْرَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ كَمَا يَقُولُونَ وَقَدْ صَدَّقْتُمْ عَلَى أَنْسٍ ،  
 فَقَدْ زَعَمَ أَنْسُ بِزَعْمِكُمْ أَنَّهُ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَقَدْ أَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَبِهُهُ ،

(١) كَذَا وَرَدَ الْحَدِيثُ مَبْتُورًا فِي الْأَصْلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ » .

فأَجَبَ لشهوته له أن يَشْرَكَه فيه أَشْبَهُ النَّاسِ به فدعا ربَّه ؛ وأَنَّهُ  
إِذْ دعا ربه ثلاثَ مرَّاتٍ كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَجِيبُ له ، وكلَّ ذَلِكَ يراه أَنَسُ  
ويَكْذِبُ له ويَصُدُّه عن حاجته ، ويمَنِّعُه سرعةَ الاستجابة ، وتمَجِّيلَ  
قضاء الحاجة ، وتسويِفَه أَكْلَ المُشْتَهَى من طعامه . كُلَّمَا دعا دَعْوَةً قَالَ  
أَخْرَجْ يَا أَنَسُ فَاَنْظُرْ مَنْ بِالْبَابِ ، ثَقَّةٌ مِنْهُ رَبِّي ، وَأَتَّكِلَا عَلَى الَّذِي ٥  
عِنْدَهُ له ، و يرجع وقد كَثَمَهُ وَحْجَتُهُ عَنْهُ ، وَمَنَعَهُ سرور تمجيل الدُّعَاءِ ،  
وَأَكَلَ شَهْيُ النَّدَاءِ .

فَإِذَا كَانَ أَنَسُ كما يقولون فقد رَكِبَ أَمْرًا عَظِيمًا ، وَذَهَبَ مَذْهَبًا قَبِيحًا .  
وكَيْفَ يَصْدُقُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ خُلِقَ هَهُنَا<sup>(١)</sup> ، وَكَذَبَهُ فِي وَجْهِهِ  
ثُمَّ لَا تَمْنَعُهُ الْأَوَّلَى مِنَ الثَّانِيَةِ ، وَالثَّانِيَةُ مِنَ الثَّلَاثَةِ . هَذَا وَالْوَحْيُ يُنْزِلُ ١٥  
بِأَسْرَعٍ مِنَ الطُّرْفِ بَلَمَنْ قَوْمٍ وَمَدَحَ آخَرِينَ .

وَأَنَّ أَمْرًا احْتَمَلَتْ نَفْسُهُ وَشَاعَ فِي طَبِيعِهِ أَنْ يُوَاجِهَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
بِالْكُذْبِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي أَحَبِّ النَّاسِ وَأَوْجِبِهِمْ حَقًّا عَلَيْهِ ، لِحُرْيٍّ أَلَّا يَصْدُقَ  
عَلَيْهِ . فِي مُعْظَمِ أَمْرِ الدِّينِ ، مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ نَفْسَهُ هُوَ أَضَعُفُ حَدِيثِ عِنْدِ  
أَحْبَابِ الْأَثَرِ مِنْ<sup>(٢)</sup> أَنْ يَحْجُجَنَا إِلَى الْإِطْنَابِ فِيهِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ . ١٥  
وَمَتَى ادَّعَيْنَا ضَعْفَ حَدِيثٍ وَفَسَادَهُ فَاتَّهَمْتُمْ رَأَيْنَا ، وَخِفْتُمْ مِثْلَنَا  
أَوْ غَلَطْنَا فَاعْتَرَضُوا مَحَالَّ الْحَدِيثِ وَأَحْبَابِ الْأَثَرِ ، فَإِنَّ عِنْدَهُمُ الشَّفَاءَ فِيهَا  
تَنَازَعْنَا فِيهِ ، وَالْمَلَمَّ بِمَا التَّبَسَّ عَلَيْنَا مِنْهُ .

(١) كَذَا فِي الْأَسْل - وَلَهُ وَجْه .

(٢) كَذَا وَرَدَ الْأَسْلُوبُ ، وَفِيهِ اسْتِهَالٌ « مِنَ التَّضْعِيفَةِ » مَعَ أَضَلِّ التَّغْضِيلِ الْمُضَافِ ، ٢٠  
كَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْحَطِيمِ :

نَحْنُ بَنُو الْوَدَى أَعْلَنَّا مَنَا بِرُكْنِ الْمِيَادِ فِي السَّدِّ

وقد أنصف كلَّ الإنصاف مَنْ دعاكم إلى القَنع مع قُرب داره  
وقلَّة جَوْرِهِ وأصحاب الأثر من شأنهم رواية كلِّ ما سَمِعَ عندهم ، عليهم  
كان أولُهُمْ . مع أنَّ هذا الأمر ليس يُعرَف من قِبَل الحديث ، وإنَّما  
يُعرف من الوجه الذي به يُقَضَّى على جميع الدِّين .

٥ وإنَّما احتجنا عليكم في أنسِ بالذي سمعتم ، لأنَّنا وجدناكم تكفُّرونه  
حتَّى إذا جرى سببٌ يؤكِّد ما يقولون جعلتم كفرَهُ إيماناً ، وكذبَهُ  
تصديقاً ، وعداوتَهُ ولايةً . ثُمَّ لم تَرْضَوْا بأنَّ المُقْتَمَوْه بالأولياء وأخرجتموه  
من حدود الأعداء ، حتَّى أقمتم خبره وحده مقامَ خبرٍ من يكذبُ  
آبَاءَهُ<sup>(١)</sup> به ، أو مقامَ خبرٍ يمتنع الكذب في مجيئه لاختلاف عللِ أهله .  
١٠ فأمَّا نحنُ فإنَّنا نرى أنَّه رجلٌ عظيمُ الحرمة واجبُ الحقِّ<sup>(٢)</sup> ،  
إذْ كان قد خدَم النبي صلى الله عليه صغيراً واعتمَص به كبيراً ، وكان  
من رهطِ صدِّق .

وأمَّا ما حكيتُم من ولايته للحجَّاج فقد وَلِيَ للحجَّاج وسلَّى خلفه  
مَنْ كان يرى إكفارَهُ فضلاً عن مَنْ يرى تفسيقَهُ ، وفي البراءة منه وفي  
١٥ التَّقيَّة سَمَةً ، وفي الخوف عُذْر .

فأمَّا الذي حكيتُم من البياض الذي أسابه فإنَّ المؤمنَ بمرَضِ مصائبِ  
ما كان في دار الدنيا . وما كان الذي أسابه في جنبِ الذي كان فيه أيوبُ  
النبي صلى الله عليه ؟ ! وقد كان شُعبٌ مكفوفاً !

ولو كان عليٌّ كما يقولون فأرادَ أنَّه كان إذا بَسَقَ على إنسانٍ فأرادَ

(١) في الأصل : « مقام حزين طوب الله » .

(٢) في الأصل : « فاحب الحق » .

أَنْ يَرِصَ بِرِصَ ، كَمَا كَانَ يَنْتَهِي وَيُنِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَقَ .

وَالْمَجْبُوبُ إِنْ كَانَ كَمَا تَزْعُمُونَ ، كَيْفَ لَمْ يَبْصُقْ عَلَى أَبِي مُوسَى فَيَجْذِمَهُ ، أَوْ عَلَى جَيْشِ صَفِيْنٍ فِيهِزَمَهُ ؟ بَلْ كَانَ عَلَى أَظْهَرِ سَلَمًا ، وَأَرْجَحَ حِلْمًا وَأَشَدَّ وَرَعًا ، وَأَكْثَرَ قَهْمًا ، وَأَبْيَنَ فَضْلًا ، مِنْ أَنْ يَدَّعَى هَذَا وَشِبْهَهُ .

وَلَيْسَ بِمَدْحٍ عَلِيًّا بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا هَازِلٌ أَوْ جَاهِلٌ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَنْتَ مَتَى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وَإِنْ (١) النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّ عَلِيًّا وَصِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ ، فَإِنَّا سَنَقُولُ فِي ذَلِكَ ، وَبِاللَّهِ وَحْدَهُ نَسْتَعِينُ .

نَقُولُ : إِنْ خِلَافَةُ الرَّجُلِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي حَيَاةِ السِّتْخَافِ وَإِمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ، فِي كَثْرَةِ مَا غَزَا ، وَكَثْرَةِ مَا وُلِّيَ .

قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَلَفَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ . وَقَالَ قَوْمٌ : السِّتْخَافُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ . وَهُمْ إِنْ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مَقِيمًا بِالْمَدِينَةِ وَالْأَمِيرُ غَيْرُهُ ، وَالْإِمَامُ سِوَاهُ .

ولولا أنَّ خلفاء النبي صلى الله عليه في غزواته يُصاب عليهم <sup>(١)</sup> بكلِّ مكان ، وفي كلِّ سيرة ، لقد كتبته لك في كتابي الذي رَدَدْتُ فيه على مَنْ سَفَرٌ قَدَرَ الإمامة وزعم أنَّها غير واجبة ، وأنها تَصْلُحُ في العدد الكثير . وأمَّا غير ذلك من كتبِي فلم أَتَحِلَّ فيه قولي ، وجعلتُ الكتاب هو الذي عَبَّرَ عن نفسه ، وقتُ مقامِ جميعِ الخصوم ، وجعلتُ نفسِي عَدَلًا بينهم . ولو لم أكن على ثقةٍ من ظهور الحقِّ على الباطل لم أَسْتَحِلَّ كتمانَهُ مع زوالِ التَّيقُّنِ ، وصلاحِ الدهر ، وإنصافِ القِيَمِ .

ثمَّ رجعتُ إلى كلامنا الأوَّلِ فقلنا : لا يَدُ خِلافةِ الرَّجُلِ من إحدى منزلتين : إمَّا في الحياة أو بعد الموت : فأَمَّا في الحياة فلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فِي حَيَاتِهِ . وليس يَضَعُ ذَلِكَ مَنْ عَلِيَ ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ الَّذِينَ هُمَا عِنْدُنَا أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْهُ لَمْ يَسْتَخْلِفْهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَطُّ فِي حَيَاتِهِ . أو تَكُونُ الْخِلافةُ بَعْدَ الْمَوْتِ فلا يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنَى بِقَوْلِهِ « أَنْتَ مَعِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » الْخِلافةَ لِعَلِيٍّ بِمَعْنَى الَّذِي قَدْ عُلِمَ أَنَّ هَارُونَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ مُوسَى : لِأَنَّ هَارُونَ وَمُوسَى وَأَمَّهُمَا مَاتُوا جَمِيعًا فِي شَهْرِ وَاحِدٍ ، وَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ آخِرَهُمْ مَوْتًا . وَلِذَلِكَ قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : أَنْتَ قَتَلْتَ هَارُونَ <sup>(٢)</sup> .

فإن قالوا : ومن يقول : إِنَّ هَارُونَ مَاتَ قَبْلَ مُوسَى ؟  
قيل لهم : إِنَّ شَتْمَ فَاعْتَرَضُوا أَصْحَابَ التفسيرِ والسِّيرة ، وَالتَّمَسُّوا عِلْمَ

(١) أي يوقع عليهم . وفي اللسان : « سابوا بهم » وقروا بهم \*  
(٢) انظر كامل ابن الأثير ١ : ١١١ فيه قصة وفاة هارون . وانظر كذلك سفر العدد



ذلك من قِبل أصحاب ابن عباس ، وإن شئتم فأهل الكتاب يهودهم  
ونصاراهم الذين ليس لهم في ذلك دَفْعُ مَضَرَّةٍ ولا اجتلابُ منفعة ، ولو  
آثَرُوا أن يمجِّدوا ما عَرَفُوا ، وأن يُطبِّقُوا على إنكار ما علوا ، وكان  
ذلك ممكناً في القُدرة ، سائناً جائزاً ، لجحدوا أن بني إسرائيل أخذت  
موسى بقتل هارون تمناً وبنيّاً ، أو غلطاً أو جهلاً .

وهذا مشهورٌ عند أهل الكتاب وأهل التفسير .  
وليس أحدٌ أحقَّ بأن يُصيب في الأمثال إذا ضَرَبَهَا ، ولا أولى بمُحَسِّن  
التشبيه إذا شَبَّه ، من خيرة الله وسَفْوَةٍ من رسله ، فكيف يجوزُ أن يقول  
النبي صلى الله عليه لمي : « أنت متي بمنزلة هارون من موسى » وهو  
يريد الخلافة ، وهارون لم يكن من موسى خليفةً من بعد موته ، ولم يكن  
عليّ خليفة النبي صلى الله عليه في حياته . ففي أيّ المزلتين وعلى أية  
الحالين يكون عليّ خليفةً إذ لم يكن استخلفه النبي <sup>(١)</sup> أيام حياته . بل  
كيف يجمعه من نفسه بمنزلة هارون من موسى وهو يريد الخلافة من  
بعده ، وهارون لم يكن خليفة موسى بعده .

ولا بدّ للحدِيث مع سوء تأويلكم واضطراب حُجَّتكم من ضربين :  
إمّا أن يكون باطلاً لم يتكلّم به النبي صلى الله عليه . وإمّا أن  
يكون حقّاً ومعناه غير ما قلتم ، وتفسيره غير ما ادّعيتم .  
ولو أن النبي صلى الله عليه أراد أن يحمل عليّاً خليفةً من بعده إذ لم  
يكن جملة خليفة أيام حياته ، قال <sup>(٢)</sup> : أنت متي بمنزلة يوشع بن نون

٢٠ (١) في الأصل : « استخلفه موسى » ، وكلمة « موسى » مضافة .

(٢) في الأصل : « فقال » .

إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، لِأَنَّ يَوْشَعَ كَانَ خَلِيفَةً مُوسَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
بَعْدَهُ ، وَكَانَ نَبِيًّا قَبْلَ مَوْتِ مُوسَى وَبَعْدَهُ .  
فَإِنْ قَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَقْصِدْ إِلَى الْخِلَافَةِ وَلَمْ يُرِدْ  
الْإِمَامَةَ ، وَلَكِنَّهُ عَنِ الْوِزَارَةِ .

٥ قلنا : إِنَّ وِزَارَةَ هَارُونَ مِنْ مُوسَى لَا بَدْءَ فِيهَا مِنْ أَحَدٍ أُخْرَيْنَ :  
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُوسَى هُوَ جَمِلُ لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةٍ مَا يَتَّخِذُ  
الْإِمَامُ وَزِيرًا وَاللَّهُ وَزِيرًا عَلَى مَعْنَى الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثِّقَةِ .  
أَوْ يَكُونَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةِ الْمُوَازَرَةِ وَالْمُكَاتَفَةِ وَالتَّعَاوُنِ ، عَلَى أَنَّ  
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَزِيرُ صَاحِبِهِ وَمَعَاوُنُهُ وَمُكَاتِفُهُ ، إِذَا غَابَ عَنْ قَوْمِهِ  
١٠ كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ ، لَا عَلَى أَنَّ مُوسَى الْجَاعِلُ ذَلِكَ لَهُ .

وَلَا مَنْزِلَةٌ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي جِهَةِ الْخِلَافَةِ  
وَالْوِزَارَةِ ، لِأَنَّ نَبُوَّةَ هَارُونَ لَا تَكُونُ مِنْ قِبَلِ مُوسَى ، وَالنَّبُوَّةُ  
لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ اللَّهِ .

وَلَيْسَ يَخْلُو قَوْلُ مُوسَى لِهَارُونَ : « اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » عَنْ ضَرِيرَيْنِ :  
١٥ إِمَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ جَمِلُهُ خَلِيفَتَهُ عَلَى جِهَةِ الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثِّقَةِ بِهِ ،  
وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلِيفَتَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا غَابَ عَنْ  
قَوْمِهِ كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ .

فَإِنْ كَانَتْ وِزَارَةُ هَارُونَ وَخِلَافَتُهُ لِمُوسَى إِمَّا كَانَتْ مَنْزِلَتَيْنِ أُتْرَفَ فِيهِمَا  
مُوسَى ، وَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةٌ غَيْرُهُمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ  
٢٠ عَلَيْهِ : « أَنْتَ مَتَى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » فَكَأَنَّمَا قَالَ : لَكَ خِلَافَتِي

ووزارتي<sup>(١)</sup> ، فكيف يقول : إَلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . والنبوةُ منزلةٌ من الله لهارون وليست منزلةً لهارون من موسى . فإذا كان ذلك كذلك فكيف يستثنى الحكيم المرشد الشيء من [غير] شكله ؟ وهل يكون بعض من غير كلِّه ؟

- وكيف يقول : قد جعلتك خليفتي ووزيراً ، إَلَّا أَنِّي لَمْ أَجْعَلْكَ نَبِيًّا مثلي ، ومنزلةُ النبوةِ ليست إليه كما كانت منزلةُ الخلافةِ والوزارةِ إليه . وإنما قوله : « أَنْتَ مَنِي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » يريد به : إِنْ لَكَ مَنِي مِثْلَ الَّذِي كَانَ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وهو الخلافةُ والوزارةُ . فكيف يقول : « إَلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » فيستثنى ما لَا يملكه وَلَا يجوزُ أَنْ يملكه ، مما قد ملكه ويجوزُ أَنْ يملكه مَنْ هُوَ دُونَهُ مِنْ خَلْفَائِهِ وَمِنْ خَلَفَاءِ خَلْفَائِهِ .

- أو يكون هارون كان وزيرَ موسى على جهةِ المؤازرةِ والمعاونةِ ، وعلى أَنْ يكونَ كلُّ واحدٍ منهما وزيرَ صاحبه وخليفته عند النبيةِ وحضور الآخر ، ليس أَنَّهُ قَدْ كَانَ خَلِيفَةً وَوَزِيرًا . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةٌ مِنَ الْوِزَارَةِ وَالْخِلَافَةِ إِلَّا وَلِمُوسَى مِنْ هَارُونَ مِثْلُهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةٌ إِلَّا وَلِمُوسَى مِثْلُهَا مِنْ هَارُونَ . وكيف يجوزُ أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِمُوسَى وَمَنْزِلَةُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ مِنْ

(١) فِي الْأَسْلَ : « فَإِنَّمَا هَؤُلَاءِ ذَلِكَ خِلَافَتِي وَوِزَارَتِي » .

النبي ، والشكل من الشكل ، والمثل من المثل ، وهي نزلة من الله كما أن نبوة موسى منزلة من الله ١٩

وكيف يقول : إلا أنه لا نبي بعدي ، وسبيل النبوة سبيل منزلة هارون من موسى على ما حكيناه من التماون والتآزر ٢٠

وإذا كان هذا الحديث لو صح في أصله وأول مخرجه ، وسلم من الزيادة والنقصان وجاء بحجج الحجة ، لم يقدر القوم على أن يحملوه دليلاً موجباً وشاهداً صادقاً على<sup>(١)</sup> خلافته وإمامته دون غيره ؛ فإظنك به إن كان قد دخله من الغلل والتعمف والاحتمال في الفساد ما يوجب تكذيبه وردّه .

١٠ وأقل ما للمثانية في هذا الحديث أن يساؤوكم في تأويلكم ، وفي ذلك الخلاف بطلان حجتكم .

وقد زعم ناس من المثانية أن هذا الحديث باطل من أجل أنه لا يحتمل من التأويل إلا ما حكيت لك ، وأن النبي صلى الله عليه لا يعلن ولا يظهر غير ما يُضمر ، ولا يتكلم بالفاقد ، ولا يستكره المانع ، ولا يتكلم بالمتعمد<sup>(٢)</sup> ، ولا يضرب مثلاً ولا يشبه شيئاً بشيء إلا وذلك الشيء وفق ما قال ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

ووجه آخر : أن هذا الحديث لم يُرو إلا عن عامر بن سعد<sup>(٣)</sup> . فواحدة إن عامر بن سعد هذا لو كان بالفقه والحديث والفضل معروفاً

(١) في الأصل : « وعلى » .

(٢) يقال عقد كلامه تعقيداً : عوصه وعماه .

(٣) عامر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعي ثقة توفي سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

وكان كُتَّالُه من بني الصحابة كعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup> وغيرهم ، ما كان ليكون وحده حجة في تأخير أبي بكر عن مقامه ، فكيف وهو في غير سيلهم وطريقهم. ولو سمعنا هذا الخبر من سعيد وحده ما كان إلا حجة على نفسه كالحجة على علي في روايته أن النبي صلى الله عليه قال في أبي بكر ٥ وعمر : « هذان سيدا كهول أهل الجنة » .

وكيف يروى هذا سمع مع قوله في الإمامة : « ما أنا بقاضي هذا أحق مني بها » وهو يدعو علياً إلى الشورى والخلافة والمكانة بالمعاصن ، ويقول : « أعيدوها شورى كما كانت » ، ويصيب علياً بالاستبداد ، ويقول : « كنتُ سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه ، ١٠ ما لنا طمام إلا ورق الشجر » ، ثم جاءني أعرابي يعلمني دين الله ، ما أنا بقاضي هذا بأحق مني بها » .

وإنما نقر بأنه كان سابع سبعة على علي لأن علياً لم يكن فيهم عنده ، وكان إما حدثاً صغيراً وإما على أمر غير ذلك .  
وسعد بن العشرة ، ومن الستة ، ومن السبعة<sup>(٢)</sup> ، والمستجاب ١٥

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . تهذيب التهذيب ١٢ : ١١٥ — ١١٨ .

(٢) أي العشرة المبشرين بالجنة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح . وفي شأنهم ألف أبو الطيب كتابه « الرضا النضر » في مناقب الصفة . ٣٠ وأما الستة فهم أهل الشورى ، الذين اختارهم عمر بعد أن طعن لاختاروا من بينهم رجلاً للخلافة ، وهم علي ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وطلحة . ثم ضم إليهم عبد الرحمن بن عمر سابقاً على ألا يكون له شيء من الأمر . الطبري —

الدَّعْوَةُ . وقال له النبي صلى الله عليه : « ارمِ فِدَاكَ أَبِى وَأُمِّى » .  
ومن كان لهذه الأمور مستحقاً لم يجمع بين طلبِ غَايَةِ رجلٍ ومكافئته  
بالحاسن وهو مُقرٌّ أنَّ النبي صلى الله عليه جَسَلَ خصمه منه بمنزلة  
هارون من موسى ، إِلَّا أَن يكون تأويلُ الحديث عند سعدٍ وعند من  
شهد سعداً على غير معناكم .

وحديثُ عامرٍ على غير ما يروون ، وإنَّما قال : « أَنْتَ مَعِىَ بِمَنْزِلَةِ  
هارون من موسى ، إِلَّا أَنَّهُ ليس مَعِىَ نَبِىٌّ » ، هكذا رَوَّوه عن عامر  
ابنِ سَعْدٍ على غير معناكم .

وفى قول النبي صلى الله عليه : « هَذَا خَالِى أَبِىهِ بِهِ فُلْيَاتُ كُلِّ  
أَمْرِى بِجَاهِهِ » <sup>(١)</sup> تفضيل له على كُلِّ خَالٍ فى الأرض ، وقد كان على خَالِ  
جمعة بنِ هُبَيْرَةَ . ولم يستثنِ أحداً .

فإنَّ قَالُوا : الدليل على ما قلنا أَنَّ النبي صلى الله عليه لَمَّا آخَى بين  
المهاجرين والأنصار آخَى بينه وبينه ، فلولاً أَنَّهُ كان أشبهَ الناس به  
هدياً ، وعلماً وفضلاً ، لم يجعله عِدْلَ نفسه دونَ غيره .

قيل لهم : أَنْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِالْأَثَرِ وَلَا بِالْخَبَرِ . وكيف يعرف الآثار  
والأخبار من يكفِّرُ الأَسْلَافَ ، وَيَرَأى مِنَ التَّائِبِينَ ، وَيَجِدُ كُلَّ مَالٍ

— ٥ : ٣٤ - ٣٥ . وأما البيعة فهم السابقون إلى الإسلام من الرجال : زيد بن حارثة ،  
وأبو بكر ، وعثمان ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة .  
الرياض النضرة ٢ : ٢٩٢ وعيون الآثار ١ : ٩٣ - ٩٥ .

٣٠ . (١) يقول هذا فى شأنِ سعد بنِ أبى وقاص . الإصابة وصفة المصنوعة ١ : ١٤٠ ،  
والرياض النضرة ٢ : ٢٩٦ . قال أبو الطيب : « وكان سعد من بنى زهرة ، وأم النبي صلى  
الله عليه وسلم من بنى زهرة ، فذلك قال : خَالِ » .

يوافق هواء ، ويدعى ماوافق هواء وإن كان باطلا ، بل لا يرعى حتى  
يقول الزور ويولد الباطل .

وليس شيء أيسر من أن يقول قاتل : إن النبي صلى الله عليه وآله  
آخى بين أصحابه آخى بين نفسه وبين أبي بكر . ولكن الحق أحق  
ماخضع له واحتمل ما فيه . وهذه الفقهاء وأصحاب الآثار عرضة لكم ،  
فإن لم يقولوا إن النبي صلى الله عليه وآله آخى بين المهاجرين والأنصار •  
آخى بين عليّ وسهل بن حنيف فنحن أولى بمحمد المروف منكم .  
وقد قال الله : « فاسألوا أهلَ الدِّكر إن كنتم لا تعلمون <sup>(١)</sup> » .

وأنتم لستم <sup>(٢)</sup> أصحاب آثار ، فاسألوا أصحاب الآثار إن كنتم لا تعلمون ؛  
فإن ذلك أمرٌ مشهور لا خفاء به ، ولا دافع له ، أعني المؤاخاة بين  
عليّ وسهل بن حنيف .

ولتلق عليّ به استعمله على المدينة حين خرج عنها . ومن أجل  
سهل بن حنيف امتنع الزبير وطلحة أن يركبوا عثمان بن حنيف وإلي  
عليّ على البصرة بأكثر مما كانوا ركبوه به . ولذلك السبب صلى  
أبو أمامة بن سهل بن حنيف بالناس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ١٥  
وعثمان محاصر ، لرأي عليّ كان في ذلك ، ولتلبته على الدار ، وأنه  
كان يطاع بأكثر من طاعة الزبير وطلحة وسعد

وإنما آخى النبي صلى الله عليه وآله بينه وبين سهل بن حنيف الأنصارى  
كما كان آخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت <sup>(٣)</sup> . ولذلك قال

٢٠

(١) الآية ٣ ، من سورة النحل .

(٢) في الأصل : « ليس » .

(٣) هو أخو حسان بن ثابت .

حَسَّانَ يَحْمَى دُونَهُ وَيَنْصُرُهُ بِالْكَلَامِ وَالشَّعْرِ ، وَيُظْهِرُ اللَّيْلَ عَلَى عَلِيٍّ  
حِينَ قَالَ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَانَا<sup>(١)</sup>  
لَنَسْمَعَنَّ وَشَيْكَاً فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُمَانَا  
٥ وَلَقَدْ قَالَ فِي كَلَامِهِ لَهُ وَهُوَ يَتَمَدَّدُ رَأْيَ عَلِيٍّ وَاخْتِيَارَهُ : تَمَكَّلْتُ أَمْ تَزَالُ  
حَرْبُ لِقَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كِفَافًا ، وَسَمِعْتُ أَمْ تَزَالُ رَأْيَ لِقَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ  
سَهْوًا . فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ ، وَشَعْرٍ كَثِيرٍ .

وَكَا آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ ، وَابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
ابْنَ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ ، وَابْنَ حُدَيْفَةَ وَغَمَّارَ<sup>(٢)</sup> ، وَابْنَ سَهْمَةَ وَزَيْدَ<sup>(٣)</sup> ،  
١٠ وَابْنَ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرَ

فَإِنْ قَالُوا : فَلِمَ آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَ عَلِيٍّ وَابْنَ نَفْسِهِ ، وَابْنَ  
عَلِيٍّ وَابْنَ سَهْلَ بْنَ خُثَيْفٍ ، وَهَذَا مَا لَا يَتَدَافَعُ ، كَمَا كَانَ يُؤَاخِي ابْنَ الرَّجُلِ  
الْمُهَاجِرِيَّ وَابْنَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا آخَى ابْنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضُهُمْ  
فِي بَمْعٍ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ نَصِيرَ<sup>(٤)</sup> الْمُوَاخَاةِ بَيْنَهُ وَابْنَ اثْنَيْنِ :  
١٥ مُهَاجِرِيَّ وَأَنْصَارِيَّ .

قُلْنَا لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ<sup>(٥)</sup> لَمْ نَجِدْ لِقَوْلِكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِسْنَادًا يَتَّقِي بِهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ مَضَلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ جَاءَ عَمْرٍأَ

(١) ديوان حسان ٤١٠ .

(٢) حذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر .

(٣) زيد بن حارثة . حيون الأثر ١ : ٢٠١ .

(٤) في الأصل : « نصير » .

(٥) في الأصل : « فإننا » .



الحديث . ولو كان النبي عليه السلام حيث آخى بين المهاجرين ولم يرضَ لعلَّ إلا بنفسه لفضل على علي غيره . وأنه أشبه الأُمّة به وأقربهم حالاً من حاله ، ثم آثر أن يُواخى بينه وبين رجلٍ من الأنصار كفعله بغيره من المهاجرين - كان ينبغي له أن يُواخى بينه وبين أفضل الأنصار ؛ إذ كان الذي ينعّمه من أن يُواخى بينه وبين بعض المهاجرين طلباً<sup>٥</sup> أفضلهم ، وكان ينبغي على هذا المذهب أن يُواخى بينه وبين سعد بن مُعاذ .

فإن قالوا : سهل بن حنيف أفضل من سعد ومن حمي الدّبر ومن غسيل اللانكة ، ومن مكلم الدّيب<sup>(١)</sup> ومن غيره ، لم يكن هذا منكراً<sup>١٠</sup> من مكابرتهم وجهلهم .

فإن قالوا : إنه جاز أن يُواخى بين غير الأشكال في الفضل ، وجاز ألا يُواخى بين التساوين والتفاريق .

فيلزم : فليقل أيضاً النبي صلى الله عليه لم يُواخِ بين نفسه وبين عليّ - إن كان آخاه كما زعمتم - من قبل تقارب الحال والمشاكلة في الأفعال . ولعل النبي صلى الله عليه لم يُواخِ عليّاً رأساً إذا أجاز ألا يُواخى بين الأشكال ، ولا يقارب بين الأمثال . وأدنى ما فيه أن يكون ذلك قد كان جازاً .

فإن تركوا هذا أجمع وقالوا : كيف يجوز أن يكون أبو بكر هو الإمام وقد كان النبي صلى الله عليه جملة في جيش أسامة ، وما زال يقول في شكاته : « أنفذوا جيش أسامة » يُميد ذلك وبكره ، إلى أن قبضه الله إلى جنّته .<sup>٢٠</sup>

قيل لهم : إن في أمر النبي صلى الله عليه له أن يقوم مقامه في الصلاة بالمسلمين . وعائشة وحفصة قد اعتونا<sup>(١)</sup> ليعرفا ذلك إلى عمر ، ويقولان : إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيق لا يستطيع أن يقوم مقامك .

وهو قد ودَّع المسلمين في خطبته التي خطبها في شكاكه حين قال :  
 • « إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة »  
 فبكى أبو بكر ، فمجبى الناس منه وقالوا<sup>(٢)</sup> : قال رسول الله صلى الله عليه :  
 إن عبداً من عباد الله ! قالوا : وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه .  
 عليه . هكذا الخبر ثم جاء جبريل في شكاكه فقال : يا محمد ، هذا ملك الموت يستأذنُ عليك ولم يستأذنْ على آدمي قبلك . قال : ائذنْ له . فأذنَ له  
 ١٠ جبريل حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه ثم قال : يا محمد ، إنَّ الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني به ، فإن أمرتني قبضَ نفسك قبضتها ، وإن كرهت ذلك تركتها . قالوا : فسمع النبي صلى الله عليه يقول : « الرقيق الأعلى » . فلمَّ أنه قد خيَّرَ صلى الله عليه .

ثم كان عند كل صلاة لا يجدها إفاقة يقول : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » ويقول : « أبا الله إلاَّ أبا بكر » ، وفي قوله أبا الله أن يصلي إلاَّ أبو بكر ، دليلٌ أن ذلك من قبل الوحي . مع قوله لعائشة وحفصة حين أرادتا صرف ذلك إلى عمر : « أنتن صواحبات يوسف ، أبا الله ورسوله أن يصلي إلاَّ أبو بكر » بالتلظظ . فلو كان الخلف في ذلك صغيراً ما أعلظ النبي صلى الله عليه لها ، ولا اشتدَّ عليهما .

٢٠ (١) اعتونا ، مثل لماوننا . وفي الأصل « اعتونا » .

(٢) في الأصل : « وقال » .

فإن قالوا : ومادعا عائشة إلى صرف هذا الأمر العظيم والقام الشريف إلى عمر ؟

قيل : فإنه ليس عندنا في ذلك إلا ما اعتدّرت هي به لنفسها ؛ فإنها قالت : إني والله ما أردتُ صرفَ ذلك على أني لم أعرفُ شرفه وخطره ، ولكنني خفتُ أن يتشام السلدون به ، وألاَّ يحبّوا رجلاً قام مقامه أبداً .

فأما حديث الربيع بين صبيح<sup>(١)</sup> عن الحسن فإنه زعم أنها قالت : خِفْتُ ألاَّ يطبقَ حلَّ الخلافة ، وظنفتُ أنَّ الناسَ سيُريدون منه مثلَ ماتمودوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلتُ أن أحداً لا يكون كالنبي .  
فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم جملة في جيش أسامة فقد استثناه حين اشتكى ، من جميع الجيش ، إذا استخلفه في مقامه ، وأمره بالصلاة لأتمته ؛ لأنَّ من صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجده ومصلاه ، في أعياده وسائر أيامه ، فقد صلى بجميع الأمة ، وتأمر على جميع البرية .

وإنما أدخلنا فيها صلاة الجمعة والميدين لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « أئبى اللهُ ورسولهُ إلاَّ أنْ يصلى أبو بكر » لم يستثن صلاة دون صلاة . فإذا كان الكلامُ عاماً والنبيُّ صلى الله عليه وسلم على يقين من فراق الدنيا ، والوحيُّ ينزل عليه ، فقد دخلَ في ذلك صلاةُ الميدين والجمعة ؛ لأنَّ النبيَّ يتكلمُ كلاماً عاماً<sup>(٢)</sup> .

(١) يفتح الصاد وكسر الباء ، كما في حواشي تهذيب التهذيب .

(٢) بعده في الأصل : « وهو على يقين من فراق الدنيا والوحي ينزل عليه » .

وقد علم الله ورسوله أَنَّ الكلامَ العامَّ يَتَّخِذُهُ النَّاسُ حُجَّةً فَيَا  
يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَامُّ .

وقد علم الله أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سَيَصِلِي بِالنَّاسِ فِي أَعْيَادِهِمْ وَسَائِرِ صَلَاتِهِمْ  
وَأَنَّهُ سَيُحْتَجُّ فِي اسْتِحْقَاقِ أَبِي بَكْرٍ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَبِي  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنْ يَصَلَّى إِلَّا أَبُو بَكْرٍ » ؛ فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ  
• قَدْ أَرَادَ ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ ، وَعَنَاهُ وَأَجَبَهُ .

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يُخَالَفْ أَمْرَ اللَّهِ بِتَخْلُفِهِ عَنْ جَيْشِ  
أَسَامَةَ إِنْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مِمَّنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ قَبْلَ شَكَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرِهِ لَهُ بِالْعِلَّةِ .

١٠ وَوَجْهٌ آخَرُ يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا . وَهُوَ أَنَّ لَمْ نَحِذْ أَحَدًا مِنَ السَّلَامِينَ  
وَلَا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ ذَكَرُوا عَنْهُ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ حَرْفًا وَاحِدًا مِنْ  
ذَكَرَ تَخَلَّفَ أَبِي بَكْرٍ ، لَا عَيْنًا زَارِيًا ، وَلَا مُسْتَفْهَمًا مُسْتَرَشِدًا ، وَلَا  
مُتَّجِبًا نَاقًا ، وَلَا مَصُوبًا عَازِرًا ؛ وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ حَدِيثًا - ضَعْفُ  
إِسْنَادِهِ أَمْ قَوِيٌّ - أَنَّ أَحَدًا احْتَجَّ لِأَبِي بَكْرٍ وَلَا عَلَيْهِ (١) .

١٥ وَلَا يَكُونُ رَحْلٌ فِي مِثْلِ نِبَاهَةِ أَبِي بَكْرٍ وَقَدْرُهُ ، وَفِي مِثْلِ نِبَاهَةِ  
مَاصِرٍ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَا مَوْضِعَ أَوَّلِي بِشَدَّةِ (٢) الْحَسَدِ وَكَثْرَةِ الطُّغْيَانِ مِنْهُ ،  
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ التَّخَلُّفُ الَّذِي لَا يَخْفَى مَوْضِعُهُ ، مَعَ تَوْكِيدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشِدَّتِهِ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ لَا يَلْجَأُ فِي تَخْلُفِهِ إِلَى حُجَّةٍ وَلَا أَمْرٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَلَاعِلُهُ » .

(٢) يَنْ هُنَا الْكَلِمَةُ وَسَابِقَتُهَا يَنْصُرُ فِي الْأَصْلِ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

من النبي صلى الله عليه وسلم ثم يُطبق<sup>(١)</sup> جميع الخلق في ذلك على السكوت والرضا والاستحسان أكثر مما ساروا إليه .

هذا وبنو عبد منافٍ شهودٌ ، وخالد بن سميد<sup>(٢)</sup> قد رآك بيمةً ستة أشهر ، وقال : أرضيتُ معشرَ بني عبد منافٍ أن يلقى عليكم رجلاً من تيم ؟! وقال أبو سفيان بن حربٍ مثلَ ذلك . وقالت الأنصار : منّا أميرٌ ومنكم أمير . وقد سمع أبو قحافة رجلاً وهو بكه ، وهو مكثوف ، قال : ما هذا ؟ قالوا : مات النبي صلى الله عليه وسلم قال : فما صنع الناس ؟ قالوا : أقاموا ابنك . قال : فرضيتُ بنو عبد منافٍ بذلك ؟ قالوا : نعم : قال : وبنو النخيلة ؟ قالوا : نعم . قال : فلا مانعٌ لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع<sup>(٣)</sup> .

١٠

وفي إطلاق الجميع على السكوت عن التخلف ميمته ، مع قول خالد وأبي سفيان ، دليلٌ على أنهم لو وجدوا غزيرةً أو خلافاً أو معصيةً لم يدعوا الاحتجاج به ، والخوض فيه . ولو كانت البقية قطعهم عن ذلك لقطعتمهم عن ذكر الطمن في إمامته ، كما قطعتمهم عن ذكر الطمن في تحلفه .

١٥

وفي رضا أسامة وتسليمه وسكوته وقناعته حتى لا يمحكي عنه في ذلك كلمةٌ واحدة ، دليلٌ على ما قلنا .

فإن قالوا : إنَّ أسامة قد عَرَفَ صنيته في تحلفه ولكنه كان في تبيته منه ، لأنَّ أبا بكرٍ لو لم يكن هو الطاع في العوام ، والفتن

(١) في الأصل : « ثم يلجأ في يطبق »

(٢) خالد بن سميد بن الساس .

(٣) في الأصل : « معطى » .

في الدَّهْماء ، ماقدَّم بنى عبد مناف وكان أسامة لا يستطيع أن يُبدى  
في دهرٍ عمرٍ من ذلك شيئاً ، لشدةِ عُمر في تعظيم أبي بكر ؛ لأنَّ  
الطَّمَن في أبي بكرٍ راجعٌ على عمر ، وأن رعيةَ عمرٍم رعيةُ أبي بكر  
وكذلك كان أسامة في دهر عثمان ، لأنه نسقٌ واحد وسيلٌ واحدة .

٥ قيل لهم : فاما منهُ أن يتكلم في دهر عليٍّ ومع عليٍّ يومئذ مائة  
ألف سيفٍ يُطليه . وهل عندكم في أسامة أكثرُ من أن تدعوا على  
ضميمه غير ما بدلُّ عليه ظاهرُ عليه ١٩ وإنَّ أولى الناسِ ألاَّ يحتجَّ  
بأسامة لأنتم ؛ لأنَّ أسامة هو الشاهد لطلحة على عليٍّ ، حين قال عليٌّ :  
بِأَمَّتِنِي وَنَكَّثَ بِيَمَنِي . قال طلحة : « بِأَمَّتِكَ وَاللَّحْجُ عَلَى قَفَى <sup>(١)</sup> » .

١٠ واستشهد أسامة ، فقال أسامة : أَمَا السَّيْفُ عَلَى قَفَاهُ فَمِ أَرَاهُ وَلَكِنْ  
بِأَيْعٍ وَهُوَ كَارِهِ . في أمورٍ كثيرةٍ تدلُّ على أنَّ أسامة كان عمرياً ،  
ليس هذا موضعُ ذكرها . فهذا هذا .

وفي إطباقهم جميعاً يدَّعونهُ خليفةَ رسولِ الله مِنْ تلقاءِ أنفسهم ،  
لا مكرهين ولا مقهورين ، لم يُرفع عليهم سوطٌ ولا سُورٌ <sup>(٢)</sup> سيف ،  
١٥ ولا سَمِعُوا وعيداً ، ولا رأوا ذلك أترأ ، ولا رأوا منه إمرةً لبعض  
المشائِر ، فيخافون أن يتقوى بهم عليهم ، مع كثرة التمدد واختلاف  
الأنساب وتفرُّق الأهواء ، و [ في ] الذي قبله ، دليلٌ على ما قلنا ، وحُجَّةٌ  
على الذي ادَّعينا .

(١) الحج : السيف . قال ابن سيده : وأظن أن السيف إنما سمي لما في هذا الحديث وحده .  
٢٠ قن ، أى قنای . وهي لغة حذيل ، يحملون ألف للقصور ياء عند إضافته لياء ، ومنه قول  
أبي ذؤيب :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْتَقُوا لَهْوَائِمَ قَهْرُمَا وَلَسَكُ جَنْبَ مَصْرَعٍ

أى هوى . وانظر الطبري : ١٧٤ : ٢٠٤ في حوادث سنة ٣٦ .

(٢) في الأصل : « ولا يضره » .

ومما يُقَرَّب من قولنا قولُ النبي صلى الله عليه : « أَقْدُوا جَيْشَ أَسَامَةَ ». فقد يعلم المستدلُّ أَنَّ النبي صلى الله عليه إنما قصد بذلك الأمر في خاصته والمُطَاعِينَ ، لأنَّ قولَه : « أَقْدُوا » دليلٌ أَنَّهُ قد كان هناك مَنْ ينفذُ أمرَه ، وإليه قصدُ بالأمر مُقْتَمِينَ<sup>(١)</sup> غيرِ سَاحِطِينَ .

ولو كان الأمرُ إنما كان لأَسَامَةَ وأصحابِهِ كان اللَّفْظُ على غير هذا .  
فإذا كان ذلك كذلك فَمَنْ أَوَّلَى بَأَن يكون من المُخَاطَبِينَ المُطَاعِينَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَخَلِيلِهِ<sup>(٢)</sup> وَصَفِيَّهِ ، على ما كُتِبْتُ لَكَ في كتابي هذا ، مع أَنَّا لم نَبْلُغْهُ ولم نَسْتَفْعِهِ ، إِنَّا بالخوفِ مِنَّا والكراهَةِ لإِطَالَةِ الكتاب ، وَإِنَّا بالتقصيرِ مِنَّا في معرفةِ جميعِ محاسنه .

ووجهُ آخر : أَنَّكَ لو جَهِدْتَ أَنْ تَجِدَ لِحَدِيثِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ١٠ كان في جيشِ أَسَامَةَ أصلاً لم تَجِدْ ، وَإِنَّمَا أَنَّى عَامَّةُ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup> مِنْ قِبَلِ كَوْنِ عُمَرَ في ذلك الْجَيْشِ ، لأنَّ عُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ<sup>(٤)</sup> كانا من أَوَّلِ مَنْ انْتَدَبَ في ذلك الجيش .

ولمَّا كان النَّاسُ كثيراً ما يَرَوْنَ عُمَرَ يَجْرِي مع أَبِي بَكْرٍ غِلْطُوا في ذلك في مواضع كثيرة ، حتى جَرَّ ذلك على أَبِي بَكْرٍ فِرَارَ عُمَرَ يَوْمَ أُحُدٍ ، ١٥ فقال مَنْ لا علم له : وفَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ أَبُو بَكْرٍ وعمر . وموقفُ أَبِي بَكْرٍ والتَّغَرُّبُ مِنَ الْهَاجِرِينَ في يومِ أُحُدٍ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَطْمَسَ عَلَيْهِ جَاهِدُ . ومن ذلك أَنَّ عُمَرَ كان في جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَالْحَقُوا بِهِ أَبَا بَكْرٍ .

(١) مقتنين ، أى راضين . أخيه العبيد : أرضاه . وفي الأصل : « مقتنين » .

(٢) في الأصل : « وخاله » .

(٣) في الأصل : « عامه في ذلك » .

(٤) في الأصل : « وابن عمه » . وانظر عيون الأثر ٢: ٢٨١ وللمناج الأسماح ١: ٣٧ .

فإنْ أُنْزِلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَنِّيسِ فَالْجَوَابُ عَلَى مَا قُلْنَا .  
فإنْ قَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَكُمْ ، وَلَكِنْ مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ ؟

قُلْنَا لَهُمْ : إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا بِالصَّلَاةِ قَطُّ ، وَلَكِنَّهُ صَلَّى  
بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً إِلَى أَنْ تُوفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ  
أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَدَى<sup>(١)</sup> يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَتِيمَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ سَفَرٍ ،  
وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَجَبٍ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ عِنْدَهُمْ .

وَزَعَمَ أَصْحَابُ السُّنَنِ وَالْأَخْبَارُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُ بِإِلَّا  
بِالْأَذَانِ ، فَإِذَا وَجَدَ إِفَاقَةً خَرَجَ يَصَلِّي بِالنَّاسِ ، وَإِنْ اشْتَدَّ مَا بِهِ قَالَ :  
« مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّي بِالنَّاسِ » ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ يَصْلِيَانِ عَلَى  
هَذِهِ الصِّفَةِ .

فإنْ أَنْكَرُوا أَنَّ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَصَلِّيَ  
و [ادْعُوا<sup>(٢)</sup>] أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَاطِلٌ ، وَأَنَّ الْمَلَّةَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ  
كُلُّهَا لَمْ تَمْنَحْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ حَتَّى مَاتَ .

قِيلَ لَهُمْ : أَرَأَيْتُمْ هَذَا الَّذِي قُلْتُمُوهُ وَادَّعَيْتُمُوهُ ، أَشَيْءٌ اسْتَخْرَجْتُمُوهُ  
أَوْ سَمِعْتُمُوهُ ؟

فإنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا قُلْنَا لَهُمْ : فَأَتُوا بِفَقِيهِ وَاحِدٍ أَوْ مُحَدِّثٍ يَقُولُ  
كَمَا يَقُولُونَ ، وَيُحَدِّثُ كَمَا تَزْعُمُونَ ، وَجَمِيعٌ مَا يُدْعَى بِاطِلٍ .

(١) فِي عَيُونِ الْأَثَرِ ٢ : ٢٨١ : « فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ بَدَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ فَمِنْ وَجْهِهِ » .

(٢) يَمْثِلُ هَذِهِ التَّكْلَافَةَ يَوْمَ الْقَوْلِ .



وإن كان إذا اعترضوا المحدثين والناقضين لم يجدوا أحداً إلّا وهو يُخبر بما قلنا فالحقُّ أحقُّ أن يَتَّبَعَ . ولا يجوز أن يقولوا : إنّا استخرجنا معرفة هذا المعنى ؛ لأنَّ الاستخراج لا يكون إلّا من عيانٍ أو خبر .

أو ليس قد كان النبيّ موضوعاً على سريره حين زاغت الشمسُ يوم الاثنين إلى حين زاغت من يوم الثلاثاء ، يصليّ الناسُ عليه وهو على شفير قبره<sup>(١)</sup> وأبو بكر يصليّ بالناس ؟ !

فلنأتوا بحديثٍ واحدٍ أنّه صلى بالناس في غير ذلك الوقت غير أبي بكرٍ فالقول كما قالوا . وإن أتوا بحديث واحد أنّه صلى بالناس غير أبي بكرٍ أوّل صلاة صلاها المسلمون [ حين ] اختلفوا في تأمير الأُمراء واستخلاف الخلفاء عليهم ، كما قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ١٠ فالقول كما قالوا .

وهل يستطيعون أن يزعموا أنهم قالوا : منّا مصلٍّ ومنكم مصلٍّ . والمجب<sup>(٢)</sup> كيف لم يقولوا : إنّ عليّاً لم يزل هو المصلّي بالناس ، والمأمور بالصلاة ، فنصيب حقه وظلم مقامه ؟ ! ١٥

وكيف يجوز أن يحمي رجلٌ من أرضه وسمائه من غير نسب ولا سبب ، حتّى ينفذ من أشرف القامات ، بحضرة القرائع والعشيرة ، من عمِّ وابن عمِّ ، وقريبٍ ونسيب ، وجلة المهاجرين والأنصار ، والمطاء وعليّة قريش ، ودَهْماء العرب ، ثم لا يتكلّم في ذلك رجلٌ واحد ؟ ! فإنّما

(١) في إتحاع الإسماع ١: ٥٥١ : « فصل عليه وسريره على شفير قبره » .

(٢) في الأصل : « والمجب » .

يقول هذا من لا يعرف قَدَرَ ذلك المقام في الصدور ، وكيف طبائع قريش وأهله العرب .

فإن قالوا : كيف يكون أبو بكر إماماً ولم يجتمع المسلمون على إمامته والرضا به ؟ ! وقد قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وقال سلمان : « كَرَدَاذُ وَنَكَرَدَاذُ <sup>(١)</sup> » . وقال خالد بن سعيد : أرضيتُم معشر بني عبد منافٍ هذا . وقال أبو سفيانُ بنُ حربٍ مثل مقالته ، وخرج الزبير بسيفه شاداً <sup>(٢)</sup> ، فلما رآه عمر قال : دُونَكُمْ الْكَلْبُ . وجلس عليٌّ [ في ] منزله واعتلَّ بأنه آلي آل أبي رَحٍّ حَتَّى يجمع القرآن .

قبل لهم : ليس الأمر على ما تقولون . ولو كان الأمر على ما تقولون ١٠ ما كان خلافُ هؤلاء ناقضاً لأمره ، لأن الرجل إذا كان أفضلَ الناس وأكمله وأفضله للمسلمين وأرداه عليهم <sup>(٣)</sup> ، فمليهم إقامته والتسليم له ، والرضا به ؛ لأنَّ كلَّ ما عدتُ لك من فضله هم كانوا أعلم به ، إذ كانوا يُسافرون ممّا ويُقيمون ممّا ، وكانوا أغنى بمعرفة الخير ، وأسرع إلى العلم به منا ومن أهل دهرنا .

ولو كان أبو بكرٍ تَنَقَّضُ إمامته ، وكان عليه اعتزال ذلك المقام ، ١٥ بخلاف <sup>(٤)</sup> رجلٍ أو رجلين أو ثلاثة ، كان أولى الناس بأن يكون له في الإمامة

(١) كلبان فارسيان مضاحا . صنتم ولم تصنموا . كرداد بمعنى التشديد والتأسيس وإقامة الشيء . والنون علامة لثني في الفارسية . انظر ماسبياني في الكلام ص ١٧٩ وكذا مجمع استنباح ١٠٢٢ .

٢٠ (٢) في الأصل : « شاداً » . وفي الحديث ١٩٨٣ : « مصلتنا باليف » :

(٣) أي أكرمهما . وفي اللسان : « هذا الأمر أرد عليه ، أي أشع له » .

(٤) في الأصل : « خلاف » . وانظر ماسبياني في صفحة ١٧٧ .

سببٌ ولاحقٌ ومتعلّقٌ على بَنِ أَبِي طَالِبٍ ، لِأَنَّ<sup>(١)</sup> سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَ أَحَدَ الشُّوْرَى وَأَحَدَ الْأَكْفَاءِ ، وَقَدْ أَبَاهُ وَقَالَ قَوْلًا آيِنَ مِنْ قَوْلِ خَالِدٍ وَأَبِي سُوْفْيَانَ وَسُلْمَانَ ، قَالَ : « مَا أَنَا بِقَمِيصِي هَذَا أَحَقَّ مَعْنَى بِهَا ، أُعِيدُوهَا شُورَى ، أَمَّا بِالسَّيْفِ فَلَا أُرِيدُهَا » . وَقَالَ لِرَسُولٍ عَلَى حِينِ أُرَادُوهُ عَلَى بَيْعَتِهِ : نَكَلْتُ أَمْ لَمْ تَلَدْنِي ، لَئِنْ كُنْتُ سَادِسَ سِتَّةٍ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْبَشَامِ ، ٥ وَقَدْ جَاءَنِي أَعْرَابُ الْأَوْسِ تَمْلَعْنِي دِينَ اللَّهِ ١٩ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ<sup>(٢)</sup> .

وَنَافِلَهُ طَلْحَةُ وَالْزُّبَيْرُ وَهَمَا شَرِيكَاهُ ، وَأَحَدُهُمَا فَارَسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْآخَرُ وَقَاتِيهِ ، فَقَالَ عَلَى : بَايَعْتَانِي ؟ قَالَ : الزُّبَيْرُ : مَا بَايَعْتُكَ قَطُّ ، إِنْ كُنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّكَ أَوَّلَى بِهَا فَاجْتَلِهَا شُورَى ، يَمِمْهُ وَحَقُّ دَعْوَاكَ مِنْ بَاطِلِهِ<sup>(٣)</sup> .

١٠

وَقَالَ طَلْحَةُ : « بَايَعْتُ وَاللَّحْجُ عَلَى قَفَى<sup>(٤)</sup> » حِينَ رَفَى<sup>(٥)</sup> إِلَيْهِ الْمَسَاكِرَ وَطَمَنَتْ عَلَيْهِ عَائِشَةُ وَاسْتَحْلَلَتْ مَحَارِبَتَهُ . ثُمَّ اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ أَهْلُ الشَّامِ قَاطِبَةً فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَكَبْشُ بْنُ مَرَّةَ الْبَهْزِيِّ<sup>(٦)</sup> ، وَكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « سَتَكُونُ فِتْنَةٌ هَذَا فِيهَا يَوْمُئِذٍ عَلَى الْحَقِّ » ، وَأَوْمًا إِلَى رَجُلٍ مَقْنَعٍ ، ١٥ فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَإِذَا هُوَ عُمَانٌ ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانٌ وَهُوَ يَكْفُ عَنْ الْقِتَالِ اسْتَنْصَرَ ، فَكَانَ يَحْدِثُ هَذَا الْحَدِيثَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَئِنْ » .

(٢) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٥٩ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٤) انْظُرْ مَاضِي فِي ص ١٦٨ .

(٥) كَتَبْتُ فِي الْأَصْلِ : « وَكَأَنَّ » .

(٦) الْإِسَابَةُ ٧٤٢٨ .

٢٠

ومنها وائلة بن الأسقع اللّيثي ، وله صحبة ونُسك<sup>(١)</sup> ، والقُثمَان بن بشير ، ومُسْلَمَةُ بن عَجلد ، وحبيب بن مسلمة ، وذو الكَلَّاع ، ومُعاوية ابن حَدَّيج<sup>(٢)</sup> .

ومن التابعين أبو مسلم الخولاني ، وشُرَّجِيل بن السَّمْط ، وعمرو بن وائد النامدي<sup>(٣)</sup> اتقى قال [فيه] مكحول : كَأَنَّهُ قد مات ودخلَ النَّارَ وحُوسِبَ<sup>(٤)</sup> ثم رَدَّ إلى الدُّنْيَا ، فَمَه خَوْفَ المِجْرَب .

ثم خالف عليه خاصَّةُ إخوانه ونُسَّاك أصحابه ، وأهل البصائر من جُنْدِهِ وحدث<sup>(٥)</sup> حتَّى أَكْفَرُوهُ وغلَمُوا<sup>(٦)</sup> إمامته وولايته .

وفيه مع نسكهم وجِدْم فَرَّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم قُرَّةُ بن نوفل الأشجعي ، وحُرْقُوص بن زُهَيْر . وفيهم من التابعين مثلُ رئيسهم عبد الله بن وَهَبِ الراسبي ، وزيد بن حِصْنِ الطائي<sup>(٧)</sup> .

ولقد دعا مُحَمَّد بن مَسْلَمَة إلى عَوْنِهِ ، واعترضَ آخِذاً بسيفه ، ثم كره وقال : أَضْرِبُ المَسْلُومِينَ بسيفٍ ضَرِبْتُ بِهِ الكَافِرِينَ ؟ !

١٥ (١) الإصابة ٩٠٨٨ : وصفة الصفوة ١ : ٧٨٠ . والأسقع بالفتح .

(٢) الإصابة ٨٠٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٨ : ١١٤ .

(٤) وردت هذه الكلمة في الأصل في نهاية هذه الفقرة .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) في الأصل : « وجعلوا » . ٢٠

(٧) الإصابة ٢٨٨٧ وذكر أنه كان عامل عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : « وقد قدمت غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون في ذلك الزمان إلا بالصداقة » . ولم يذكره بذلك في تهذيب التهذيب

فدعا زيد بن ثابت إلى عونه فأبى وقال : أنت والله تعلم أن لو شحنا أسدناه<sup>(١)</sup> لألقتنه كهيّ دونك ؛ فأما أن أعرب بسيفي لأؤكدك لك منكاً فلا .

ودعا عبد الله بن عمر فقال حين أرادته على بيعته : إني لن أنزع يدي من جماعة وأضمتها في فرقة . وكذلك قال حين قيل له بعد ذلك :  
 • لم يأتك أخاك عبد الله بن الزبير . قال : إن أخي وضع يده في فرقة ، وإني لن أنزع يدي من جماعة وأضمتها في فرقة .

وطعن عليه سمّ بن زيد بن عمرو بن نفيل وعلى طلحة وقال : « فتنة عبياه يخبط أهلها » . قال طلحة : ابن عمك كان أعلم بي وبك حين جعلني في الثوري وأخرجك منها . قال : إن ابن عمي خانك وأمنني .  
 ١٥

ودعا<sup>(٢)</sup> إلى بيعته وعقّوه أسامة بن زيد فقال : إني إذن لفتون ! وأسامة هو الذي كان طلحة استشهد به على قوله : « قد بايئت والّج على قفي » فستل أسامة عن ذلك ، فكلّمه طلحة بكلام غليظ .

وقول صهيب أيضاً ، وسلّة بن سلامة بن وقش ، كل هؤلاء السبعة [ ما منهم<sup>(٣)</sup> ] إلاّ من شهد بداراً .  
 ١٥

وزعم ابن سيرين والشمعي أنّهما قالوا : وقعت الفتنة بالدينة وأصحاب النبي صلى الله عليه أكثر من عشرة آلاف ، فقال : فما يعدّون من خف فيها عشرين رجلاً . فسمّيا حرب على وطلحة والزبير وصفيين فتنة .

(١) شحناه بشعوره وبشعاه : فتحه .

(٢) في الأصل : « ودعاك » .

(٣) بتلها يلثم الكلام .

وكما قال الشَّعْبِيّ : من حَدَّثَكَ أَنَّهُ شَهِدَ الْجُلَّ مِنْ شَهِدٍ بَدْرًا أَكْثَرُ  
من أَرْبَعَةِ نَفَرٍ فَكُذِّبَتْهُ . كَانَ عَلِيٌّ وَعُمَارُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ  
فِي نَاحِيَةٍ .

وقد تملّون أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ عُمَانِيٌّ إِلَّا تَمْلُونُ أَنَّهُ مُنْكَرٌ  
لِإِمَامَتِهِ . وَمِنْ أَكْثَرِ عِدَدًا وَأَكْثَرِمْ قَبِيهَا وَمَعْدَنًا . وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ  
مِنْ أَصْحَابِ الْآثَارِ يُظَنُّ بِهِ التَّشْيِيعُ فَيُتْرَكُ وَيَضَعَفُ وَيُتَّهَمُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ،  
حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَطْوِيهِ وَيَسْتُرُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتُرُ السُّوءُ بِجُلْدِهِ .

فَلَوْ كَانَ الْفَاضِلُ الْكَامِلُ تَنَقَّضُ إِمَامَتُهُ وَتَفْسُدُ عِدَالَتُهُ مِنْ قَبْلِ خِلَافِ  
أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةٍ ، لَمَا كَانَ فِي الْأَرْضِ أَشَدُّ انْتِقَامًا مِنْ إِمَامَةٍ عَلَى .

١٠ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنَّ الْأَنْصَارَ قَالَتْ لِقُرَيْشٍ وَالْمُهَاجِرِينَ : مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ  
أَمِيرٌ ! فَهَذَا إِلَى أَنْ يَكُونَ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ أَقْرَبَ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آلِهِ لَوْ كَانَ أَقَامَ عَلَيْهِمَا وَجْهَهُ خَلِيفَةً وَوَسِيًّا وَنَصَّ عَلَى ذَلِكَ بِغَيْرِ خُفٍّ ،  
أَوْ فِي بَعْضِ الْمَازِي ، مَا كَانَ بَلَغَ مِنْ حَرَبِهِمْ <sup>(١)</sup> وَعُتُودِهِمْ أَنْ يَقُولُوا هَذَا  
الْكَلَامَ وَالْإِمَامَ قَائِمَ الْحُجَّةِ ، مَعْرُوفَ الْمَكَانِ .

١٥ وَكَيْفَ حَازَ أَنْ يُلْتَوَى ذِكْرُهُ حَتَّى لَا يَذْكُرُونَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ مُخَاطَبَاتِهِمْ  
وَمَنَازِعَاتِهِمْ ، إِلَّا وَالْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهِ عَهْدٌ وَلَا سَبَبٌ . فَهَذِهِ  
حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ .

وَأُخْرَى : الَّتِي رَأَيْنَا مِنْ قِلَّةِ مِبَالَتِهِمْ مَنْ أَقَامَهُ الْمُهَاجِرُونَ كَاتِبًا  
مِنْ كَانَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ : مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، قَوْلُ قَوْمٍ كَانَهُمْ قَالُوا :

لا بدّ لنا معشر الأنصار من أميرٍ على حال ، وأنتم بمَدُّ أَعْلَمُ بشأنكم فأمرُوا عليكم مَنْ يدا لكم . وليس في هذا ظنٌّ على خاصّة أبي بكر ، كما أنّه ليس فيه تَأْكِيدٌ لإمامته دون غيره .

وهذا قولٌ كَانَ مِنْ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، قَبْلَ أَنْ يَقُومَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ خَطِيبًا وَوَاعِظًا ، وَبَيْنَمَا وَحْتَجًّا . ٥  
فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ رَدَّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً كَلَّةً وَاحِدَةً . فَلَيْسَ فِي قَوْلِهِمْ : مَنَّا أَمِيرٌ وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ ، خِلَافٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ وَإِنْ كَانَ خِلَافًا فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْجَمِيعِ .

وَإِنْ كَانَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُمْ حُجَّةً مَا كَانَ إِلَّا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِمَامَةَ غَيْرُ وَاجِبَةٍ ، أَمَّا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا لِأَبِي بَكْرٍ دُونَ عَلَى فَإِنَّهَا ١٠  
غَيْرُ لَازِمَةٍ .

وَلَمَعَرَى لَوْ كَانَ الْقَوْمُ حَيْثُ قَالُوا : مَنَّا أَمِيرٌ وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ قَالُوا :  
وَلَا يَكُونُ أَمِيرَ كُمْ إِلَّا عَلَى أَوْ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ ، أَوْ قَالُوا : الزَّأْيُ لَكُمْ  
أَنْ تَجْمَلُوا أَمِيرَ كُمْ عَلِيًّا أَوْ فُلَانًا أَوْ فُلَانًا ، كَانَ فِي ذَلِكَ مَا يَتِمُّقُ بِهِ  
مَتَمُّقٌ ، وَيَشْتَبُّ بِهِ شَاغِبٌ . وَهَذَا مَا لَا يَحْتَجُّ بِهِ طَائِفٌ ، لِأَنَّ الْحُجَّةَ فِيهَا ١٥  
لِلرَّافِضَةِ أَثَرٌ ، وَعَلَيْهَا أَوْكَدٌ .

أَمَّا قَوْلُهُمْ أَنَّ سُلَيْمَانَ قَالَ مَا قَالُ<sup>(١)</sup> ، فَإِنَّمَا سُلَيْمَانُ رَجُلٌ مِنْ عُرُضِ  
الْمُسْلِمِينَ ، لَا يَمْلُحُ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الشُّوَرَى  
وَمَعَ الْأَكْفَاءِ ، فَتُنْتَقَضُ بِهِ مَرَّةٌ أَوْ تَبَرَّمَ بِهِ ؛ لِأَسْبَابٍ :

منها أنه ليس من المهاجرين ، ولا ممن شهد بدرًا ولا أحدًا ، ولا تلقى في الله مالتى نظراؤه عند الناس كبلالٍ وصُهبٍ ، وخَبَّابٍ وعمار ؛ ولا كان من الذين آوَوْا ونَصَرُوا ، وذُكِرُوا في القرآن وقُدِّمُوا .

وكان حديث الإسلام قليل الشامد ، وإنما أسلم حين انحسرت الشدة وانكشف عنهم معظم الكربة ، ولكنه كان من الصالحين ومن الفضلاء ٥ والمخلصين ؛ وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وجهًا ، وعند خلفائه مقربًا . وقد قال النبي فيه قولاً حسنًا ، ولكنه ليس من الأكفاء في الإمامة وموضع الثورى والخلافة ، فيكون قوله حجةً تنقِضُ به الإمامة ، وطمئنه عليه يصرف الخلافة .

١٠ ثم آخر: أنا قد وجدناه ولي لعمرو بن الخطاب على المدائن ، يُقيم له الحدود ويحبى له الخراج ، ويدعو له على المنبر ، ويؤكد له خلافته ، وينفذ أمره ، مطيعًا غير مكره ، ومُخَلَّى غير مقصور ، فولايته لعمرو دليل على تصويب أبي بكر ، ومطيع عمر أذعن لأبي بكر ، ومعظم عمر أشد تعظيمًا لأبي بكر .

١٥ ولقد كان يخرج آذنُ عمر والناسُ يابيه فيجملهُ في الفوج الأول . حتى روى عن أبي سفيان بن حربٍ ومُسهِّل بن عمرو في ذلك كلامٌ مشهور : من ذلك أنهم كانوا ياب عمر في جِلَّةٍ من قریش والرب ، مثل عينة بن حصنٍ وغيره ، إذ خرج آذن عمر فقال : أين بلال ؟ أين سلمان ؟ أين صُهب ؟ أين عمار ؟ ادخلوا . ففتيرت وجوههم واستبان الجزعُ فيهم ، فأقبل عليهم سهيلُ بن عمرو واعظًا ، ومُعربًا<sup>(١)</sup> ومدكرًا ،



قال : دُعُوا وَدُعِينَا ، فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْنَا ، [ وَلَقَدْ حَسَدْتُمُ<sup>(١)</sup> ] عَلَى بَابِ  
عَمَرَ كَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَعْظَمَ .

فَمَا فِي الْأَرْضِ عَاقِلٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْذَنُ لِسُلْمَانَ قَبْلَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ  
وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَيُوَلِّيهِ بِلَادَ كَسْرَى وَآلَ كَسْرَى ، وَسُلْمَانُ عِنْدَهُ  
ظَنِينَ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَنَاقِمٌ عَلَيْهِ .

وَقَدْ بَارَكَ عَمْرُؤُا بَكْرٌ<sup>(٢)</sup> ، فِي خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، حِينَ  
عَقَدَ لَهُ عَلَى أَجْنَادِ الشَّامِ ، لِكَلِمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ،  
حَتَّى عَزَلَهُ .

فَكَيْفَ يَحْتَمِلُ لِسُلْمَانَ الطَّمَنَ وَالْخِلَافَ ثُمَّ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا بِالْوِلَايَةِ  
عَلَى بِلَادِ كَسْرَى ، وَسُلْمَانُ لَا يَجْرِي عِنْدَ عُمَرَ بِجَرَى خَالِدٍ وَلَا قَرِيبًا ؟ ١٠  
فَنَحْنُ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ سُلْمَانَ لَمْ يَقُلْ : « كَرَدَاذٌ وَنَكَرَدَاذٌ<sup>(٣)</sup> » . وَإِنْ  
كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَقًّا كَانَتْ تَرْجُمُهَا بِالْمَرِيَّةِ : صَنَعْتُمْ وَلَمْ تَصْنَعُوا .  
يَقُولُ : قَدْ أَقَمْتُ فَاضِلًا مُجْزِيًا وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ .  
وَأُخْرَى فَلَوْ كَانَ سُلْمَانُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ

(١) مَكَانَ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ يَبْلُغُ فِي الْأَسْلَ ، وَأَخْبَتُهُمَا مِمَّا سَيَأْتِي فِي كَلَامِ الْجَاهِظِ فِي الْوَرَقَةِ ١٥  
١٦٢ مِنَ الْمُخْطُوطَةِ . وَجَاءَ فِي صَفَةِ الصَّفُورَةِ ١ : ٣٠٧ : « قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ قَطُّ  
يَأْذَنُ لِمَوْلَاةٍ الْعَبِيدِ وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا ؟ ! » قَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو — وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا —  
أَيُّهَا النَّوْمُ إِنْ وَاقَعَتْ لَكَ أَرَى الْبَقَى فِي وَجْهِكَ ، إِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَغَضَبُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، دَمَى النَّوْمِ  
وَدَعَيْتُمْ فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأُوا . فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا دَعَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَرَكْتُمْ ؟ ! أَمَّا وَاقَعَتْ لَنَا سَبْقُكُمْ  
إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ مِمَّا لَا تَرَوْنَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ قُوَّتًا مِنْ بَايَكُم هَذَا الْبَقَى كُنْتُمْ تَتَافَسَوْنَهُ عَلَيْهِ » .

استخلف علياً ونصبه إماماً وجملاً وصياً لم يقل : صنعتهم ولم تصنعوا ،  
إلا أن قوله « صنعتهم » تثبت لإمامته ، فكأنه قال : هو إمام ، لو كان  
غيره كان خيراً لكم منه . وليس على هذا بُني القول <sup>(١)</sup> .

ولو احتج بهذا القول الزيدية كان أشبه من أن يحتج به الطاعن  
• في إمامة أبي بكر حين قال : ارتدَّ الناسُ كلُّهم عن الإسلام بإنكارهم  
إمامة عليٍّ ، والتسليم لن أنكر ، ما خلا أربعة نفر : سلمان ، والقناد ،  
وأبو ذرٍّ ، وبلال . ثم زعموا أن حذيفة وعماراً تابا بعد عمر .

ولئن كان بلالٌ كما قالوا من الطعن والخلاف على أبي بكر وعمر ،  
لقد شاركهما حيث وليَّ لهما دمشق ، لأنَّ عمر كان وليَّ بلالاً دِمَشْقَ ،  
١٠ فكان أنفذَ لأمره من أبي عبيدة .

وكيف يكون بلالٌ طاعناً على أبي بكر وعمر حتَّى قد شهِرَ بذلك  
من بين الخلق وعمرُ يوليّه ، ويقرّه ويُدنيه ، ويقدمُ إذنه ، ويلحق  
عطاءه بمطاء عثمان وعليٍّ وطلحة والزبير وسعد ، ويقول : « بلالٌ  
سيدنا ومولى سيدنا » ، ومرة يقول : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا » .

١٥ ولا يجوزُ هذا القول من عمر من يجوزُ طعن بلالٍ على أبي بكر ،  
إلا جاهلٌ بعمر ، جاهلٌ بأمر السلطان ، وعزُّ الخلافه .

فإنما ذكّرهم القنادَ فما علينا ولا علم أصحاب الآثار أنه نطق  
في خلافة أبي بكر وفي قضاها ، وفي خلافة عليٍّ وتوكيدها ، بحرفٍ  
قط ، ولا وقت في ذلك موقفاً ، ولا قام في إنكاره [أ] وتثبيته مقاما .  
٢٠ وما ندرى : بأيِّ سببٍ ادَّعَوْه ؛ إلا أن يكونوا ذهبوا إلى إنَّ عليّاً رحمةُ

الله عليه رجا كانت له الحاجةُ إلى النبي عليه السلام ، فيُكَبِّرُ النَّبِيَّ صلى الله عليه ويعظمُه عن مواجهته بها ، فيكفِّ ذلك القِدادَ .

من ذلك حديث هشام بن عروة ، عن أبيه في الرَّجُل إذا دنا من المرأة فامْتَدَى ولم يمسّها ، فاستحيا على أن يسأل النبي صلى الله عليه عن هذا من أجل ابنته ، قدّم القِداد فسأله ، فقال النبي عليه السلام : ٥ « ينسل ذكره وأُثْيِيه ويتوضأ » . وغير ذلك .

والأعجب علينا<sup>(١)</sup> أن القِدادَ لم يزل مُتَنَكِّراً لعلّ ، لأنّ القِداد حين خطب ضُباعَةَ بنت الزُّبَيْر بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه ، بعث النبي إليها عليّاً بذلك يخبرها ، وأنّه قد رضيها لها ، فكره عليّ ذلك فرجع إلى النبي صلى الله عليه ، وقال : رأيتهَا كارهةً . فأرسل النبي ١٠ إليها رسولاً فقالت : أولم أخير عليّاً أننى قد رضيتُ لنفسي بما رضى به النبي ؟ ! فقام النبي صلى الله عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا عليّ قم فانظر مَنْ عن يمينك وعن شمالك ، واعلم أنّه ليس لك فضلٌ على أسودم وأحرم<sup>(٢)</sup> إلا بالدين » . فهذا قد رُوِيَ ، والله أعلم .

ولم يُرَوَ عن القِداد الطَّمَنُ على أبي بكرٍ في خلافته ليؤكد بذلك ١٥ لعلّ شيئاً .

وأقلُّ ما ينبغي للمتكلّم أن يَتَرَفَّ فُروق الأمور ؛ فإنّه إذا عَرَفَ ذلك لم يَتَمَلَّق من الأسباب إلا بأمّتها . فأما تجريد الباطل وكثرة الدّعوَى بلا سبب ، فهذا جهْد المَاجِز .

ولربما تعلقوا بالسبب الضيف ، كالذي وجدوا لعمار بن ياسر من عداوة عثمان ، وصنيع عثمان به ، فلما كان عثمانُ عِندهم في طريقِ عمر وأبي بكر وفي حَيَرِّها جملاوا طمنَ عمار عليه طمناً عليهما ، واحتجاجَ عمارَ لعلَّ احتجاجاً عليهما .

٥ ولو اجتهدتَ أن تصيبَ لعمارَ موقفاً واحداً أو كلةً طاعنةً على أبي بكرٍ وعمر وعثمان ، فضلاً عليهما قبل إحداه ، وقبلَ أن يجرى بينهما ما جرى ، ما قدرتَ عليه .

١٠ وهل كان لعمر والي أنفذَ لطاعته من عمار ؟ ! ولقد رَفَعَ عليه جريرُ بن عبد الله ، لجمعَ بينهما طمناً في ظهور حُجَّتِه ، والصرح عن نفسه (١) ، فلما لم يجد ذلك عنده قال : ماعدنا خيرٌ لك يا أبا اليقظان .

ومن أجل ضعفِ عمار في الولاية وقوةِ المنيرة حين شكاهما أهلُ الكوفة قال عمر : « أعضلَ بي (٢) أهلُ الكوفة ، إن وليتَ عليهم تقياً ضمفوه ، وإن وليتَ عليهم قوياً فَجَرَوْه » .

١٥ فإذا كان عمارُ يخطبُ على منبر الكوفة بتوكيد إمامة عمر ، وبأمر الناس بطاعته ، ويقم الحدود والأحكام بأمره ، ويفتح الفتوح بتأثيره ، فيرى القتلَ والسبي وإحلالَ الفروج ، غير مكرهٍ بوعيدٍ ولا مقصور بإيقاع ، فأى دليلٍ أدلُّ مما حكيناه .

ولو أن طاعناً طمنَ في طاعةٍ سهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي مسعود البدرى ، لعلَّ ، هل كان عندكم

٢٠ (١) الصرح : الضمف .

(٢) في الأصل : « أعضاني » ، صوابه في اللسان (عضل ٤٧٩) .

في دفع ذلك إلا مثل ما عندنا من الدفع عن طاعة سلمان وبلال وعمار وأقل منه .

فأما أبو ذرٍّ فزعم أصحاب الآثار أنه كان يضطُّم عمر بن الخطاب تعظيماً ماعظمه أحد قط . فمن ذلك أن عمر صاحبه يوماً فمصر<sup>(١)</sup> يده وكان أيداً ، فصاح : يا قُفْلَ الفِتْنَةِ ! وَمَسَحَ مِنْ وَجْهِهِ المِرْقَ يِياطِنَ راحته ، وعمر موعوك وهو يقول : بَأبَى رُحْصَاؤُكَ<sup>(٢)</sup> لو قد مِتَّ صرنا هكذا — وشبك بين أصابعه — أَوْجَعَتْنِي الْخِلَاءُ وقال : ما هذا ؟ فقال سمعتُ النبي صلى الله عليه يقول : « لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كَانَ هَذَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ » . وقال عمرُ لشابٍّ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ اِقْصَامَ إِلِيهِ أَبُو ذَرٍّ فقال : استغفر لي ! وهو حديثٌ فيه أمورٌ كثيرة .

١٠

ولو لم يجي عن أبي ذرٍّ من هذا قليل ولا كثير لكان حكمه الرضا والتسليم ، إذ لم يَرِ منه طعناً ، ولا رأينا له متوعداً .

ولو اعترضتم مائةً من أصحاب النبي صلى الله عليه فقلتم : إنهم كانوا طمأنين على أبي بكر مؤكدين لخلافة عليٍّ ، ما كان عندنا في أمرهم حديثٌ قائمٌ ، ولا خبر شاهدٌ ، أكثر من أنَّ حكم المسك عن الطَّنِّ ١٥ والخلاف هو الرضا<sup>(٣)</sup> والتسليم .

ولقد ينبغي لنا ولكم أن تفكروا في معنى كلمة سلمان<sup>(٤)</sup> ، فقد

(١) في الأصل : « مصر » .

(٢) الرحصاء : المِرْقُ في إثر الحمي .

(٣) في الأصل : « والرضا »

(٤) نقل ما مضى في ص ١٧٢ .

أكثرتم فيها ، حيث قال صنتم ولم تصنموا ؛ ومعنى هذا الكلام : إنكم قد أقمتم مجزئاً وتركتم من هو أجزأ منه ، فيجب أن نعرف الخلل الذي لم يسدّه أبو بكر . . . (١) التي لم يملئها ، والوضع الذي عجز عنه ، ما هو ؟ وأى ضرب هو ؟ إلا أن امتحن بما لم يمتحن به أحد قبله ، ولا يمتحن به أحد بعده ، من قيامه في مقام رسول الله صلى الله عليه ، في عقب الذي تمود السلمون من طريقته ، وتمرقوا من سيرته في نفسه وفي أمته ، ثلاثاً وعشرين سنة — وهي السيرة التي لا تحتاج إلى الإخبار عن فضلها ، والإطباب في ثسريتها — فلم يُنادر ولم ينحرف ولم يتغير ، ولم يؤزر (٢) ولم يصنف .

١٠ وقد علمنا أن الذي عظم صغير ما كان من أمر عثمان ، وشفح عظيم ما كان منه من الصنف وغير ذلك ، الذي كان من إفراط جلد عمر ، وشدة رأيه وشكيمته ، وقطعه وخشوته ، وثبات عزمه ، ومخيله نفسه على مذهب صاحبيه قبله . ولذلك قال عيسى ملا (٣) : « ما قتل عثمان غير عمر » . فالفصل الذي بين النبي صلى الله عليه وأبي بكر أكبر وأظهر من فصل (٤) ما بين عمر وعثمان . ولذلك قال عمر بن عبد العزيز : « ليس لله ستر أكتف ولا أسبغ من ستره على الصديق حين لم يتكشف إذ قام يعقب النبي صلى الله عليه » .

وقد تملون أن لو كان النبي غائباً عن المدينة في غزاة ، أو حجّة

(١) يباس بقدر كلة في الأصل ، لها « في الأمور » .

(٢) في الأصل : « ولم يور » .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « ونصل » .

- وارتدَّت العربُ وانتقضت اليهودُ ، وظَهَرَ التَّفَاقُ وماجَ الناسُ ، فوثَبَ رجلٌ من عُرُضِ أصحابه ، فلم يَزَلْ بِاللَّيْنِ والشَّدَةِ ، والكُفِّ والإِقْدَامِ ، والبَطْشِ والحِيلَةِ ، حتَّى رَدَّه في نِصَابِهِ ، وأَعَادَهُ كَأَحْسَنِ عَادَتِهِ يَبْذُلُ النَّفْسَ فَا دُونَهَا <sup>(١)</sup> ، لقد كَانَ صَنِيعًا عَظِيمًا ، وفعلَ فِعْلًا كَبِيرًا .
- فكَيْفَ برَجُلُهُ قَامَ بِأَمْرِ الإِسْلَامِ وقد هُتِّكَتْ أَسْتَارُهُ ، وَهَقَّتْ أَطْنَابُهُ ، ٥
- وَمَرَجَتْ عَهودُهُ <sup>(٢)</sup> ، منفردٍ <sup>(٣)</sup> بِالرَّأْيِ غيرِ مُسْتَمِينٍ عَلَيْهِ ، ولا مُسْتَوْحِشٍ <sup>(٤)</sup> إِلَى غَيْرِهِ ، بل خالفَهُ الجَمِيعُ في سِوَاهِ <sup>(٥)</sup> وما أَوْجَدَهُ الرَّأْيُ ، ودَلَّ عَلَيْهِ النَّظَرُ مِنْ عَزَمِهِ ، وقد أَبَى إِلَّا صِرَامَةً وَبَصِيرَةً وَثِقَةً ، والنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مَاتَ غَيْرَ خَوْفٍ وَلَا مَتَوَقَّعٍ قُدُومِهِ ، فردَّ أَهْلَ الرَّدَّةِ قَاطِبَةً مَا بَيْنَ أَعْلَى الْحَبِيرَةِ ، إِلَى شَجَرِ مُهْمَانَ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ ، وَقَعَ ١٠
- التَّفَاقُ بِالْمَدِينَةِ وما حَوْلَهَا ، وَقَتْلَ مُسَيْلَمَةَ واستَفْتَحَ الْبِيَامَةَ ، وَأَسْرَ طَلِيحَةَ ، ثُمَّ أَوْطَأَ خَيْلَهُ الشَّامَ ، وَجَنَدَ الْأَجْنَادَ ، وَمَنَعَ الْحَوْزَةَ ، وَوُطِّأَ الْأَمْرَ ، وَقَتَلَ الْمَسْدُوقَ بِكُلِّ مَكَانٍ . ثُمَّ لَمْ يَسْتَأْذِنْ بِدَرَمٍ ، وَلَمْ يَكْنِزْ دِينَارًا ، وَلَمْ يَخْلُفْ دِرْهَمًا ، وَلَمْ يَتَفَكَّهُ بَنِيْمَةً ؛ وَجَمَلَ عَمَلَتَهُ مَرْدُودَةً عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ . وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ : « رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ لَقَدْ شَقَّ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ » . ١٥
- فَالشَّيْءُ الَّذِي لَوْ كَانَ عَلَىٰ هُوَ الْقِيَمُ بِهِ كَانَ أَجْزَأَ مِنْهُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ . وَكَيْفَ يَكُونُ عَلَىٰ أَجْزَأَ مِنْهُ وَلَمْ تُنْفَلِقِ الْفَتْوحُ إِلَّا فِي زَمَانِهِ ، وَلَمْ نَكُنِ الْفَنُّ إِلَّا عَلَىٰ رَأْسِهِ ، وَلَمْ تَخْرُجِ الْخَوَارِجُ إِلَّا عَلَيْهِ . وَهَذَا

(١) فِي الْأَسْلِ : « فَيَا دُونَهَا » .

(٢) مَرَجَتْ الْيَهُودُ : اِخْطَلَطَتْ وَقُلَّ الْوَفَاءُ بِهَا .

(٣) فِي الْأَسْلِ : « وَمُنْفَرِدٌ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَسْلِ .

(٥) فِي الْأَسْلِ : « وَمُصَوَّابُهُ » .

باب<sup>(١)</sup> الكلام فيه على على ، ولكننا إذا فعلنا ذلك فقد دخلنا في الذي عبنا .

مع أنك لو طفت في الآفاق تطلب لكرداذ ونكرداذ<sup>(٢)</sup> إسناداً<sup>(٣)</sup> .  
ولكننا قد رويانا أن سلمان قال : « أسبتم الحق وأخطأتم المدين »  
ففرى أنه إن كان قال هذا القول فإعماً ذهب إلى أن الأمر لو كان في  
بيت النبي صلى الله عليه وعلى الثوارث الأقرب فالأقرب ، كان أجدر  
ألا يطمع فيه ذو بان العرب ودعاة التعجم ، على غير الأيام ، وتطول الدهور .  
وسلمان رجل فارسي ، وهذا كان شاهد كسرى ؛ فتوهم أن حكم  
الكتاب والثقة لحكم تدير السر<sup>(٤)</sup> والقائمين بالملك ؛ فإعماً تكلم على  
عاده وتريته . ١٠

ولعمري لقد كان في قوم قد ساسوا الناس سياسة ورتبهم ترتيباً ؛  
يقطع عن الطمع في الملك بآيين<sup>(٥)</sup> : لم يميلوا للصانع أن ينتقل عن  
صناعته إلى الكتابة ؛ ولم يميلوا للكاتب أن ينتقل من كتابته إلى القيادة ؛  
ولم يميلوا لأبنائهم إلا مثل ما كان لأبائهم ؛ ليمودوا الناس عادة  
يستوحشون معها إلى الخروج منها<sup>(٦)</sup> . ١٥

وإنما حسن هذا في ملكهم إذ كان بالرأي والتلبة ، ولم يكن لأهله

(١) كما . ولله « باب يكثر » أو « باب ينس » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٧٢ .

(٣) في الكلام نفس ظاهر ، تقديره « ما قدرت عليه » أو نحوه .

(٤) السر : القائم والرئيس ، فارسيته « سر » . وفي الأصل : « قدير السر » .

(٥) الآيين : القانون ، كلمة فارسية .

(٦) إنما يقال : استوحش عنه ومنه : لم يأنس .



أُمِّلَ من التدبير والحكم ، لم يكن شأنهم الأخذ بالكتاب والسنة ؛ وسبيل الإمامة غير سبيل الملك .

فإنَّ كان سلمانُ إلى هذا المني ذهبَ ، وإيَّاه عني ، فإنَّما قوله حُجَّةٌ للمباسة لاللملوية .

٥ وسنخبر عن مقالة المباسة ووجوه احتجاجهم بمد فراغنا من مقالة المئانية ، بقاية ما يمكن من الاستقصاء ، وإنصاف البعض من بعض ، لتكون أنت المختار لنفسك بعقلك ، والأقويل ظاهرة بحكمة قدرهناك ؛ فلئن أعجزك الاختيار الأرجح بمد الكفاية إنك عن استنباطه وتخليصه أعجز .

١٠ وقد ذكر هشيم ، عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال : قال سلمانُ حين بُوع : « أصبتم حين بايعتم وحيد الناس ، وأخطأتم حين عزلتموها عن أهل بيت نبيكم ، ولو وضعتوها فيهم لأكلهم رعداً » . وهذا حكمٌ من سلمان أن أبابكر خير من عليٍّ ومن جميع الناس ، والناس على خير الناس أسلحٌ منهم على من دونهم .

١٥ وأخرى : أن سلمان حين قال « كَرْدَاذ » كما زعمتم ، لو لم يكن عندكم عظيمُ القدر نبيلُ الرأي ، قدوةٌ عند الاختلاف ، لم تسمموا قوله بهذا المكان ، حتى صار مثلُ طمعه وخلافه ، ينقضُ إمامة الأئمة ، وتتخذونه على خصائكم حجةً .

وإنَّ كان سلمانُ على ما قد وصفتم ، وبالمكان الذي وصفتم ، من الحكمة والبيان ، فما دعاه إلى أن يكلم العرب والأعراب بالفارسية ، وهو عربيُّ اللسان فصيح الكلام ، وهو يعلم أنه لم يكن بمحضرة الدبنة فرسٌ ولا من يتكلم بالفارسية ولا من يفهمها . وهو إنما أراد الاحتجاج عليهم والإعذار إليهم ، وأن يقضى حقَّ إمامة عليٍّ ويقوم بشأنه .

٢٠

وقد ينبغي لمن بلغ من صِدْق نَيْتِه وفَرَط اجْتِماع لُبِّه<sup>(١)</sup> وشِدَّة عَزيمته أن يتكلَّم في دار التَّقى<sup>(٢)</sup> لافي دار الملاينة ، حتَّى خاطر بنفسه وبكلِّ شيء يهْوِه ، ومن شأنه أن يُفهم الحِجَّة ، ويوضح الموعظة ، ويُبَيِّن عن موضع المَظْلَمَة ، وإلا فسكوته<sup>(٣)</sup> أحسن من الفارسية .

٥ وكيف فهمت معناه العربُ وهي لا تعرف<sup>(٤)</sup> من الفارسية قليلاً ولا كثيراً ، ولم يكن للنبيِّ صلى الله عليه وآله رَجَانٌ يَدِرُّ عنه للفرُس فيكون ذلك التَّرجان كان حاضراً لكلامه ، فيفسِّر للناس معناه .

وكيف نقلت عنه الصَّحابة إلى التَّابعين وكلُّ مَنْ كان بمحضرة القوم حين يأمروا أبا بكرٍ لا يفهمون الفارسية ، ويكون سلمان حينَ تكلَّم بها استرابوا عندها فسألوه عنها ففسَّرها . ولو كان ذلك كذلك لحكاه الذين نقلوا الحديث ، فكان ذلك أحبَّ إلى الروافض ، لأنَّهم إنَّما نقلوه ليرفوا من كان الطاعنَ على أبي بكر . والطمُنُ كما كثرت فيه المراجعة والناقضة ، وطالَ سببُه ، وعُرفَ علمُه ، كان أدلَّ على الشهرة والاستفاضَة ، وأنَّ الأمرَ كان حقاً معروفاً .

١٥ فواحدةً أنَّ الأمرَ لو كان كذلك لكانت الروافضُ أسرع الناس إلى حكايته ، لتستشهدُ على الدعوى ، ولتقوَّى به الحديث ، وتشدَّ به الحِجَّة .

(١) الب : ما جعل في قلب الرجل من العقل . في الأصل : « له » .

(٢) بعد هذه الكلمة في الأصل ورقة بأكلها يبدو أنها قفزت إلى هذا الموضع من نهاية

٣ . الكتاب فردتها إلى موضعها هناك منها عليه .

(٣) في الأصل : « وإلا فسكوته » .

(٤) في الأصل : « وهو لا يعرف » .

- وثانية : أن الناطقين أنفسهم كانوا سيحكونه ، إذ كانوا إنما حكوا نفس الكلمة ليرفؤوا أنه قد كان هناك خلاف ، ويدلونا على أن سلمان كان ممن خالف ، وممن له هذا القدر الرفيع الذي يُحتجُّ بخلافه . وأخرى : أن ذلك لو كان قاله سلمان ، وهو طعنٌ على أبي بكر ، كان مشهوراً عند عمر وعثمان ، وأبي عبيدة وسعد وعبد الرحمن ، وهؤلاء ٥ عندكم شيخ أبي بكر . فكيف أطبقوا على ترك التكلم على سلمان والدأر دارهم والحكم حكمهم ، ومعهم الرغبة والرهبة ، مع أن الجرأة<sup>(١)</sup> على سلمان أيسر وأسلم من الجرأة على أبي بكر . وقد أطبقت على طاعته الأمة خلا أربعة نفر : أحدهم سلمان . وليس سلمانُ معروفًا بالنجدة وشدة الشكيمة ، ولا وراه ظهرٌ يمنعه ، فكيف لم يزجره عن ذلك ١٠ زاجر ، ولم يدفعه عن ذلك دافع . ولم يناظره مناظر ، ولم يتمجّب منه متمجّب ، ولم يرفع ذلك رجلٌ إلى أبي بكر كما رفعوا إليه قول خالد ابن سميد .

- فإن قلت : إن أبا بكر كان مدارياً يتسع صدره لأكثر من هذا كما اتسع صدره فلم يعاتب خالداً ولا أرادَه على بيعته . كيف سلم على حدة ١٥ حكم<sup>(٢)</sup> فأين جدُّ عمر وخذّه وقلة احتماله ، واعتقاده لثل هذا ؟ وكيف [سلم] طلحة مع شدة بأوه<sup>(٣)</sup> وصرامته . ولا نعلم شيئاً مما ادّعوه أظهر باطلاً ، ولا أفسد معنى من قوله « كَرَدَاذٌ وَفَكَرَدَاذٌ » .

٢٠ (١) في الأصل : « الحرة » بالماء ، في هذا الموضع ، وبالجيم في تاليه .  
(٢) كذا في الأصل .  
(٣) البأو : الكبر ورضة النفس .

وأما ما ذكرتم من ترك خالد بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر فإن الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا أن خالداً يوم تُوِّفَ النبي صلى الله عليه كان على صدقات اليمن ، قدم بعد أن بايع الناس أبا بكر ، فلما دخل المدينة استقبله عثمان وعليٌّ فقال لهما : أَرْضَيْتُمْ مَعَشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ أَنْ يَلِيََ هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكُمْ غَيْرُكُمْ ؟ فلم يذكر لنا أنهما ردّا عليه قولاً ، ولا أظهرهما قَبُولَهُ . ثم جَلَسَ عن بيعته لا يسأله ذاك أبو بكر ولا يدعو إليه ، فبينما هو كذلك إذ مر أبو بكر بدار خالد مُطَهَّراً<sup>(١)</sup> لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، وخالدٌ في داره ، فسلم عليه أبو بكر فقال له خالد : أَتُحِبُّ أَنْ أَبَايَكَ ؟ قال : أَحَبُّ أَنْ تَدْخُلَ فِي صَاحِلِ مَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ . قال له خالد : مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةَ . فَأَتَاهُ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَبَايَعَهُ .

ففي هذا وجوه من الكلام :

منه أن خالداً لم يطمئن في إمامة أبي بكر من جهة الجزء<sup>(٢)</sup> والكفاية والكمال والفضل ، ولا من طريق ما تَقَسَّدَ به الإمامة وتَنَقَّصَ به الخلافة وإنما ذكر الحسب وطرائق<sup>(٣)</sup> الجاهلية . وهذا الأمر إن كان مقصوراً في قوم<sup>(٤)</sup> دون قوم ، فليس هو في بني عبد مناف طامة . وإن كان ليس [مقصوراً] في قوم ، وليس لقول خالد معنى ، فإن كان مقصوراً في عبد مناف لَشَرَفٍ أو لِقَرَابَةٍ ، فالعباسُ أولى بذلك من عليٍّ وجميع عبد مناف .

(١) أي في وقت الظهيرة .

(٢) الجزء : الكفاية والثناء . وفي الأصل : « الحرو » .

(٣) في الأصل : « طرئق » .

(٤) في الأصل : « في قوم » .

ولو أراد علياً لم يقل : أَرْضَيْتُمْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ١؟ لَأَنَّ عُمَانَ وَعَلِيَّ  
مَنْفِيَّيْنِ ، بل كان يقول : أَرْضَيْتُمْ مَعْشَرَ الْعِتْرَةِ ، أَوْ مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ  
وَمَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . مع أَنَّهُ لو قال ذلك لكان للعباس في ذلك  
القول من السَّبَبِ ما ليس لعلِيٍّ ؛ لَأَنَّ هذا الأمر إن صَلَحَ أَنْ يُخْرَجَ  
من رَهْطِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ دُنْيَا ، وَمَنْ أَقْرَبَ النَّاسَ إِلَيْهِ ، إِلَى أَقْصَى ٥  
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، لَصَلَحَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى أَقْصَى بَنِي كَلَابِ . فإذا كان ذلك  
كَذلكَ فَتَيْمٌ وَعَبْدُ مَنْفٍ سِوَاهُ .

وَمَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، أَنَّ هذا الأمرَ إِنْ كَانَ  
إِنَّمَا يُسْتَحَقُّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْجُزْءِ <sup>(١)</sup> وَالْفَنَاءِ <sup>(٢)</sup> فَلَيْسَ لِدِكْرِ عَبْدِ مَنْفٍ مَعْنَى .  
وَإِنْ كَانَ هذا الأمرُ لِأَفْضَلِ قَرِيشٍ كَانَتْ مَن كَانَ فَلَمْ يَقُلْ خَالِدٌ شَيْئًا ، ١٠  
وَلَيْسَ لِدِكْرِ عَبْدِ مَنْفٍ مَعْنَى .

وَإِنْ يَكُنْ هذا الأمرُ فِي أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آلِهِ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا .

وَإِنْ يَكُنْ هذا الأمرُ لِرَجُلٍ بَعِيْتُهُ قَدْ نَصَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَدَلَّ  
عَلَيْهِ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسِيرَ بِالنِّصْبِ ١٥  
أَوْ بِالْمَدْلُولِ عَلَيْهِ .

أَوْ يَكُونُ هذا الأمرُ لَا يُصَابُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْوَرَاثَةِ . فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
كَذَلِكَ فَلَمْ يَصْنَعْ خَالِدٌ شَيْئًا ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْوَرَاثَةِ أَظْهَرُ أَمْرًا وَأَشْهَرُ

(١) فِي الْأَمَلِ : « الْحُرُوفُ » - وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٩٠ .

(٢) كَتَبْتُ فِي الْأَمَلِ : « النَّفْيُ » .

موضعاً من أن يحتاج إلى كلمة ليست بأن تدلّ عليه بأقرب منها من أن تدلّ على خاله نفسه .

ووجه آخر : أنه قصد بكلامه إلى عثمان وعليّ جميعاً ، ليهزّهما معاً ؛ لأن هذا اللفظ الأغلب على ظاهره حُبُ العصبية ، والحماة على الأحساب ، وترك التّخاير بالأفصال ، والتفاضل بالجزء<sup>(١)</sup> والكمال .

ولمّله أراد عثمان دون عليّ ، أو لعله أراد نفسه والتذكير بها والتنبية عليها ؛ فإنه كان أشرف من عثمان وأقدم إسلاماً منه ، وكان من مهاجرة الحبشة ، وكان ذا قدرٍ عظيم . وهو ابنُ أبي أُحَيحة<sup>(٢)</sup> ، وكان أبو أُحَيحة إذا اعممّ بمكة لم يسمّ بها أحد ؛ إكباراً لقَدْرِهِ ، وتفضيلاً لحاله<sup>(٣)</sup> . ١٠

وكان عثمان لا يحال . . . سعيد بن العاصي .

وظاهر كلام خالدٍ وقع على عبد منافٍ مُجَمَّعةً ، وهو يرى أنه في الشرّ منهم . فإن كنتم أردتم أن تُضَيِّروا عن خلافِ خالدٍ على أبي بكرٍ وجُلوسه عنه ، فلقد كان ذلك حتّى راجعَ من تلقاء نفسه ، وناب إليه طازبُ رأيهِ ، فأنابَ إلى خطّته ، ودخلَ في صالحٍ ما دخل فيه غيره . ١٥ وما كان تخلّفُهُ عن بيعته إلّا ربّما ذهب عنه حِمِيَّتُهُ ، وانجباب عن . . . وتيقّظ من نومه .

(١) في الأصل : « والفاصل بالهرو » .

(٢) أبو أُحَيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس . الإصابة ٢١٦٣ .

(٣) ما يفسد ذلك ما أنفذه المبرد في الكامل ١٩٧ :

أبو أُحَيحة من يسمّ عمته يضرب وإن كان ذامال وذو عدد

وما ذلك بأعجب من اجتماع الأنصار وقوله للمهاجرين الأولين :  
 « مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ! » والفار دارم ، والمهاجرون ضيفانهم وزُؤِلَ  
 فيهم ، وم أولُ النَّاسِ والعَدُوُّ والصَّلاحُ والرأى ، فكانوا مُجَلِّين<sup>(١)</sup>  
 جادّين مجدّين ، فإِذَا هُوَ إِلَّا أَنْ هَجَمَ عَلَيْهِ الصَّدِيقُ وَقَامَ فِيهِمْ مُرْشِداً  
 ومُعْتَبِراً [ حتى ] استبدلوا بالخلاف طاعة ، وبالضَّجَّةِ إطراقاً ، وبالأَنَفَةِ •  
 خضوعاً ، وبالطَّيْشِ حُلماً ، وأنصتوا ممّا واستمعوا ممّا .

وكان السائل إنما أراد ترفيقاً أَنَّهُ كَانَ مِنْ خَلْدٍ خِلَافٌ . فقد كان  
 ذلك ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَعَرَفَ مَوْضِعَ خَطئِهِ ، غَيْرَ مَرْغُوبٍ وَلَا مَرْهُوبٍ .  
 وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَجْمَلَ هَذَا وَشَبَهَهُ حُجَّةً فِي إِمَامَةِ عَلِيٍّ فَلَيْسَ  
 لِعَلِيٍّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى إِمَامَتِهِ قَبْلُ وَلَا كَثِيرٌ ، ١٥  
 إِذْ لَمْ يَذْكُرُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِ ، لَا فِي يَسِيرِ أُمُورِهِ وَلَا عَسِيرِهِ .  
 وَلَوْ ذَكَرُوهُ مَا كَانَ لَذِكْرِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلَى بِالْإِمَامَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ،  
 مَهْمَا عَدَدْنَا عَلَيْكَ مِنْ خِصَالِهِ الَّتِي لَا تَبْقَى بِهَا عَلِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ .  
 وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ هَذَا الْإِدْخَالُ حُجَّةً لَوْ قُلْنَا : إِنْ أَحَدًا لَمْ يَخَالَفْ  
 أَبَا بَكْرٍ .

١٥

ورضى الجميع وسكونهم وصوابهم<sup>(٢)</sup> لم<sup>(٣)</sup> يكن ليهباً أبداً ، حتّى لا ينطق  
 أحدٌ بحرفٍ واحدٍ لا جاهلٍ ولا عالمٍ ، ولا عصى ولا حاسدٍ .  
 وكيف يتفق إطباقهم على سكونٍ واحدٍ والناسُ من بين حاسدٍ وراضٍ ،  
 وعصى وتقى ، وحليمٍ وسخيفٍ ، وغالطٍ ومصيبٍ ، وعاقيلٍ وأحمقٍ ؟ !

٢٠

(١) التجليل : الصَّخْبُ والتصويت .

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) كذا في الأصل .

وإذا كان النبي صلى الله عليه مع راحته على جميع الخلق لم يسلم على أمته [ من ] المتجيبين له ، فضلاً على جاحديه والمنكرين له ، كان أبو بكر أجدر ألا يسلم من رعيته .

ولقد قام رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه فقال : والله يا محمد ما عدلت في الرعية ، ولا قسمت بالسوية . وقال الله : « ومنهم من يليرك في الصدقات<sup>(١)</sup> » وقال : « إن الذين يتأذونك من وراء الحجرات<sup>(٢)</sup> » .  
وقال عباس بن مرداس :

أجعل نهبي ونهب الثيبين بين عينة والأقوع<sup>(٣)</sup>  
فأكان حصنٌ ولا حابس يفوقان مرداس في الجمع

١٠ في شعر له طويل .

وقال أبو حذيفة بن عتبة<sup>(٤)</sup> يوم بدر : يقتل أبناءنا وأعمامنا وبنهانا عن عشرة<sup>(٥)</sup> ، والله لئن أدركنت لألجئته بالسيف !

وخالفوا عليه في يوم الحديبية في نحر الهدى ، وحيث قالوا : « لا نعطى الدنية مرةً بعد مرة » ، في أمور كثيرة .

١٥ فليس في طمن الطاعن دلالةٌ إذا كان الطمون عليه كاملاً فاضلاً .

(١) الآية ٥٨ من سورة التوبة . وانظر تفسير أبي حيان ٥ : ٥٥ .

(٢) الآية ٤ من سورة الحجرات .

(٣) انظر الخزانة ١ : ٧٣ . والميد : اسم فرس عباس . عينة بن حصن الفزاري . والأقوع بن حابس المخاشمي التميمي . أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بئر وكان من الألفة ظروهم ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر فمضطها .

(٤) الإصابة ٢٦٣ من باب الكنى ، والسيرة في مواضع كثيرة . وفي الأصل : « عيه » .

(٥) في الأصل « عسرة » !



وإجماع الناس كلهم على الصواب أمرٌ لا ينال ، ولكن إذا كانت الأمة قد أطبقت على طاعة رجل على غير الرغبة والرغبة ، ثم لم يكن اغتراراً ولا إغفالاً ؛ فليس في شذوذ رجل ولا رجلين دلالة على انتقاض أمره ، وفساد شأنه .

- ٥ . وليس يحتجُّ بهذا وشبهه إلا رجلٌ جاهل بطبائع الناس وعلمهم . ولو كان هذا وشبهه ناقضاً لإمامة أبي بكر ، كانت إمامة على أفضل وأفسد ؛ لأنَّ الدنيا انكفت بأهلها عليه<sup>(١)</sup> وماجت بساكنها ... من ولايته ، وتداعت من أقطارها ، تريد محاربته ، حتى لقد نازعه فيها من ليس في مثل حاله ولا شرفٍ موضعه ؛ ولا في فضيلة دينه فناهضه الحرب ، ونازله القتال ... يئسته ، والتج<sup>(٢)</sup> عليه الخلاف من أهل طاعته ، وموضع الجدِّ في عسكره ، فردَّ بأسه في أصحابه ، وصرف كيدَه إلى جنده ، وجلس خَلَى الذَّرْع ، رضى البال ، [ في ] عجب القاتن وسرور المخادع ، وعزَّ المصيب ، وبأو الأريب<sup>(٣)</sup> . ثم بعث رسولاً قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ فكان رسولُه المخدوع ورسولُ خصمه المخادع ؛ ثم رجعت الأمور إلى ١٥ خصمه ، وانثرت منه ومن ولده مرةً بالبطش ، ومرةً بالحيلة .

ثم كان يرى من خلاف أصحابه واضطراب جنده وتبديل أصحابه مثل ما يرى خصمه من طاعة خاصته ، ونصرة جنده ، وثبات عهد أصحابه ؛ فلم يكن ذلك عاراً عندنا ولا عندكم على عليّ ، ولا دليلاً على قس رأيه ،

(١) في الأصل : « على » .

(٢) التج : اختلط . في الأصل « والبع » .

(٣) البأو : السكب والقتل .

وضمف حَزْمُه ، وَسَمَة علمه وكثرة فضله . وقد أسابه من الخلاف والتمذّر وانتشار الأمر ، واضطراب الجبل ، وظفر الأعداء وشماتة الحساد ، ما قد رأيتم ؟ ثم قد جثم تشبثون بطن سلمان ، وقول أبي سفيان ، وقعود خالد ، كأنكم لم تعرفوا ما عند خصومكم ؛ غرارة وقصا .

٥ وأعجب من هذا أنكم مرة زعمون أن الذي حمل بني أمية على صرف الإمامة عن عليّ الضنن الذي في قفوسها ، والأحقاد التي في صدورها ، لقتل عليّ أبناءها وإخوتها وأعمامها . ومرة تملّون وتحتجّون في نقض إمامة أبي بكر بطن عظيمي بني أمية في إمامته كمل ؛ كخالد بن سميد ، وأبي سفيان بن حرب . وإذا شتم كانا لكم ، وإذا شتم كانا عليكم .

١٠ وأما ما ذكرتم من قول أبي بكر : « ما كانت يبعثي إلّا فلتة » ، وقول عمر : « ما كانت يمة أبي بكر إلّا فلتة وفي الله شرّها » فإنّ الأمر على هذا واضح ، والحجة فيه قاعة .

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفّي كان الناس على طبقات : من رجل مؤمن عالم ، ناصح لله ورسوله .

١٥ ومن رجل مطاع ليس له علم بالإمامة ، وما السبب الذي به تنمقد من السبب الذي به تنحل .

ومن رجل مكانه في قريش أشرف من مكان أبي بكر ، وليست غايته سلاح المسلمين ، إنّما غايته أن يكون الإمام من أقرب القبائل إليه ، ليزداد هو وقومُه بذلك شرقاً وغرباً .

٢٠ ومن رجل له قرابة فهو يرى أنّها تغنيه عن العلم والعمل . ومن رجل شديد في رأسه ، ضعيف في دينه ، مخفّر في ذات يده

يبعدُ الهمة حامله في هدوء الناس وأتتهم ، فهو لا يألو إضرامَ الفِتنَةِ ،  
وتهيسح السَّفلة ، يرى أنَّ في المَهِيجِ ظهورَ نَجْمِهِ ، وخروجَه من المحول  
إلى النَّبَاهَةِ ، ومن الإِفلال إلى الإِكثار .

ومن رجلٍ دخل في الإسلام مع مَنْ دخل في دين الله ، دخل من  
الأفواج ، لا يعرف حقيقته ، ولا يستريح به إلى التَّقَةِ . ٥

ومن رجلٍ أخافَه السَّيْفُ ، واتَّقَى الدُّلَّ والقَتْلَ بإسلامه ونِفاقه ،  
كنافقِ المدينة وَمَنْ حولها من أهل القرى والبادية ، يَمْضُونَ على السِّلِينِ  
الأناملِ بالنَّيْظِ ، ومم البِطَانَةُ لا يَأْلُونَ خِبالاً ، يَتَرَقَّبُونَ الدَّوَارَ ،  
ويَنْفِرُونَ إلى الأراجيف ، ويستريحون إلى الأمانِ .

ومن رجلٍ صاحب سَلَمٍ ، يَدِينُ لِمَنْ غَلَبَ ، لا يَدْفَعُ مُبْطَلًا ولا يُعِينُ ١٠  
مُحَقًّا ، يرى أنَّ سَلاحَ خاتمه هو صلاح العامة .

ثم أتى كَانَ من وثوب الأنصار ، ومم أهل المدد وأصحاب الدَّارِ  
والأموال ، على أمرٍ لو تَأَيَّمَهُم المَاجِرُونَ عليه حتَّى يكون من كل فرقة  
أَمِيرٌ ، لفتحت بذلك باباً من الفساد لا يقوى أحدٌ على سدِّه ، ولكن

الذي يقع بين الأوس والخزرج في الأمر أشدُّ مما كان يُخَافُ منها ومن ١٥  
قريش ؛ لأنَّ القرابة كلَّما كانت أَمَسَّ ، والجوار أقرب ، كانت الدَّوَاؤَةُ  
على قَدَرِ ذلك .

ولو أنَّ الأنصار حين أنام أبو بكر فَاظْهَرُوا الشَّقَاقَ والخِلافَ . . . (١)  
عن الحقِّ وَجْهِيهِ ، ما كان لهم دون البَوَارِ مانع ، ولكن غيرَ مأمون  
وثوبٌ مَنْ بالمدينة وَمَنْ حولها من المناقِيقِ وأشباهِهم ، من الحَشَوِ ٢٠

(١) يانر في الأصل بقدر ثلاث كانت .

والطَّغَامَ ، وَلَكَانَ غَيْرَ مُأْمُونٍ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ مَنْ حَوْلَ الدِّيْفَةِ مِنَ الرُّتْدِيِّينَ ، ثُمَّ بَدَّلَ إِسْلَامَهُ سَاعَةً بَلَنَتْهُ وَقَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .  
ولو ساروا إلى ذلك لكانوا أقوى من المهاجرين والأنصار ، إذ كانوا جميعاً نَشْرَأَ<sup>(١)</sup> وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، وبأسُهم بينهم ، وَلَكَانَ غَيْرَ مُأْمُونٍ عند ذلك أَنْ يَنْزُومَ مُسِيلَةُ فِي أَهْلِ الْيَمَامَةِ قَاطِبَةً مَعَ مَنْ حَوْلَهَا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ . ثُمَّ كَانَ غَيْرَ مُأْمُونٍ أَنْ يَسْتَمِدَّ بِجَمِيعِ أَهْلِ الرُّدَّةِ مِنْ نَكْتِ<sup>(٢)</sup> وَنَسَبِ الْعِدَاوَةِ .

وَجَمِيعُ مَا قُلْنَا إِنَّهُ كَانَ غَيْرَ مُأْمُونٍ ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِأَسْبَابٍ قَدْ كَانَتْ هُنَاكَ قَائِمَةً مَرْوُوفَةً ، فَمَا عَسَى نَفْسُهُ<sup>(٣)</sup> لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَا وَصَفْنَا وَزَعَمْنَا . ١٠

قَدْ صَدَّقَ أَبُو بَكْرٍ وَصَدَّقَ مَرُءٌ أَنَّ تِلْكَ الْبَيْمَةَ كَانَتْ فِلْتَةً وَأَعْجُوبَةً وَغَرِيبَةً ، إِذْ سَلَسَتْ عَلَى كُلِّ مَا وَصَفْنَا مِنْ أَسْبَابِ الْمُلْكَةِ ، وَهِيَ سَرَبَجٌ<sup>(٤)</sup> ، وَلَيْسَ دُونَهَا سِتْرٌ وَلَا رِدٌّ<sup>(٥)</sup> ، فَكَانَتْ يَبْتُهُ يُنَمُّ وَأَبْرَكَةً أَهْذَ اللَّهُ بِهَا مِنْ الْمُلْكَةِ ، وَجَمَعَ بِهَا مِنَ الشَّتَاتِ ، وَرَدَّ بِهَا الْإِسْلَامَ فِي نَصَابِهِ ، بِمَدِّ تَحْلُمِهِ وَاضْطِرَابِهِ . فَأَمَاتَتِ السَّخِيْمَةَ ، وَأَوْدَعَتِ الْقُلُوبَ السَّلَامَةَ ، وَجَمَعَتِهَا عَلَى الْأَلْفَةِ . ١٥

(١) القفر : الخفرلون . وفي حديث عائشة : « فرد نفر الإسلام على غره » ، أي رد ما انقصر من الإسلام إلى حالته .

(٢) في الأصل : « لئن نكت » .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) السرخ : الأرض الواسعة البعيدة الأجزاء . في الأصل : « سوغ » .

(٥) الرد ، بالكسر : ما يرد الشيء . أنشد في اللسان :

• فكان له من البلايا ردا •

أي مقفلا يرد عنه البلاء .

وهذه مكرمة وعطية ، ولا يجوز أن يجبر بها خالق الباري إلا نبياً  
أو خليفة نبي .

فأما قوله : « ما كانت يمتي إلا فلتة وفي الله شرها » ، قول  
امريء عالم بالمواقب ، عالم بأسباب الفتن ، شديد الشفقة منها ، حامد لربه  
على السلامة منها .

- أَوْ مَأَلَتْ أَنْ أَبَا بَكْرٍ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَاجِرِينَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالنَّبِيُّ مَسْجُوعٌ ، وَهُوَ يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ وَيَرْفَعُهُمْ سَرَقَهُمْ ،  
وَاعْتَدَاهُمْ فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَمُتْ . وَقَدْ خَافَ أَنْ  
يَصِيرَ بِهِمُ الْإِفْرَاطُ فِي التَّعْظِيمِ ، وَالْفُلُوفُ فِي الْحُبِّ ، أَنْ يَضَارِعُوا مَذْهَبَ النَّصَارَى  
وَخَافَ أَنْ يَكُونَ آخِرُ أَمْرِهِمْ أَشَدَّ مِنْ أَوَّلِهِ . وَكَانَ أَشَدَّ الْأُمُورِ عَلَيْهِ فِي ١٠  
ذَلِكَ أَنْ مِثْلَ مُرٍّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَعُمَانٌ ، هُمُ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا  
إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْقَوْلِ ، فَبَدَرَهُمُ بِالْخُطْبَةِ مَحْتَجًّا عَلَيْهِمْ وَمَعْرِفًا لَهُمْ مَوَاضِعَ  
غَلْطِهِمْ ، وَنَحْصَ إِفْرَاطِهِمْ ، فَخِينٌ تَبَيَّنَ لَهُمْ خَطُؤُهُمْ وَسَلَمُوا لاحتِجَاجِهِ  
عَلَيْهِمْ ، أَنَاهُ آتٍ فَقَالَ : إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ اجْتَمَعَتْ إِلَى سَمْدِ بْنِ عُبَادَةَ  
فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، يَقُولُونَ : مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ ، ١٥  
وَسُورَ لَهُ الْحَزْمُ كُلُّهُ خَوْفٌ ، فَظَلِمَ أَنْ الْهَاءَ الْتَقَى عَنْهُ نَطَقُوا أَشَدَّ عِلَاجًا  
مِنَ الْهَاءِ الْتَقَى عَنْهُ مَرُّ وَعُمَانٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَالْقَفْرُ مِنَ الْمَاجِرِينَ  
الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ لَمْ يَمُتْ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ إِرَاءَهُ كُلَّ  
سَقَمٍ أَهْوَنُ مِنْ إِرَاءَةِ سَقَمِ الْحَيَاةِ وَالطَّمَعِ فِي الْمُلْكِ ، وَلَا سِيَّماً إِذَا شَاهَبَهُمَا  
سُوءُ تَأْوِيلٍ ، وَضَافَرَهَا الْحَسَنُ بِالْقُوَّةِ . وَهَذَا لَهُوَ الْهَاءُ الْمُضَالُ <sup>(١)</sup> ، وَالْبَاهِيَةُ الْقَامُ . ٢٠

(١) فِي الْأَصْلِ : « الضَّاء » .

فلما انتهى إليه أمرهم ، وعَرَفَ جميع ماعليه طبائهم وعلمهم ،  
وطبائع أنبياعهم ، لم يكن شئٌ أُمُّ إليه من الدِّيار إليهم قبل أن  
يسفُحل الشرّ ، ويَتَمَكَّن المزم ، فَرَّ حثيثاً وتبعه عُمر ، ولحقه أبو عبيدة  
في نفر من قريش ، فيمرُّ بالناس حَلَقاً عَزِيزاً وهم يَبْكُون ويتحدّثون ،  
فيقبل عليهم فيقول : أنتم جُلوسٌ تفرُّكون أعييتكم وفي الإسلام المسا  
• البدار . وقيل البوار <sup>(١)</sup> .

فلو لم يتداركم بحيطته وقطته وصدق حسّه ، وأبطأ عنهم ربنا كانوا  
يتطارحون الرأى ، ويستثيرون دفين الحسد حتى يتمكّن ذلك الحسد ،  
وتتمثّل لهم صورة الظفر ، فلو هَجَم عليهم أبو بكر في ضيف من بالديفة  
من قريش ، لم يكن في طاقهم دَفْعُهُم ، والدَّارُ دارُهم ، والبلاد بلادهم  
١٠ والبادية باديتهم ، ومن فيها تبعٌ لهم ؛ فكان من صنع الله أن كان هو  
الدَّائد والقائم ، والحارس ، والماعف والدَّاوى ، ولم يكلمهم الله إلى نظرهم  
واختيارهم ، فيكون ذلك فسادهم وهلكتهم .

فإن قالوا : فما معنى قول أبو بكر للأَنْصار حين أنام : « إن هذا  
الأمر ليس بِمُخْلَصٍ . قد علمت مشرَّ قريش [ أنا ] أكرمُ العربِ  
أحساباً ، وأقربها أنساباً ، وأنا عِرة النبي صلى الله عليه وأسله ، والبيضةُ  
التي تَقَعَّت عنه ؟ »

فلم يذكر أبو بكر قريشاً وأحسابها وعِرة النبي صلى الله عليه والبيضة  
التي تَقَعَّت عنه ، إلا وهو يرى أن له عليهم بهذا من الفضل ما ليس لهم ،  
٢٠ ومن السبب إلى اختلافه ما ليس لهم . فقد يفتنى أن يكون لبني هاشم على  
هذا القياس من الفضل والسبب ما ليس لبني تيم .

قلنا لهم : إن أبا بكر لم يقل هذا القول وهو يريد معنى مذهبكم فيه ، مع أنكم قد قطعتم الكلام ، لأنه قال : « فإنه لم يكن فينا فكان يوح<sup>(١)</sup> به وإنا نحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، وإن الله لم يذكرنا وإنا كم في شيء من القرآن إلا بدأ بذكرنا قبلكم ، فنأ الأمراء ومنكم الوزراء » .

فلم يقل أبو بكر : « قد علمت يا مشر قريش أنا أكرم العرب أحساباً ، وأبغها أنساباً ، وأنا عترة النبي وأسله » ، وهو يريد أن يخبر أن الرئاسة في الدين تستحق لنير الدين ، والخلافة أعظم رياسات الدين ، فلي حسب ذلك محتاج إلى العمل الصالح .

- ولكن أبا بكر خطب على قوم كانوا يرون الحسب قدراً ، وللقراية ١٠ سبياً ، فأنام من أنام<sup>(٢)</sup> ، وأخذهم من أقرب مأخذهم ، واحتج عليهم بالذي هو عندهم ، ليكون أقطع للشعب ، وأسرع للقبول . وليس في كل المواضع تفسير لحجة أمثل من إظهار الجملة ، وتبريف الناس الناية ، وحلهم على أدق الحجج وأصوبها . ولربما أخفى الإمام<sup>(٣)</sup> كثيراً مما يريد بالناس عنهم ، الذي . . . . من بعضهم عن فضله ، وضيق صدورهم عن سمة ١٥ فضله ، بل يعلم أنه لو أطلعهم طلع إرادته<sup>(٤)</sup> ، والذي عزم عليه من سلاحهم ، كانوا أسرع إلى طلب بفضه من عدوم .

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : « من أنام » .

(٣) في الأصل : « الاهتمام » .

(٤) في اللسان : « وفي حديث ابن ذي يزن ، قال لبيد المطلب : أطلعك طله .

أي أعلتك . بالكسر : اسم من اطلع على الشيء . إذا علمه » .

وقد دلّ أبو بكرٍ على مذهبه في الأحساب في أوّل خطبة خطبها على المهاجرين والأنصار ، حين قال في كلامه :

- «وعليكم بتقوى الله ؛ فإن أ كيس الكيس التقوى ، وأحقّ الحق الفجور ، وإني متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وأن زِغْتُ قهّوموني . أيّها الناسُ ! إنّه لم يدع الجهادَ قومٌ قطّ إلّا ضربههم ٥ الله بذلّ ، ولم تشع الفاحشةُ في قومٍ قطّ إلّا عمّهم بالبلاء . أيّها الناسُ اتّبعوا كتابَ الله ، وأقبلوا النصيحة ، فإنّ الله يقبلُ التوبة ، ويسفو عن السيئة . واحذروا الخطايا التي لكلّ بني آدم منها نصيب ، ولكنّ خيرهم من اتّقى الله . واتّقوا يوماً لا ينفَع فيه حِمٌّ ولا شَفِيعٌ يُطاع .
- ١٠ ألا تراه ذكر جميع بني آدم ثم قال : ولكنّ خيرهم أمّهم كما قال الله : « إن أكرمكم عند الله أتقاهم » ثم قال : اتّقوا يوماً لا ينفَع فيه حِمٌّ ولا شَفِيعٌ ؛ قد أخبرَ عن نفسه ومذهبه في ذلك القامِ بناية ما يتكلّم به أصحابُ التَّسْوِية . فكانَ أبا بكرٍ إنمّا قال : فإن كان هذا الأمرُ مَمَشَرِ الأنصارِ إنمّا يُستَحَقُّ بالحسَب ، ويُستَوْجَب بالقرابة قهريش أكرمُ منكم ١٥ حسبا ، وأقربُ منكم قرابة ، وإن كان إنمّا يُستَحَقُّ بالفضل في الدِّين فالسابقون الأوّلون من المهاجرين القدّمون عليكم في جميع القرآن أولى به منكم . لأنّ أبا بكرٍ ذكر في صدر كلامه الحسَبَ والقرابة ، وفي عجزه فضلَ المهاجرين على الأنصار . فلما أبصرَ القومُ وجهَ الحجة ، وقرّروا بما لم يزل عليه قبل ذلك طبائهم ، لحقوا بالطاعة وأعطوا القادة .

٢٠ وكيف يكون كبار الأنصار أفضلَ من كبار المهاجرين ، وقد سبقهم المهاجرون وأسلموا قبلهم بالسَّنين قبل السَّنين ، والأنصارُ بَمَدُّ على دين



آبائهم ، وعبادة أَسَنائهم . ثُمَّ التفتى لى المهاجرون فى الله يبطن مكة  
والأنصارُ وادْعُون فى بيوتهم ، راضون فى ديارهم ، ناعمٌ بالهم ،  
خَلِيٌّ سَرِيحٌ<sup>(١)</sup> ، لذيذٌ عيشهم . ثُمَّ هاجَرُوا إلى دارهم فكانوا مَعاً  
فى العبادة والجهاد ، إلّا ما قَضَوْا به من وَحْشَةِ الاغتراب ، وفراق الدار  
والأحباب . فللمهاجرين مثلُ ما للأنصار ، وقد بانُوا بسابقتهم ، وإنّا قُدِّمُوا  
فى القرآن لتقدُّمهم فى الإسلام .

وكا أن المهاجرين الأولين ليسوا كغيرهم من المهاجرين ، وكا أن  
مَنْ أسلمَ بعد الفتح ليس كمن أسلم قبله ؛ فكذلك ليسَ مَنْ أسلمَ والناسُ  
كلُّهم كفارٌ غيره ، كمن أسلمَ وقد أسلمَ الناس قبله .

وأنت إذا تأمَّلت قولَ الصَّدِّيقِ للأنصار : « إنَّ هذا الأمر ليس  
بِخُلَّةٍ » علمتَ أنه كان ثابتَ الجُنَّان ، رابطَ الجأش ، واثقاً بالحجة ،  
عارفاً بمواضع الإمامة ، وإنّا كانت غايته تقريرُ بفضيلة المهاجرين ،  
لأنَّهم إذا صاروا إلى ذلك فلا حاجةَ به إلى ذكر نفسه وتبريئهم فضله ،  
لأن تبريئه كان بيناً على المهاجرين ، وفضله كان ظاهراً على السابقين .

والدليل على ذلك أنَّ خَوْضَ الأنصار وكلامها لم يكن إلّا فيما بين  
مُجَلَّةِ الأنصار ومُجَلَّةِ المهاجرين ، قالوا : مِنّا أميرٌ ومنكم أمير . فاهو  
إلّا أن قرَّرم بفضيلة المهاجرين فلم يكن لهم بعد ذلك متكلِّم ، حتّى  
أطبَقوا جميعاً على بَيْمَتِهِم والمهاجرون من بين جميع المهاجرين - فلا يستطيع  
أحدٌ أن يدعى أن إنساناً قال من الأنصار : فإن كان لابدٌ أن يكون  
منكم الأُمراء فليكن فلان ، فإنّه أفضلُ وأحقُّ بقرابةٍ أو بمثل -  
فسكرتوا ممّا سكتةً واحدةً ، وسلموا ممّا تسلياً واحداً .

(١) السرب ، بالفتح : الطريق والوجه والرأى .

ولو أنَّ الأنصار كانوا قد سَلَّموا للمهاجرين في البدء فلم يفارقوا ولم يَبَادُوا ، وكانوا كالمهاجرين في إطباقهم على أنَّ الإمام منهم ما كان ليظهر للناس من شهامة أبي بكر وصرامته واجتماع نفسه وقوة مُنته ، وجَدَر رأيه ، وقِلَّة حيرته وتَضَجُّمِه<sup>(١)</sup> مثلُ الذي ظهر لهم . وإنَّما يَعْرِفُ الماقلُ فَضْلَ الماقلِ في مَصَائِقِ الأمور ، وساعةِ الجُلُوة ، والمَسْجِلَةِ والحيرة ، وظُهورِ الفِتنة ، ومَوَجَّانِ السَّقْلَةِ ، واضطرابِ المِلَّةِ<sup>(٢)</sup> واختلاطِ الخاصَّةِ بالعامَّة .

فَهَلْ أَعْضَلَ بِهِ دَلَا فَمِ يَسُدُّ نَفْرَه<sup>(٣)</sup> ، أَمْ هَلْ نَجَمَ بِلَا فَمِ يَتَوَلَّى قَمَه ١٩  
وزعمت (المثانية) أنَّ أَّ أَحَدًا لَا يَنَالُ الرِّيَاسَةَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ الدِّينِ .  
١٠ ولَوْ جَازَ أَنْ يَعْطَى اللَّهُ رَجُلًا عَطِيَّةً وَيُفَضِّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَشَبَه ، وَعَمَلُهُمَا سَوَاءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، جَازَ أَنْ يُفَضِّلَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ .

وليس ذلك كالماقَى والمُبْتَلَى ؛ لِأَنَّ المَافِيَةَ والبلاء ، والشُّكْرَ والصَّبْرَ ، والثَّوَابَ عَلَى الطَّاعَةِ بهما والمَقَابَ عَلَى المَصِيبَةِ فِيهِمَا ، إِذَا وَازَنَتْ بَيْنَ عَوَاجِلِ أُمُورِهِمَا وَأَوَاجِلِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِهَا ، رَأَيْتُهُمَا سَوَاءً لَا فَضْلَ بَيْنَهُمَا . ١٥

وكذلك شَأْنُ المُلُوكِ والمَالِكِ ، والفَقِيرِ والنَّعِي ، والمُبْتَلَى والمُغَافِ .  
فَإِنَّ كَانَ القَرِيبُ القَرَابَةِ والبَعِيدُ القَرَابَةِ سَبِيلَهُمَا فِي النِّقْصِ وَالْفَضْلِ ، والصَّبْرِ والشُّكْرِ ، والثَّوَابِ والمَقَابِ ، وَجَمِيعَ حَالَتِهِمَا فِي المَاجِلِ وَالْآجِلِ ، كَالْمَاقَى وَالْمُبْتَلَى ، والمَالِكِ والمُلُوكِ ، والفَقِيرِ والنَّعِي ؛ فَلَيْسَ بَيْنَ القَرِيبِ

٢٠ (١) تَضَجُّعٌ فِي الْأَمْرِ : تَهَدُّعٌ وَلَمْ يَقُمْ بِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « النَّبْطَةُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « قَلَمٌ يَسِيرُ بِهِ » .

والبعيد فرق ، وليس لقرايته فضيلةٌ على غيره ، ولا ينفعه شيء إلا كما نفع الماعى والنبي في ظاهر أمرهما ، وما يقع البيان عليه منهما ، وهما في النبي والمصلحة ، والنظر والصنيع ، سواء .

وليس على هذا بنى القوم أمرهم في القرابة ؛ لأنهم زعموا أن القرابة سببٌ للرئاسة في الدين . ولو قالوا إنها سببٌ لفقْدَر والتباهاة في الدنيا كان ذلك وجهاً ، كما ترى من فضل حال النبع الرهط ، الجليل الرثاء ، والماعى في يده الكثير المال ، على القليل الرهط القديم في روائه ، المبلى في يده ، القليل ذات اليد ، وهما في مُمَيَّب أمرهما ، وفيها لا يقع البيان عليه من شأنهما ، سواء في صنع الله وفضله وعائده .

- [ وإنما ] كان لنا أن نزعّم أن القرابة تنفع في الدين والحسب ١٠  
فكون سبباً إلى الرئاسة فيهما ، أن لو كنّا رأينا من عظم قدر القرابة ونبل من أجله<sup>(١)</sup> نال الرئاسة الكبرى بالحسب . فإذا رأينا النبي صلى الله عليه لم يستحق ذلك الموضع البائن العالى إلا بالفضل دون المركب<sup>(٢)</sup> كان من متّ بقرابته أجدر ألا ينال الرئاسة إلا بالفضل دون المركب ؛ لأن النبي صلى الله عليه لو كان نال ذلك بالهاشمية كان هو ورجلٌ من ١٥  
عُرَض بنى هاشم سواء .

ولو كان ناله ببعد الطلب لكان ولدُ عبدِ الطلب لصُلبه أقرب إليه . وقد نعلم أن ذلك لو كان لشخصٍ بالهاشمية أو بالطلبية لكان لعل في ذلك ما ليس لأحد ، لأنّه ابنُ أبى طالب بن عبدِ الطلب بن هاشم ، وأُمّه فاطمة ابنة أسد بن هاشم .

(١) كذا في الأصل .

(٢) للمركب : الأصل والمنتب . هو كريم المركب ، أى كريم أصل منصبه في قومه .

فلما وجدنا الأمر كما ذكرنا ، علمنا أن النبي صلى الله عليه لم يصيره مستحقاً لأعظم الرياسات وأشرف القامات إلا بالعمل ، إذ كنا قد وجدنا من يساويه في الهاشمية لا يستحق مثل ماله .

وزعمت ( الثمانية ) أن لها في التسوية بين القريب والبعيد حججاً كثيرة ، قد عرفتها وسمعتها من أهلها .

ولكن كتابي هذا لم يوضع إلا في الإمامة ، وربما ذكرت من المقالة والملة<sup>(١)</sup> والنحلة التي تمرض في الإمامة سدرأ ، طلباً للتمام ، وتبريفاً لوجوه الإمامة وما دخل فيها .

والكلام في التسوية كلامٌ يدخل في باب التمديل والتجوير ، وهو بابٌ يشتد الكلام فيه ويضمض ، فإن أخبرنا عن فرعه ولم نخبر عن أصله لم ينتفع القارئ به ، وصار وبالاً عليه .

وقد زعم ناس من ( الثمانية ) أن الله بفضله ومنه كفى أكثر الناس مؤونة الروية ، وتكلف غامض الكلام في التسوية ، فأخبرهم في كتابه بآيين الكلام وأوضحه عن معاني التسوية ، وما يجوز في عدله وحكمته . فقال وهو يريد أن يعلم الناس أنهم لا ينتفون بصلاح آياتهم ، ولا يضرم فساد رهطهم فقال : « وإبراهيم الذي وثق . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »<sup>(٢)</sup> . فإذا كان كون الإنسان ابن نبي وابن خليفة نبي ، أو ابن عم نبي ليس من سعيه ، فقد أخبر أنه لا شيء له في ذلك حين قال :

٢٠ . (١) في الأصل : « والملة » .

(٢) الآيات ٣٧ — ٣٩ من سورة النجم .

« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » فَالْسَعَى مَعْرُوفٌ ، وَالْكُونُ مِنْ رَهْطٍ دُونَ رَهْطٍ لَيْسَ مِنْ سَعَى الْمَرْءِ فِي شَيْءٍ ، وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَرَابَتِهِ حِينَ جَمَعَهُمْ : « يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَيَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » .

- وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْقَرَابَةِ إِذَا هُوَ عَصَى وَعَمَى غَيْرَهُ بِمَثَلِ مَعْصِيَتِهِ غَفَرَ اللَّهُ [لَهُ] قَرَابَتَهُ ، وَلَمْ يَغْفِرْ لِلْآخَرِ ؛ وَكَانَ إِذَا أَطَاعَ وَأَطَاعَ غَيْرَهُ بِمَثَلِ طَاعَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطَى الْآخَرُ ، لَكَانَا إِذَا اسْتَوَيَا فَلَمْ يَطْلُبَا جَمِيعًا وَلَمْ يَمْسُيا ؛ فَكَانَا إِذَا طِفَلَيْنِ وَإِمَامَا مَجْنُونَيْنِ وَإِمَامَا نَاعِمَيْنِ ، وَإِمَامَا سَاهِيَيْنِ ، أَعْطَى الْقَرِيبَ وَقَضَاهُ ، وَلَمْ يُعْطِ الْآخَرَ شَيْئًا وَلَمْ يَسُوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُطِيعْ وَلَمْ يَمْسُ ، كَمَا لَمْ يُطِيعِ الْقَرِيبُ وَلَمْ يَمْسُ ، لَمْ يَكُنْ ١٠ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِ لَمَّةٍ وَحَمَّةٍ : إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا . وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « السُّلُوكُ تَكَافُؤٌ دِمَائُكُمْ ، وَيَسْمَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَانُكُمْ » .

- وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : النَّاسُ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ . وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي صَحْبَةٍ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ ١٥ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ .

وَلَقَدْ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنْ عُنَيْنَهُ قَالَ : أَنَا ابْنُ الْأَشْيَاحِ ، أَنَا عُنَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ خُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمْرِو ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشْرَفَ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » .

- وَلَقَدْ أَخَذَ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَيْرٍ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي ٢٠ بِيَدِهِ مَا أَنَا بِهَذَا أَحَقُّ مِنْ رَجُلٍ مِنَ السُّلَمِيِّينَ » .

وقد قال الله : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ <sup>(١)</sup> » ؛ فلم يستثن من جميع النفوس نفسًا واحدة ، لا ابنَ نبيٍّ ولا ابنَ عمٍّ .

وقال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا <sup>(٢)</sup> » . والمولى كلمةٌ واقعةٌ على جميع ، فنه ابن عمِّ المرء ، ومنه خليفته ، ومنه مولاه من فوق ، ومنه مولاه من تحت ، ومنه مولاه الذي ملكه قبل عتقه . فإذا قال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا » فقد دخل فيه ابنُ المِّم وغيره ، ولم يستثنِ الأنبياء دونَ السَّلمين .

وقال : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ <sup>(٣)</sup> » وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَايزٌ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا <sup>(٤)</sup> » ثم قال : « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِالْغُرُورِ » . فمن اغترَّ بعد هذا بالقرابة وانكسل على غير العمل الصالح فقد ردَّ تأديبَ الله وتعلبته .

ثم الذي رأينا من قصة ابنِ آدَمَ حينَ قُرِّبَ مع أخيه قُربانًا فُتُقبلَ من أخيه ولم يُقبَلْ منه ، فقتله حسدًا له وبغياً عليه . وكيف لم تنفسه قِربانه من آدَمَ حيثُ لعنه الله وبرئ منه ، وجعله من أصحابِ النَّارِ ، ثم قال : « وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ <sup>(٥)</sup> »

(١) الآية ٤٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٤١ من سورة النحل .

(٣) الآية ٨٨ — ٨٩ من سورة الشعراء .

(٤) الآية ٣٣ من سورة لقمان .

(٥) من الآية ٢٩ في سورة السائدة .

لكي لا يتَّكَلَّ أحدٌ ظالمٌ بدمه على قراجه ، ولا يفتَرَّ بأن يكون ابنُ نبيٍّ . ولذلك أرسل الكلامَ على تخرِج الموم . ولم يُخرجه ذلك المخرج إلَّا وذلك لإرادته .

فإن قالوا : إنه لم يكن لصلبه ، ولو كان لصلبه لنفعه ذلك عنده .

- قلنا : إنه ليس لأحدٍ سمحَ الله يقول : « واتلُ عليهم نبأ ابْنِ آدَمَ » أن يحملهما من عُرْضِ بَنِي آدَمَ بعد سبعين قرناً إلَّا بِحُجَّةٍ . وإن لم تكن له في ذلك حُجَّةٌ فليس له أن يُزيل ممسَى ابنٍ عن أصله<sup>(١)</sup> ؛ لأنَّ الأصل المستعمل الموضوع أن يكون الابنُ للصلب ؛ فإنما جاز أن يقال لابن الابن على التشبيه بالابن ، [و] على الحمل عليه . وكذلك الابنُ الذي هو على التَّبَنِّي والتَّريية ؛ لأنَّ رجلاً لو قال : ١٥  
أناي فلانُ بن فلان ، لم يكن لأحدٍ أن يقول : إنه لم يَمُنْ ابنه وربيته ، إلَّا بِحُجَّةٍ ؛ وإلا فالكلامُ موضوعٌ على أصله وعلى المستعمل المرووف منه .  
ثم صنيعُ الله بإبنِ نوح ، وهو كما علمت من أعظم الأنبياء قدراً ومنزلةً ومكاناً ، حين عصى فيمن عصى ، كيف عرقه فيمن عرق<sup>(٢)</sup> بمن لا قرابة له ولا ولادة .

فإن قالوا : إنه لم يكن ابنه ، لأنَّ<sup>(٣)</sup> الله قال : « إنه ليس من أهلِكَ إنه عملٌ غيرُ صالح<sup>(٤)</sup> » ، وذكر امرأةَ نوح وامرأةَ لوط فقال :

(١) في الأصل : « عن صلبه » .

(٢) في الأصل : « كيف عرقه فيمن عرف » .

(٣) في الأصل : « إلا أن » .

(٤) الآية ٤٦ من سورة هود .

« كَانَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا <sup>(١)</sup> » .

قيل لهم : إنه ليس لنا أن ندع قول الله : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ » إلى تاويل مُخْتَلَف فيه . وقَوْلُهُ الْخِيَاةُ غَارُجٌ غير تَأْوِيلِكُمْ . وقد تَفَجَّرَ الْمَرْأَةُ بعد أن سَحَّ منها لِبُعْلِهَا وَلَدٌ كَبِيرٌ . وفي قوله : « فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » دَلِيلٌ أَنَّ عَجَبَهُمَا كَانَ الصَّفَحَ عَنْ خِيَانَتِهِمَا ، وَأَنَّ عَجَبَهُمَا لَمْ تُغْنِ <sup>(٢)</sup> عَنْهُمَا شَيْئًا .

ولا يُشَبِّه قولكم [ في ] نساء الأنبياء الذي تَعْرِفُ مِنْ حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ طِيبِ الْمَنَاحِكِ ، وَطَهَارَةِ الْمَنَاحِلِ . وهذا معنى طِبَائِعِ النَّاسِ . لم يكن الله ليترك امرأةً نَبِيًّا تَصِيرُ إِلَى سَهْجِنِهِ وَالتَّصْنِيرِ بِقَدَرِهِ ؛ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ مَنَظَّفَةٌ مُصَفَّاءٌ ، لَا تَحْمِلُ الْأَقْفَاءَ ، وَلَا تَلْقُ بِهَا الْأَدْنَاسَ ، وَلَا يَطُوقُ <sup>(٣)</sup> الْبَطْلِينَ عَلَيْهَا الْاعْتِمَادُ .

وفي قول الله لإبراهيم ، وهو شَجَرَةُ الرِّسَالَةِ ، وَخَلِيلُ رَبِّ الْمَرْءِ حِينَ يَقُولُ لَهُ : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا <sup>(٤)</sup> » قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِمَامًا مُسْتَفْهِمًا . وَإِمَامًا طَالِبًا : « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » قَالَ : « لَا يَنْبَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » . وَأَخْبَرَ أَنَّ عَهْدَ إِمَامَتِهِ وَخِلَافَتِهِ لَا يَنْبَلُ الظَّالِمَ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ .

(١) الآية ١٠ من سورة التحريم .

(٢) في الأصل : « لم تغنيا » .

(٣) طاق الشيء . يطوقه : أطافه وقدر عليه .

(٤) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة .



- ففي هذا دليلٌ أنَّ الرِّبَاةَ في الدِّينِ لَأَتْنَالُ بِغَيْرِ الدِّينِ .
- وقال الله : « ولقد أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ <sup>(١)</sup> » أَلَا تَرَى أَنَّ الذَّرِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا ذَرِيَّةً وَمَكَانُهَا مِنَ الْقَرَابَةِ سَوَاءً ، فَهِيَ وَلِيٌّ وَمِنْهَا عَدُوٌّ .
- فَإِنْ تَرَكَوا هَذَا جَانِبًا وَقَالُوا : كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَرَى <sup>٥</sup> التَّسْوِيَةَ ، وَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ الْفُرُوسِيَّةَ أَصْلٌ لِلْإِمَامَةِ ، وَالْقَرَابَةُ شُعْبَةٌ عَنِ الْخِلَافَةِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ أَبَدَ مِنْ هَذَا الذَّهَبِ مِنْ خَاصَّتِهِ وَخَلِيفَتِهِ وَصَنِيمَتِهِ ، وَالْمُحْتَنَى عَلَى مِثَالِهِ ، عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ لِأَنَّهُ فَضَّلَ الْقَرَشِيَّاتِ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى غَيْرِهِنَّ ، وَفَضَّلَ الرَّبَّ فِي الْمَطَاءِ عَلَى الْمَوَالِ . وَقَالَ : « زَوَّجُوا الْأَكْفَاءَ » . وَكَانَ أَشَدَّ مِنْهُ <sup>١٠</sup> فِي أَمْرِ الْمُنَافِكِ .
- قِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ كَانَ أَبَدًا مِمَّا قَبْلَهُ مِنْ عَمْرٍ ، وَلَا [ظَهَرَ] مِنْهُ - خِلَافَ مَا ادَّعَيْتُمْ - مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ .
- وَالدَّلِيلُ عَلَى غُلَطِكُمْ وَخَطَا قَوْلِكُمْ ، أَنَّ عَمَرَ لَمَّا فُرِضَ الْأَعْيَةُ وَدَوَّنَ <sup>١٥</sup> الدَّوَاوِينَ وَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدِيَوَانُ كَدِيَوَانِ بْنِ الْأَسْفَرِ <sup>(٢)</sup> ؛ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَتَّكَلَ النَّاسُ عَلَى الدَّيُّوَانِ وَتَرَكَوا التَّجَارَاتِ وَالْمَالِ ! قَالَ عَمَرُ : قَدْ كَثُرَ الْفِتْنَةُ وَالْمُسْلُونَ .

فَفَرَضَ الْمُهَاجِرِينَ وَمَوَالِيَهُمْ ، وَلِلْأَنْصَارِ وَمَوَالِيَهُمْ ، تَمَنَّى شَهِيدَ بَدْرٍ

في سنة آلاف ستة آلاف<sup>(١)</sup> فكان عطاء عمر وعليّ وعبد الرحمن وطلحة والزبير وأبي عبيدة بن الجراح ، وعطاء بلالٍ وسالمٍ مولى أبي حذيفة وجميع الموالى سواهم .

ثمّ فَرَضَ على قَدَرِ الْفَضْلِ والفناء والسَّاقَةِ ، على قَدَرِ بُعْدِ الدَّارِ ٥ وقُرْبِهَا من الْمُهَاجِرِ ، فَرَضَ لأهلِ الْيَمَنِ في السِّمْكَةِ إلى الألف ، ومِائَةُ أَلْفٍ خَلَقَ اللهُ مِنْهُ وَمِنْ مَضْرَ أَرْحَامًا وَنَسَبًا . وَإِنَّمَا أَرْغَمَهُمْ وَزَادَهُمْ لِمُعَدِّ دَارِهِمْ مِنَ الْمُهَاجِرِ<sup>(٢)</sup> ، وَكَانُوا أَهْلَ قَرْيٍ وَمَزَارِعَ ، فَتَرَكُوا مُطَنَّبِهِمْ<sup>(٣)</sup> رَغْبَةً فِي الْمَجْرَةِ .

وَفَرَضَ لِمَضْرٍ وَبَلَى وَكَلْبٍ وَطَيْيٍّ فِي الثَّلَاثَةِ إِلَى الْأَرْبَعَةِ . قَسَمَتْهُ ١٠ بَيْنَ مَضْرٍ وَطَيْيٍّ . دَلِيلٌ عَلَى مَا قُلْنَا .

وَفَرَضَ لِرَبِيعَةٍ فِي خَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ وَقَالَ : إِنَّمَا هَاجَرُوا مِنْ أَطْنَابِ يَوْمِهِمْ . وَرَبِيعَةٌ أَمْسَتْ بِهِ وَبِمَضْرٍ مِنْ بَلَى وَطَيْيٍّ .

وَفَرَضَ لِأَشْرَافِ الْأَعَاجِمِ : لِزُهْرَقَانَ نَهْرِ الْمَلِكِ<sup>(٤)</sup> ، وَهُوَ فَيَرُوزُ بْنُ يَزْدَجِرْدَ ، وَلَابِنَ الْحَصْرِيَّ<sup>(٥)</sup> ، وَغُلَّالٍ وَجِيلَ ابْنِي بَصْبَهْرِيَّ<sup>(٦)</sup>

١٥ (١) فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَةِ لِأَبِي بِلَالٍ ٢٢٢ أَنَهَا خَمْسَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « الْمُهَاجِرِينَ » .

(٣) الْمُطَنَّبُ : مَوْضِعُ الْإِلَاقَةِ ، يُقَالُ طَنَّبَ بِالْمَكَانِ طَنْطَبًا : أَطَامَ بِهِ . فِي الْأَصْلِ : « بِصِهِمْ » وَانْظُرْ مَا سَأَتِي .

(٤) نَهْرُ الْمَلِكِ : كُرُورَةٌ وَاسِعَةٌ يَفُتَدُّ كَانَتْ تَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ وَسْطِينَ قَرْيَةٍ ، عَلَى عَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ . يَأْفُوتُ . ٢٥

(٥) كَذَا . وَفِي الْعُلُوبِ « النَّخْرِيَّانِ » . انْظُرْ ١ : ١٠٣٨ ، ٢٤١٩ - ٢٤٢٢ ،

٢٤٣٩ ، ٢٥٩٩ ، ٢٦٢٧ طَبْعُ لَيْدِنَ .

(٦) انْظُرِ الْبَيَانَ ٢ : ٢٦٤ .

دهقان الفلوجة ، ولسمطام بن نرسی دهقان بابل ، وجُفينة العبادي ،  
ورميل<sup>(١)</sup> في ألفين ألفين .

وفرض للموسحتان<sup>(٢)</sup> ، والمُرْمزان ، وليسياء وخش<sup>(٣)</sup> وأمقلاس  
في ألفين وخمسمائة ، وهو أقصى شيء أخذَه عربي قط ، فقبل له في ذلك ،  
فقال : قوم أعاجمُ أشرف ، أحببتُ أن أتألفَ بهم غيرهم .

وفرض لسوى هؤلاء النفر من المعجم من الحاشية والموام ممن سبي  
وأسر وخرج في الصلح مع رئيسه وقائده ، في أقلِّ مما فرض للأعراب  
وحاشية العرب وعوامهم ، فقبل له في ذلك فقال : إن الأعرابيَّ إلاَّ  
يقَاتِلُ عن دينه قَاتِلٌ عن رهطه وشقَّه وناحيته . وإن لم يكن ذا بصيرة  
في دينه قَاتِلٌ حمامة عن حسبه وأصحابه ، وقد أمنتُ نحوَّه إلى عدوه  
فأقلُّ ما عنده إذا لم يُبَلِّ أن يكثر السواد ويكتف الجيش . وهو على حال  
أفقَّ في الدين ، وأفهم لتأويل . والمجميُّ ليس يذى بصيرة في الإسلام  
ولا يقَاتِلُ عن داره ، ولا يُحامي عن حسبه ، ولا يدافع عن رهطه  
وغير مأمون عليه التحولُ إلى أصحابه فيدلُّ على التورة ، وهو أجدرُ  
ألاَّ يفهم تنزيلا ولا تأويلا .

١٤

وحملَ قوماً في البحر وآخرين في البر ، ففضل على قدر المؤونة ،  
وأعطى على قدر المشقة .

(١) كذا في الأصل .

(٢) سياه وخش معناه في الفارسية الأسود اللون . استنجاس ٧١٣ . وهو سياوخش

فهكذا كانت عطايه ، وهكذا كان تديره فيما قلت العلماء وروّت  
 الفقهاء . ولا يشك في ذلك صاحبُ خبرٍ ، ولا يدفعه صاحبُ أثرٍ .  
 فأمّا ما ذكرُوا مِنْ تهجينه أمرَ المَجَمِّ ، وتنظيمه أمرَ الربِّ ، فإنّما  
 كان ذلك لأنّه لما ندبَ الناسُ إلى قتال كسرى والأساورة تناقلت عن  
 ٥ ذلك الربُّ والأعراب وجميعُ المهاجرين والأنصار ، هيئةً لناحية كسرى  
 والفرس ، وخَفَوْا لَنَزْوِ الرُّومِ ونشطوا له ، حتى انتدبَ أبو عبيدٍ الثَّقَفِيُّ  
 أوّلَ من انتدب ، فلذلك عَقَدَ له على كبار المهاجرين الأوّلين ،  
 والأنصار ، والبَدْرِيِّينَ ، فلم يكنْ له همٌّ إلّا تصفير أمرهم وتهجين شأنهم  
 والخطّ من أقدارهم ليردّ ذلك من نفوس العرب .

١٠ وهكذا ينبغي أن يكون تدير الدبر .

أَوْ مَاعِلَتْ أَنَّ المنيرة بن شُعبَةَ لَمَّا سَمِعَ قَيْسَ بن مكشوح يقول  
 حين عاينَ الفُرسَ : مارأيتُ كالِيومَ حديدًا ولا عديدًا ! وهذا يومُ  
 القادسية ، وقد كان قيسٌ شهد قبل القادسية حروبَ الرُّومِ ، وقيسٌ  
 يومئذ على الخيل ، والمنيرة على الرَّجَالَةِ ، فأقبل عليه المنيرةُ منتهراً له  
 ١٥ وهو يقول : إنّما هذا زَيْدٌ من زَيْدِ الشيطان <sup>(١)</sup> !

وقد كان المنيرةُ قد عاينَ مثلَ الذي عاينَ قيسٌ ، ولكنَّ التديرَ  
 كان غيرَ الذي ذهب إليه قيسٌ .

ومن الدليل على ماوصفنا من تدير عمر ، تركُّه الاستخفاف بأقدار  
 المَجَمِّ وإظهار احتقارهم والإِزراءَ بهم ، بعد جُلُولاهُم <sup>(٢)</sup> .

٢٠ (١) الزيد ، بالفتح : الرفد والبطاء .

(٢) كان بها الرقة المصهورة للسلعين على الفرس سنة ١٦ قتلوا منهم مائة ألف .

مجم البلدان والطبري ٤ : ١٧٩ .

فمن ذلك أنه لما أتى بسيف كسرى وقبائه ومنطقته ألبسه سُرَاقَةً ابن مالك بن جُعثُم ، ثم قال له : أدبرْ ، ثم قال له : أقبلْ . فلما أقبل عليه عُمر وعنده الناسُ قال : أما والله لربُّ يومٍ لو كان هذا من كسرى وآلِ كسرى لكان شرفاً لك ولقومك ، في أمور كثيرة من هذا الضربِ لم يكن عُمر لينطقَ بحرف منها وحرَّبهُم بخُوفه ، ٥ ونفوس العرب لهم هائبة .

وهكذا تديرُ الخلفاء ولكنَّ أكثر الناس لا يملكون . ولو كانوا إذا لم يفهموا عن الأئمة لم يمترضوا عليهم ولم يخطئوهم ولم يجهلواهم كان أيسر . ولا أعلم في الأرض جيلاً أجهَلَ بهذا وشبهه ممَّن يتحلَّ اسم الكلام ويتَّصِب نفسه للخصومات . ثمَّ الروافض خاصة ، ليس يعرفون من أمر الإمام إلَّا أنه يعلم ما يكونُ قبل أن يكون . ١٠

ومن الدلائل على ما وصفنا به عُمر ، قوله لسعد بن أبي وقاص حيثُ وجهه إلى القادسية وأوصاه ، قال : يا سعد سعد بن وهيب<sup>(١)</sup> إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبداً حبَّبه إلى النَّاس ، فاعتبرْ منزلتك من الله بمنزلتك أن يقال خال رسول الله صلى الله عليه ، فإنَّ الناس في ذات ١٥ الله سواء .

فأيُّ قول أجعُ وأدلُّ ، وأيُّ فعل أشبه بالذي حكينا عنه من التَّسوية ، من هذه الأقاويل<sup>(٢)</sup> والأفاعيل .

(١) هو سعد بن مالك بن وهيب — أو أُميِّب — بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

انظر ما مضى في ص ٥٦ .

(٢) في الأصل : « الأوائل » .

وكان سعدٌ خال النبي ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وقد أخذ بيده : « هذا خالي أباهي به فليأت كل امرئ بخاله » .

وفي قول عمر في الناكح : « ليس شيء من خصال الجاهلية إلا وقد تركته ، إلا إني لست أبالي إلى من نكحت ، وإلى من أنكحت » . فإن شئت أن تقول : وأئى أمر هو أوجب على العاقل المسلم الحر من ألا يبالي إلى من نكح وأنكح ؟

قلت : وإن قلت إن هذا الكلام من عمر يدل على بقية عصبية فيه . فاستبرأ<sup>(١)</sup> إليك منه حين جملة<sup>(٢)</sup> من خصال الجاهلية إلا وهو آب له وناف عنه ، وزار عليه . وفي قوله هذا دليل على أنه قد اكثرت لبقية عادة الجاهلية ، وأنه راغب عنهما كما رغب عن أكبر منهما .

وفي قوله لعبد الله بن عمر حين فرض له في ألفين وفرض لأسامة في ألفين وخمسمائة ، وابنه قرشي وأسامة مولى ، حين قال له عبد الله : أنفضل على أسامة في المطاء وأنا وهو سيان ؟ قال : إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك ، وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أهلك .

١٥ ألا ترى أنه يدور مع الدين حيناً دار ؟

وفي قول عبد الله بن عمر لأبيه : تفضل على أسامة في المطاء وأنا وهو سيان ، دليل على أن القوم كانوا لا يعرفون إلا الدين والسابقة ، والغناء عن المسلمين .

وفي وصيته عند وفاته أن يصلى عليه صهيبي ، وفي أمره بإياه بالصلاة

٢٠ (١) في الأصل : « فقد يرى » .

(٢) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الحرف الأول .

- بالتاس في مقامه إلى أن يختارَ المسلمون رجلاً ، دليلٌ على ما قلنا .  
 وصُهِيبَ مولى لِعبد الله بن جُدعان .
- والدليل على أن صُهِيباً رجلٌ من العَجَم قولُ رسول الله صلى الله عليه :  
 « بلالٌ سابقُ الحبشة ، وسَلْمَانُ سابقُ فارس ، وصُهِيبُ سابقُ الروم » .
- وهذا حديثٌ لم يختلف فيه قضيان .
- وفي خروجِ آذنه وحاجبه يوماً إلى الناس ، وقريشٍ والعربُ جلوسٌ  
 يباهِ ينتظرون إذنه ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، وسُهَيْل بن عمرو ، وحكيم  
 ابن حزام ، والأقرع بن حابس ، وعُيَيْنَةُ بنِ حِصْنٍ ، فنادى بأعلى صوته :  
 أين عَمَارٌ ؟ أين بلالٌ ؟ أين صُهِيبٌ ؟ أين سَلْمَانُ ؟ فينهضون مكرمين ومفضلين ،  
 وعلى الناسِ مقدمين ، وتلك الليلةُ وتلك السَّادَةُ جلوسٌ لا ينطِقون .  
 ولا يُنْكِرُونَ ، فلما كَثُرَ ذلك عليهم تَمَرَّتْ وجوههم ، وامْتَنَعَتِ أَلْوَانُهُمْ ،  
 فأبصرهم سُهَيْلٌ فَرَفَ ما قد أسأبهم وزَلَّ بهم ، وكان حليماً خطيباً فقال :  
 لِمَ تَمَرُّ وجوهكم وتَتَغَيَّرُ أَلْوَانُكُمْ ، ولا تَرَجِسُونَ بِاللَّعْنَةِ على أنفسكم ؟ !  
 دُعِينَا ودُعُوا ، فأبطلْنَا وأمرعُوا ، ولَنْ حَسَدُكُمْ على بابِ عُمرَ لَلَّذِي  
 أَعَدَّ اللهُ لَهم في الْجَنَّةِ أَفْضَلَ <sup>(١)</sup> !
- ثم الدَّلِيلُ الذي ليس فوقه دليلٌ ، قوله وعنده أصحابُ الشورى وكبارُ  
 المهاجرين وِجَلَةُ الأنصار ، وعِلْيَةُ العرب ، وهو مُوفٍ على قَبْرِهِ ينتظر  
 خروجَ نفسه : « لو كان سالمٌ حيًّا ما تَخَالَجْنِي فِيهِ الشُّكُّ » . وسالمٌ مولى  
 امرأةٍ من الأنصار ، وكان حليفاً لأبي حُدَيْفَةَ بنِ عُتْبَةَ بِمَكَّةَ ، فذلك كان يقال :  
 مولى أبي حُدَيْفَةَ ؛ لِأَنَّ حليفَ الرَّجُلِ مولاة .

فإن كان هذا لا يدلُّ على التَّباعد من الحِجَّة والأعرابِيَّة والعَصَبِيَّة ،  
ولا يدلُّ على التَّسوية ، فما عندنا ولا عند أحدٍ شئٌ لا يدلُّ على شئٍ . ! وإذا  
كان هذا مذهبه وقوله في الخلافِ فما ظنُّك به فيما دونَ الخلافةِ ؟ !

وهذا بابٌ إن استقصيناه كثرَ وشغلَ الكتابَ . وفيما قلنا مَفْتَعٌ  
٥ لمن كان الحقُّ له مَفْتَعًا ، والصَّوابُ له مَأْلَفًا .

فهل يقدرُ أحدٌ أن يحكي عن عليٍّ مثلَ الذي حكينا عن عُمرَ  
في التَّسوية ، أو شطره ؟ !

إنَّ أكبرَ ما رأينا في أديبكم عنه قوله : « إِنِّي قرأتُ ما بين دَفْتَيِ  
المصحفِ فلم أجِدْ فيه لِبْنِي إِسماعيلَ على بَنِي إِسحاقَ فضلًا » .

١٠ فهذا قولٌ إنَّ قاله عليٌّ فليس فيه دليلٌ أنَّه أراد به الطَّمَن على عُمرَ  
وإظهارَ خِلافِهِ ؛ لأنَّ عليًّا قد مَلَكَ أَكْثَرُ الأَرْضِ خَمْسَ حِجَجٍ ، فلو كان  
رأيه في خلافِ عُمرَ على ما تصفون ، وكان عُمرُ عنده لا يرى التَّسوية في  
الطَّاء ، لقد كان غَيْرَ دواوينِ عُمرَ ، وبدلَ أعطيته وفُرُوضه وحوَّلها  
إلى الحقِّ عنده ، أو نطقَ فيها بحرفٍ ، أو أظهرَ ذلك في هيئته <sup>(١)</sup> إن لم ينطق به  
١٥ خطيًّا وعتجًا .

وكيف يكون ذلك ولا أحدٌ أعلمُ بصوابِ ما دَبَّرَ عُمرُ في ذلك من عليٍّ ؟ !  
وكيف يكون عُمرُ لا يرى التَّسوية وقد صنَّعَ صنيعًا لو قام مقامه أشدُّ الناسِ  
سَعْيًا - ما لم يَجْرِ عن الحقِّ ويَمْدِلْ عن المَدادِ - ما كان عنده ولا في طاقته  
أكثر منه .

٢٠ والمعجب أنكم تَرمعون أنَّ عليًّا كان يرى التسوية ، وأنَّ عُمرَ صاحبُ

(١) في الأصل : « هته » .



حَيَّة ، فَأَنْتُمْ زُرُودٌ أَنْ أَكْثَرَ احْتِجَاجِهِ إِنَّمَا كَانَ بِذِكْرِ قَرَابَتِهِ وَأَمَّا  
أَسْبَابُهُ وَمُصَاهَرَتُهُ ، مَعَ أَنَّ الْقَرَابَةَ هِيَ الَّتِي أَخْرَجَتْكُمْ إِلَى هَذَا الْإِفْرَاطِ  
كُلُّهُ . فَأَنْتُمْ تَحِبُّونَ بَنِي هَاشِمٍ وَتَفْضَلُونَهُمَ لِلْقَرَابَةِ ، وَتُوجِبُونَ لَهُمُ الْإِمَامَةَ  
لِلْقَرَابَةِ . ثُمَّ تَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَرَى أَنَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ سَوَاءً ،  
وَكَانَ يَرَى أَنَّ الْعَرَبَ وَالْمَجْمُوعَ سَوَاءً .

وَكَيْفَ غَضِبْتُمْ عَلَى عُمَرَ لِأَنَّهُ فَضَّلَ قُرَيْشًا عَلَى الْعَرَبِ ، وَالْعَرَبَ عَلَى  
الْمَجْمُوعِ ، وَلَمْ تَفْضَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ حِينَ فَضَلْتُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ ،  
وَفَضَلْتُمْ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ؟ !  
فَفَضَلُوا أَيْضًا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ عَلَى سَائِرِ قُصَيٍّ ، وَسَائِرِ قُصَيٍّ عَلَى سَائِرِ  
كُتُبٍ ، وَسَائِرِ كُتُبٍ عَلَى سَائِرِ قُرَيْشٍ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ قُرَيْشٍ عَلَى سَائِرِ  
مَضَرَ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَضَرَ عَلَى رِيْمَةَ ، وَرِيْمَةَ عَلَى وَلَدِ إِسْحَاقَ ، وَوَلَدِ  
إِسْحَاقَ عَلَى وَلَدِ قَحْطَانَ .

وَإِنْ شَتِمْتُمْ فَفَضَلُوا رِيْمَةَ عَلَى الْيَمَنِ ، وَالْيَمَنِ عَلَى الْمَجْمُوعِ . وَإِذَا أَنْتُمْ  
قَدْ دَخَلْتُمْ فِي كُلِّ مَا عَيْبْتُمْ .

فَأَمَّا أَنْ تَفْضَلُوا مَنْ شَتِمْتُمْ عَلَى مَنْ شَتِمْتُمْ - وَإِنْ كَانَ مِنْ لَمْ تَفْضَلُوا  
فِي الْقِيَاسِ كَمَنْ فَضَلْتُمْ - فَلَيْسَ ذَلِكَ لَكُمْ ؛ لِأَنَّ الْقِيَاسَ قَدْ اعْتَرَضَ دُونَ  
مَشِيئَتِكُمْ وَقُصَيٍّ عَلَيْكُمْ .

وَلَوْ أَنَّ قَاتِلًا قَالَ : أَنَا أَزْعِمُ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ بَعْدَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِعُيُوبِهِ  
سَوَاءً ، كَمَا قُلْتُمْ إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ بَعْدَ بَنِي هَاشِمٍ سَوَاءً ، مَا كَانَ<sup>(١)</sup> الَّذِي قَالَ  
أَمْسًا بِالرَّسُولِ وَأَوَّلَى بِالْحُكْمِ . فَإِنْ قُلْتُمْ : فَمَنْ أَيْنَ كَانَ لَهُ أَنْ يَحْفَ عَلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « كَمَا كَانَ » .

جدُّ عبدِ الطَّلَبِ وليس بينه وبين هاشمٍ إلا أبٌ ؟ فيقال لكم<sup>(١)</sup> : وكيف كان لكم أن تقتلوا على جدِّ هاشمٍ وبين هاشمٍ وعبد مناف أبٌ واحد ؟ وكيف كان لكم أن تقطعوا التَّفضيلَ وحقَّ القرابةِ من لدن هاشمٍ ، وهاشمٌ وعبدُ شمسٍ أخوانِ لأمِّ وأب ١ ؟ ولقد قال الشاعر :

عبد شمسٍ كان يتلو هاشمًا وهما بمسَدُ لآيمٍ وأبٍ

٥

فاجملوه يتلو هاشمًا في حقِّ القرابةِ واستحقاقِ الإمامةِ . وإذا جاز عندكم أن تخطي الإمامةُ الممَّ إلى ابنِ الممَّ كان [ ذلك ] في الأخِ للأمِّ وللأب . ثم زعم أن الدَّليلَ على أن عمرَ صاحبُ عصبيةٍ وحميةٍ ، ردُّه لسلمانَ حينَ خطبَ إليه ابنته ، وسلمانَ كان أعقلَ من أن يخطبَ إلى أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلى .

١٠

قلنا : جوابنا في هذا في خطبته إلى عليٍّ ، وإن كان عليٌّ أنشرفَ موضعاً . مع أن القائمَ عن سلمانَ أنه كان يقول : قال لي النبيُّ صلى الله عليه : « يا سلمانُ لا تبغضِ العربَ فتبغضني » . وكان يقول : أمرنا أن نأثمَ بكم ولا تؤمَّكم ، وأمرنا أن نزوّجكم ولا ننزوّج منكم . فليس في الأرضِ متعربٌ وصاحبُ عصبيةٍ إلا وأكبرُ ما يحتجُّ به في المناكحِ حديثُ سلمان .

١٥

وقد تمنعُ الأشرافُ عقائلَ نساءها لأسبابٍ غيرِ التَّحريمِ ، لا يكون ذلك عيباً عليهم في آدابهم ، ولا قصصاً في أديانهم .

وفي قول عليٍّ يومَ الجمل حينَ رأى عبدَ الرحمنَ بنَ عتابٍ صرياً :

٢٠ « شَفَيْتُ نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي . قَتَلْتُ الصَّنَادِيدَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ »

(١) في الأصل : « قل لكم » .

وَأَمَّا<sup>(١)</sup> الْأَعْيَانُ مِنْ بَنِي مُجَحٍّ ! « قَالَ لَهُ رَجُلٌ : لَشِدًّا مَا جَزَعَتْ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَنِّي وَعَنْهُ نِسْوَةٌ لَمْ يَقْمُنْ عَنْكَ » دَلِيلٌ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَرَى لِلْأَمَمَاتِ قُدْرًا كَثِيرًا ، وَلِلنَّاسِ كَحْ خَطَرًا عَظِيمًا .

وفي كراهته أَنْ يَتَرَوَّجَ الْفَسَادُ ضُبَاعَةً بَنَتْ الزُّبَيْرَ ، حَتَّى كَانَ مِنَ النَّبِيِّ إِلَيْهِ الْقَدَى كَانَ ، دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ تَدْيِيرِهِ .

وَأَمَّا يَبْنِي أَنْ يَقْضَى بَيْنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أُمُورَهُمْ فِي جَمِيعِ مَقَلِّهِمْ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى التَّكَلُّمِ إِذَا قُلَّ سَمَاعُهُ أَنْ يَنْزِجَهُ الْجَهْلُ [ إِلَى ] اسْتِصْنَاءِ بَعْضِهِمْ أَوْ تَضْلِيلِهِ<sup>(٢)</sup> وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، فَيَهْلِكُ هَلَاكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

١٠

وَأِنْ أَغْنَى النَّاسُ أَنْ يَكُونَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خُصُومَهُ لِأَنَّهُمْ مَعَشَرَ أَصْحَابِ النَّظَرِ وَالتَّكَلُّمِ .

وَالَّذِينَ نَحَلُوا عَمَرَ الْمَسْبِيَةِ رَجُلَانِ : رَافِضِيٌّ أَحَبَّ أَنْ يَخْفَتَهُ إِلَى الْمَجَمِّ وَالْوَالِي ، وَمَتَرَبُّبٌ عَرَفَ أَنَّ عَمْرَ عِنْدَ النَّاسِ قُدْوَةٌ ، فَتَحَلَّ ذَلِكَ لِيَكُونَ لَهُ حِجَّةٌ . فَاعْرِفْ ذَلِكَ .

١٥

وَأَمَّا مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّ الزُّبَيْرَ خَرَجَ شَادًّا بِسَيْفِهِ يَوْمَ الْمَقِيفَةِ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الطَّيِّشُ وَالتَّسْرُعُ إِلَى الْفِتْنَةِ ، وَتَهْيِيجُ النَّاسِ عَلَى إظهارِ السِّلَاحِ .

(١) كَذَا فِي الْأَسْل. وَانْظُرْ أُنَابَ قَرِيشَ ١٩٣ .

(٢) فِي الْأَسْل. : « صَلَبَ » .

وإنما أتى أبو بكر الأنصارَ واعظاً ومحتجاً ، وسكناً ومصلحاً بالين  
الكلام وأحسنَ الهدى ، لم يحيل سوطاً ولا سيفاً ، ولم يظهر مُعَاوَةَ  
ولا أرادَ المُتَالِبَةَ<sup>(١)</sup> . فما وجه خروج الزبير بسيفه شاذاً نحوه ؟ ! بل  
كان أشبهُ الأمور بالزبير وأولاهها به ، والذي يجبُ علينا أن نُنظره به ،  
أن يقوم محتجاً ومُصلِحاً ؛ فإذا أبانَ عن حجته وأعذرَ في موعظته فلم يرَ  
ذلك ناجماً<sup>(٢)</sup> ولا مقبولاً ، ورأى شيئاً يجوزُ به سحلُ السيف والشدُّ به ،  
كان مِن وراء ذلك .

وكيف علمَ أن الزبير إنما سلَّ سيفه ليؤكدَ لعلَّ إمامته أوليوطى  
له خلافة ؟ ! ولعله إنما أرادَ الأمرَ لنفسه دونَ غيره . ولعله إنما  
غضب لصرف الأمر عن خاله وكبيره وشيخه العباس بن عبد المطلب .  
فكيف علمَ أنه إنما أرادَ صرفها عن أبي بكر خاصة ؟ ! وكيف يشدُّ  
على رجلٍ لم يَقُلْ بإيموني ، ولا أظهرَ الحرصَ عليها ، وإنما كرهَ أن  
يبقى الناسُ نثرًا ، وعلمَ أنَّ على الأنصار أن يسمَعوا للمهاجرين ، وقد قال  
لناسٍ : « يا أيها أئمة هذين شتم » ، يعنى أبا عبيدة وعمر . إلا أن يكون  
الزبير قال : ولمَ كنتَ أنت المحتجَّ على الأنصار والمعرف لهم فضلَ  
المهاجرين عليهم دونَ علي .

ويقال لهم عند ذلك : أمَّا بادى الرأي والذي لا نشكُّ فيه نحن  
ولا أحدٌ مِن خالفنا ، فالذى كان من مُنَاصِبَةِ الزبير لعلَّ ومحاربتِهِ له  
دونَ الإمامة ، وزعمِهِ أَنَّهُ أَفْضَلُ منه وأولى بها منه ، ولو جعلها شُورى  
لفرَعَه وبرَزَ عليه .

(١) في الأصل : « سارة إلا أراد المُتَالِبَةَ » . والمُتَالِبَةُ : المُتَالِبَةُ في الغزاة .

(٢) في الأصل : « ناجماً » .

ثم الذي لا يشكُّ الناسُ فيه من طاعته لممر ، وإنما عمر شعبةٌ من شهب أبي بكر . ولقد بلغ من تعظيمه لممر وطاعته له وإكباره لقدمه ، أنه عا نفسه من الديوان لما قُتل عمرُ نَسَبًا عليه<sup>(١)</sup> ، ورفضًا لقدمه أن يلى منه من الإعطاء والنزع أحدٌ كما كان يليه منه عمر . كما عا نفسه من الديوان حَكيم بن حزام لما تَوَقَّى النبي صلى الله عليه . وكذلك عا نفسه من الديوان عبدُ الله بن الزبير حين قُتل عثمان .

ولقد بلغ من طاعته لممر أنه بشه مددًا لتمرو بن الصاص ، فجعل تمرًا الأمير عليه ينفذُ لأمره ويصلِّي بصلاته .

والذي يدلُّك على انبثاته<sup>(٢)</sup> في هوى أبي بكر ، وانقطاعه إليه بمودته ، الخاصة التي كانت بين أبي بكر وبينه . وذلك أنَّ عبد الله بن مسعود ١٠ أوصى إليه حين مات . وعبدُ الله مُعَرِّى عَض ، وهو القاتل في عثمان حين برز على الشورى : « ما ألونا أن جملناها [ في أعلا ] نا ذا فوق<sup>(٣)</sup> فإذا كان هذا قوله في عثمان وعلى فا ظنك به في أبي بكر وعمر<sup>(٤)</sup> » . ثم أوصى إليه عثمان بن عفان [و] هو أصلُ العمريَّة والمُثانيَّة ، والمباينة لملئ وشيمته عندهم . وأوصى إليه عبد الرحمن بن عوف ، وهو المختار ١٥

(١) القلب : الإحداد . (٢) في الأصل : « انبثاته » .

(٣) في الأصل : « نادى فوق » والتكلم والتصحيح مما سيأتى مما سأنتبه عليه ، وما احتضأت به من الحسن ، ففيه مادة (فوق) (١٩٠) : « وق حديث ابن مسعود : اجتمعنا فأمرنا عثمان ولم نأل عن خيرنا ذا فوق » أى خيرنا سها في الإسلام والساجدة والفضل . ذو الفوق ، بضم الفاء ، هو السهم . وفوقه : موضع الوتر منه .

(٤) في الأصل : « وعلى » .

لثمان على عليّ ، وصاحبُ أبي بكر ، والدافع بالموسم في خلافة أبي بكر من بين جميع المهاجرين .

هذا مع أسباب الزبير الواشجة بأبي بكر : فمن ذلك إسلامه على يديه ، واحتالهُ مؤونته في مصاهرته ، حيث رغب إليه في ترويح ابنته أسماء ذات النطاقين ، فولدت عبد الله - وعبد الله كنيته أبو حبيب - وعروة وغيرها . وكان عبد الله أول مولود ولد في الهجرة ، فسماه الزبير باسم جدّه أبي بكر ؛ لأنّ اسم أبي بكر عبد الله ولقبه عتيق ، وإنما لقب بعتيق لمتق وجهه ودقّة عيونه . ثم كنى الزبير بأبي بكر بكنية جدّه ، فكان عبد الله بنُ الزبير يكنى أبا بكر تيمناً منهم بكنيته وتبرُّكاً باسمه . ١٠

وقالت عائشة رضی الله عنها : ألا تكفيني يا رسول الله ؟ قال : « بلى ، اكنني بابنك » يعني عبد الله بن الزبير . فكانت عائشة تُكنى بأبي عبد الله . ولذلك كانت تقول : قال ابني ، وفعل ابني ، وكادوا يوم الجمل أن يقتلوا ابني .

١٥ فيقال للرافضة : أمّا اليمان والوجود فهو الذي خبرناكم به . وأمّا ما ادّعيتم من [ أن ] الزبير سلّ سيفاً ليؤكد إمامة عليّ فقد بيني أن تأتوا على ذلك ببرهان . فأما معاداة الزبير له ومحاربتُهُ إياه ونفرُهُ عليه ، فهذا مالا يدفع عنه . ولقد فخرَ عليه حين دعاه إلى الشورى وأبى ذلك عليّ فقال : أسلمتُ بالنا مدركاً وأسلمتُ ناشتاً طفلاً ، وكنتُ أوّل من سلّ سيفاً في الإسلام يعطن مكة وأنت مستخف في الشعب يكفكك الرجال ويعونك الأعراب من هاشم ، وكنتُ فارساً وكنتُ راجلاً ، وكنتُ شجاعاً وكنتُ

بطلا . ولئن كنت زعم [ أنك ابن عمه ] إني لابن عمته<sup>(١)</sup> . وأنا عابر  
البحر يوم الحبشة ، وفي هيتي زلت الملائكة ، وأنا حواري رسول الله  
صلى الله عليه وفارسه .

خبرني بهذا الكلام أبو زفر<sup>(٢)</sup> عن ضراب<sup>(٣)</sup> ، أن الزبير  
كان احتج به .

وخبرني جماعة من الثمانية عن محمد بن عائشة<sup>(٤)</sup> ، أن الزبير كان  
احتج به ، وقد سقط عني بعضه لطول التمدد بساعه .

وقالت ( الثمانية ) : العجب أن الروافض ربما احتجت علينا بأن  
الزبير سل سيفه ومضى قدماً في تأكيد بيعة علي وخلع سواء ، ونقص  
من أبي بكر .

فيقال لهم : فعما منكم أن تقولوا لما مات النبي صلى الله عليه  
وجحد السلف إمامة علي : كفر الناس خلا خمسة نفر<sup>(٥)</sup> أولهم الزبير  
في نفسه وفضيلته على غيره . وأكبر ما كان منه من سل سيف  
والشد به ، وهذا موقف لم يقفه بلال ولا أبوذر . وأنتم على حق أن

(١) في الأصل : لأن عمه ، والوجه ما أثبت ، فإن أباه الزبير والدته صفية بنت عبد المطلب ١٥  
عمة رسول الله .

(٢) أبو زفر ، ذكره في لسان الميزان ٦ : ٣٧٩ وقال : « ذكره ابن النديم في مصنف  
المرتبة » . وليس في النسخة المطبوعة من فهرست .

(٣) ضراب ، آخره باء في الأصل . ولله « ضراب » آخره واء ، وهو ضرار بن عمرو  
صاحب الضراوية . انظر حواشي الحيوان ٥ : ١٠ .

(٤) هو محمد بن حفص . انظر حواشي الحيوان ٢ : ١٢ .

(٥) انظر ما مضى ص ١٨٠ س ٥ — ٧ .

ذلك كان ، وأنَّ السَّيفَ لم يُجْهِلْ إِلَّا لِنُصْرَةِ عَلِيٍّ دُونَ الْمَبَاسِ وَجَمِيعِ  
بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَمَا وَلَّاهُ قُصَى .

وكيف لم يكن أدنى منازل الزُّبير أن يكون قد كان مؤمناً ولياً  
إلى أن جَعَدَ إِمَامَةً عَلِيٍّ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَانَ ، فيكون سبيله شبيهاً بسبيل  
حُذَيْفَةَ وَعُمَارَ ؛ لَأَنَّهُمَا كَانَا عِنْدَكُمْ كَافِرِينَ حَتَّى تَابَا فِي زَمَنِ عُمَانَ ،  
فَكَانَ يَكُونُ الزُّبَيْرُ مُؤْمِناً إِلَى أَنْ كَفَرَ عِنْدَ مَقْتَلِ عُمَانَ .

وإِنَّمَا سَارَ حُذَيْفَةُ وَعُمَارُ عِنْدَ الرَّافِضَةِ وَلِيِّينَ لَأَنَّهُمَا قَالَا بِرَعْمِهِمَ :  
وَاللَّهِ مَا دَخَلَ عُمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لِحَيْفَةٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ، يَتَأَذَى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ .

١٠ فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا سَارُوا إِلَى تَوَلِّيهِمَا بَعْدَ إِكْفَارِهَا مِنْ أَجْلِ تَصْدِيقِ  
هَذَا الْحَدِيثِ فَإِنَّ الَّذِينَ رَوَوْهُ هُمُ الَّذِينَ رَوَوْا أَنَّهُمَا قَالَا : وَاللَّهِ مَا دَخَلَ  
عُمَانُ حُفْرَتَهُ إِلَّا كَافِراً ، وَإِنَّهُ لِحَيْفَةٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَتَأَذَى بِهِ أَهْلُ الْجَمْعِ ،  
وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ بَعْدَ عُمَرَ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرٍ أَبْتَرَّ ! فَإِنْ كَانَا قَدْ تَابَا  
بِقَوْلِهَا الْأَوَّلِ لَقَدْ ارْتَدَّاهُ الْثَانِي حِينَ قَالَا : وَإِنَّهُ لَا يَلِي هَذَا الْأَمْرَ  
١٥ مِنْ بَعْدِ عُمَرَ إِلَّا كُلُّ أَصْفَرٍ أَبْتَرَّ .

ولو لم يكن ذلك كذلك بل كانا مرتدَّين فتَابَا فتَوَلَّيْتُمَا عِنْدَ تَوْبَتِهِمَا  
وعَادَيْتُمَا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى طَاعَتِهِمَا لِمُرٍّ ، فَا بِالْكُمِ لَمْ تَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ  
فِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُؤْمِناً حَتَّى جَعَدَ إِمَامَةً عَلِيٍّ بَعْدَهُ ؟ !؟ مَعَ أَنَّ سُلَّ  
الزُّبَيْرِ سَيْفُهُ ، وَعَدُوُّهُ نَحْوُ أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ ، وَقَوْلُ عُمَرَ : « دُونَكُمْ  
الْكَلْبِ » حَتَّى أَخَذَ سَيْفَهُ وَخَطَرَ ، إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ وَجَدْنَاهُ فِي بَعْضِ  
السِّيَرَةِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَخْبَارِ السَّتَفِيضَةِ ، وَلَيْسَ مِمَّا يَحْقِّقُهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ .



وإن قالوا : فما قول أبي بكر في خطبته التي خطب بها في أول خلافته : « وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » ؟ وهل يتخلو هذا القول من الصدق والكذب . فإن كان صدقاً فهو خلاف قولكم في تفضيله على جميع أئمتكم ، والرجلُ كان أعلم بنفسه وبأهل دهره . وإن كان كاذباً فأى كذب أقبح من كذب إمام على منبر جماعة ؟ ! ومن أحمق بالآل إليهم ويحمل إمامة دينهم ودنياهم بمن يكذب على منبر الرسول من غير أن يسكره أحد أو يُريده عليه ، أو يكون في تقية كخائف السوط والسيف ؟ ! بل ما يدعو إلى الكذب ، والكذب مقبح في العقل مقبح في الدين ، ولم يكن هناك رهبة تموقه ولا رغبة تهوده ؟ ! على أن كذب الرعية <sup>(١)</sup> أسخف وأقبح ، وهو لا يتخلو من أن يكون صادقاً ١٠ فلا يسمه أن يتقدم من هو خير منه وقد مكنته تقديمه ، أو يكون كاذباً <sup>(٢)</sup> قالوا فيه على ما قلنا .

قلنا : إن ( السانية ) تذكرُ لذلك وجوهاً :

فنها : أن الحسن كان يقول : والله أعلم أنه كان خيراً ، ولكن المؤمن يهضم نفسه . فزعم الحسن أنه إنما تهضم نفسه ووضع منها ١٥ لأن الخلف المُنقذ كثيراً ما يزي على نفسه ويصيب عليها ويستبطئها <sup>(٣)</sup> ، ويُظهِر المقت لها والخوف عليها . فهذا كان مذهب الحسن .

وأما قتادة فزعم أن قوله : « وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إنما أراد في الحسب ، ليلهم أنه إذ يلبسهم بالحسب فإنما وليهم بالسابقة ، لأنهم

(١) أى الكذب على الرعية . (٢) في الأصل : « كذبا » . ٢٠

(٣) هذه الكلمة تامة الإجمال في الأصل .

قد كانوا أَكْثَرُوا من قولهم : أَرْضَيْتُمْ مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ تَلِي عَلَيْكُمْ نَبِيٌّ ۚ ۱٩ وأَرَادَ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ قَامَهُ أَنْ يُعْلِمَهُمْ [أَنْ] ذَلِكَ الْمَقَامَ لَا يُنْكَالُ بَأَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ خَيْرَ النَّاسِ حَسَبًا وَمَرْكَبًا ، إِنَّمَا يُنْكَالُ بَأَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ عِلْمًا وَعَمَلًا .

٥ وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَرَزَعَمَ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الْخَائِفِينَ الْوَجِلِينَ الْمُشْفِقِينَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ : كُلُّ أَحَدٍ خَيْرٌ مِنِّي ؟ ثُمَّ يَبْكِي عَلَى تَضْيِيعِهِ ، وَيَسْتَهْزِئُ بِسَفَرِ ذَنْبِهِ كَأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مُذْنِبٌ سِوَاهُ . وَأَكْثَرُ مَا يَقُولُ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ بَعْضِ ذَنْبِهِ أَوْ عِنْدَ بَعْضِ مَا يَمَارِضُهُ بِهِ الشَّيْطَانُ وَالْإِنْسَانُ ، مِنْ تَرْكِتِهِ وَتَهْرِيزِهِ وَإِظْهَارِ تَفْضِيلِهِ لِنَفْسِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَالْمُحِبِّ (١) بِجَاهِهِ . لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَدَّ أَنْ يَرَى الْعَبْدُ أَنَّ ذَنْبَهُ مِنْ قِبَلِ رَبِّهِ مُذْهَبٌ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ اسْتِكْبَارِ الطَّاعَةِ وَاسْتِصْنَاءِ الْمَصِيئَةِ . فَمِنْدَ ذَلِكَ يَمَارِضُهُ الْوُضْنُ بِتَقْرِيعِ نَفْسِهِ وَتَأْنِيهِهَا ، وَتَوْقِيفِهَا عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهَا ، وَتَذْكِيرِهَا بِمَسَاوِيهَا ، وَاسْتِعْظَامِ كُلِّ مَا كَانَ مِنْ تَقْصِيرِهَا وَإِسَاءَتِهَا ، وَاسْتِصْنَاءِ كُلِّ مَا كَانَ مِنْ عَظِيمِ إِحْسَانِهَا وَطَاعَتِهَا ، فَيَقُولُ : كُلُّ أَحَدٍ خَيْرٌ مِنِّي . وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْكَلَامِ .

١٥ وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ اللَّفْظِ ، إِذَا كَانَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَلَيْسَ فِي تَجَرُّي الْكَذِبِ وَقَوْلِ الزُّورِ . وَإِنْ كَانَ الْقَائِلُ : « كُلُّ أَحَدٍ خَيْرٌ مِنِّي » خَيْرًا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ .

فَكَانَ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا خَطَبَ النَّاسَ وَقَامَ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْمَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعَلِيَّةُ قَرِيبُ وَسَادَةُ الْعَرَبِ قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَسَفُوفًا عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، يَقُولُونَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) فِي الْأَسْلَ : « وَلَسَجَب » .

وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْزِمَةُ الْأُمُور ، وَأَعْطَوْهُ الْمَقَادَةَ ، وَأُسْمِحَتْ نَفْسُهُمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَقَدْ صَرَفُوهَا عَنْ الْقَرَابَةِ وَعَنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، رَأَى بَسْطَةَ عَيْنَيْهِ <sup>(١)</sup> مِنْ عِزِّ الْخِلَافَةِ وَبَأْوِ الْإِمَامَةِ ، مَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ ، وَلَا تَأْتِي الصَّغْفَةُ عَلَى كُنْهِهِ . وَالشَّيْطَانُ <sup>(٢)</sup> هُنَاكَ مَدَاخِلَ وَتَحَاثُلَ ، وَدَسَّ وَتَحْرِيكَ وَطَمَعٌ ، لَيْسَ يَقْوَى بِشَرِّهِ عَلَى دَفْعِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ، وَلِتُسَكِّنَ تِلْكَ الْحَرَكَةَ ، وَالنَّهْوُضَ بِتِلْكَ الْحِمْنَةِ ،

• إِلَّا بِنَايَةِ الزَّرِيِّ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَغْضَمِ لَهَا ، وَالْبَخْسِ وَالتَّخْوَنِ مِنْهَا ، وَتَنَاقِي ذِكْرِ جَمِيعِ عَاسِنِهَا ، وَاجْتِلَابِ ذِكْرِ جَمِيعِ مَسَاوِيهَا . فَبِالْحَرَوِيِّ إِذَا صَنَعَ ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ مِنْ غَرْبِهِ وَطَوَائِعِ نَفْسِهِ ، وَحَرَكَةِ هِمَّتِهِ ، وَاتَّقِشَارِ عِزِّهِ ، وَاتَّقَاضِ يَرْغَمِهِ .

وَهَذِهِ حَالٌ لَا يُجْتَنَّبُ بِهَا إِلَّا الْخُلَفَاءُ ، وَلَا يُجْتَنَّبُ بِهَا إِلَّا الْأَعْمَةُ الْهَدْيُ ؛

١٠ لَأَنَّ مَعَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الْمُنَنِ وَمِنْ فَضُولِ الْأَحْلَامِ ، وَشِدَّةِ الْوَرَعِ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَثِبَاتِ النَّفْسِ ، وَالْمَرْفَعَةِ بِمَا آدَاهُ الطَّائِعُ ، وَإِمَانَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَعَ ... مَا يَقَامُ بِهِ مَوْرَهُ <sup>(٣)</sup> مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ وَتَمْظِيمِ الْإِنْسَانِ ، وَعِزِّ السُّلْطَانِ . وَالنَّفْسُ لَا تُسَمِّحُ بِإِعْطَاءِ مَا عَلَيْهَا حَتَّى تَحْمَمَهَا مَا لَهَا .

وَأِنْ كَانَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ : « وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إِنْمَاءً أَرَادَ بِهِ مَدَاوَاةَ قَلْبِهِ ، وَالزَّرِيَّ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِكَذِبٍ وَإِنْ كَانَ خَيْرِمَ ، إِذْ كَانَ إِنْمَاءً أَرَادَ إِسْلَاحَ قَلْبِهِ ، وَعِلَاجَ دَائِهِ ، وَالْبُغْدَ مِنْ تَقَرُّرِ الْقَوْمِ بِتَقْصِيهِمْ عَنْ فَضْلِهِ ، وَالْفَخْرَ عَلَيْهِمْ بِتَبَرُّزِهِ . فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَبِيلُهُ سَبِيلَ مَنْ يُظْهَرُ التَّعَلُّمُ إِذَا عَلِمَ ، وَسَبِيلُ مَنْ يَتَوَاضَعُ إِذَا عَظُمَ . فَجَمَعَ بِذَلِكَ حَسْنَ الْأَدَبِ ، وَالْبُغْدَ

(١) فِي الْأَسْلَ: « وَاسْطَهْ عَيْسَه » .

(٢) فِي الْأَسْلَ: « وَالتَّيْطِلَانِ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْبَارَةُ نَاقِصَةً عَرَقَةً .

من التزكية ، والتجيب إلى السمع ، والتواضع لرَبِّه ، والمداواة لقلبه ،  
والظفر ببدوه ، وإحراز دينه .

وقد يكون إخلاصُ ظاهرٍ لفظه على شيءٍ وممناء غيره ، فلا يكونُ  
ذلك كذباً ، لمعرفة القائل بقَهَم السمع عنه . وهذا بابٌ كثيراً  
ما يستعمله العرب .

يقول الرجل لامرأته : أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ ! وهو يعني طلاقها  
وليس هناك حَبْلٌ أَلْقِيَ عَلَى غَارِبٍ .

ويقول : مَالِي فِي هَذَا الْأَمْرِ نَاقَةٌ وَلَا جَهْلٌ ! وليس ذلك يُريد .  
و : لست منها في عِيٍّ وَلَا تَفِير ! وليس ذلك يُريد .

١٠ وقال عُمرُ في الصِّدَاقِ ما بَلَغَكُمْ ، فلما احتجَّت عليه المرأةُ بقول  
الله : « وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا <sup>(١)</sup> » قال : كلُّ أحدٍ  
أَفْقَهُ مِنْ عَمْرٍ .

وهذا القول ينبئ أن يكون على قياسكم هنا كذباً . ولا نعلمُ أحداً  
رواه عن عُمرٍ إلا على التفضيل له . ووجهه قائمٌ معروف .

١٥ فإن قالوا : ما معنى قول أبي بكرٍ : « إِيَسُوا أَيُّ هَذَيْنِ شَتَمَ » ، يعني  
عُمرَ وأبا عبيدة .

قبل لهم : إِنَّ أبا بكرٍ إِنَّمَا قَالَ هَذَا السَّكَّامَ لِلْأَنْصَارِ وَمَنْ حَضَرَ  
بعد أن قَرَّرَ الْأَنْصَارَ بِفَضْلِ الْمُهَاجِرِينَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ الْأَمْراءَ مِنْهُمْ . فلم  
عند ذلك أنه بَاقٍ عند الْأَنْصَارِ مِنْ جَمِيعِ الْمُهَاجِرِينَ كَمَا بَانَ عِنْدَ الْمُهَاجِرِينَ

ولكنه كان سائساً رفيقاً ، فكرِه أن يقول بایعونی ، لیسكونوا هم الذين يطلبون منه ذلك ويريدونه عليه ، ويظهرون حبَّ تهديده ؛ لتكون النفوس بطاعته أسمع ، وفيها أرغب ، ولذبه أحد ، ولأنَّ ذلك عندم أبعَد من الاستبداد عليهم ، والافتيات بالأمر دونهم ، والحرص على التأثر عليهم . ولتلك مَثَى في الناس بمدَّ يمينه ثلاثاً يقول : هل من مستقبل فيقال ؟

وقد قال في خطبته بمدَّ البيمة :

وقد كانت بيّمتي فلنتي ، وخشيت الفتنة . وإيم الله ماخرست عليها يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سرِّي ولا علانية ، ومالي فيها راحة .  
وقد قُذِّدْتُ أمراً عظيماً مالى به طاقة ، ولوددتُ أنْ أقوى الناس ١٠ عليها مكاني .

ألا ترى زُهدَه فيها<sup>(١)</sup> ، وقلة حرصه عليها ، وكيف يُخبرُ أنه لو لم يخشَ الفتنة ماقبلها ، ولودَّ أنْ أقوى الناس عليها مكانه ؟

وقوله « لوددت أنْ أقوى الناس عليها مكاني » ، يقول : وددت أنه لو كان في الناس من هو أقوى عليها مني . ليس<sup>(٢)</sup> أنه يرى أنْ ١٥ في الأرض يومئذ رجلاً هو أقوى عليها منه .

ومثلُ هذا في كلام العرب كثير .

وقال الراجز<sup>(٣)</sup> وذكر إبله فقال ، إذا كانت عليها متارُضها<sup>(٤)</sup> :

(١) في الأصل : « ألا ترى في زهدِه فيها » .

(٢) في الأصل : « فليس » .

(٣) هو أبو محمد النفسى . اللسان ( غرض ) .

(٤) جمع مفرض ، كجلس ، وأصله جانب البطن أسفل الأضلاع ، وهو مايقع عليه الفرو وهو حزام الرجل . وقد عني به الجاحظ الأغراض . ويبدو أن هذه البارةمقحمة ، وموضتها بمد .

\* يشرن حتى تنقض المنارض<sup>(١)</sup> \*

يقول : يشرن حتى لو [ كانت عليها منارضها<sup>(٢)</sup> ] سمعت لها قيضا .  
والبعير لا يُورد وعليه قرضه ويطائه .

ثم رجعت إلى الحديث الأول

• فكان أبو بكر حين قال : « بايعوا أي هذين شئتم » علم أن عمر وأبا عبيدة لا يستجيزان تقدمه والتأمر عليه ، كما بلغنا من قول عمر في أبي بكر ، يوم جمع المهاجرين والأنصار يستشيرهم في غزو الروم حيث خالفوه وأبى أبو بكر إلا إيفاد ذلك الجيش والتعريف لهم بالحجة<sup>(٣)</sup> فيه ، حين يقول : « الحمد لله الذي يخلص بالخير من يشاء من خلقه . والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقنا إليه ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .  
وقال أيضاً يوم السفينة حين قال أبو بكر : بايعوا أي هذين شئتم : « والله لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلي من أن أقدم أبا بكر » .  
وقال : « والله لأن أسجّع فأذبح كما يذبح الجمل أحب إلي من أن أقدم أبا بكر » .

١٠ • ولقد بلغ من تعظيمه له وتقديمه إيَّاه ، أنه قال حين سُئل عن الكلاية : « والله إنى لأستحي الله أن أرى خلاف رأي أبي بكر » .  
وأنت لم تجد أبا عبيدة تقدمه في موقف قط ، وقد وجدت أبا بكر قد تقدم أبا عبيدة في مواقف كثيرة ، في حياة رسول الله صلى

(١) في أسس البلاغة : « حتى تنقض » .

(٢) انظر التلخيص ٤ من الصفحة السابقة .

(٣) في الأصل : « الحجة » - وانظر ص ١٠٥ س ٨ - ٩ .

الله عليه وبعد وفاته ، كما حكينا لك قبل هذا . ولم نجد ذكر أبي بكر وعمر في موضع قط إلا وأبو بكر المقدم عليه ؛ مع مقامات لأبي بكر شريفة ليس لغيره فيها ذكر .

فبين أن يكون أبو بكر بأمرهم بذلك أمراً أو يطلب إليهم طلباً ، وبين أن يجعله إليهم فيكونوا الطالبين له والراغبين إليه ، وليكون ذلك من تلقائهم وطيب أنفسهم ، فرق عظيم .

- وأية يمة أثبت من يمة عقدها عمر والنبي يقول : « ضرب بالحق على لسانه » و « الشيطان يفرق من حسه <sup>(١)</sup> » و اللهم أعز الإسلام بمر » ؟ ! وأية يمة أثبت من يمة عقدها أبو عبيدة والنبي يقول : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . ١٠
- وأية يمة أثبت من يمة عقدها عبد الرحمن بن عوف وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأمين <sup>(٢)</sup> » . فإذا كان أمين رسول الله صلى الله عليه في أمته ، والفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، حيث قال : « لا يمبد الله سراً بعد اليوم » قد عقدا بيعته وأكدا أمره <sup>(٣)</sup> ، فما عسى أن يبلغ قول قائل ؟ ! ولو كان ذلك عن مواطاة من ١٥

(١) في الرياض النضرة ١ : ٢٠٨ في حديث للراء الأضرارية : « فقامت بالدف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ففرت قرينين أو ثلاثاً ، فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها وأسرعته إلى خدر عائشة . فقالت لها عائشة : مالك ؟ قالت : سمعت صوت عمر فهبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليغر من حس عمر » .

(٢) انظر السيرة ١٠ : جوتجن ، لقول رسول الله في شأنه : « اتقوا المشية أثبت معكم القوى الأمين » . وفي الرياض النضرة ٢ : ٣٠٨ : « إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أئمتنا الأمة أبو عبيدة بن الجراح . أخرجه البخاري وسلم . وأخرجه الترمذي وأبو حاتم ، ولفظها : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة ... » .

(٣) في الأصل : « عقده بيته وأكده أمره » . وإنما ما أبو عبيدة الأمين ، وعمر الفاروق .

أبي بكر لأبي عبيدة كما واطأ معاوية عمرو بن العاص ، ما استعمل عليه خالد بن الوليد أميراً أيام حياته حتى عزله عمر بن الخطاب ، وكان كما صنع معاوية بعمرٍو حين أطعمه مصر .

وَأَيَّةُ سَيْمَةٍ أُثِبتُ مِنْ سَيْمَةٍ عَقَدَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رَضِيتُ لَأُمِّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ <sup>(١)</sup> » . فَإِذَا رَضِيَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ سَيْمَةً رَجُلٍ قَدْ رَضِيَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ قَدْ قَالَ : « رَضِيتُ لَأُمِّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ » .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَقْدِيمِهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُمَانَ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ اخْتِيَارِ النَّاسِ لِمَنْ : « مَا أَلَوْنَا أَنْ جَمَلْنَاهَا فِي أَعْلَانَا ذَا فَوْقَ <sup>(٢)</sup> » .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِعُمَرَ وَتَقْدِيمِهِ لَهُ ، أَنَّهُ قَالَ : « لَقَدْ خَشِيتُ اللَّهَ فِي حُبِّ عُمَرَ » . وَقَالَ : « مَا صَلَّيْنَا ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ » . وَقَالَ بَعْدَ مَوْتِ عُمَرَ : « إِنَّ عُمَرَ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حَصَنًا حَصِينًا يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَلَمَّا مَاتَ انْقَلَمَ ذَلِكَ الْحَصَنُ فَصَارَ النَّاسُ يَخْرُجُونَ مِنْهُ وَلَا يَدْخُلُونَ فِيهِ » . وَقَالَ : « إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ غَيَّ هَلَا بِعُمَرَ <sup>(٣)</sup> » .

فَإِذَا كَانَ عُمَرُ وَعُمَانُ مِنْ أَتْبَاعِ أَبِي بَكْرٍ وَشِيعَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَهَذَا قَوْلُهُ فِيهِمَا ، وَتَفْضِيلُهُ لَهَا ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ ؟ !

(١) انظر ما مضى في ص ٤٦ ، ١٤١ .

(٢) انظر ما مضى في ص ٢٧٣ . وكتب في الأصل : « اعلى نادى فوق » .

(٣) أى أبدأ به وجعل بذكره .



ولو أن رجلاً واحداً من نحو من ذكرنا عقد لعلّ إمامة ، أو نطق فيه بكلمة ، لأكالت الشُّبُعُ والرَّافضُ هذه الأمة فضلاً عن أن تحتج برضاه واختياره . فهذا هذا .

ثم الذي نقولوا إلينا<sup>(١)</sup> من تثبت عليّ بيعة أبي بكر . وذلك أنهم قالوا : لما بُويع أبو بكر وباعه عليّ وبنو هاشم ، قام أبو بكر فطاف في الناس ثلاثاً يقول : « أيُّها الناس ، قد أفلتكم سيمى » ! قالوا : يقول عليّ من بين الناس : « والله لا نُفِيك ولا نَسْتَفِيك ، قدّمك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فن ذا يؤخرك !؟ » .

ثم الذي يقله الناس عن عليّ حين قال على منبره : « ألا إن خير هذه الأمة أبو بكر ، والثاني عمر ، ولو شئت أن أخبركم بالثالث فعلت » .

ونقلوا جميعاً أن عليّاً قال : بينا أنا يوماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتى أبو بكر وعمر فقال النبي : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين والمرسلين ، لا نخبرها بالذي قلت يا عليّ » . قالوا : قال عليّ : لولا أنهما قد مانا ما حدثتكم . ١٥

قال الشعبي : قال عليّ : « إن أبا بكر كان أواهاً مُنيئاً ، وإن عمر ناصح الله فنصحه الله » .

ونقلوا أن عليّاً قال — ودخل عليّ عمر وقد مات وهو مسجى —

(١) في الأصل : « سلوا بنا » .

قال : رحك الله يا عمر ! والله ما أحد أحب إليّ أن ألقى الله بمثل صحيفته من هذا الحجّي صاحب السرر !

وبلغه أنّ رجلاً تناولَ أبا بكرٍ وعمر ، فقال للرجل : لو سمعتُ منك الذي بلغني لألقيتَ أكثرَكَ شِعْراً .

• وقال : لو أُنيْتُ برجلٍ يشتمُّهما لجلدته حدَّ المفتري .

ثم الذي قلّه جميع أصحاب الأتار أنّه قال : كنتُ إذا سمعت من النبي صلى الله عليه حديثاً فغفني الله بما شاء منه ، فإذا حدثني غيره عنه استخلفته ، فإذا خلف لي صدقته . وإنَّ أبا بكرٍ حدثني - وصدق أبو بكر - حدثني أنّ النبي صلى الله عليه قال : « ما من رجلٍ يُذنب ذنباً فيتوضأ فيُحِمِّن الوضوء ثم يصلّي ركعتين ويستغفر الله إلّا غُفِرَ له <sup>(١)</sup> » .

ألا ترى كيف أوردّه بالتصديق وقلة التهمة ، وأقامه مقام التقليد ورفع الاستزابة .

فهذا مذهبُ عليٍّ فيها وتنظيمه لها .

١٥ ثم الذي كان من تزويجه أمّ كلثوم بنتَ فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه ، من عمر بن الخطّاب ، طائماً راعياً ، وعمر يقول : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّه ليس سببٌ ولا نسبٌ إلّا مُنقطع ، إلّا نسي » . قال عليّ : إنها والله ما بلغتْ يا أمير المؤمنين . قال : إني والله ما أريدُها فذاك ! فأرسلها إليه فنظر إليها قبل أن يتزوجها ،

ثمَّ زَوْجَهَا إِيَّاهُ ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ زَيْدَ بْنَ عُمَرَ ، وَهُوَ قَتِيلُ سُودَانِ مَرْوَانَ<sup>(١)</sup> ،  
فَلَمَّا أُنِيَ النَّبِيُّ أُمُّ كَلْبُومَ رَكِدَتْ عَلَيْهِ حُزْنًا حَتَّى مَاتَتْ ، وَقَالَتْ : وَاحِرَتُهَا  
قَتَلَ أَبُوهَا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَتَلَ زَوْجُهَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَقَتَلَ  
وَلَدَهَا زَيْدَ بْنَ عُمَرَ .

- ثمَّ نَصَبَ عَلَى أَوْلَادِهِ بِأَسْمَائِهِمْ ، كَمَا يَتَبَرَّكُ الرَّجُلُ بِأَسْمَاءِ أُمِّتِهِ وَقَادَتِهِ ،  
حِينَ سَمِيَ بِمُحَمَّدٍ وَعُمَانَ وَأَبِي بَكْرٍ ، فَأَعْقَبَ عُمَرَ وَلَمْ يُعْقِبْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَانُ .  
ثمَّ الَّذِي كَانَ مِنْ قَبُولِهِ وَلَايَةَ عُمَرَ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَمَضَى  
عُمَرُ مُسْكِرًا يَرِيدُ جَيْشَ مِهْرَانَ<sup>(٢)</sup> بِمَدِّ وَقَمَةِ قُسٍّ النَّاطِفِ<sup>(٣)</sup> فَأَنَاهُ عَلَى<sup>١٠</sup>  
إِلَى مُسْكِرِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ فِيمَنْ أَشَارَ<sup>(٤)</sup> بَأَنَّ الرَّأْيَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ  
وَلَا يُلْقَامَ بِنَفْسِهِ وَحْدَهُ ، بَلْ يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ فَيْئَةً<sup>(٥)</sup> . فَرَجَعَ عُمَرُ .  
وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَ النَّاسِ لِيَجِدُوا وَيَمِزُّوهُ .  
فَإِنْ قَالُوا : هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ ، أَوْ قَالُوا : إِنَّ هَذَا الَّذِي حَكِيمُوهُ وَإِنْ  
كَانَ حَقًّا فَإِنَّمَا كَانَ عَلَى التَّعْقِيبِ . فَقَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ بِالَّذِي يَكْتَفِي بِهِ .  
وَالْمُعْجَبُ أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ عَلَى النَّاسِ تَصْدِيقَهُمْ أَنَّ سُلَيْمَانَ قَالَ : « كَرْدَاذُ

(١) انظر نسب قريش ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٢٧٢ وجهرة أنساب العرب ١٤٧ .  
(٢) هو مهران بن باذان المزداني القائد الفارسي ، وكان عربي الأصل نشأ مع أبيه باليمن  
إذ كان طاملاً لكسرى . وروى الطبري ٤ : ٧٨ أنه قال في تلك الحرب :  
لَنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي مِهْرَانُ أَتَالَمَنْ أُنْكَرْتَنِي ابْنَ بَاذَانَ  
عسكر الرجل والجيش : كان في المسكر . وفي الطبري ٤ : ٨٣ : « خرج عمر حتى نزل  
على ماء يدعى ضاروا فسكر به » .  
(٣) كانت في سنة ١٣ .  
(٤) انظر جرح هذه الشورى في الطبري ٤ : ٨٣ - ٨٤ .  
(٥) أي مرجعاً .

ونسكرداذ<sup>(١)</sup> « وأن الزبير خرج شاذًا بسيفه ليؤكد إمامة عليّ ، وأن الأنصار إنما خالفت على المهاجرين قهصًا من استبداد أبي بكر<sup>(٢)</sup> ، وأن أبا سفيان بن حرب ، وخالد بن سميد ، إنما قالا : « أرضيتُم معشر بني عبد مناف أن يلى عليكم تيم » ، نصرته لعلّ دون جميع بني عبد مناف ، فإن الله ردّ عليه الشمس<sup>(٣)</sup> ، وإن النبي قال : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » ، وجعل إليه طلاق نسائه ، وأنه قسم النار<sup>(٤)</sup> ، وساحب الرّض ، والقائم على الخوض ، فيوجبون علينا أن نصدقهم في هذا ولا يوجبون على أنفسهم الحمال الآثار أن عليًا قال في الخلية والبرية ، والباينة ، والبتة ، وطلاق الحرج ، وأمرك بيدك ، والحرام ، أنها كثلث تطلقات . ويوجبون على طُلاب الحديث أن عليًا كان لا يرى الطلاق إلا طلاق الستة .

وهذا أمرٌ ما سمعنا به قط عن عليٍّ إلا منهم .

وليس بأعجب من استنهاد خصومهم البيان والإجماع وما عليه الوجود ، واستنهادهم القصد والضمير والنيب ، وجملهم له يوازن الظاهر والشائع .

وذلك أن القائل إذا قال : أسلم أبو بكر كهلا وأسلم عليٌّ طفلًا .

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) في الأصل : « أبي بكر على » .

(٣) في الرياض النضرة ٢ : ١٧٩ : « عن الحسن بن علي قال : كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي وهو يوحى إليه فلما سرى عنه قال : يا علي ، صليت النصر ؟ قال : لا . قال : اللهم إنك تعلم أن كان في حاجتك حاجة نبيك فرد عليه الشمس . فردّها عليه فصل وغابت الشمس . خرجة الدولاين قال : وقال علماء الحديث : وهو حديث موضوع ولم ترد الشمس لأحد ، وإنما حبست ليوضع بين نون » .

(٤) كذا في الأصل .

قالوا : كان عليٌّ وهو ابن سبع سنين أرجحَ عقلا من أبي بكر وهو ابن إحدى وأربعين سنة . فتركوا الميآن وعارضوا الشاهد بالتائب .

وإنَّ قال قائل : إنَّ أبا بكر كان مع النبيِّ في النار وقد نطقَ به القرآنُ وثبته الإجماع . قالوا : فإنَّ عليًّا أباهُ النبيُّ على فراشه .

- وإن قلت : إنَّ النبيَّ سمَّى أبا بكر بالصديق تفضيلاً له ولم يجعل له اسماً يفضله به . قالوا : بلى ، قد كان النبيُّ سمَّاهُ الصديقَ الأكبر ، ولكنَّ الناس ممنوعه ذلك وظلموه ، حين لم يُسَيِّروه ويُسَيِّموه .

وإن قلت : إنَّ النبيَّ اشتكى أياماً وليالي ، كلَّ ذلك يأمر أبا بكر بالصلاة ، وهو حاضرٌ ولا يأمره . قالوا : لأنَّ عليًّا كان مشغولاً بتمريضه .

- وإن قلت : إنَّ الناس لما افتتنوا بعد موت النبي وعظموا شأنه حتى دعاهم الإفراط إلى أن قالوا : لم يمُت ، ولكنه ينبغي مثل ما غاب موسى عن قومه . فكان أبو بكر هو التكلمُ والمُحتجُّ والمُهاجِمُ حتى عرفهم الحقَّ وتنبهوا من الوسنة . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان اشتدَّ حزنه حتى قطعه عن الاحتجاج والتعريف .

- فإن قلت : حين أظهروا الفرقة والدارُ دارُهم ، لو تركهم أبو بكر ولم يعرفهم فضل المهاجرين عليهم ، لكان في ذلك أشدُّ الفتنة وأكبرُ الفساد ، فما جلَّهم وتجردَ للاحتجاج عليهم ، حين كان كلُّ إنسانٍ مُمِّهم نفسِه ، وعليٌّ بمزلٍ حتى كأنه كان غائباً . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان عَرَفَ حسدَ قريش وبغيتها عليه ، وطاعتها وحبها لأبي بكر ، فلم يكن ليقْدَحَ في غير مَقْدَح ، أو يَنْفُخَ في غير حَقَم .

فإن قلنا : إنَّ إظهارَ عليّ الرضا بالشورى دليلٌ على طاعة عمر .  
قالوا : إنما ذلك للثقة .

فإن قيل : فلم رضى بسيد الرحمن غتاراً وعبدُ الرحمن عنده من  
عدوّه ، وأدنى منازلِه أن يكون كان غرقاً عنده ، وأدنى من ذلك أن  
يكون النملطُ غير مأمونٍ عليه .

قلنا : وهَلَّا أظهر من الخلفِ شيئاً يسير إلينا ، وهَلَّا نطقَ بحرفٍ  
واحد بقدر ما يتخذُه الناسُ بمدُّ حُجَّةٍ ، ولم يكن بلغ أقصى خلافهم  
فيري وعيداً أو إيقاعاً .

فإن قلت : إن علياً قال لأسماء بنتِ عميس — وهي يومئذ امرأته —  
١٠ حين تفاخر ولدها من أبي بكر وجعفر وعليّ عندها : اقضى بين ولدك .  
فقلت : ما رأيتُ شاباً كان أظهر من جعفر ، ولا رأيت شيئاً كان  
أفضل من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أحسهم لفضلاء<sup>(١)</sup> ! فلم يُنكر ولم  
يحتج ، ولم يفرق<sup>(٢)</sup> ، ولم يتمجّب ، والكلام يؤثر والقضية تظهر .

قالوا : إنَّ فضله أظهرُ في الناس من أن يحتاج إلى الاحتجاج ،  
١٥ وإنما قالت ذلك مازحةً ، كما تمزح المرأة مع زوجها وتعرّشُ به<sup>(٣)</sup> .

فإن قلت : إنَّ علياً قد بايع أبا بكر وأعطاه سقفته طائفاً غير مكره  
والحكم السابق من الله ورسوله أنَّ المدعى عليه إذا أقرَّ ولم ينكر ،  
ولم ير الوالى أثرَ جنونٍ ولا إكراها ، أن إقراره جائزٌ عليه ، فكذلك

(١) انظر ما سبق في ص ٩٥ .

(٢) الفرق : الجزع . في الأصل : « ولم يعرف » .

(٣) التعريش : الإغراء . في الأصل : « وتعرّش به » .

على إذا كان قد بايع وليس على رأسه سيف ولا سوط ، فحكمه حكم الراضى السلم .

قالوا : قد كان هناك إكراه ظاهر ، ولكن الناس تكاثروه وأخفوه فيما بيننا وبينهم ، إذ كان الجمهور الأكبر معهم .

- فإن قلت : قد صدقناكم في قولكم إنه قد كان في تقيّة من أبي بكر وعمر وعثمان ، رأيتم أباكم سلطان نفسه ومعه مائة ألف سيف تطيحه وأهل الأرض كلهم رعيته ما خلا الشام ، لم كان يظهر زكية أبي بكر وعمر على منبره وفي مجلسه ؟

قالوا : لتقيّة من رعيته ، إذ كان أكثرهم على هوام وطاعهم .

- قلنا : قد عرفنا أن تركه لهم والبراءة منهم والإخبار عن استبدادهم وظلمهم ، على التقيّة ، فاحمله على تركيهم والإخبار عن محاسنهم ، والرواية المحسنة فيهم ، وقد كان له في الشكوت سعة ، وعن الكلام مندوحة ؟ ولقد نددى في مديح أبي بكر وعمر حتى قال لابن طلحة : إنى لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله : « إخواناً على سُرُرٍ متقابلين » .

١٥

وإن قلنا : إن في تسميته بنيه بأسمائهم دليل على تعظيمهم لهم .

قالوا : لأنه قد كان علم أن شيعته سيحتاجون في آخر الزمان إلى الترخم على أبي بكر وعمر وعثمان ، تقيّة من شيعتهم ، فسمى بنيه بأسمائهم ، حتى يكون ذلك الترخم واقفاً عليهم ، ولأن ينصيب لهم من إذا قصدوا إليه بالترخم أصابوا الحق ولم يحتاجوا إلى الإلطاط<sup>(١)</sup> .

٢٠

(١) الإلطاط : الدفاع ، والاشتداد في المصومة .

وإن قلنا : إنه زوج عمرَ غير مُكرَه<sup>(١)</sup> ، ولا شيء أدلُّ على الخاصَّة والصَّفاء من المشاركة والمصارَّة .

قالوا : قد كان هناك توعَّد وتخوَّف ، وقد قال بعضهم : إنَّ هذا باطلٌ وإنَّ عليًّا لم يزوجَ عمرَ قطُّ . ونُبئت عن بعضهم أنَّه قال : قد كان ذلك على التَّقِيَّة ، ولكن الله سأنها فأخفاها ورفضها . ٥

قيل له : نخبَرنا عن التي رأوها في منزل عمر وعلى فراشه ، وولدت منه زيدا ، ما هي ؟ وأى شيء كانت ؟  
قال : شيطانة في سورة امرأة .

وإن قلت لهم : كيف زعمتم أنَّه كان أشدَّ أهل الأرض قلباً ، وأنتم ترمون أنَّه كان يتقى كلَّ شيء ، حتى ليُسلم حرمة إلى كافر من غير أن يُشهرَ عليه سيف أو يُضرب بسوط . وقد رأينا مَنْ هو في دون حاله في التجارة والشَّجاعة ، والحجَّة والبصيرة ، يمتنع حتى يُقتل في دون هذا . وقد تملون أنَّه لم يُكلم ولم يُخَدش ، فضلاً على أن يُجرَح ويُقتل ، في جميع القامات التي زعمتم أنَّه إنما استجاز واستحل من التقية .

١٥ وأعجبُ من جميع هذا أنا رأيناكم ترمون أنَّ أبا بكرٍ وعثمان كانا من أجبن البرية وأبداه من حجة ، وقد رأينا صنعَ أبي بكرٍ في الردَّة كيف نَصَّ بالقليل في عارية الكثير ، وكيف أشاروا عليه بأن يستعين بجيش أسامة حتى إذا ردَّ الردة أعاد الجيش إلى حاله . وكيف قال لهم حين قالوا له : إنَّا قد أمنا غزو الروم إيانا في يومنا هذا ، ولستنا نأمن مع ارتداد جميع العرب أن نُنزى في عُقر دارنا ! قال : لو بقيتُ حتى يأكلني



الكلابُ وحدي ما أخرتُ جيشاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإتقانه .  
 ثم رأينا عثمان ، وهو عندكم أضف من أبي بكر وأجبن ، قد كان  
 عامراً مغطاً غنولاً قد قهره عدوه ، والسيوف تلعب على يابه ، وقد أفضوا  
 إلى داره ، وتسلقوا عليه من خوخته<sup>(١)</sup> ، وهم يريدون نفسه أو خلع  
 الخلافة من عنقه ، فصبر حتى قُتل كريماً عتياً وهو يقول : ٥  
 « لا أنزع قبضاً قمصنيه الله ا » ، وهو يرى الحيد وليس معه أمان  
 من قبله .

وقد يزعمون أن علياً قد كان يعلم أنه لا يُقتل ولا يموت حتى  
 يقاتل الناكثين والقاسطين والدارقين ، ومع ذا يزعمون أن الله<sup>(٢)</sup> قد  
 كان أسراً إليه علم كل ما يحدث في هذه الأمة من الفتن والمهيج . وهذا ١٠  
 لا يُنسبُه اتّخاذُه أبا موسى حكماً عليه وله ، مع غباء<sup>(٣)</sup> أبي موسى  
 وعداوته كانت له ، ولا سيما إذا قرنه بمرو بن الحاص . وما ظنك برأي  
 عمرو وقد كان فيه موه<sup>(٤)</sup> .

في جميع ما قلنا دليل على أن القوم إما أن يكونوا<sup>(٥)</sup> مالكين لأهوائهم .  
 فإن قالوا : ما الدليل على إسلام أبي بكر فضلاً على تقديمه وتفصيله ١٥  
 ومباينته ؟ ومن أين لكم أن تزعموا أنه قد كان مسلماً وأنتم خصومكم  
 تجمعون على أنه قد كان كافراً ، ثم ادّعيتم أنه قد أسلم بعد كفره وأنكر  
 ذلك خصومكم ، فليس لكم أن ترجعوا عما اجتمعتم عليه إلا بإجماع منكم

(١) الخوخة : كوة في البيت تؤدي إليه الضوء .

(٢) في الأصل : « الله » .

(٣) في الأصل : « عما » بالإهمال .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) كذا في الأصل . والوجه « لم يكونوا » .

يوازنه . وقد ينبغي أن تطرحوا موضع الفِرقة وتَقَضُّوا بموضع الجماعة ، وقد جامَعتونا أنَّ عليًّا لم يزل مؤمنا .

قيل لهم : إنَّا لو كنَّا عرفنا أنَّه قد كان مرَّةً كافراً من قَبْلِ خبر أصحابنا وبجامةِ خصومهم لهم ، وكان علمُ ذلك لا يُصاب إلَّا بمجامعتهم لأصحابنا ، لقد كان الذي قلّم واجباً وقياساً صحيحاً . ولكنَّا عَرَفْنَا أنَّه قد كان كافراً بقدر من الخبر قد يكذب مثله <sup>(١)</sup> ، وبه ثبت عندنا أنَّه قد كان في الدنيا ، فضلاً على أن يكون كان له فضلٌ يسمّى كفراً وإيماناً . وإنَّما الحجة في المجرى الذي لا يكذب مثله ، ثم لا نلتفت بعد ذلك إلى موافق ولا إلى مخالف ، ولا إلى عقل ولا إلى نظر . ثمَّ نظرنا فإذا الوجه الذي منه علمنا أنَّه قد كان في الدنيا ، منه علمنا أنَّه قد كان مرَّةً كافراً ، و [هوَ] الوجه الذي منه علمنا أنَّه قد أسلم بعد كفره . ولو أنَّنا عرفنا كفره بنا وبخصومنا ، لما عرفنا إيمانَه إلَّا بنا وبهم .

ووجه آخر من الجواب : أنكم قد جامَعتونا على أنَّه قد كان يشهد الشهادة ، ويأكل الذبيحة ، ويظهر الإسلام ، في حيثُ النفاق مستغفِر وثوبُ الإسلام داجٍ <sup>(٢)</sup> ، والكفرُ ذليل والإسلام عزيز ؛ [ثمَّ] أدعِينم بعد أن أقررتُم أنَّه قد كان يُظهر الإسلامَ في دار الإسلام ، أنَّه كان مُستسيراً بالكفر ، وأنَّه كان من المؤلَّفة قلوبهم .

فلوجب بالقياس أن يُحكّم له بالإسلام على ظاهر ما اجتمعنا عليه من جلته . ولا ندعُ موضع الإجماع إلى قولكم وحدكم : إنَّه قد كان إسلامه

(١) في الأصل : « لا يكذب مثله » .

(٢) دجا : الإسلام : قوى وأبس كل شيء ، كما يدجو الليل ، إذا تم وأبس كل شيء .

على اتفاق ، لأن الجماعة لا تنزل إلى فرقة ، ولأن الحق لا تترك إلا بحجة .  
فإن قالوا : فإن أبا بكر لم يشهد قط الشهادة ، ولا سلى [ إلى ] القبة .  
قلنا : ما قولون في رجل رأيناه كافراً في دار الكفر ، ثم رأيناه  
بعد ذلك في دار الإسلام وفي زى أهله ، وحكم الإسلام غالي ، ومعلوم  
أن من عادة أهله قتل من كفر ، كيف يكون حكم ذلك الرجل ؟  
فإن قالوا : ولكننا هف في منيبه .  
قلنا : اجملوا أبا بكر ذلك الرجل .  
فإن قالوا : فإن أبا بكر لم يزل يظهر الكفر في دار الإسلام ، كما كان  
يظهر الكفر في دار الكفر .

قلنا : لا بد لكفره من وجهين : إما أن يكون كان يظهره على  
عهد وذمة فلذلك لم تقتلوه . أو يكون كان على غير عهد وذمة .

فإن ادّعوا أن كفره كان على عهد وذمة كما جعل الله ورسوله للنصارى  
واليهود ، خرجوا إلى مالا يحتاج مع فضحه إلى الكلام فيه . وإن زعموا  
أنه كان على غير عهد وذمة وحكم الإسلام ظاهر ، فما أشبه هذا  
القول بالقول الأول .

١٥

ويقال لهم : خبرونا عن أبي بكر ، هل يخلو من أن يكون لم يقتل  
قط في دار الإسلام : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو يكون قد قال  
ذلك مرة واحدة ؟

فإن زعموا أنه قد قالها مرة واحدة ثم تركها ، قيل لهم : فقد  
أقررتهم وجامعتهم خصومتكم على أنه قد شهد الشهادة ، فليس لكم أن

٢٠

تخرجوه إلى نفاقٍ أو إلى تركٍ ، إلا لجماعة خصومكم لكم ، إذ كانت الفرقة لا تنقض الجماعة .

فإن قالوا : فإنه لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة قط من دهره ، لأعلى نفاق ولا على غيره ، بل كان يظهر عبادة الأصنام ، ثم مع ذلك سلم على حكم الكتاب والسنة ، وعلى حكم الدار . فليس عندنا في ذلك إلا إسقاطه ونحريم كلامه وإمضاء حكم مثله فيه .

بل قد ثبت إسلامه بعد الوجوه التي ذكرتها بوجوه :

منها أن الله أثنى على عباده الصالحين ، نخص بتفضيله السابقين والمهاجرين الأولين ، وقد اجتمعت الأمة أنه من المهاجرين الأولين مع فضيلة هجرته ، إذ كانت هجرته وهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله معاً .  
فهذا وجه .

ثم الذي رأينا من ذكر الله وثنائه على أهل بدر . وقد أجمع المسلمون أنه كان ممن شهد بدراً ، مع ما فضل به من الكون في الريش ، ولا موضع أدل على الخصاص من ذلك الموضع في ذلك الموقف ، مع ما شهد به من مستجيبه وعُتقائه ومواليه . ولقد بلغ من قدر من شهد بدراً أن طاعة الفقهاء تحدث أن الله « أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم » فلذلك كان الحسن يقول : إن طلحة والزبير وعلياً في الجنة معاً وإن لم يكونوا كانوا<sup>(١)</sup> في الدنيا ، لأنهم عتقوا الله من النار ، ولم يكن الله ليعتق عبداً ثم يبيده في ريقه . ولذلك كان الحسن ، وحوشب ، وهاشم الأوقص ، وبكر بن أبي عمير ، وابن أخ عبد الواحد ، يقولون إذا ذكروا يوم الجبل : « هلك الأتباع ونجت القادة » . فهذا هنا .

(١) في الأصل : « وا » بالإعمال .

- ثم الذي كان من ذكر الله وحُسن ثنائه على مَنْ بايَعَ تحت الشجرة .  
 وأيضاً شيءٌ عَجَبٌ من اجتماع السَّلفِ مهاجريها وأنصارِها خلا أربعة نفر  
 على تقديم رجل في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَقْضَى في أُبشارهم  
 وأشعارهم وفروجهم وأموالهم ، ويحمل أماناتهم ، وَيَدْعُوهُ خَلِيفَةً  
 رسول الله ، حتَّى تترك<sup>(١)</sup> الشريف المطاع ذا السابقة والقَدَم وتولَّى مكانه  
 الخامل القليل المقصر ، فلا يراد ولا يَدْفَع ، ولا يُرَاجِم ولا يستفهم ، وهو  
 المعروف عندهم بمحمد الرسول وعبادة الأوثان ، وليس بنبي عشيرة منبهة .  
 ولا يستطيع أحد أن يزعم أنَّه قد كان واطلاً المشائر ليصرفوا إليه  
 عونهم على أن يؤثروهم<sup>(٢)</sup> . ويفضِّلهم . ولو كان ذلك لظهر عليه ولم يخف أثره .  
 ١٠ . ومثل هذا لا يستطاع كتمانهُ وسره وتزويله .

- وكيف وقد سوى بين الرقيع والوضيع ، والدليل [و] المنيع<sup>(٣)</sup> فلم  
 يؤثر قريباً ولم يولَّ نسياً .  
 ولو استمانَ بطلحةَ وولاءَ وفضله لقد كان ذلك موضعاً ، وللولاية  
 والتقديم أهلاً ، بل صنعَ ضدَّ ما يصنعه أصحاب الميل والأثرة ،  
 ١٠ . والمصيبة والمواطاة .

- ولو كان قريبَ القرابة لجاز<sup>(٤)</sup> لقائل أن يقول : إنما قدَّم لقرابته .  
 ولو كان عصبيةً لقالوا : إنما استحقَّ بورائه .  
 ولو كان منبغ الرهط لقالوا : إنما قدَّم لكثرة قبيلته .

(١) في الأصل : « هول » بالإمالة .

(٢) في الأصل : « ورهم » بالإمالة .

(٣) في الأصل : « فن لم » .

(٤) في الأصل : « وجاز » .

ولو كان استمانَ بقوم على مواعاةٍ وشريطةٍ ، كصنيع معاوية بنى  
الكَلَّاعَ وعمرو بن الماص ، لقالوا : إنما قُدِّمَ رهبةٌ ثَمَّنَ واطَّاءَ ، ورغبةٌ  
فيمَن أَكَّدَ هواه .

[و] وَلَى بَنِي غَزْوَمَ أَعْنَقَ الْعَرَبِ وَقَالَ أَهْلُ الرِّدَّةِ ، وَحَرْبِ  
مَسِيلَةَ وَمَعَارِبَ طُلَيْحَةَ ، دُونَ رَهْلِهِ وَلَوْ لَى ذَلِكَ طَلْحَةَ لَكَانَ لَذَلِكَ  
أَهْلًا ، وَلَكِنَّ الطَّاعِنَ قَدْ كَانَ يَجِدُ سَبِيًّا .

وكذلك عمرُ بن الخطاب لو كان أَدْخَلَ فِي الشُّورَى سَعِيدَ بْنِ زَيْدٍ  
كَأَكْلَمٍ فِي ذَلِكَ ، وَأَدْخَلَ فِي الرُّقَبَاءِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَأَكْلَمٍ فِي ذَلِكَ ،  
لَكَانَ لَذَلِكَ أَهْلًا ، وَلَكِنَّ الطَّاعِنَ قَدْ كَانَ يَجِدُ مَتَمَلِّقًا .

١٠ وُولَى خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ حَرْبَ مَسِيلَةَ وَطُلَيْحَةَ وَبَنِي تَيْمٍ وَأَهْلَ الْبَادِيَةِ ،  
وُولَى عِكْرَمَةَ رِدَّةَ عُثْمَانَ ، وُولَى الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ رِدَّةَ أَهْلِ نَجْدٍ  
وَالْيَمَنِ . وَمَا زَالَ عُمَرُ يَمَاتِبُهُ فِي خَالِدٍ فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ : « لَا أَشِيْمُ سَيْفًا سَلَّهُ اللَّهُ  
عَلَى الْكُفَّارِ » . فَهَذَا هَذَا .

والمعجب<sup>(١)</sup> لهذه الأمة كيف اختلفت في رجلين أحدهما خير خلق الله ،  
والآخر شرُّ خلق الله . وكيف اختلفت في رجلين أحدهما لم يَزَلْ مُؤْمِنًا  
والآخر لم يَزَلْ كَافِرًا ، ثُمَّ كَانَ الْقَدِّمُ الْخَمِيسُ الْكَافِرُ ، عَلَى الرَّفِيعِ الْحَلَمِ  
[وَم] أَصْحَابُ الْقُرْآنِ وَخَاصَّةُ الرَّسُولِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالدَّرَجِيِّينَ وَالْأَنْصَارِ  
وَالْمُهَاجِرِينَ ، وَمُؤْمِنِي الْقَبْلِ قَالُوا فِيهِمْ التَّائِبُونَ : خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَصْحَابُ عَمَدِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ! ابْتَلَوْا فَصَبَرُوا ، وَأَنْتَمِ عَلَيْهِمْ فَشْكُرُوا .

- والمعجب كيف رأوا<sup>(١)</sup> تفضيل عليّ على أبي بكرٍ وعمر مديحاً له .  
 وإنما كان يكون عليّ عالياً رفيماً مقدّماً زاهداً عالماً سائساً أن لو كان  
 أفضلَ من فضلاء ، وأعلمَ من علماء ، وأعقلَ من عقلاء ، وأزهدَ من  
 زهادٍ ، وأسوسَ من ساسة . فأمّا أن يكون أفضلَ من أقص الناس ،  
 وأزهدَ من أرغب الناس ، وخيراً من شرّ الناس ، وأعلمَ من أجهل  
 ٥ الناس ، فليس في هذا التفضيل دركٌ فيتكلفه متكلف ، ويقوم به قائم .  
 والمعجب من رجلين بينهما هذا التفاوت والتباين ثم شهد التكمين<sup>(٢)</sup>  
 من سمعهما يتنازعا فيهما ، فيحصب الحاضر أن شرهما خيراً ، وهو  
 الأريب الأديب الناهب مع التمازف عن التناكر . وكيف التبس الأمرُ  
 وأشكل أن لم يكن الأمرُ مشكلاً ملتبساً .  
 ١٠ وكيف يجوز أن يكون أبو بكر لم يزل كافراً ، أو يكون كفرٌ بجده  
 إمامة على وكفر منه المهاجرون والأنصار ، وقد أجمع أصحاب الأخبار  
 وحال الآثار أن النبي صلى الله عليه قال : « إن من أمّتي سبعين ألفاً  
 يدخلون الجنة بغير حساب » ، فقام عكاشة بن محصن قال : يا رسول الله ،  
 ١٥ دع الله يحلّمني منهم . قال : أنت منهم . فقتل مع خالد بن الوليد يوم بُرّاقة  
 في إمرة أبي بكرٍ وطاعته والإقرار بخلافته ، قتله طليحة بن خويلد  
 الأسدي . فكيف يجوز أن تكون إمامة أبي بكر مَعْصيةً فضلاً على أن  
 تكون كفراً والقتول في طاعته والنقاد لأمره من أهل الجنة .  
 ثم زعم الروافض أن من الدليل على أن علياً كان الحقّ دون طلحة  
 والثبير ، أن النبي صلى الله عليه [ قال ] وذُكر زيد بن سُوَاحن : « زيد .  
 ٢٠

(١) في الأصل : « ماوا » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة .

وما زيد ! يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة . قُتِلَ يومَ الجَل . فجمعوا الدليل على سوابٍ على قِتاله أنَّ زيدا قُتِلَ في طاعته .

قيل لهم : ففي قول النبي « يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة » دليلٌ أنَّ ذلك المصنوع لم يسبق إلى الجنة إلاَّ وقد قُطِعَ في طاعة الله . وقد اجمعا أن يده قُطِعت يومَ نهاوند ، في طاعةِ عمر .

وهذا بابٌ كبير إنَّ تَبَعَهُ متَّبِعٌ ، ولكنَّا أردنا أن ندُلَّ على جميع الأبواب في تفضيل الشيخين ، ونفى التَّنَسُّعِ عنهما <sup>(١)</sup> .

وإن سألَ سائلٌ فقال : هل على الناس أن يتَّخذوا إماماً وأن يُقيموا خليفة ؟

١٠ قيل لهم : إن قولكم « الناس » يحتمل الخاصة والمائة . فإن كنتم قصدتم إليهما ، ولم تَفْصِلوا بين حالهما ، فإنَّا نَزعمُ أنَّ المائة لا تعرف معنى الإمامة وتأويلَ الخلافة ، ولا تَفْصِلُ بين فضل وجودها ونقصِ عدمها <sup>(٢)</sup> ولأى شيء ارتدَّتْ ولأى أمر أملت ، وكيف ماتاها والمبيلُ إليهما . بل هي مع كلِّ ربحٍ تهبُّ ، وناشئة تنجم <sup>(٣)</sup> ، ولعلها بالبطلين أقرَّ عيناً [منها] <sup>(٤)</sup> بالحقين .

١٥ وإنَّما المائة أداةٌ للخاصة ، تَبْتَذِلُها للهن ، وَرَجَّيْ بها الأمور ، وتطول <sup>(٥)</sup> بها على المدوِّ ، وتسدُّ بها الثُّغور . ومقام المائة من الخاصة مقامُ جوارح الإنسان من الإنسان ؛ فإن الإنسان إذا فكَّرَ أبصر ، وإذا أبصرَ عَزَمَ ،

(١) بد هذه الكلمة يبدأ اختيار جديد في نسخة للتحف البريطاني للرموز إليها بالرمز (ب) وسأناه على نهايته من جد .

(٢) في الأصل : « عزما » ، سوابه في ب .

(٣) في الأصل : « واسمه بضض » وأثبت ما في ب .

(٤) التكلة من ب .

(٥) ب : « تصول » .



وإذا عزم تحرك أو سكن وهذا<sup>(١)</sup> بالجوارح [ دون القلب . وكما أن الجوارح<sup>(٢)</sup> ] لا تعرف قصد النفس ولا تروى في الأمور ، ولم يُخرجها ذلك من الطاعة للقرنم ، فكذلك المائمة لا تعرف قصد القادة<sup>(٣)</sup> ولا تدبير الخاصة ، ولا تروى معها ؛ وليس يخرجها ذلك من طاعة عزمها ، وما أبرمت من تدبيرها .

والمجوارح والقرنم وإن كانت مسخرة ومدبرة قد تمتنع لطلب دخلها ، وأمور تصرفها ، وأسباب تنقصها<sup>(٤)</sup> ، كاليد يمرض لها الفالج ، واللسان يمتريه الخرس ، فلا تدير النفس على تسديدها وتقويمها ، ولو اشتد عزمها وحسن تأنيها ورعها . وكذلك المائمة عند نفورها وتهيبها<sup>(٥)</sup> وغلبة الهوى والشغف عليها ، وإن حسن تدبير الخاصة وتعهد الساسة . ١٠ غير أن معصية الجارحة أيسر ضرراً وأهون أمراً ، لأن المائمة إذا انكفت<sup>(٦)</sup> بالخاصة ونكرت للقادة ، وتشزفت على الرئاسة<sup>(٧)</sup> كان التوار الذي لا حيلة له ، والفناء الذي لا بقاء معه .

وصلاح الدنيا وتعام النعمة ، في تدبير الخاصة وطاعة المائمة ، كما أن كمال المنفعة وتعام درك الحاجة<sup>(٨)</sup> بصواب قصد النفس وطاعة الجارحة ، ١٥

(١) في النسخين : « وما » .

(٢) التكلة من ب .

(٣) في الأصل : « البادة » وب « العلة » والوجه ما أثبت .

(٤) في النسخين : « ينقصها » .

(٥) ! : « ثورها وتهيبها » .

(٦) كنا في النسخين ، لها « نككت » . ٢٠

(٧) الراسة : جمع رائس . تفزنت : تصببت . والكلمة مهلة في الأصل . وفي ب

« تفزنت » تحريف .

(٨) في الأصل : « الخاصة » صوابه في ب .

لأنَّ النفس لو أدركت كلَّ بُنية ، وأوفت على كلِّ غاية ، وفشحت كلَّ مستغلق ، واستتارت كلَّ دفين ، ثم لم يُطعمها اللسانُ بحسن العبارة ، واليدُ بحسن الكتابة ، كان وجود ذلك المستنبت — وإنَّ جلَّ قدره وعظم خطره — [ وعدمه <sup>(١)</sup> ] سواء .

٥ فالخاصَّةُ محتاج إلى المائَة كحاجة المائَة إلى الخاصَّة . وكذلك القلب والجراحة . وإنَّما المائَة جُنَّة للدِّفع ، وسلاحٌ للقطع ، وكاترُس للرَّأى ، والنَّاسُ للتَّجار . وليس مضي <sup>(٢)</sup> سيف صارم بكفِّ امرئٍ صارم بأمضى من شجاعٍ أطاع أميره وقَلَّدَ إمامه ! وما كَلَبَ أشلاء ربُّه وأحشاه كلابه ، بأفراط نَزْفاً <sup>(٣)</sup> ولا أسرعَ تقدُّماً ، ولا أشدَّ تهوُّراً ، من جنديٍّ أغراه طمعه ، وصاح به قائده .

١٥ وليس في الأعمال أقلُّ من الاختيار ، ولا في الاختيار أقلُّ من الصَّواب ، فلبابُ كلِّ عمل اختياره ، وصفوة كل اختيار صوابه ، ومع كثرة الاختيار يكثر الصَّواب . فأكثر الناس اختياراً أكثرهم صواباً ، وأكثرهم أسباباً موجبة أقلَّهم اختياراً ، وأقلَّهم اختياراً أقلَّهم صواباً .

١٥ فإنَّ قالوا : قد ينبني للموامِّ ألا يكونوا مأمورين ولا منهيين ، ولا عاصين ولا مطيعين .

قيل لهم : أمَّا فيما يعرفون فقد يطيعون ويمصُّون .  
فإنَّ قالوا : فما الأمر الذي يعرفون من الأمر الذي يجهلون ؟

٢٠ (١) الكلمة من ب .

(٢) في الأصل : « مضى » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « نَزْفاً » .

قيل: أمّا القى يعرفون بالتنزيل المجرّد بنير<sup>(١)</sup> تأويله ، ومُجْمَعُ الشريعة بنير تفسيرها ، وما جلّ من الخبر واستفاض ، وكثُرَ تردّده على الأسماع ، وكُرِّدَهُ على الألفاظ . وأمّا القى يجهلون فتأويل النُّزُل ، وتفسير المجل ، وغامض الشَّنّ التي حملتها<sup>(٢)</sup> الخواصّ عن الخواص من جملة الأثر ، وعلّاب الخبر ، مما يتكلّف معرفته ويتتبع في مواضعه ، ولا يهجم على طالبه<sup>(٣)</sup> ٥ ولا يقهر سمّ القاعد عنه .

والخبر ، خبران : خبرٌ للخاصة فيه فضلٌ على المائة ، كالصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، وتُسَلُّ الحَقَابَة ، وفي المائتين خمسة<sup>(٤)</sup> . وخبرٌ تفضّل فيه الخاصة العامة ، وهو كما سنّ الرسول في الحلال والحرام ، وأبواب القضاء<sup>(٥)</sup> والطلاق ، والناسك ، والبيوع ، والأشربة ، ١٠ والكفّارات وأشباه ذلك .

وبابٌ آخر يجهله الموائم ويخطئ فيه الحشو ، ولا تشمر بمجزها<sup>(٦)</sup> و[لا] موضع دأبها<sup>(٧)</sup> . ومتى جرى سببه أو ظهر شيء منه تسنّمت أعلامه ، وركبت حومته<sup>(٨)</sup>؛ كالسلام في القدر والتشبيه ، والوعد والوعيد ،

١٥

(١) في الأصل : « جد » ، صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « جهلتها » ، صوابه في ب .

(٣) أى يسهل فهمه . ب « يعجم » تحريف .

(٤) يقهر إلى الزكاة .

(٥) هذا ما في ب . وفي الأصل : « الفضل » .

٢٠

(٦) ب : « بسرّها » .

(٧) التكلّة الساقطة من ب ودأبها في الأصل : « ذاتها » وفي ب « دأبها »

والوجه ما أثبت .

(٨) في الأصل : « حرمة » ووجهه من ب .

لأنها قد تحجم<sup>(١)</sup> [ عن ] دعوى الفتيا ، ولا تنهات فيها ، [ ولا ] تنسك<sup>(٢)</sup> فيها لا يعرف منها<sup>(٣)</sup> ، ولا تستوحش<sup>(٤)</sup> من الكلام في [ التمديل والتجوير ، ولا تفرغ من الكلام في<sup>(٥)</sup> ] الاختيار والطباع ، وبجيء الأخبار<sup>(٦)</sup> وكل ما جرى سببه من دقيق الكلام وجليله في الله وفي غيره .

• ولو برز<sup>(٧)</sup> عالم على جادة منهجر وقارعة طريق ، فنازع في النحو واحتج في العروض ، وخاض في الفتيا ، وذكر النجوم والحساب ، والطب والهندسة ، وأبواب الصناعات ، لم يعرض له ولم يُفانحه إلا أهل هذه الطبقات .

ولو نطق بحرف في القدر حتى يذكر العلم والمشقة<sup>(٨)</sup> ، والاستطاعة والتكليف ، وهل خلق الله الكفر وقدره ؟ أو لم يخلقه ولم يقدره ١٠ لم يبق سجال أغثر<sup>(٩)</sup> ولا بظاف<sup>(١٠)</sup> غث ، ولا خامل غفل ، ولا غبي كهأم ، ولا جاهل سفيه ، إلا وقف عليه ولاخاه ، وصوبه وخطاه ؛ ثم لم يرض حتى يتولى من أرضاه ، ويكفر من يخالف هواه . فإن جراه محق ، أو أغلظ له واعظ ، وانفق أن يكون بحضرة أشكاه ، استموى أمثاله<sup>(١١)</sup> فأشعلوها فتنة ، وأضرموها ناراً . ١٥

(١) ب : « مجزت » . والتكلم التالية من ب .

(٢) التنسك : أن يعنى متصفا لغير وجهة . ب : « ولا تنسك » .

(٣) التكله من ب .

(٤) ب : « الآثار » .

(٥) في الأصل : « ولم رد » ، صوابه من ب . ٢٠

(٦) هذا ما في ب . وفي الأصل : « النقيض » .

(٧) الأغثر - الأحق الجاهل .

(٨) كذا في ب ، والمرف الأول مهمل في الأصل .

(٩) استوام : نفى بهم إلى الفتنة .

فليس لمن كانت هذه صفته أن يتحيز مع الخاصة . مع أنه لو حَسُنَتْ  
نَيْتُهُ لم تحتمل فطرته معرفة الفُصول وتمييز الأمور .

فإن قالوا : ولعلهم لا يعرفون الله ورسوله كما لا يعرفون عدله من جوده ،  
وتشبيهه بخلقه من تنفى ذلك عنه ، وكما لا يعرفون [ القرآن <sup>(١)</sup> ]  
تفسير <sup>(٢)</sup> مجله ، وتأويل منزله .

- قيل لهم : إن قلوب البالغين مسخرة لمعرفة رب العالمين ، ومحولة  
على تصديق المرسلين ، بالتنبيه على [ مواضع <sup>(٣)</sup> ] الأدلة ، وقصر النفوس  
على الروية ، ومنعها [ عن <sup>(٤)</sup> ] الجولان والتصرف ، وكل ما رابت عن  
التفكير <sup>(٥)</sup> ، وشغل عن التحصيل ، من وسوسة أو زراع شهوة ؛ لأن  
الإنسان ما لم يكن ميتوها أو طفلاً فحجوج على السنة المرسلين عند جميع  
المسلمين ، ولا يكون محجوجاً حتى يكون عالماً بما أمر به ، عارفاً بما  
نهى عنه ، لأن من لم يعلم في أى الضريين سُخط الله وفي أى النوعين  
رضاه ، ثم ركب السخط أو آوى الرضا ، لم يكن ذلك منه إلا على  
الاشفاق . وإنما الاستحقاق مع القصد ، والله يتعالى أن يعاقب من لم يُرد  
خلافه ولم يعرف رضاه ، أو يحمده من لم يتمد رضاه ولم يقصد إليه . ١٥  
ولم يكن الله ليمدّل صنمته ويسوى أداته <sup>(٦)</sup> ، ويفرق بينه وبين  
المنقوص في بنيته وتركيبه ، إلا ليفرق بين حاله وحال الطفل والميت .

(١) الكلمة من ب .

(٢) هذا ما في ب . وفي الأصل « غس » .

٢٥ (٣) ربه عن القى : حبه وصرفه في النسخين : « على التفكير » ، تحريف .

(٤) ب : « آذاه » تحريفه .

وليس للمعرفة وجهٌ إلا التبصير<sup>(١)</sup> ونخيره ، ولولا ذلك لم يكن للذي خُسَّ به من الإبانة ، وتمديد الصنعة ، وإحكام البنية<sup>(٢)</sup> معنى . والله يتعالى عن فعل مالا معنى له .

وفي قول الله : « وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » دليلٌ على ما قلنا . ٥

وليس لأحدٍ أن يُنْجِزَ بمض الجنَّ والإنسَ من أن يكون خُلِقَ للعبادة إِلَّا بحجة . ولا حجة إِلَّا في عقلٍ ، أو كتاب ، أو خبر .  
فإن قالوا : فإن كان الله إنما أبانهم بالتمديد والتسوية للعبادة والاختيار مع الأمة فحكمهم<sup>(٣)</sup> حكم المسلمين المتبدين . وإنما الإمام إمام المسلمين والمتبدين . ١٠

قلنا : إنما يلزم الناس الأمر فيها عرفوا سبيله ، وليس للموأم خاصة معرفةٌ بسبيل إقامة الأمة فيلزمها<sup>(٤)</sup> أمرٌ ، أو يجرى عليها نهى .  
والمائة وإن كانت تعرف مجمل الدين بقدر ما معها من العقول فإنه لم يبلغ من قوة عقولها وكثرة خواطرها أن ترتفع إلى معرفة العلماء ، ولم تبلغ من ضعف عقولها أن تنحط إلى طبقة الجانين والأطفال . ١٥

وأقنار طبائع الموأم والخواص ليست بمجولة فنحتاج إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها ، لأنكم تعلمون أن طبائع الرُسل فوق طبائع

(١) في الأصل : « وليس المعرفة وجه إلا للسند » صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « وتحكيم البنية » ، صوابه في ب .

(٣) في النسخين : « وحكمهم » .

(٤) في الأصل : « الأمة فيلزمها » ، صوابه في ب .

الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء ، وكذلك الناس على منازلهم من الفضل ، وطبقاتهم من التركيب في البخل والسخاء ، والبُذْءة والدَّكَّاء ، والتندر والوفاء ، والجبن<sup>(١)</sup> والنجدة ، والجزع [ والصبر<sup>(٢)</sup> ] والطيش والحلم ، والكبر والتَّيَّه ، والحيفظ والتَّسَّيان ، والى والبيان .

- ولو كانت المائة تعرف من الدين والدنيا ما تعرف الخاصة كانت المائة خاصة ، وذهب التفاضل في المعرفة ، والتباين في البنية . ولو لم يخالف بين طبائهم لسقط الامتحان وبطل الاختبار ، ولم يكن<sup>(٣)</sup> في الأرض اختيار . وإننا خولف بينهم في التفرقة ليصير صابر ، ويشكر شاكر ، وليتفقا على الطاعة . ولذلك كان الاختلاف هو سبب الائتلاف<sup>(٤)</sup> .

- وقال لهم عند ذلك : إنكم قد أكثرتم في أمر العوام ، وخطئتم في الحكم عليهم ، فرءة تزعمون أننا نكذب عليهم حين فزعم أنهم غير عجوجين ، لأنهم يزعمكم لا يفصلون بين الأمور ، ولا يفرقون بين الكاذب المحتال وبين الصادق الحق . وجعلتم الدليل على ذلك أنكم اعترضتموهم بزعمكم فسألتموهم عن الدليل والحجة ، والفرق والملة ، فلم تجدوهم يشعرون بما<sup>(٥)</sup> يلزم فيها ولا يعرفون بابها ، وكيف الكلام فيها .

(١) البلدة ، بفتح الباء وضها ، والبلدة أيضا : ضد النفاذ والدكاء وللضياء في الأمور .  
ب : • البلدة • .

(٢) في الأصل : • والمحر • مع الإجمال ، صوابه في ب .

(٣) التكلة من ب .

(٤) في الأصل : • ولو لم يكن • ، صوابه في ب .

(٥) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار الأخير في نسخة (ب) . وتنفرد نسختنا هذه بالنسب .

(١) في الأصل : • لـ • .

وإنّا مشرّاحُ المرفة قد تمّدتنا الكذب عليهم ، حين زعمنا أنهم يعرفون ذلك ، ويفرّقون بين معانيه . ومرةً تزعمون أنهم يعرفون ما يعرفه الخواصّ والعلماء ، ويطلّون ما يعلّمه التّكلمون والفقهاء ، من إقامة الأئمة وعقد الخلافة . مرةً تخرجونهم من جميع المرفة ، ومرةً تجعلونهم في غاية المرفة . وأعدّلُ الأمور في ذلك وأقسطُها أن تزعموا أنهم يعرفون مُجمل التّرائع الظاهرة الجليّة<sup>(١)</sup> ، ومُجمل السّنن الواضحة المستفيضة ، ويجهلون تفسير مُجملها وتأويل مُزِيلها ، وكل منصوص لم<sup>(٢)</sup> يظهر كظهور الحجّ ، ولم يُشهر كشهرة<sup>(٣)</sup> سوم رمضان ، وغسل الجنابة ، وتحريم الخمر والخنزير والبيّة والدم . ولكنّ دعونا جانباً ، واضربوا عمّا تقولُ صفحاً ، وقرّئوا جميع التّولين لتتعاون عليهما ، فأيهما كان أثبتَ على الامتحان ، وأتقى للعدوّ ، وأحسن مَنزى ، وأجدّ على الأبيام ، وأصعّ على التّقليب ، دِنّاً به ، وحاميتاً عليه ، وتقربنا به ، وآثرناه على ما سواه .

على أنّا لا نستملّي حقّ ذلك وسدقته إلّا منكم ، ولا نحتجّ عليكم إلّا بما تقرّون به على أنفسكم .

١٥ خبرونا عن العوامّ : هل يخلو أمرهم من أن يكونوا محجّوجين أو غير محجّوجين ؟ فإن كانوا غير محجّوجين فقد دخلوا في أكثر ممّا عابوا . وإن كانوا محجّوجين فهل يخلو الحجة التي بها قطع الرّسول عندهم من ضريين : إمّا أن تكون المرفة يصدق الرّسول وقصّل ما بينه وبين

(١) في الأصل : « الجليّة » .

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) في الأصل : « كشهور » .



المتنبى كما قول . وإنما أن تكون الحجة في الدليل على المعرفة ،  
وليست بالمعرفة .

فإن زعموا أن الحجة هي المعرفة قد وافقوا وأصابوا . وإن زعموا  
أنها الدليل على المعرفة فليخبرونا عن ذلك الدليل ما هو ؟

- ° فإن قالوا : هو كلام القنّب<sup>(١)</sup> وحنين الشّود<sup>(٢)</sup> ، وإظلال النّهمة<sup>(٣)</sup> ،  
وقصّة الميضأة<sup>(٤)</sup> ، وخذ الشّجرة<sup>(٥)</sup> ، وكلام القراع<sup>(٦)</sup> ، وعجز الشّعراء عن  
تأليف القرآن ، والبيانات برساته في الكتب .

قلنا : قد صدّقتم فيما ذكرتم من هذه الآيات والأعاجيب ، ولكن

- (١) هو ذئب أحيان بن أوس الصحابي . قالوا : كله القنّب ويسره بالرسول . انظر  
١٠ حواشي الجيوان ٣ : ٥١٣ .
- (٢) انظر لحنين الجذع سيرة ابن سيد الناس ١ : ٢٣٩ - ٢٤١ . وجاء في الحديث أن  
النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل في أصل أسطوانة جذع في مسجده ، ثم تحول إلى أصل  
أخرى ، فحنت إليه الأولى ومالت نحوه ، حتى رجع إليها فاحضنها وسكنت .  
وفي حديث آخر أنه كان يصل إلى جذع في مسجده فلما عمل له المنبر صعد إليه ، فحن الجذع  
إليه ، أي نزع واشتاق . انظر اللسان ( حن ) .
- ١٥ (٣) كان ذلك في يروون في رحلة إلى الشام . السيرة ١٢٠ جوتجين .
- (٤) لليضأة : الإناء يتوضأ منه . وهو إشارة إلى ماورد من أنه صلى الله عليه وسلم أتى  
بقدح فيه ماء فوضع أصابعه في القدح فلم يمس ، فوضع أرجله منها وقال : حلوا . فتوضؤوا أجمعين  
وهم من السجين إلى الثّانين . سيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٨٨ .
- ٢٠ (٥) الحد : الفق . في الأصل : « وخذ البقرة » تحريف ، وفي سيرة ابن سيد الناس  
٢ : ٢٨٦ : « وتام لجأته شجرة لتحق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكرت له فقال :  
هي شجرة استأذنت ربها أن أن تلم على فأذن لها » .
- (٦) هو قراع الشاة التي أهدتها إليه زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم . وكانت  
أكثر له من السم في القراع فتناول القراع فلاك منها مضمة فلم يسمها ثم قال : « إن هذا  
الظم ليخبرني أنه مسموم » . السيرة ٧٦٤ - ٧٦٥ .
- ٢٥

[ لا ] تخلو عقولُ العوام من أن تكون قد عرفتَ هذا كله وأقرتَ به ،  
أو لم تعرفه ولم تقرأ به ، ولم تُودِعَ العلمَ بصحة حججه .  
فإن زعموا أنها لم تعرف ذلك ولم تُقرّر به ، قيل لهم : فمن أين  
زعمتم أن الحجة لهم قاطعة ، والفريضة لهم لازمة ، ولم يعرفوا الحق  
ولا الدليل عليه .

وإذا كانت المعرفة لا تُستطاع إلا بالدليل ، والدليل معدوم ، والتكليف  
لازم ، فقد كلّفوا ما لا يستطاع ، ولم يَضَحِ الكلام بيننا وبين المجرية .  
وإن كان الله قد قرّر<sup>(١)</sup> عقولهم بالآيات ، وعرفهم صدقها وحجة حقيقتها ،  
فإنما الفرق بيننا وبينهم أننا زعم أن الماقل إذا كان قد جرب بعض  
التجربة أنه لا يمتنع من تصديق من أحيا الموتى ، وأبرأ الأكف ، وفلق  
البحر ، وأطلق السباع . وأنتم تزعمون أنه يمتنع ، ويجوز أن يستقد أنه  
أكذبُ المالين وأبطلُ المبطلين ، مع ما أراه<sup>(٢)</sup> من عظيم البرهان وعجيب  
الآيات . ولعل قومَ موسى كلما زادهم موسى آيةً وأردفها بسلامة ،  
ازدادوا جهلاً بصدقه<sup>(٣)</sup> ، واستبصاراً في تكذيبه .

وكيف يستطيع ذلك من حجتِ فطرته ، وقد جرب من أمور الدنيا  
بعض التجربة ، وعرف ما يحدث في العادة وغير المادة .

وإن كانت المامة قد قرّرت بأعلام الأنبياء ، وعرفت الآيات كما  
زعم ، فقد كان ينبغي لنا إذا سألناهم عن صدقها وحجة حقيقتها وإن لم  
نفصل بينها وبين حيلة البطل ، أن نخبرونا عنها ونزّوا لنا أمرها . فما بالنا

٢٠ (١) في الأصل : « قدر » . وانظر ص ٢٦١ ص ٦ .

(٢) أي ما أراه لإياه حي الموتى وبرئ الأكف .

(٣) في الأصل : « صدقه » .

إذا سألناهم لم زعمهم يعرفونها ، ولا يحصّون مجيئها ، ولا يجبرونا عن صدقها .  
فإن كان لكم أن تفضوا على المائة بالجهل بين النبي والتنبى ، لأنهم  
لم يروم يحسنون الفروق ، ويفصلون بين الأمور ، فقد ينبغي لنا أيضاً  
أن نقضى عليهم بالجهل ، وأنهم لم يعرفوا الدلالة ، ولم يقرروا<sup>(١)</sup> بشيء  
من الآيات والأعاجيب .

فإذا كان القوم عندكم محجوجين قد قرروا وعرفوا ، ونحن لا نجد  
عندهم على السادة من ذلك شيئاً ، وجاز لكم أن ترمعوا ما زعمتم ،  
فإن لا يميز لنا أن زعم أنهم [ كانوا ] عارفين وإن لم نجد ذلك عندهم  
على السادة .

١٠ ولولا أنى قد ذكرت هذا الباب مفسراً في « كتاب المعرفة » لأخبرت  
من أى وجهة جاز أن يكون بعض العارفين لا يخبر عن كل ما في نفسه  
ومن أين امتنع ذلك عليه .

فإن قالوا : قد فهمنا قولكم في المائة فاقولون في الخاصة ؟  
فهل كلّفها الله ذلك أم لم يكلفها كما لم يكلف المائة ؟ وفي ذلك سقوط  
التكليف عن الجميع .

١٠ قلنا : بل قول : إن على الناس إقامة الإمام ، نريد الخاصة .  
ولا قول أيضاً إن على الخاصة إقامة الإمام إلا على الإمكان .

فإن قالوا : وما سبب عجز الخاصة وإمكانها ؟  
قلنا : من ذلك أن تكون المائة عليها مع جُند الباغي<sup>(٢)</sup> التتلب .

(١) في الأصل : « لم يعرفوا » . قرره بالقي : حله على الإقرار به والاعتراف .

(٢) في الأصل : « الساعى » : وانظر ما سبق من ٢٦٤ س ٣ .

فإن قالوا : فهل يلزمها فرض الإقامة إذا كانت المائة كافةً عن  
المون عليها .

قلنا : قد يلزمها في ذلك ولا يلزمها في أخرى .

وإن قالوا : ففي أية الحالين يلزمها ؟

٥ قلنا : إذا كان المستحق للإقامة والمستوجب للخلافة معروفَ الموضع ،  
مكتشفَ الأمر ، وكانت الثقةُ عنها زائلة .

فإن قالوا : وكيف لا تكون الثقةُ عنها زائلةً ، وهي على حالٍ أكثر  
عدداً من جند التخلب والباغي ، والمائة كافةٌ ممسكةٌ لها ولا عليها .

١٠ قلنا : إنه ليس في حال أكثر عدداً . فإذا كانوا أكثر عدداً  
وكانت الثقةُ زائلةً ، فليهم إقامته .

فإن قالوا : فلم جعلتم لهم الثقةَ ، وأسقطتم عنهم الفرض في الحال التي  
هم فيها أكثر عدداً ؟

١٥ قلنا : لأسباب ، منها أنَّ العدوَّ إذا كان مُدبِّداً ، ذا سلاح وعتاد  
وكرّاع ، وكانوا على هيئةٍ وأمرهم جميعٌ ، قليلٌ مجتمعٌ أكثر من  
كثيرٍ نشرٍ<sup>(٢)</sup> . مع أنَّ مهمم أئمةَ السَّلاحين ، وأوفر القاديين : الضُّرَّاء<sup>(١)</sup>  
والدُّرَّة ، وحسن التَّديير والمعرفة ، بطول الممارسة وكثرة الحاجة .

ومنها أنَّ الخامسة وإن عرُفت موضعَ المستحقِّ ، وظهَر لها المستوجب ،  
وكانوا أكثرِ جماعاً ، فكلُّ واحدٍ منهم على ثقةٍ من محلِّ صاحبه به<sup>(٣)</sup>  
وخِذْلانه له . ولا بدَّ ، مادامت الثقةُ ، من التَّواكل والتَّخاذل ، وإن

٢٠ (١) ضرى بالقيء ضرا : لُجج به وصار حادة له .

(٢) النسر : المتفرق . (٣) المحل والمحال : للكر والكيد .

اتَّفَقَ رَأْيُ الْجَمِيعِ فِي الْمَتِّيبِ عَلَى النَّصْرَةِ . وَلَيْسَ يُنْتَفَعُ بِاتِّفَاقِ أَهْوَاهِهِمْ  
مَالِمَ يَنْشَاعُرُوا<sup>(١)</sup> .

فَإِنْ قَالُوا : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ وَجَبَ أَلَّا يَقِيمُوا إِمَامًا أَبَدًا ؛  
لأنَّهم كَمَا لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّقِيَّةِ ، كَذَلِكَ لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّخَاذُلِ .

- قلنا : ليس الأمر كما تقولون ، لأنَّ هَيْةَ بَعْضِ الْخَاصَّةِ لِبَعْضٍ قَدْ  
تَزُولُ بِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا أَنْ تَسُوهُ سِيرَةُ التَّمَلُّطِ الْبَاقِي فِيهِمْ وَيُفَحِّشَ  
جَوْرُهُ ، وَيَكْثُرَ تَضْيِيقُهُ<sup>(٢)</sup> وَاسْتِثْنَاؤُهُ وَقَهْرُهُ ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ إِحْرَاجًا  
لَهُمْ<sup>(٣)</sup> وَسَبَبًا لِلْكَلامِ وَالشُّكَايَةِ وَالتَّلَاقِ ، لأنَّهم قَدْ عُمُوا بِالْإِحْرَاجِ مَعًا  
لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُحَرِّجِينَ يَتَّكِلُ عَلَى رَأْيِ صَاحِبِهِ ، لِمَلِهِ بِالَّذِي  
لَقِيَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، مِنْ تَوَرُّدِ النَّفْسِ وَتَهْيِيجِ الطَّبِيعَةِ . فَلَـ ١٠  
يُزَالُ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّفِقُوا فِي الظَّاهِرِ كَاتِفًا قَهْمَ فِي الْبَاطِنِ ، إِذْ كَانَ  
الْإِحْرَاجُ قَدْ شَلَّيَهُمْ وَغَمَّهُمْ ، وَبَلَغَ أَقْصَامَ بَمَدِّ أَدْنَاهُمْ . وَعِنْدَ التَّلَاقِ  
تَرْدَادِ النَّفُوسِ سَحِيَّةً وَغَضَبًا وَبَصِيرَةً . فَإِذَا نَبَأَتْهُا وَتَكَاشَفُوا وَشَاعَ ذَلِكَ  
مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَشَهِيرَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ لِعَدُوِّهِمْ ،  
وَالْتَمَلَّطَ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّهم قَدْ لَحِجُّوا فِي الْحَرْبِ ، ١٥  
وَنَشِئُوا فِي النَّاسِبَةِ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ لَمْ يَجِدُوا بَدْءًا مِنْ بَدَلِ الْمَالِ ،  
وَإِعْطَاءِ الْجَهْدِ . وَإِنَّمَا هِيَ أَسْبَابُ تَرَاكُمِي ، وَعِلَلٌ تَدَاعَى ، وَأُمُورٌ تَهْجِجُ  
أُمُورًا ، وَأَسْبَابٌ تَوْجِبُ أَفْصَالًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَمَكَّنَ الشَّدَّةُ ، وَيَجِبُ الْفَرَّضُ .

(١) فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ مَادَّةُ (عَمَر) : « وَتَقُولُ : بَيْنَهُمَا مَاشِرَةٌ وَمَشَاعَرَةٌ » .

(٢) التَّضْيِيقُ : أَنْ يُضَيَّقَ عَلَيْهِ وَيُحْمَلَ بَيْنَهُ وَيُزَيِّدُ . وَفِي الْأَسْلِ تَضْيِيقُهُ ، تَحْرِيفٌ . ٢٠

(٣) فِي الْأَسْلِ : « إِخْرَاجُهُمْ » .

ومدار الأمر على الإمكان ، فتي بطل بطل الفرض ، ومتى وُجد  
وُجد الفرض .

وربما كان سببُ تكاشفهم ما يعرفون من ضعف جُند الباغي عليهم ،  
والستبدُّ عليهم بأمرهم<sup>(١)</sup> .

واضعهم أسبابٌ : فربما كان لاختلافٍ يقع بينهم ، وربما كان لمدوّ  
يدهم وينازعهم ملكهم ، وربما كان للخلل<sup>(٢)</sup> يدخل عليهم ، والرقة نصيبهم ،  
من موت أهلهم ، أو قتل قوادهم ، وربما كان لضعف رأى مدبرهم  
وسياسة سائهم<sup>(٣)</sup> ، أو موت قيمهم .

فهذا وأشباهه تكاشف الناس ، وتظهر على ألسنتهم ضمايرهم ، وتبدو  
١٠ أمرارهم ، ونفوسهم من قبل ذلك حقيقة عليهم ، متدبنة بخلمهم والاستبدال  
بهم ، وإنما أسكت عن الإنكار وأظهرت التسليم ربما تجد فرصة  
وترى خلة ، ويستجمع الأمر ، وتزول الثقة . مع أننا نعلم أن المائة  
أسخف أحلاماً وأخف حركة ، وأشد طيشاً ، أن تؤثر الكف والعزلة والتسليم  
والهجنة ، عند حرب الحقين والتسلطين . ولو كانت تطيق ذلك ويموز عليها  
١٠ ما كانت المائة بمانة ، ولكانت المائة خاصة . ولكننا أجبننا على قدر  
بحرى السألة .

وإنما البلية العظمى والداهية الكبرى ، أن تناز المائة حتى يصير  
بعضها مع الخاصة ، وبعضها مع البينة والظلمة .

(١) في الأصل : « أمرهم »

(٢) في الأصل : « وإنما كان لخل » ، تحريف .

(٣) في الأصل : « وساء » .

والجلة أنهم متى أقروا لعدوهم<sup>(١)</sup> وأمكنهم منهم ، والرجل المستحق  
ظاهر لهم معروف عندهم ، فعليهم إقامته والدفع عنه .  
فإن قالوا : ومن لهم بمعرفة الرجل الذي لا ينده<sup>(٢)</sup> ؟

قيل : إنه ليس على الناس أن يصنموا المعرفة ، وإنما عليهم إذا عرفوه  
واستطاعوا إقامته أن يُقيموه . ولا بد للناس أن يقوم<sup>(٣)</sup> فيهم — إذ فرض  
ذلك عليهم — رجل يصلح لجباية خراجهم ، وإقامة صلاتهم ، وسد ثغورهم  
وتنفيذ أحكامهم .

فإن قالوا : فكيف تعرفون فضله ولم تقابلوا بينه وبين غيره ، وأهل  
الفضل كثير ، والفضل ممنون<sup>(٤)</sup> مستفيض ؟

قيل : كما بان عند المتزلة عمرو بن عبَّيد ، وكما بان الحسن بن حمر<sup>(٥)</sup> ١٠  
عند الزيدية من بينها ، وكما بان مرداس بن أدية عند جميع الخوارج من بينهم ،  
وكما علمت من حال خيلان بدمشق ، وحال عبد الله بن المبارك بخراسان .  
وليس أن المتزلة اجتمعت من أقطار الأرض فقالت نعم جميعها<sup>(٦)</sup> ،  
ولا وضعت فيه شورى ، ولا تساوى<sup>(٧)</sup> منهم نفر فاحتاجوا إلى القرعة .  
وكذلك الزيدية في الحسن بن حمر ، والخوارج في مرداس بن أدية . ولكن ١٥

(١) أقرن لعدوهم : أطافه وقدر عليه

(٢) الكلمة مهمة في الأصل .

(٣) في الأصل : « يقول » .

(٤) كذا في الأصل . ولعلها « متجنون » .

(٥) هو الحسن بن صالح بن صالح بن حمي الهمداني . ولد سنة ١٠٠ وتوفى سنة ١٦٩ . ٢٠

تهذيب التهذيب .

(٦) في الأصل : « وجميعها » .

(٧) في الأصل : « تساود » .

الأمور تَرِدُ على القلوب ، وتهجُم على العقول على طول الأيام ، [ إمّا ] بالخبر  
الذى يَشْفى من الشكّ ويبرئ السَّعَم . ولمّا بالعيان<sup>(١)</sup> الذى يُثْلَج الصدور  
ويَضطَرُّ العقول .

وقد علمنا نحن على حداثة أسفاننا وقادُم النَّاس قِبَلنا ، أنَّ جالينوس  
٥ قد كان بائنًا في طبه ، وأنَّ الأرسطاطاليس كان البائن في النطق .

وكذلك علمنا أنَّ قيس بن زهير كان داهيةً قيس في الجاهلية ، وأنَّ  
الحارث بن ظالم كان فانسكها ، وأنَّ هَرَم بن سنان كان جوادها ، وأنَّ  
النابهة كان شاعرها ، وأنَّ الحارث بن كلدة كان أطبها ، وأنَّ عامر  
ابن الطفيل كان أفرسها . ولم نَضَعْ قطُّ في هذا سُورى ، ولا وُسْمَه من  
١٠ كان قبلنا ، ولا استجملت قيسُ قابلتُ بين خصال هؤلاء<sup>(٢)</sup> وبين جميع  
قيس ، لتعرف الفضيلة بالموازنة<sup>(٣)</sup> والمقابلة ، ولا احتاجوا في ذلك إلى  
الإقراع والسامعة .

ولمّا كنّا مع قادم الأخبار نعرف البائن في كل عصرٍ ، والمقدّم  
في كل أمر ، فعلى شبيه ما وصفنا<sup>(٤)</sup> يعرف الناس فضيلة المتوجب .  
١٥ والخير لا يستطاع كتمانها ، والشر لا بدَّ من ظهوره .

واعلم أنّه لا يمكن أن يكون رجلٌ أعلم النَّاس بالدين والدُّنيا  
ثم لا يُسْمَع به ، لأنّه لا يصير كذلك إلّا بالاختلاف إلى العلماء ، وبطول

(١) في الأصل : « فأما البيان » .

(٢) في الأصل : « خصاله لا » .

(٣) في الأصل : « للوارث » بدون ياء والإجمال . ٢٠

(٤) في الأصل : « ما وصفنا » .



- جائاه<sup>(١)</sup> الفقهاء ، وكثرة دَرَس كُتِبَ اللهُ وكتب الناس ، ومنازعة الخصم ومقالة الأكفاء . وهذا كله مما يظهر أمره ، ويشهر مكانه .
- ثم انتهى يدخل العالم<sup>(٢)</sup> من حَيْلَاءِ العلم وعِزِّ الحق ، وسرور الظفر بما أعيا الناس معرفته ، حتى لا يستطيع أن يكتبه وإن اشتدَّ عزمه ، وقلَّ رجاؤه ونفجُّه ؛ لأنَّ للعلم سورة ، ولافتاحه بمد استفلاقه فرحة ، لا يضبطها بشرى وإن اشتدَّت حُنْكَته ، وقويَتْ مُنْتَه ، وفضلت قوَّته .
- وإنَّك لتجد كثيراً من العقلاء يُخاطرون بأعناقهم ، لِمعض المظنة يمدونها<sup>(٣)</sup> في أنفسهم على خصوصهم وأكفائهم ، حتى لا يتمتعون من إظهارها والفخر بها ، فاطنك بالمالم إذا كان بائناً بنفسه ، وكان في دولته . وتعظيمُ الناس مُوَكَّل بصاحبه كيف يستطيع كتمانته وإماتته ، ١٠ مع ما أخذ الله على العالم من حُسن الإرشاد واحتمال المؤونة ، واستنقاذ الناس من الجهالة . ومن القيام بحقِّ العلم تليهم الجاهل . فهذا كله ينشئ عن لقاء الكلِّ لكلِّ .
- ولو أشكل أمره ولم يبين من أمثاله ، وهو للناس أصلح من غيره ، فقد أمكن البأس<sup>(٤)</sup> ؛ إذ لو كان ظاهراً لهم إقامته لنبه الله على مواضع فضله ، ولأذكر الناس ماسقط عنهم من تدييره ، ولبثت المهم على حُبِّه وطلب محاسبته .

(١) مهمة في الأصل . جائاه : جبل ركبته إلى ركبته .

(٢) في الأصل : « الطاء » .

(٣) في الأصل : « و يمدونها » .

(٤) البأس : القعدة . في الأصل : « وقد أمكن الناس أن لو كان ظاهراً » . وانظر ماسبقاً

وكيف يجوز أن يكون أكلُ النَّاسِ خفيَّ العلمِ ومنيبَ الصَّملِ ، وهو لا يكون كذلك حتَّى تكثرُ تجربته ويكثرُ صوابه ، ويشتدَّ حِلُّه ، ويحسنَ تديره . ولا بد من كثرة حَجِّه وَغَزْوِ ، وصلاةٍ وصومٍ وصدقةٍ ، وذكر وقراءة قرآن ، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر ، وحَدَبٍ على الأولياءِ وعِلَظَةٍ على الأعداءِ . إن دام قَرُّه دامت قناعاته وقلَّ إسفانه ، وإن دام غِناءُ دَامَ بذله وقلَّ طُغيانه . وليس من هذا شيءٌ إلا وهو يشهرُ صاحبه ويظهر للناس مكانه ، ويدعو إلى محبته وتمظيمه .

وإن زعموا أَنَّهُ يجوز أن يكون خيرَ النَّاسِ أو أعلَمُ النَّاسِ ، وإن لم يُعرفَ بشيءٍ مما ذكرنا ، قد صار خيرَ النَّاسِ من لم يعمل خيراً قطُّ .  
١٠ فإن قالوا : فما تقولون إن وُجدوا عشرةً سواء ؟

قلنا : قد يكون أن تجدوا عشرةً متقاربين ، فإذا صاروا إلى الموازنة بانَّ الأفضلُ من الأنقص . وقليلاً<sup>(١)</sup> ما يكون ذلك ، كما وجدنا السَّنة الشُّورى الذين اختارهم عُمر والمهاجرون والأنصار معه ، قد كانوا في طبقةٍ واحدة . ولكنَّ أهلَ الطبقة قد يتفاضلون بأمرٍ بينَ لا خفاءَ به ، كما نظروا فاختاروا عثمانَ غير مكرهين ولا محمولين .

١٥ ولكنَّ لا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يتفق عشرةً سواء في الحقيقة ، وعند الموازنة الصحيحة ؛ لأنَّ في اتفاق ذلك بُطلانُ الإمامة . ولو جاز أن يتفق عشرة سواء لجاز أن يكون الرُّقباء والشهود عليهم سواء . ولو جاز أن تستوى حالهم وأفضالهم لجاز أن يقولوا لِمَا يبنين أن يقولوا فيه نتمُّ : « لا » ممَّا ، ولما يبنين لهم أن يقولوا فيه لا : « نعم » ممَّا .

(١) في الأصل : « وقليل » .

وفي هذا فسادُ الاختيار والإقراع . فإذا فسَدَ الاختيار والإقراعُ ولم يكن الرجلُ بائناً فلا سبيل إلى إقامته . ولم يكن الله ليفرض أمراً ولا يحملُ إليه سيلاً ، ولم يكن الله ليكلف الناسَ أمراً إلاً وذلك الأمرُ مصلحةٌ لهم . فكيف يمتنعهم مصلحتهم ، بل كيف يُظهر لهم فرض الإمامة وقد أمكنتهم الشدة<sup>(١)</sup> ، والمعلوم عنده أن العالم سينتهي فيه ويتفق ما لا يمكن معه أداء الفرض ، ولا بلوغُ المصلحة .

ولو جاز أن يتفق عشرةٌ سواً في الحقيقة وعند الموازنة في جميع الخصال ، ما كان إحياء الموتى وإبراء الأكابر أحبَّ منه ، ولا أخرَجَ من العادة . وإنما جعلَ الله ذلك لرسله فقط .

ولو جاز أن يتفق في العالم شيء يكون جاعلاً<sup>(٢)</sup> من الرسالة جاز ١٠ ذلك في أمور كثيرة . ولو جاز ذلك اختلطَ الكاذبُ بالصادق ، والحُجَّةُ بالشبهة . وهنا مالا يجوز على الله تبارك اسمه ، وتمالِ جدُّه .

ولو عرّفوا موضع الإمام ببينه ثم قال الشامي : لا يكون إلاً منّا ، وقال المراقي : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحجازي : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك التهامي والجزري . وكذلك إذا قال القرشي : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحسني : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحسن بن علي : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك الفلاني والفلاني . وكذلك أن لو قال الإباضي : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك لو قال الصفري والأزرق والنجدي والزبيدي ،

(١) انظر ما مضى في ص ٢٦٧ س ١٥ .

(٢) كذا في الأصل .

والفلاذى والفلاذى - لَمَّا وَصَلَ أَهْلُ الْحَقِّ إِلَى إِقَامَتِهِ إِلَّا بَأَن يَكُونُوا  
فِي عَدَدِ الْجَمِيعِ وَفِي عَتَادِهِ .

وَالْإِمَامُ يَقَامُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ :

فَوَجْهٌ كَالَّذِي حَكَيْنَا وَوَصَفْنَا .

- وَوَجْهٌ آخَرٌ مِثْلُ مَا أَقَامَ السَّلْمُونَ عِيَانُ بْنُ عَفَّانَ حِينَ اخْتَارَ عَمْرُ  
سِتَّةً مُتَقَارِبِينَ فَاخْتَارُوا مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَلَوْلَا أَنَّ السِّتَّةَ كَانُوا بَائِثِينَ عِنْدَ  
الْجَمِيعِ لَمْ يُطَبِّقُوا ذَلِكَ الْإِطْبَاقَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ وَاحِدٌ : كَانَ يَبْنِي أَنْ يَكُونَ  
مِنَا<sup>(١)</sup> ، وَلَمْ يَقُلْ وَاحِدٌ مِنَ الرُّقَبَاءِ وَلَا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْخَاصَّةِ : فِينَا  
وَاحِدٌ كَانَ يَبْنِي أَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ ، وَلَا قَالُوا : فَيَهُمْ وَاحِدٌ كَانَ يَبْنِي  
١٠ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا . فَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّ السِّتَّةَ كَمَا كَانُوا بَائِثِينَ عِنْدَ عَمْرٍ كَانُوا  
بَائِثِينَ عِنْدَ الْخَاصَّةِ .

- وَوَجْهٌ آخَرٌ ، وَهُوَ مِثْلُ إِقَامَةِ النَّاسِ لِأَبِي بَكْرٍ ، لَيْسَ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ شُورَى كَمَا وَصَّاهَا<sup>(٢)</sup> عَمْرٌ ، وَلَا عَلَى جِهَةِ  
مَا حَكَيْنَا مِنْ أَمْرِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِإِقَامَةِ الْإِمَامِ وَالنَّصِّ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ  
١٥ أَسْلَمَ وَأَخْفُ فِي الْوُؤُونَةِ ، وَأَبَدَ مِنَ النَّالِطِ وَالْفَتْنَةِ . وَقَدْ وَجَدْتُمْ مَا هُوَ  
أَغْمَضُ مَعْنَى وَأَدَقُّ مَسْلَكًا ، وَأَغْوَى مُسْتَخْرَجًا ، وَأَخْفَى مَأْمَا ، غَيْرِ  
مُفَسَّرٍ وَلَا مُتَّصِفٍ عَلَيْهِ ، كَالْكَلَامِ فِي التَّمْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ ، وَقَصْلٍ  
مَا بَيْنَ الطَّبَاقِ وَالِاخْتِيَارِ ، وَالْكَلَامِ فِي التَّشْبِيهِ وَنَقَبِهِ ، وَفِي مَجْمَعِ الْأَخْبَارِ  
وَحُجْجِ الْعُقُولِ .

- ٢٠ وَنَحْنُ لَمْ نَرِ أَحَدًا قَطُّ أَحَدٌ وَلَا تَزِيدُكَ مِنْ قِبَلِ النَّالِطِ فِي كَلَامِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَعَنَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَصَّاهَا » .

الإمامة والاختلاف فيها . وَمَنْ وجدناه قد ارتدَّ زنديقاً أو دُهرتياً مِنْ قَبْلِ هذه الأبواب أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نُحْصِيَ لَهُمْ عِدداً ، أَوْ قِفَ مِنْهُمْ عَلَى حَدِّ .

فإِذْ جاز أَنْ يَتْرَكْنَا وَاعِدَّ الْأَمْرَيْنِ لَنَكُونُ نَحْنُ الْقَيْنِ نَسْتَنْبِطُهُ وَتَشْكَلُ مَعْرِفَتُهُ ، لِيَكُونَ عَاجِلُ سُرُورِهِ وَرِيشُهُ <sup>(١)</sup> وَأَجَلُ نَوَابِهِ وَعَظِيمُ جِزَائِهِ ، كَانَ الْقَيُّ هُوَ <sup>(٢)</sup> أَظْهَرُ لِلْعُقُولِ ، وَأَسْهَلُ عَلَى الطَّالِبِ ، وَالْأَيُّ كَفْئاً لِلْوَالِطِ ، وَأَقْرَبُ مَأْخِذاً لِلْمُسْتَرِشِدِّ ، أَوَّلَى بِنَفْسِكَ .

وَلَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولُوا أَحَدَ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَقُولُوا : إِنَّا إِذْ وَجَدْنَا نَصَبَ الْإِمَامِ وَالنَّصَّ عَلَيْهِ أَسْلَمَ لَنَا مِنَ الْخَطَا ، فَالْوَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَزْعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ خَبِراً نَضْطَرُّ إِلَيْهِ ، وَلَا قَرَأْنَا يَنْصُرُ ١٠ عَلَيْهِ ، وَالْإِمَامَةُ مُخْتَلِفَةٌ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أَوْجِبْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ حُجُبِ الظَّنِّ بِاللَّهِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْصِبْ إِمَاماً ، وَلَا فِي الْخَبَرِ .

وَأَمَّا أَنْ يَقُولُوا إِنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنَّمَا هَرَفْنَاهُ بِالْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ وَالْكِتَابِ .

١٥

فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا حَكَمُوا عَلَى اللَّهِ بِفَعْلٍ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ لَهُمْ مِنَ الْخَطَا ؛ وَأَبْسَدَ لَهُمْ مِنَ النَّطَطِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ وَجَدُوا بِذَلِكَ خَبِراً قَائِماً ، وَكِتَاباً دَالّاً ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَمْ أَوْجِبُوا عَلَى اللَّهِ فِعْلَ مَا هُوَ أَيْسَرُ

(١) الرِّيشُ : البَطْنُ . وَفِي الْأَسْلِ « وَرِيشُهُ » .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « كَانَ هُوَ الْقَيُّ » .

(٣) فِي الْأَسْلِ : « وَقَعَ مِنْهُ » .

وأظهر ، وقد وجدوا الله لم يصنع ذلك فيها هو أغض وأشكل . كالقدي  
وصفنا قبل هذا من الكلام في التمديل والتجوير ، والتشبيه ، وعجى الأخبار .  
وقد علموا مع ذلك أن أكثر الناس لم يؤثروا في هلكتهم إلا  
من قبل سرف شهواتهم ، وغلبة طبائعهم .

٥ وكيف لم يحكموا على الله بنير ما وجدوا من رفع مؤنتها ، وقّع  
دواعيها ، حتى لا يلحج الناس طبائعهم ، ولا تورطهم شهواتهم .  
وإنما يحكم بهنأ وأشباهه على الله من لا علم له بالله وتدبيره ؛ لأن الله لو  
أسقط عن الناس كل ما أثقل ظهورهم ، واستبشمت نفوسهم ، وخالف أهواءهم  
لسقط الامتحان ، وبطل الاختبار<sup>(١)</sup> ، إذ لم يكن هناك حلاوة مُجْتَنَّب  
١٠ ومرارة تُرَكَّب ، ولقد يؤخر ، وكره يقدم .

وإن ذهب السائل إلى غير هذا الوجه ، وزعم أنه إنما قل إن الله  
قد نص على إمامة علي لأن الخبر به جاء المهيء القدي لا يكذب مثله .  
ولولا أن الخبر صحيح<sup>(٢)</sup> جاز عنده أن يكون الله يطوفهم النظر<sup>(٣)</sup> ،  
ويضع لهم الدلالة ، ولا ينصهم<sup>(٤)</sup> على شيء ولا يفسره لهم ، كيفه فيما هو أدق  
وأخفى ، وأعظم إنمأ وأشد خطراً .

قيل لهم : إنكم وإن صحتتم فلسنم بأعلم بالأخبار من غيركم .  
ولئن كنتم مجيبين بخبر قد سمعناه معكم فلم يحجنا كما حجكم ، إنه  
لمحجب . وإن كان الخبر قد حج جميع من خالفكم مع كثيرهم ،  
وأطبّقوا على كتابه وجهه وانفقوا عليه ، إن هذا لأعجب .

٢٠ (١) في الأصل : « إن » .

(٢) في الأصل : « الصحيح » .

(٣) أى يطوفهم بالنظر .

(٤) في اللسان والقاموس : « النص : التبيين على شيء ما » .

وكيف تَحْجُونَ بخيرٍ لا تستطيعون أن تقيموا حُجَّتَهُ على مَنْ خالفكم . فإن كنتم إناما حَجَّكم سلفُكم فحُجُّوا أهل عصرِكم ومَنْ معكم ، كما حَجَّكم من قبلكم من أسلافكم .

وقد نفَضْنَا القرآن من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ فلم نجد فيه آيةً <sup>(١)</sup> تنصُّ على إمامة ، ولا أنها إذ لم تنصَّ كانت دالة عند النظر والتفكير ، ولا أنها إذ لم تُدَلَّ بالنظر والتفكير وكان ظاهرُ لفظها غير ذلك على ما قلتم كان أصحابُ التأويل والتفسير مطبقين على أنَّ الله أراد بها إمامة فلان .

فهلنا بابٌ لا تهدرون مِنْ قِيَلِهِ على حُجَّة ، وليس لكم في باب الخبر والإجماع متملِّقٌ ولا سبب ، مع قول الأنصار : مِثْلُ أمير ومَنْكم أمير .

وقول المهاجرين : بل مِثْلُ الأُمراء ومَنْكم الوزراء .

ثمَّ وجدنا أبا بكرٍ وهو متكلِّمٌ قريشٍ وصاحبُ أمرِ المهاجرين ، والنازعُ عنهم يوم السَّقيفة ، يقول للناس بعد سُكُونِ الأنصار وارتداعهم : بأيُّوا أَيْ هَذِينَ شَعْمٌ — يعني عمر وأبا عبيدة — فلم نجدَهُ ادَّعَاها لنفسه ، ولا أبى أن تكونَ لغيره . ولم يقل إنسانٌ من الأنصار ولا من المهاجرين ، ولا من أَفْئَاءِ الناسِ <sup>(٢)</sup> : إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد كان جعلها لفلانٍ وحَسَنَ عليها هـ . ولا أنهم إذا لم يدَّعُوا النَّصَّ <sup>(٣)</sup> قال قائل إنَّ النبي الله عليه قد كان قال قولاً يومَ كذا وكذا يدلُّ على أنها لفلان ، ولم ينطق بذلك أحدٌ بعد تلك الأيام كما لم ينطق أحدٌ فيها <sup>(٤)</sup> .

(١) في الأصل : « أنه » .

(٢) أَفْئَاءُ الناسِ : أَخْلَاطُهُمْ .

(٣) في الأصل : « النصر » .

(٤) في الأصل : « منها » .

ثم وجدنا أبا بكر حين أراد أن يحملها إلى عمر من بعده كيف يمشي إليه رجال المهاجرين وعِليَّةُ السَّاقِين ، ليصرفها إلى من هو أَلين جانباً وأخفَضُ جَنَاحاً ، وأقلُّ هَيْبَةً ، ويقولون : يا خليفة رسول الله ، إنَّ الحاجة للأرمل والأرملة ، والضعيف والضعيفة ، وعمر رجلٌ مهيب في صدور الناس والله ما نريد صرفها عنه ألاَّ يكونَ سبقَ إلى كلِّ يوم خيراً ! قال أبو بكر : أيربِّي تهْدِدُوني ، أمَّا إذا لقيتَه فقال لي : من <sup>(١)</sup> استخلفتَ على عبادي ؟ قلت : استخلفتُ عليهم خَيْرَ أَهْلِكَ عندي <sup>(٢)</sup> .

فلم يمر بينهم ممَّا يقولون حرفٌ واحد .

ثم أنَّ عمر بعد ذلك جعلها سُورَى بين سِتَّة وجعلَ إليهم الخِيَار ، وسلمَ ذلك جميعُ السَّليْن ، فيهم الزُّهْرِي والثَّيْمِي والمَاشِي والأَمْوِي والأَسَدِي ، على أنَّها إنَّ وقتَ للأَسَدِي لم يكن منكراً عند الجميع ، وكذلك الزُّهْرِي والأَمْوِي .

وأعجبُ من هذا أجمع وأدُلُّ على الاختلاف ، وأبعد من النَّص والإجماع ، قولُ عمر في شكائه وهو مُوفٍ على قبره وعندَه المهاجرون الأوَّلون : « لو أدركت سالماً مولى أبي خُذِيفَةَ ما تَخَالَجَنِي فِيهِ الشَّكَّ » ١٥ حين ذكر دُعَابَةَ على ، ومَحَل <sup>(٣)</sup> الزُّبَيْر ، وبأَو طَلْحَةَ ، وَحُبَّ عُمَانَ لِرَهْطِهِ .

(١) في الأصل : « لمن » ، تحريف .

(٢) في الطبري : « : : » من أسماء بنت عميس قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ؟ وأنت لاق ربك فسألك عن رعيته ؟ فقال أبو بكر — وكان مضطجعا — أجلسوني . فاجلسوه فقال طلحة : أباة تفرقي — أو أباة تخوفني — إذا لقيت الله ربي فناداني قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك . » ٢٠

(٣) انظر أنساب الأشراف للبلاذري : ١٧ حيث يقول عمر في إله : « لفس ، =



ثم أتى كان من مُنازعة سمير بن أبي وقاص لعلّ ، وتركه يميته  
ودعائه له إلى وضع الثوري ، والتخاير بالأعمال والجزء<sup>(١)</sup> ، فلم تجذبوا أحداً  
من الناس يقول من وراء سمير أو في وجهه : ولم تخايرك وقد اختاره  
الرسولُ دونك .

- وقد كان يبنى لأصحاب عليٍّ ومن معه من المهاجرين والبدرين وسائر  
الصحابية والتابعين ، ألاّ يُمسكوا عن ذكر هذه الحجة وإن أمسك عنها  
الناسُ وأشاعوها ، وعاندوا أو غلطوا فيها . ولم نعلم هذا وأشباهه إلاّ دليلاً  
قاطعاً لمن لم يمنع قلبه معرفة الحقّ ولسانه الإقرار به ، في عاربة طلحة والزبير  
وعائشة وعليّ ، وما أراقوا من الدماء . ولم يقلّ واحدٌ من الناس : ولم  
تقاتلون رجلاً<sup>(٢)</sup> أو تطلبون غايته وقد نصبه النبي صلى الله عليه وفسر ١٠  
أمره ، وبين شأنه . [ وهذا ] دليل على ما قلنا ، وبرهان لا ادعينا .

- ولقد قال رجلٌ لممر بن عليٍّ : خبرني عن وصية رسول الله صلى الله  
عليه إلى أبيك . قال : والله إن هذا الكلام ما سمعتُ به قطّ إلاّ الساعة .  
وقد تملكون أن الأمة كلّها مع اختلاف أهوائها ونحلها ، لا تعرف ممّا  
تدعون من أمر النّسّ والوصية قليلاً ولا كثيراً ، وإنما هذه دعوى ١٥  
مقصودة فيكم ، لا يرفضها سواكم . وإنّ أشدّ الناس عليكم في الوصية

---

== مؤمن الرضا كافر الغضب ، صحيح . - لكن في الإمامة ٢٧٨٤ أنه « كان له ألف عملوك  
يؤدون إليه المراج فكان لا يدخل يده منها شيئاً ، يصدق به كله » . وانظر أيضاً الرياض  
الضرية ٢ : ٢٧١ — ٢٧٢ حيث التنويه بجوده وكرمه .

- (١) الجزء : الإجزاء والكفاية . في الأصل : « الحر » .  
٢٠ (٢) في الأصل : « سلا » ، وإذا التصقت الراء مائة إلى أعلى بالجيم سارت على هذا  
الشكل المحرف .

والتَّصَّ لَزِيدَةً مع تشبيها وإفراطها وشدة إقدامها على عثمان ، وسوء قولها وشدة عداوتها للزُّبَيْر وطلحة .

فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نصبه للنَّاس وبين أمره واحتج له ، لم يكن هناك اختلاف ولا ارتياب ، ولا تحير ، ولا احتج بذلك المحجوجون على شاذٍ إن شذَّ ومُفَارِق . [ وفي ] هذا وأقل منه ما يردع ذا اللَّبِّ ، ويكفُّ ذا الْحِجَا .

وزعمت الرَّافضةُ أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى رجلٍ بعينه ، وأمر أمته بالوصية في تركاتهم ، لأنَّ ذلك أجمعُ للشَّمَل ، وأدعى إلى الألفة ، وأمنعُ للفساد ، وأقطعُ للشَّغْب ، وأذهبُ للضَّغائن ، وأبعدُ من الفلأط .  
١٠ إلَّا أنَّ الله قد كان يعلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أوصى متى أوصى إلى ذلك المستحق تكفُّرُ أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلَّا ثلاثة أنفس ، وأن الوصيَّ سيضعف عن القيام بالحقِّ ، وسيرد مع العام<sup>(١)</sup> يديه<sup>(٢)</sup> إظهاره بلسانه ، وأنَّه لا يرضى بالكفِّ عن شتمه الكافرين حتى يركبهم على منبره . فسبحان الله ما أعجب هذا القول !

١٥ وإن تركوا الكتاب وأضربوا عن الإجماع واحتجُّوا بالرواية ، فما أحدٌ أجحدَ لها ولا أَرَدَ لمعرفتها منهم . مع أنَّ روايةَ غيرهم أكثر ، وعلى ألسنة أصحاب الحديث أظهر .

ولو كانت روايتهم وروايةُ خصومهم سواء ما كان تأويلهم بأقطع لتأويل خصومهم من تأويل خصومهم لتأويلهم . مع أنَّ الحديث إن كان يحتمل ضربَ التأويل فنلأط في حقِّ ذلك من باطله رجلٌ فليس بكافر  
٢٠

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « يده » .

ولا مكابر ، لأنّ ذلك الحديث لو كان صحيحاً لم يكن بآيتين من القرآن ولا أوضح .

وقد يختلف الناس في تأويله ولا يكفرون ولا يكابرون ، فكيف يكفّر من غلط في تأويل حديث لو كان ردّه لم يكن حاصياً .

وإنّ كانت إمامة عليّ لا تثبت عندهم إلّا من قبل الرواية فقد أفلح خصم الرافضة ، واستراح من كدّ المنازعة .

وقد زعم ناس من ( الثمانيّة ) أنّ الله قد اختار للناس إماماً ، ونصب لهم قيماً ، على معنى الدلالة والإيضاح عنه بالعلامة ، لا على النص والتسمية ، لأنّ الله إذا قال : « وأشهدوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ » .

— وقد عرفنا صفة العدالة — فتى رأيناها في إنسان علمنا أنّه القى ١٠ كان عنى الله بالآية وإنّ لم يستمه فيها . وكذلك قول الرسول : « ليؤمّمكم خياركم » فقد عرفنا الله الخيار من الشرار ، والفضل من النقص ، فتى وجدنا الفضيلة في رجل فهو القى عنه النبي صلى الله عليه وإن لم يذكره باسمه .

(١) ولا يهمل الناس ويتركهم سُدَى مَنْ وضع لهم الأدلّة ، ونهّهم ١٥ على موضع البرهان ، وعرفهم أبواب الصلّة .

ولو قلنا إنّ النبي صلى الله عليه قد اختار (٢) للناس إماماً على معنى أنّه إذ أمر أبا بكر بأن يتقدّم المسلمين في مُصلّاه ومقامه ومِنبَره قد استخلفه ، جاز ذلك في الكلام . وباب الجواب في هذه المسائل كثير (٣) .

لأنه لا يجوز أن يكونوا لم يملوا ذلك وقد علموا ما هو أخفى وأدق وأيسر خطباً وأقل نصاً، وهم القوم الذين لا يؤتون من نصيحة وحسن معرفة . وكيف يؤتون منهما وبهم عرفنا النصيحة والمعرفة .

فإن قالوا : فإنما كان خيراً للناس أن يختاروا لأنفسهم أو يختار النبي لهم .

قلنا : لو كان النبي قد اختاره لهم لقد كان ذلك خيراً لهم من اختيارهم لأنفسهم . فإذا لم يختره<sup>(١)</sup> لهم فترك اختياره خيراً لهم ، لأنه إذا كان أن لو كان اختاره لهم<sup>(٢)</sup> ، فقد دلّ تركه الاختيار أن تركه الاختيار لهم خيراً لهم ، إذ كان قد كان اختار الترك دون الاختيار ، وترك الاختيار ربماً<sup>(٣)</sup> كان اختياراً . وهو في هذه الواضع اختيار ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليختار لهم ترك النص والتسمية إلا وترك النص والتسمية خير من النص والتسمية .

وإنما هذا مثل قائل لو قال لنا : أرأيتم التأويل الذي قد ضلّ من أجله عالم ، والتشبيه ، والوعد والوعيد ، والقدر ، والأسماء ، والأحكام التي قد كفر من أجلها بشر ، وبسببها تناحر الناس . وإنما كان خيراً لهم أن يعرفوه بأشْره ، ويُصَوِّروا على حقيقته ، ويكفوا المؤونة فيه ، حتى كان لا يقع خلاف ، ولا يوجد خطأ ، ولا يتسبب فساد ، ولا يتفانى الناس أو يُترَكوا ونظروهم ، ويخلوا واختيارهم .

قلنا : الخيرة فيها صنع الله . فلو كان الله بين ذلك بالنص والتفسير

(١) في الأصل : « لم يختاره » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة ، وأراما مقعنة .

(٣) في الأصل : « بما » .

دون الدلالة ووضع العلامة ، كان ذلك خيرة ؛ لأننا نعلم أن الله لا يصنع إلا ما هو خير .

فلو لم يفعل ذلك<sup>(١)</sup> ولم ينص عليه فتركه الأمر على ما نحن عليه خير لنا وأفضل . فكيف أوجبتم على الله وحكمتم عليه .

\*\*\*

هذا جمل جوابات الثمانية يجمل مسائل الرافضة والزيدية . ولولا أن فيما قدمنا غنى عما أخرنا لقد فسرنا كما أجبنا . وإنما ملاك وضع الكتاب إحكام أصله ، وألا يشذ عنه شيء من أركانه . فأما استقصاؤه حتى لا يمر بين الخصمين منه إلا شيء قد وضع بينه ، فهذا مالا يمكن الواضع ولا يحتمل الكتاب . ولو أمكن الواضع واحتمله الكتاب لكان طوله ١٠ قاطماً لنشاط القارئ ، وبجلبه لنفاس المستمع ، إلا لمن صحت إرادته ، وأفردت شهوته وقوى طبعه ، وحسن احتسابه .

وقد أعطينا هذه الصفة في الملئين ، فكيف [في] التملين .

وعلى أن لتحل صوراً كصور الناس ، فكما أن بعض الصور أشد مشاكلة لطبعك ، وأنت في عينك ، وأخف على نفسك ، فكذلك التحل في مقابلة الأهواء ، ومشاكلة الشهوات ، وإخلفة على النفوس .  
فاحذر حوادث الشهوات ، واتصال الشاكلة ؛ فإنه أخفى من البقي ، وأدق من الخفي .

هذا إذا كان المعنى مجرداً والذهب ماريأ ، فكيف إذا موَّه صاحبه ، وزخره واضمه ، بأعذب الألفاظ وأشهاها ، وأحسن الخارج وأعفاها<sup>(٢)</sup> .

(١) في الأصل : « قالوا فلم » .

(٢) كذا في الأصل .

فشق كل واحد منهما صاحبه ، وحببه إلى سامعه . فإن وافق ذلك منه  
تنظيم لسلكه ، وهو في قائله ، قد أسحت نفسه بالتقليد ،  
وأسلمت للاعتقاد .

فاحذر في<sup>(١)</sup> هذه الصفة ، ولا تستخف بهذه الوصية .

واعلم أن واضع الكتاب لا يكون بين الخصوم عدلا ، ولأهل النظر  
مألفا حتى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذي يبلغ لنفسه ، حتى  
لو لم يقرأ القارئ من كتابه إلا مقالة خصمه لحيل له أنه الذي اجتنبه  
لنفسه ، واختاره لدينه .

ولولا أنكالي على انقطاع الباطل عن مدى الحق وإن استقصيته وبلغت  
١٠ غايته ، ما استجزت حكايته ، وقت<sup>(٢)</sup> مقام صاحبه .

ونحن مبتدون في كتاب المسائل وبالله ذي المن وال طول نستعين ،  
وعليه تتوكل .

هذه جل أقوال<sup>(٣)</sup> الثمانية ، والحمد لله كثيراً دائماً ،  
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ، وآله الطاهرين  
وصحبه ، وسلم تسليماً .

١٥

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : « وقت » .

(٣) في الأصل : « قول » .

مناقضات

أبي جعفر الإسكافي

لبعض ما أورده الجاحظ في العثمانية

من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

مناقضة لصفحة ١ — ٦ من المئانية

قال أبو جعفر الإسكافي :

لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم نحتاج إلى نقض ما احتجّت به المئانية ، فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لأرباب مقالهم ، وعرف كل أحد [علا<sup>(١)</sup>] أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم ، وظهور كلمتهم ، وقهر سلطانهم ، وارتفاع التقية عنهم ، والكرامة والجائزة لمن روى الأخبار والحديث في فضل أبي بكر ، وما كان من تأكيده بنى أمية فذلك ، وما ولده المحدثون من الأحاديث طلباً لها في أيديهم ، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملسوا أن يُخملوا ذكر على عليه السلام وولده ، ويطغشوا نورهم ويكتسبوا فضائلهم ، ومنابهم وسوابقهم ، ومحمّلوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر ، فلم يزل السيف يقطر من دماهم مع قلة عددهم وكثرة عدوهم ، فكانوا بين قتل وأسير ، وشريد وهارب ؛ ومستخفّ ذليل ، وخائف مترقب ، حتى إن الفقيه والحديث والقاضي والمتكلم ليتقدّم إليه ويتوعدّ ببناءة الإيصاد وأشدّ العقوبة أن لا يذكر شيئاً من فضائلهم ولا يرخسوا لأحد أن يطيّف بهم ؛ وحتى بلغ من تقية المحدث إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كنى عن ذكره فقال : قال رجل من قريش ، وقيل رجل من قريش ولا يذكر علياً عليه السلام ولا يتفوه باسمه . ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ووجوه الحيل والتأويلات نحوها ، من خارجي مارق ، وناسب حق ، ونابت مستبهم ، وناشئ معاند ، ومتافق مكذب ، وعثماني حسود ، يمترض فيها ويطنن ، ومتزلي قد نفذ في الكلام وأبصر علم الاختلاف ، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه ، وتأول مشهور فضائله ، فرة يتأولها بما لا يحتمل ، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض ، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة ، ووضوحاً واستنارة .

(١) هذه من ط . أى من النسخة للطبعة من شرح نهج البلاغة .



وقد علمت أن معاوية وزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم — وذلك نحو ثمانين سنة — لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولمنه وإخفاء فضائله ، وستر مناقبه وسوابقه .

روى خالد بن عبد الله الواسطي عن حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال : لما بويع لمعاوية أقام المنيرة بن شعبة خطباء يلتمنون علياً عليه السلام ، فقال سميد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ألا ترون إلى هذا الرجل الظالم ، يأمر بلعن رجل من أهل الجنة ؟

روى سليمان بن داود عن شعبة عن الحر بن الصباح قال : سمعت عبد الرحمن ابن الأحنس يقول : شهدت المنيرة بن شعبة خطب فذكر علياً عليه السلام فقال منه . روى أبو كريب قال : حدثنا أبو أسامة قال حدثنا صدقة بن المثنى النخعي عن رباح بن الحارث قال : بينا بالمنيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبل المنيرة فسب علياً عليه السلام .

روى محمد بن سميد الأصفهاني عن شريك عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن علي ابن الحسين عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال : قال لي مروان : ما كان في القوم أذفع عن صاحبنا من صاحبكم . قلت : فما بالكم تسبونه على المنابر ؟ قال : إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك .

روى مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي عن ابن أبي سيف قال : خطب مروان والحسن عليه السلام جالس ، فقال من على عليه السلام ، فقال الحسن : ويحك يا مروان ، أهذا الذي تشتم أشرف الناس <sup>(١)</sup> ؟ قال : لا ، ولكنه خير الناس .

روى أبو غسان أيضاً قال : قال عمر بن عبد المزيز : كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته حتى إذا صار إلى ذكر علي وسبه قطع لسانه واسفر وجهه وتغيرت حاله ، فقلت له في ذلك فقال : أوقد فطنت لذلك ؟ إن هؤلاء لو يعلمون من على ما يصله أبوك ما تبعنا منهم رجل .

(١) هو كافي قراءة أبي فلاة : « سبيلون ضناً من الكذاب الأشهر » .

روى أبو حسان قال : حدثنا أبو اليقطان قال : قام رجل من ولد عثمان إلى هشام ابن عبد الملك يوم عرفة ، فقال : إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لمن أبي تراب .

روى عمرو بن القناد عن محمد بن فضيل عن أشعث<sup>(١)</sup> بن سوار قال : سب عدى ابن أوطاة علياً عليه السلام على المنبر فبكى الحسن البصرى وقال : لقد سب هذا اليوم رجلاً إنه لأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة .

روى عدى بن ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم قال : كنت أنا وإبراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كندة ، فخرج الفرية فخطب ، فحمد الله ثم ذكر ما شاء الله أن يذكر ، ثم وقع في علي عليه السلام ، فضرب إبراهيم على فخذي أو ركبتي ثم قال : أقبل على خدثي فإننا لسنا في جمعة ، ألا تسمع ما يقول هذا ؟

روى عبد الله بن عثمان الثقفي قال : حدثنا ابن أبي سيف قال : قال ابن مامر بن عبد الله بن الزبير لولده : لا تذكر يا بني علياً إلا بخير ، فإن بني أمية لمنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفة ، وإن الدين لم يبن شيئاً قط فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً قط إلا رجست على ما بنت فهدمته .

وروى عثمان بن سميد قال : حدثنا مطلب بن زياد عن أبي بكر بن عبد الله الأصماني قال : كان دعي لبني أمية ، يقال له خالد بن عبد الله ، لا يزال يشتم علياً عليه السلام ، فلما كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال : والله إن كان رسول الله يستعمله وإنه ليعلم ما هو ، ولكنه كان ختنه . وقد نس سميد بن المسيب ، ففتح عينيه ثم قال : ويحكم ما قال هذا الحديث ؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كذبت يا عدو الله !

وروى القناد قال حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن السدي قال : بينا أنا بالمدينة عند أحجار الزيت إذ أقبل راكب على بئر فوقف فسب علياً عليه السلام ، فحلف به الناس ينظرون إليه . فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فقال :

(١) في الأصل : «أعجب» سواه في ط .

الهم إن كان سب عبداً لك سالماً فأر السملين خزيه ! فالبث أن نفر به بعيره فسقط فأندقت عنقه .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن موسى عن فطر بن خليفة عن أبي عبد الله الجبلي قال : دخلت على أم سلمة رجمها الله فقالت — ه — : أيسب رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم وأنتم أحياء ؟ قلت : وأنى يكون هذا ؟ قالت : أليس يسب على عليه السلام ومن يحبه .

وروى العباس بن بكار الضبي قال : حدثني أبو بكر المنفل عن الزهري قال : قال ابن عباس لمأوية : ألا تكف عن شتم هذا الرجل ؟ قال : ما كنت لأفعل حتى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير . فلما ولي عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه فقال الناس : ترك السنة . قال : وقد روى عن ابن مسعود إمامو قوا عليه أوامر فوما : كيف أنتم إذا شتمتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة ، فإذا غير منها شيء قيل : غيرت السنة .

قال أبو جعفر : وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما أخذوا قولاً أو ديناً لهوى ، فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره ، ككسحوا ما أخذ الناس الحجاج ابن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ، وتوعد على ذلك بدون ما صنع هو وجبارة بنى أمية وطفاة بنى مروان بولد على عليه السلام وشيخته . وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل المراق على قراءة عثمان ، ونشأ أبناءهم ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها ، وكف المعلم عن تعليمها ، حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله أو أبي ما عرفوها ، ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان ، لإلف المادة وطول الجهالة ، لأنه إذا استولت على الرعية العلية وطالت عليهم أيام التسلط ، وشاعت فيهم المخافة ، وشملتهم التقية ، اتفقوا على التخاذل والتسكات ، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم ، وتنقص من ضمائرهم ، وتنقص من مرائهم ، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنن التي كانوا يعرفونها .

ولقد كان الحجاج ومن ولاء ، كعبد الملك والوليد ، ومن كان قبلهما وبعدهما من

فراعاة بني أمية على إخفاء محاسن على عليه السلام وفضائله ، وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم ، أحرم منهم على إسقاط قراء عبد الله وأبي ، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لزال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حلمهم . وفي إظهار فضل على عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارهم ، وتسلط حكم الكتاب المنبؤ عليهم ، فحرسوا واجتهدوا في إخفاء فضائله ، وحملوا الناس على كتمانها وسترها ، وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقاً ، وحجهم إلا شغفاً وشدة ، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة ، وحجهم إلا وضوحاً وقوة ، وفضلهم إلا ظهوراً ، وشأنهم إلا علواً ، وأقدارهم إلا إعظاماً ، حتى أصبحوا يباهونهم بإمام أعزاء ، وبإماماتهم ذكرهم أحياء ، وما أرادوا به وبهم من الشر تحول خيراً . فانتفى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ، ومزاياه وسوابقه ، ما لم يتقدمه السابقون ، ولا سواه فيه القاصدون ، ولا يلحقه الطالبون . ولولا أنها كانت كالقبة النصوية في الشهرة ، وكالمن المحفوظة في الكثرة ، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد ، إذ كان الأمر كما وصفناه .

فأما ما احتج به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة . وما رأينا صنع ذلك ؛ لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح وقال للناس : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايموا منهما من شئتم . ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وفي الله شرها . ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام . وما عرفنا أحداً ادعى له ذلك . على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال ، منهم علي بن أبي طالب ، وجعفر أخوه ، وزيد بن حارثة ، وأبو ذر الغفاري ، وعمر بن عبسة<sup>(١)</sup> السلمي ، وخالد بن سميد بن الناص ، وخباب بن الارت . وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن علياً

عليه السلام أول من أسلم . فأما الرواية عن ابن عباس أن أبابكر أولهم إسلاماً فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رووا وأشهر .

فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد عن أبي عوانة وسعيد بن عيسى عن أبي داود الطيالسي ، عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال : أول من صلى من الرجال على عليه السلام .

وروى الحسن البصري قال : حدثنا عيسى بن راشد عن أبي بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال : فرض الله تعالى الاستغفار لملى عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » . فكل من أسلم بعد على فهو يستغفر لملى عليه السلام .

وروى سفیان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : « السباق ثلاثة : سبق يوشع بن نون إلى موسى ، وسبق صاحب يس إلى عيسى ، وسبق على عليه السلام بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام . فهذا قول ابن عباس في سبق عليه السلام إلى الإسلام . وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر . على أنه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لملى عليه السلام : « هذا أول من آمن بي وسدقي وصلى معي » .

قال : فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام ، المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها ، فمنها ما روى شريك بن عبد الله عن سليمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال : أول شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أتى قمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي ، وكان من أنفسنا شراء عطر ، فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنهينا إليه وهو جالس إلى زمزم ، فبينما نحن عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا وعليه ثوبان أبيضان وله وفرة إلى أنصاف أذنيه جمدة ، أشم أفتى ، أدعج السينين ، كثر اللحية ، براق الثنايا ، أبيض تملوه حمرة ، كأنه القمر ليلة البدر ، وعلى يمينه غلام مراحم أو عظم

حسن الوجه ، تقفوم امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصدوا نحو الحجر ، فاستلمه واستلمه النلام ثم استلمته المرأة ، ثم طاف بالبيت سببا والنلام والمرأة يطوفان معه ، ثم استقبل الحجر ققام ورفض يديه وكبر ، وقام النلام إلى جانبه وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبرت ، فأطال القنوت ، ثم ركع وركع النلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال ورفض النلام والمرأة معه ثم سجدوا وسجد النلام معه يصنعان مثل ما يصنع ، فلما رأينا شيئا ننكره لا نعرفه بمكة أقبلنا على العباس قلنا : يا أبا الفضل ، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم ! قال : أجل والله . قلنا : فمن هذا ؟ قال : هذا ابن أخي ، هذا محمد بن عبد الله ، وهذا النلام ابن أخي أيضاً ، هذا علي بن أبي طالب وهذه المرأة زوجة محمد ، هذه خديجة بنت خويلد ، والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة .

ومن حديث موسى بن داود عن خالد بن نافع عن عفيف بن قيس الكندى — وقد رواه عن عفيف أيضاً مالك بن إسماعيل النهدي والحسن بن عنبسة الوراق وإبراهيم بن محمد بن ميمونة — قالوا جميعاً : حدثنا سعيد بن جشم عن أسد بن عبد الله <sup>(١)</sup> البجلي عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال :

كنت في الجاهلية عطارا ، فقدمت مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلقت الشمس في السماء أقبل شاب كأن في وجهه القمر ، حتى روى يصصره إلى السماء ، فنظر إلى الشمس ساعة ثم أقبل حتى دنا من الكعبة فصف قدميه يصلى ، فنخرج على إثره فتى كأن وجهه صحيفة يمانية ، ققام عن يمينه ، فجاءت امرأة متلفعة في ثيابها ققامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكعا فركما معه ، ثم أهوى إلى الأرض ساجدا فسجدا معه ، فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم . فقال : أمر والله عظيم ، أتدري من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، أتدري من هذا الفتى ؟ قلت :

(١) في الأصل : « ابن عبد » سواء في ط .

لا . قال : هذا ابن أخي أبي طالب بن عبد المطلب ، أتدري من المرأة ؟ قلت : لا . قال : ابنة خويلد بن أسد بن عبد المزي ، هذه خديجة زوج محمد . هذا وإن محمدا هذا يذكر أن إلهه إله السماء ، وأمره بهذا الدين ، فهو عليه كما ترى . ويزعم أنه نبي ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجته خديجة هذه المرأة ، والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . قال عفيف : قلت له : فما تقولون أنتم ؟ قال : ننظر الشيخ ما يصنع ، يعني أبا طالب أخاه .

وروى عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين والحسن بن عطية قالوا : حدثنا خالد بن طهمان عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال : كنت أوصي<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه وآله فقال لي : هل لك أن نمود فاطمة ؟ قلت : نعم يا رسول الله . فقام يمشي متوكفاً على وقال : أما إنه سيحمل قلبها فترك ويكون أجراً لك . قال : فوالله كأنه لم يكن على من تحمل النبي صلى الله عليه وآله شيئاً . فدخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها صلى الله عليه وسلم : كيف تعبدنك ؟ قالت : لقد طال أسقى واشتد حزني وقال لي النساء : زوجك أبوك فقيرا لا مال له ! فقال لها : أما رضيين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً ؟ قالت : بلى ، رضييت يا رسول الله .

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد ، وعبد السلام بن صالح ، عن قيس بن الربيع عن أبي أيوب الأنصاري بالفاظه أو نحوه<sup>(٢)</sup> .

وروى عبد السلام بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج فاطمة - دخل النساء عليها فقلن : يا بنت رسول الله ، خطبك فلان وفلان فردم عنك وزوجك فقيراً لا مال له ! فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك في وجهها ، فسألها فذكرت له ذلك ، قال :

(١) ط : « أوصل » .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية الفقرة التالية ساقط من ط .

يا فاطمة ، إن الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلما ، وأكثرم علما ، وأعظمهم حلما ،  
وما زوجتك إلا بأمر من السماء . أما علمت أنه أخى فى الدنيا والآخرة ؟ !

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير عن السدى ، أن أبا بكر وعمر خطبا  
فاطمة عليها السلام فردما رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : لم أومر بذلك .  
فخطبها على عليه السلام فزوجه إياها وقال لها : زوجتك أقدم الأمة إسلاما .  
وذكر تمام الحديث .

قال : وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم أسماء بنت عيسى ، وأم أيمن  
وابن عباس ، وجابر بن عبد الله .

قال : وقد روى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال :  
أتيت أبا ذر بالربذة أودعه ، فلما أردت الانصراف قال لى ولا ناس مى : ستكون  
فتنة فأتوها الله ، وعليكم بالشيخ على بن أبي طالب فاتبعوه ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وآله يقول له : أنت أول من آمن بى ، وأول من يصالحنى يوم القيامة ، وأنت  
الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يمسوب  
المؤمنين ، والمال يمسوب الكافرين ، وأنت أخى ووزيرى وخير من أترك بىدى ،  
تقضى دينى وتنجز موعودى .

قال : وقد روى ابن أبى شبة عن عبد الله بن نعيم عن العلاء بن صالح عن المهال  
ابن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدى قال :

سمعت على بن أبى طالب يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر  
لا يقولها غيرى إلا كذاب . ولقد صليت قبل الناس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبد الله المدوية قالت : سمعت عليا عليه السلام يخطب على  
منبر البصرة ويقول : أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت  
قبل أن يسلم .

وروى حبة بن جوين العرقى أنه سمع عليا عليه السلام يقول : أنا أول رجل



أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله . رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن  
سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين .

وروى عثمان بن سعيد الحرار عن علي بن حرار عن علي بن عامر عن أبي الجحاف  
عن حكيم مولى زاذان قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : صليت قبل الناس  
سبع سنين ، وكنا نسجد ولا نركع ، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت :  
يا رسول ما هذا ؟ قال : أمرت به .

وروى إسماعيل بن عمرو عن قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن  
جابر بن عبد الله قال :

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء بعده .  
وفي الرواية الأخرى عن أنس بن مالك : استناب النبي صلى الله عليه وآله يوم  
الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء بعده .

وروى أبو رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى أول صلاة صلاها غداة  
الاثنين ، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك ، وصلى على عليه السلام يوم الثلاثاء  
غداة ذلك اليوم .

قال : وقد روى روايات مختلفة كثيرة متعددة عن زيد بن أرقم وسلمان  
الفارسي وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، أن عليا عليه السلام أول من أسلم .  
وذكر الروايات والرجال بأسمائهم .

وروى سلمة بن كهيل عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب ، أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال : « أولكم وروداً على الخوض أولكم إسلاماً : علي  
ابن أبي طالب » .

وروى يس بن محمد بن أيمن ، عن أبي حازم مولى ابن عباس ، عن ابن عباس  
قال : سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول : كفُّوا عن علي بن أبي طالب ؛ فإنني سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خصالاً لو أنَّ خصلةً منها في جميع آل الخطأ كان أحبَّ إلىَّ ممَّا طلعت عليه الشمس .

كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ، مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نطلبه ، فأنهينا إلى باب أم سلمة فوجدنا علياً متكئاً على نِجاف الباب<sup>(١)</sup> ، قلنا : أرؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هو في البيت ، رويدكم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأنا حوله ، فانكأ على علي عليه السلام وضرب بيده على منكبه فقال : أبشر يا علي بن أبي طالب ، إنك غاصم وإنك تحصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهن : أنت أول الناس إسلاماً وأعلمهم بأيام الله . وذكر الحديث

قال : وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحديث . قال : وروى أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد صلت الملائكة علىَّ وعلى علي عليه السلام سبع سنين . وذلك أنه لم يصل مني رجل فيها غيره . قال أبو جعفر : فأما ما رواه الجاحظ من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما نبعثي حرّاً وعبد » . فإنه لم يسم في هذا الحديث أبا بكر وبلا . وكيف وأبو بكر لم يشتر بلاً إلا بعد ظهور الإسلام بمكة ، فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمية بن خلف ، ولم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة ولا في أمر الإسلام .

وقد قيل إنه عليه السلام إنما عني بالحرّ علي بن أبي طالب ، وبالعبد زيد بن حارثة .

وروى ذلك محمد بن إسحاق .

قال : وقد روى إسماعيل بن نصر الصفار عن محمد بن ذكوان عن الشعبي قال : قال الحجاج للحسن وعنده جماعة من التابعين وذكر علي بن أبي طالب : ما تقول

---

(١) النجاف : النية ، وهي أسكفة الباب .

أنت يا حسن ؟ فقال : ما أقول ؟ هو أول من صلى إلى القبلة ، وأجاب دعوة الرسول ، وإنه لملي منزلة من ربه ، وقرابة من رسوله ، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد . فغضب الحجاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بمض البيوت ، وأمر بصرفنا .

قال الشعبي : وكنا جماعة ما منا إلا من نال من علي عليه السلام ، مقاربة للحجاج ، غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله .

ودروى محرز بن هشام عن إبراهيم بن سلمة عن محمد بن عبيد الله قال : قال رجل للحسن ما لنا لا نراك تنفي على علي وتقر منه ؟ قال : كيف وسيف الحجاج يقطر دما ، إنه لأول من أسلم ، وحسبكم بذلك .

قال : فهذه الأخبار ، وأما الأشعار الروية فعروفة كثيرة منتشرة .

فنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيئاً للوليد بن عقبة بن أبي معيط :

وإن ولي الله بمد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه  
وصى رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى ومن لان جانبه  
وقال خزيمه بن ثابت في هذا :

وصى رسول الله من دون أهله وقارسه قد كان في سالف الزمن  
وأول من صلى الله من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو منن  
وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين يبيع أبو بكر :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن  
أليس أول من صلى قبلتهم وأعلم الناس بالأحكام والسنن  
وقال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير :

وإن علياً لكم مُصْحَرٌ يماثله الأسد الأسود  
إما إنه أول المابدين من بمكة والله لا يعبأ

وقال سعيد بن قيس الممداني يرتجز بصفين :

هذا علي وابن عم المصطفى أول من أجابه فيما روى  
هو الإمام لا يزال من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي :

غوطوا علياً وانصروه فإنه وصي وفي الإسلام أول أول  
ولن تخذلوه والحوادث جمة فليس لكم من أرضكم متحول

قال : والأشمار كالأخبار إذا امتنع في عبيء القبيلين <sup>(١)</sup> التواطؤ والاتفاق كان  
ورودهما حجة .

فأما قول الجاحظ : « فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهم مما » فقد أبطل بهذا  
ما احتج به لإمامة أبي بكر ، لأنه احتج بالسبق وقد عدل الآن عنه .

قال أبو جعفر : ويقال لهم : لسنا نحتاج من ذكر سبق علي عليه السلام إلا  
بجامتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس . ودعواكم أنه أسلم وهو طفل دعوى غير  
مقبولة إلا للحجة . قلنا : قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم . ولو كان طفلاً لكان في  
الحقيقة غير مسلم ، لأن اسم الإيمان والإسلام والكفر ، والطاعة والمعصية ، إنما يقع  
على البالغين دون الأطفال والمجانين .

وإذا أطلقتم وأطلقنا عليه اسم الإسلام فالأصل في الإطلاق الحقيقة . كيف وقد  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت أول من آمن بي وأول من صدقني . وقال  
لفاطمة : « زوجتك أقدمهم سلماً » أو قال « إسلاماً » .

فإن قالوا : إنما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على جهة العرض  
لا التكليف ؟

قلنا : قد وافقتمونا على الدعاء — وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف — ثم

(١) في الأصل : « القبيلين » ، صوابه في ط .

ادعيتهم أن ذلك كان على وجه العرض . وليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء إلا لحجة .  
فإن قالوا : لعله كان على وجه التأديب والتعليم ، كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال .  
قلنا : إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله ، أو عند النشوء عليه والولادة  
فيه . فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك ، لاسيما إذا كان الإسلام غير معروف  
ولا امتداد بينهم . على أنه ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أطفال المشركين  
إلى الإسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم . وأيضاً فمن شأن الطفل  
اتباع أهله وتقليد أبيه والمضي على منشته ومولاه . وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه  
وسلم حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة ، وهذه منازل لا ينتقل إليها إلا من ثبت  
الإسلام عنده بحجة ، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة .

فإن قالوا : إن علياً عليه السلام كان يآلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فوائقه  
على طريق المساعدة له .

قلنا : إنه وإن كان يآلفه فلم يكن يآلفه أكثر من أبويه وإخوته وعمومته وأهل  
بيته ، ولم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه ، ولم يكن الإسلام مما غُذِيَ به وكرر  
على سمعه ، لأن الإسلام هو خُلِع الأنداد ، والبراءة ممن أشرك بالله ، وهذا لا يجتمع  
في اعتقاد طفل .

ومن العجب قول العباس لعفيف بن قيس : « ننتظر الشيخ وما يصنع » فإذا كان  
العباس وحمة ينتظران أبا طالب ويصدران عن رأيه ، فكيف يخالف ابنه ويؤثر  
القلة على الكثرة ، ويفارق المحبوب إلى المكروه ، والمزلى إلى القل ، والأمن إلى  
الخوف ، من غير معرفة ولا علم بما فيه .

فأما قوله : « إن القتل يزعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين ، والمكتر يزعم أنه  
أسلم وهو ابن تسع سنين » فأول ما يقال في ذلك أن الأخبار جاءت في سنه عليه  
السلام يوم أسلم على خمسة أقسام :

القسم ( الأول ) : الذين قالوا : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي عن إسحاق بن بشر القرشي عن الأوزاعي ، عن حمزة بن حبيب ، عن شداد بن أوس قال : سألت خباب بن الارت عن إسلام علي فقال : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أن أول من أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة

القسم ( الثاني ) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن أربع عشرة سنة . رواه أبو قتادة الحراني عن أبي حازم الأعرج عن حذيفة بن اليمان قال : كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلى من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ، وقريش يومئذ آسافه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذب عنه إلا علي عليه السلام .

وروى ابن أبي شيبة عن جرير بن عبد الحميد قال : أسلم علي وهو ابن أربع عشرة سنة .

القسم ( الثالث ) : الذين قالوا أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة . رواه إسماعيل ابن عبد الله الرقي عن محمد بن عمر عن عبد الله بن سحمان عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن محمد بن علي عليهما السلام : أن عليا حين أسلم كان ابن إحدى عشرة سنة . وروى عبد الله بن زياد المدني عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال : أول من آمن بالله علي بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وهاجر إلى المدينة وهو ابن أربع وعشرين سنة .

القسم ( الرابع ) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن عشر سنين . رواه نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق قال : أول من آمن وسدق بالنبوة علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، ثم أسلم زيد بن حارثة ، ثم أسلم أبو بكر وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا .

القسم (الخامس) : الذين قالوا إنه أسلم وهو ابن تسع سنين . رواه الحسن بن عتبة الوراق عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال : أول من أسلم من الرجال على بن أبي طالب وهو ابن تسع سنين ، وكان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وعشرون سنة .

قال شيخنا أبو جعفر : هذه الأخبار كما تراها . فيما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد المناد .

فأما قوله « فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروایتين فنقول : إنه أسلم وهو ابن سبع سنين » فإن هذا تحكم منه ، ويلزمه مثله في رجل ادعى قيل رجل عشرة دراهم فأنكر ذلك وقال : إنما يستحق قبلي أربعة دراهم ، فينبني أن نأخذ الأمر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم ، ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم : كان كافرا وقال قوم : كان إماماً عادلاً ، أن نقول : أعدل الأقاويل أوسطها ، وهو منزلة بين المنزلتين ، فنقول : كان فاسقاً ظالماً . وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها .

فأما قوله : « وإنما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سنى ولاية عثمان وعمر وأبي بكر وسنى الهجرة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الرسالة إلى أن هاجر » ، فيقال له : لو كانت الرواية متفقة على هذه التواريخ لكان لهذا القول مساغ ، لكن الناس قد اختلفوا في ذلك ، فقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعد الرسالة خمس عشرة ، رواه ابن عباس . وقيل ثلاث عشرة ، وروى [ عن <sup>(١)</sup> ] ابن عباس أيضاً . وأكثر الناس يردونه . وقيل عشر سنين ، رواه عروة بن الزبير ، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن السبب .

واختلفوا في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم : كان ابن خمس وستين ، وقيل : كان ابن ثلاث وستين ، وقيل : كان ابن ستين . واختلفوا في سن علي عليه السلام ، فقيل كان ابن سبع وستين ، وقيل : كان ابن خمس وستين ،

وقيل : ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن ستين ، وقيل : ابن تسع وخمسين . فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذا الحال .

ولمّا الواجب أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم على ، فإن هذا الاسم لا يكون مطلقاً إلا على البالغ . على أن ابن إحدى عشرة سنة يكون بالنّاء ويولد الأولاد . فقد روت<sup>(١)</sup> الرواة أن عمرو بن الماص لم يكن أسنّ من ابنه عبد الله إلا باثنتي عشرة سنة . وهذا يوجب أنه احتلم وبلغ في أقل من إحدى عشرة سنة .

وروي أيضاً أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان أصغر من أبيه علي بن عبد الله بن العباس بإحدى عشرة سنة .

فيلزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مسلم على الحقيقة ، ولا مثاب ، ولا مطيع بالإسلام ، لأنه كان يومئذ ابن عشر سنين . رواه هشيم عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين .

## ( ٢ )

لصفحة ٦ - ٩ من المئانية

هذا كله مبني على أنه أسلم وهو ابن سبع أو ثمان ، ونحن قد بينا أنه أسلم بالنّاء ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة . على أنا لو زلنا على حكم الخصوم وقلنا ما هو الأشهر والأكثر من الرواية ، وهو أنه أسلم وهو ابن عشر ، لم يلزم ما قاله الجاحظ ، لأن ابن عشر قد يستجمع عقله ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيراً من الأمور المعقولة . ومتى كان الصبي عاقلاً مميّزاً كان مكلفاً بالعقليات وإن كان تكليفه بالشرعيات موقوفاً على حد آخر وغاية أخرى ، فليس بمنكر أن يكون عليّ عليه السلام وهو ابن عشر قد عقل المجزة فلزمه الإقرار بالنبوة ، وأسلم إسلام عارف ، لا إسلام مقلّد تابع .

---

(١) في الأصل : « روت » ، صوابه في ط .



وإن كان ما نسمه الجاحظ وعنده من معرفة السحر والنجوم ، والفصل بينهما وبين النبوة ، ومعرفة ما يجوز في الحكمة مما لا يجوز وما لا يحدثه إلا الخلق ، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقعدة ، ومعرفة التمثية والتلبس والمأكرة ، شرطاً في صحة الإسلام لما صح إسلام أبي بكر ولا عمر ولا غيرها من العرب ، وإنما التكليف لهؤلاء بالجل<sup>(١)</sup> ومبادئ المأرف ، لا بدائعها والنامض منها . وليس يفترق الإسلام إلى أن يكون السلم قد فاع الرجال وجرب الأمور ونازع الخصوم ، وإنما يفترق إلى صحة الفريضة وكال النقل وسلامة الفطرة . ألا ترى أن طفلاً لو نشأ في دار لم يماثر الناس بها ولا فاع الرجال ولا نازع الخصوم ثم كل عقله وحصلت العلوم البديهة عنده لكان مكلفاً بالمعليات .

فأما توهه أن علياً عليه السلام أسلم عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس ، فلمعمرى إن محمداً صلى الله عليه وآله كان حاضنه وقيمه وسائسه ، ولكن لم يكن منقطعاً عن أبيه أبي طالب ، ولا عن إخوته طالب وعقيل وجعفر ، ولا عن عمومته وأهل بيته ، وما زال مخالطاً لهم متمزجاً بهم ، مع خدمته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فما به لم يزل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته إخوته وأباه وعمومته وأهله ، وهم كثير ومحمد صلى الله عليه وآله واحد ، وأنت تعلم أن الصبي إذا كان له أهل ذوو كثرة وفيهم واحد ينهب إلى رأى مفرد لا يوافق عليه غيره منهم فإنه إلى ذوى الكثرة أميل ، وعن ذى رأى الشاذ للتفرد أبعد .

وعلى أن علياً عليه السلام لم يولد في دار الإسلام وإنما ولد في دار الشرك ، وربى بين المشركين وشاهد الأصنام ، وعين بعينه أهله ورهطه يمدونها ، فلو كان في دار الإسلام لكان في القول بحال ، وتقبل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه عن تلقين الظئر ، وعن سماع كلمة الإسلام ، ومشاهدة شماره ؛ لأنه لم يسمع غيره ولا خطر بباله سواه ، فلما لم يكن ولد كذلك [ ثبت أن إسلامه إسلام المأرف بما دخل عليه . ولولا

(١) في الأصل : « بالجل » ، صوابه في ط .

أنه كذلك<sup>(١)</sup>] لما قدمه<sup>(٢)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، ولا أرضى ابنته فاطمة لما وجبت من تزويجه بقوله لها : « زوجتك أقدمهم سلا » . ولا قرن إلى ذلك قوله « وأكرم علما وأعظمهم حلما » والحلم : العقل . وهذان الأمران غاية الفضل . فلولا أنه أسلم لإسلام عارف عالم يميز لما ضم لإسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما . وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثابا عليه ولا معاقبا عليه لو تركه . ولو كان لإسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام على رءوس الأشهاد ولا خطب على المنبر ، وهو بين عدو محارب وخاذل منافق ، فقال : « أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر والقاروق الأعظم ، صليت قبل الناس سبع سنين ، وأسلفت قبل إسلام أبي بكر وأمنت قبل إيمانه » . فهل بلغسكم أن أحدا من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره أو قال له : إنما كنت طفلا أسلفت على تربية محمد صلى الله عليه وآله لك وتلقينه إياك ، كما تمم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعا ، فلا تغر له في تعلم ذلك ، وخصوصا في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان ، وقد اعتورة الأعداء وجمته الشعراء . فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلافة من بعيد      وسارع في الضلال أبو تراب  
معاوية الإمام وأنت منها      على ونح بمنقطع السراب<sup>(٣)</sup>  
وقال فيه أيضا بمض الخوارج :

دسمنا له تحت الظلام ابن ملجم      جزاء إذا ما جاء نفسا كتابها  
وقال عمران بن حطان يمدح قاتله :  
يا ضربة من تقى ما أراد بها      إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا  
إني لأذكركه حيناً فأحسبه      أوفى البرية عند الله ميزانا

(٢) ط : « مدحه » .

(١) التكملة من ط .

(٣) الوتح : القليل النافعة .

فلو وجد هؤلاء سبيلا إلى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم إسلامه لبدوا بذلك وتركوا مالا معنى له .

وقد أوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه . ولقد قال في أمهات الأولاد قولا خالف فيه عمر فذكروه بذلك وعابوه ، فكيف تركوا أن يسيوه بما كان يفتخر به مما لا يخر فيه عندهم وعابوه بقوله في أمهات الأولاد .

ثم يقال له <sup>(١)</sup> خبرنا عن عبد الله بن عمر ، وقد أجازته النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق ولم يميزه يوم أحد : هل [ كان ] يميز ما ذكرته ، وهل كان يعلم فرق ما بين النبي النبي ويفصل بين السحر والمجزة إلى غيره مما عدت وفصلت . فإن قال نعم ونجاس على ذلك قيل له : فعلى عليه السلام بذلك أولى من ابن عمر ، لأنه أذكر وأفطن بلا خلاف بين العقلاء . وأنى يشك في ذلك وقد رويتم أنه لم يميز بين الميزان والمود بعد طول السن وكثرة التجارب ، ولم يميز أيضا بين إمام الرشد وإمام النقي ، فإنه امتنع من بيعة على عليه السلام ، وطرق على الحجاج باب ليل ليلابيع لمبد الملك ، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام ، زعم . لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية » ، وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترداله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال : أسقى يدك عليها . فذلك تميزه بين الميزان والمود ، وهذا اختياره في الأئمة ، وحال على عليه السلام في ذكائه وفطنته وتوقده حسنه وصديق حدسه معلومة مشهورة . فإذا جاز أن يصح إسلام ابن عمر ويقال عنه إنه عرف تلك الأمور التي سردها الجاحظ ونسقتها ، وأظهر فصاحته وتشادقه فيها . فعلى بمعرفة ذلك أحق ، وبصحة إسلامه أولى .

وإن قال : لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك ، أبطل إسلامه وطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث حكم بصحة إسلامه وأجازته يوم الخندق ، لأنه عليه السلام كان قال : لا أجبر إلا البالغ السافل ، ولقد لم يميزه يوم أحد . ثم يقال : إن ما قوله

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « قلنا له » .

في بلوغ على عليه السلام الحد الذي يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب ، وهو ابن عشر سنين ، ليس بأعجب من مجيء الولد لسته أشهر . وقد صحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب وإن كان خارجاً من التمارف والتجارب والمادة . وكذلك مجيء الولد لستين خراج أيضاً عن التمارف والمادة ، وقد صححه الفقهاء والناس . وروى أن ماذا لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاماً قد نبتت ثمناته فقال أبوه : ابني ورب الكعبة ! فثبت ذلك سنة يعمل بها الفقهاء . وقد وجدنا المادة تقضى بأن الجارية تحيض لاثنتي عشرة سنة ، وأنه أقل سن تحيض فيه المرأة ، وقد يكون في الأقل نساء يحضن لشر وتسع ، وقد ذكر ذلك الفقهاء ، وقد قال الشافعي في اللعان : لو جاءت المرأة بحمل وزوجها صبي له دون عشر سنين لم يكن ولداً له ، لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له ، وإن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له ، وكان بينهما لمان إذا لم يقر به ، وقال الفقهاء أيضاً : إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين ، لشدة الحر يلاذهن .

( ٣ )

لمصفحة ٩ — ١٢ من المئانية

إن مثل الماحظ ، مع فضله وعلمه ، لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها ، ولكنه يقول ما يقول تصباً وعناداً . وقد روى الناس كافة افتخار على عليه السلام بالسبق إلى الإسلام ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم استنبي يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء ، وأنه كان يقول : صليت قبل الناس سبع سنين ، وأنه مازال يقول : أنا أول من أسلم ، ويفتخر بذلك ويفتخره به أولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعده وقائه . والأمر في ذلك أشهر من كل شهر ، وقد قدمنا طرفاً منه . وما علمنا أحداً من الناس فيما خلا استخف بإسلام على عليه السلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنه أسلم إسلام حدث غرير ، وطفل صغير . ومن العجب أن يكون مثل العباس وحمة ينتظران أبا طالب [ وقوله <sup>(١)</sup> ] ليصدرا عن رأيه ، ثم يخالفه على ابنه لنير رغبة ولا رهبة ، يؤثر القلة على

(١) هذه التكلفة من ط .

الكثرة ، والذل على العزة ، من غير علم ولا معرفة بالعاقبة . وكيف ينكر الجاحظ  
والثمانية أن رسول الله صلى عليه وآله دعاه إلى الإسلام وكلفه التصديق ، وروى في  
الخبر الصحيح أنه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن  
يصنع له طعاماً ، وأن يدعو له بنى عبد المطلب ، فصنع له الطعام ودعاهم له ، فخرجوا ذلك  
اليوم ، ولم ينفذهم صلى الله عليه وآله لكلمة قالها معه أبو لهب ، فكلفه اليوم الثاني  
أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية ، فصنعه ودعاهم فأكلوا ، ثم كلمهم صلى  
الله عليه وآله فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنه من بنى عبد المطلب ، ثم ضمن لمن  
بوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بدموته ، وخليفته من  
بعده ، فأمسكوا كلمهم وأجابوه وحده وقال : أنا أنصرك على ما جئت به ، وأؤازرك  
وأأيئك ! فقال لهم لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المصيبة ومنه  
الطاعة ، وعابن منهم الإيابة ومنه الإجابة : هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدى !  
فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب : أطلع ابنك فقد أمره عليك ! فهل  
يكلف عمل الطعام ودعاه القوم صغير غير مميز ، وغر غير عاقل ؟ وهل يؤتمن على سر  
النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع ؟ ! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول  
إلا عاقل لبيب ؟ ! وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في يده ويعطيه سقفة  
يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك ، بالغ حد التكليف ، محتمل  
لولاية الله ، وعداؤه أعدائه ؟ !

وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلمص بأشكاله ، ولم يرَ مع الصبيان  
في ملاعبهم بعد إسلامه ، وهو كأحدهم في طبقة بعضهم في معرفته . وكيف لم ينزع  
إليهم في ساعة من ساعاته فيقال : دعاه نقص الصبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وعلمته  
النيرة والحداثة على حضور لهوم والدخول في حلهم ، بل مارأيانه إلا ماضياً على  
إسلامه ، مصمماً في أمره ، محققاً لقوله بقطعه ، وقد صدق إسلامه بمغافه وزهده ، ولمسح  
برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من محضرته ، فهو أميته وأليفه في دنياه

وآخره . وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابرا على ذلك نفسه ؛ لما يرجوه من فوز العاقبة وثواب الآخرة .

وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بده حاله واحتجاج أمره حيث أسلم لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الشجرة فأقبلت تحضد الأرض ، فقالت قريش : ساحر خفيف السحر ! فقال على عليه السلام : يا رسول الله ، أنا أول من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدقك فيما جئت به ، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبيوك ، وبرهانا على صحة دعوتك . فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان وأوثق عقدة وأحكم مرة ؟ ! ولكن حتى المئانية وغيظهم وعصية الجاحظ وانحرافه ، مما لاحية فيه .

ثم لينظر النصف وليدع الهوى جانبا ليعلم نعمة الله على عليه السلام بالإسلام ، حيث أسلم على الوضع الذي أسلم عليه ، فإنه لولا الألفاظ التي خص بها ، والهداية التي منحها له ، لما كان إلا كيمض أقارب محمد صلى الله عليه وآله وأهله . فقد كان ممازجا له كهازجته ، ومخالطا له كخالطة كثير من أهله ورهطه ، ولم يستجب منهم أحد له إلا بعد حين ، ومنهم من لم يستجب له أصلا ، فإن جفرا عليه السلام كان ملتصقا به ولم يسلم حينئذ . وكان عتبة بن أبي لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته ولم يصدقه ، بل كان شديدا عليه ، وكان لخديجة بنون من غيره ولم يسلموا حينئذ وهم ربابه ومعه في دار واحدة ، وكان أبو طالب أباه في الحقيقة ، وكافه وناصره ، والحامى عنه ، ومن لولاه لم تتم له فاعته ، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات . وكان عباس عمه وصنو أبيه ، وكالقرين له في الولادة والنشأ والتربية ، ولم يستجب له إلا بعد حين طويل . وكان أبو لهب عمه وكديمه ولحمه ، ولم يسلم ، وكان شديدا عليه ، فكيف ينسب إسلام على عليه السلام إلى الإلف والتربية والقرابة واللحمة ، والتلقين والحضنة والقدار الجامعة وطول العشرة ، والأنس والخلوة . وقد كان كل ذلك حاسلا لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره ، ومن أبطأ وتأخر وسبق بالإسلام وجاء سுகيتا وقد فاز بالترقة غيره .

وهل يدل تأمل حال على عليه السلام مع الإنصاف إلا على أنه أسلم ، لأنه شاهد الأعلام ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه بمعرفته وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حجة ، ولا رغبة ولا رهبة إلا فيما يتلحق بأمور الآخرة .

( ٤ )

ص ٢٢ من المئانية

بيني أن ينظر أهل الإنصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ<sup>(١)</sup> والأصم في نصرة المئانية ، واجتهادهما في القصد إلى فضائل هذا الرجل وتهجينها ، فرة يطلان معناها ، ومرة يتوصلان إلى حط قدرها . فليُنظر في كل باب اعترض فيه أين بلغت حيلتهما ؟ وما صنعا في احتيالهما في قصصهما وسجسهما ؟ أليس إذا تأملتها علمت أنها ألفاظ ملفقة بلا معنى ، وأنها عليها شجى وبلاء ، وإلا فما عسى أن تبلغ حيلة الحاسد وينفي كيد الكائد الشافي لمن قد جل قدره عن النقص ، وأضاءت فضائله إضاءة الشمس .

وأي قول الجاحظ من دلائل السماء ، وبراهين الأنبياء وقد علم الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ممن بلنه ذكر على عليه السلام ، وعلم مبث النبي صلى الله عليه وآله أن عليا عليه السلام لم يولد في دار الإسلام ، ولا غذى في حِجر الإيمان ، وإنما استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفسه سنة الفتح والمجاعة . وعمره يومئذ ثمان سنين ، فكثت معه سبع سنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة ، فدعا وهو بالغ كامل العقل إلى الإسلام ، فأسلم بعد مشاهدة المعجزة ، وبعد إعمال النظر والفكرة . وإن كان قد ورد في كلامه أنه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم فإنما يعني ما بين الثمان والخمس عشرة ، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ولا ادعاء نبوة ، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد على ملة إبراهيم ودين الحنيفية ، ويتحدث ويحاجب

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « الأخرى » .

الناس ويسترل ويطلب الخلوة وينقطع في جبل حراء ، وكان على عليه السلام معه كالتابع والتلميذ ، فلما بلغ الحلم وجاءت النبي صلى الله عليه وآله الملائكة وبشروته بالرسالة ، دعاه فأجاباه عن نظر ومعرفة بالأعلام في المعجزة ، فكيف يقول الجاحظ إن إسلامه لم يكن مقتضبا ؟ !

وإن كان إسلامه ينقص عن إسلام غيره في الفضيلة لما كان يمرن عليه من التبعيد مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الدعوة ، ليكون طاعة كثير من المكلفين أفضل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمثاله من المصومين ، لأن المصمة عند أهل المدل لطف يمنع من اختصاص به من ارتكاب القبيح ، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه أسهل ، فوجب أن يكون ثوابه أقص من ثواب من أطاع مع تلك الألفاف .

وكيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره وقد جاء في الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء واستنبت النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، فمن هذه حاله لم تكثر حجج الرسالة على سمعه ، ولا تواترت أعلام النبوة على مشاهدته ، ولا تطاول الوقت عليه لتخفف محنته ويسقط ثقل تكليفه ، بل إن فضله وظهر حسن اختياره لنفسه ، إذ أسلم حال بلوغه ، وعانى نوازع طبعه ، ولم يؤخر ذلك بمد سماعه .

وقد غر الجاحظ في كتابه هذا أن أبا بكر كان قبل إسلامه مذكورا ، ورئيسا معروفا ، يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأسمار ويتذكرون الأخبار ويشربون الخمر ، وقد كان سمع دلائل النبوة ، وحجج الرسل ، وسافر إلى البلدان ووصلت إليه الأخبار ، وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة ، ومن كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر ، والإسلام عليه أسهل ، والمخاطر على قلبه أقل اعتلاجا ، وكل ذلك عون لأبي بكر على الإسلام ، ومسهل إليه سبيلا ، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وآله : « أتيت بيت المقدس » سأله أبو بكر عن المسجد ومواضعه ، فصدقته وبأن له أمراه ، وخفت مؤنته لما تقدم من معرفته بالبيت . فخرج إذا إسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى القتضب .



وفي ذلك رويتم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا وكان له تردد ونبوة إلا ما كان من أبي بكر فإنه لم يتلمع حتى هم به اليقين إلى المعرفة والإسلام . فأين إسلام هذا وإسلام من خُلِّي وعقله ، وألجئ إلى نظره مع صفر سنه واعتلاج الخواطر على قلبه ، ونشأته في ضد ما دخل فيه ، والتألب على أمثاله وأقرانه حب اللب والهو . فلجأ إلى ما ظهر له من دلائل الدعوة ، ولم يتأخر إسلامه فيلزمه التقصير بالمصيبة ، فقهر شهوته ، وغالب خواطره ، وخرج من عادته وما كان غُدِي به ، لصحة نظره ، ولطافة فكره ، وغامض فهمه ؛ فظم استنباطه ، ورجع فضله ، وشرف قدر إسلامه ، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب ولا تنعم فيها بنعيم ، حدثاً ولا كبيراً ، [ وحى نفسه عن الهوى <sup>(١)</sup> ] ، وكسر شريرة حدائته بالتقوى ، واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا ، وأشغل <sup>(٢)</sup> هم الآخرة قلبه ، ووجه إليه رغبته ، فإسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره ، وما سبيله في ذلك إلا كسبيل الأنبياء ، ليعلم أن منزلته من النبي صلى الله عليه وآله كنزلة هارون من موسى ، وأنه وإن لم يكن نبياً فقد كان في سبيل الأنبياء سالكا ، ولتهاجم متبعا ، وكانت حاله كحال إبراهيم عليه السلام ، فإن أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيراً جعلته أمه في سرب لم يطلع عليه أحد ، فلما نشأ ودرج وعقل قال لأمه : من ربى ؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبي ؟ فزبرته ونهرته ، إلى أن اطلع من شق السرب فرأى كوكبا فقال : هذا ربى . فلما أفل قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى . فلما أفل قال : لئن لم يهدي ربى لأكون من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر . فلما أفلت قال : يا قوم إني يرى مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » . وعلى هذا كان إسلام الصديق الأكبر

(١) التكلفة من ط .

(٢) كذا في السخين ، ولها « أشمر » .

عليه السلام . لسنا نقول إنه كان مساويا له في الفضيلة ، ولكن كان مقتديا بطريقه ، على ما قال الله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » .

وأما اعتلال الجاحظ<sup>(١)</sup> بأن له ظهراً كتابي طالب ، وردة آ كيني هاشم ، فإنه يوجب عليه أن يكون عنة أبي بكر وبلال ونوابهما وفضل إسلامهما أعظم مما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن أبا طالب ظهره ، وبنى هاشم رداؤه . وحسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدر على عليه السلام إلا يحطه من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولم يكن أحد أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من قراباته الأدنى منهم فالأدنى كتابي لخب عمه ، وامرأة أبي لخب ، وهي أم جميل بنت حرب بن أمية وإحدى أولاد عبد مناف . ثم ما كان من عقبة بن أبي مُعيط وهو ابن عمه ، وما كان من النضر بن الحارث وهو من بنى عبد الدار بن قصي وهو ابن عمه أيضا ، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم ، وكلهم كان يطرح الأذى في طريقه وينقل أخباره ، ويرميه بالحجارة ، ويرمي الكرش والفرث<sup>(٢)</sup> عليه . وكانوا يؤذون عليا عليه السلام كأذاه ، ويجهلون في فمه ويستهزئون به ، وما كان لأبي بكر قرابة تؤذيه كقرابة علي . ولما كان بين علي وبين النبي صلى الله عليه وآله من الاتحاد والإلف والاتفاق ، أحجم الناقضون بالمدينة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله خوفا من سيفه وأنه صاحب الدار والجيش ، وأمره مطاع وقوله نافذ ، فخافوا على دمائهم منه فاقوه ، وأمسكوا عن إظهار بغضه وأظهروا بنض على عليه السلام وشأنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه الخبر الذي روى في جميع الصحاح : « لا يهيك إلا مؤمن ، ولا يهتك إلا منافق » . وقال كثير من أعلام الصحابة كما روى في الخبر المشهور بين الحديثين : « ما كنا نعرف الناقضين إلا يهتك علي بن أبي طالب » . وأين كان ظهر

(١) هنا ما في ط . وعلما في الأصل : « وقوله » قط .

(٢) في الأصل : « والفرب » سوابه في ط .

أبي طالب من جعفر وقد أزعجه الأذى عن وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشة <sup>(٢)</sup> البحر . أتوم الجاحظ أن أبا طالب نصر عليا وخذل جعفراً ؟

( ٥ )

ص ٢٥ - ٢٧ من الصّانية

أما ما ذكره من كثرة المال والصدق ، واستفاضة الذكر وبعد الصيت ، وكبر السن ، فكلّه عليه لا له . وذلك لأنه قد علم أن من سيرة العرب وأخلاقها حفظ الصديق ، والوفاء بالتمام ، والتهيب لدى الثروة ، واحترام ذى السن العالية ، وفي كل هذا ظهر شديد وسند ، وثقة يتمد عليها عند المحن ، ولذلك كان الرء منهم إذا تمكن من صديقه أبقي عليه واستحيا منه ، وكان ذلك سبباً لنجاةه والمفو عنه .

على أن على بن أبي طالب عليه السلام إن لم يكن شهره سنة فقد شهره نسبه وموضعه من بى هاشم ، وإن لم يستفض ذكره بقاء الرجال وكثرة الأسفار استفاض بأبي طالب . فأنتم تملون أنه ليس تيم في بعد الصيت كهاشم ، ولا أبو عقافة كأبي طالب . وعلى حسب ذلك يملو ذكر الفتى على ذى السن ، ويعد صيت المحدث على الشيخ .

ومعلوم أيضاً أن علياً على أعناق المشركين أنقل ، إذ كان هاشمياً وإن كان أبوه حاشى رسول الله صلى الله عليه وآله والمائع لحوزته . وعلى هو الفتى فتح على العرب باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاة ، وخالف رطله ومشيرته وأطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ، ولا عهد له نظير ، كما قال تعالى : « لتندر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » .

ثم كان بعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومشتكى حزنه ، وأنيسه في خلوته وجليسه ، وأليفه في أيامه كلها . وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاذة العرب له .

ثم أنتم معاشر <sup>(١)</sup> الصّانية تثبتون لأبى بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه

وآله من مكة إلى يثرب ، ودخوله معه في النار ، فقلتم : مرتبة شريفة ، وحالة جليلة ، إذ كان شريكاً في الهجرة ، وأُنيسه في الوحشة ، فأين هذه من محبة على عليه السلام له في خلوته ، وحيث لا يجد أنيساً غيره ليلته ونهاره ، أيام مقامه بمكة يصعد الله معه سرا ، ويتكلف له الحاجة جهراً ، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه ، ويشفق عليه ويحوطه ، وكالولد يبر والده ويمطف عليه .

ولما سئلت عائشة : من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت : أما من الرجال فلي ، وأما من النساء ففاطمة .

(٦)

ص ٢٧ - ٣١ من الثمانية

أما القول فمكن والدعوى سهلة ، سيما على مثل الجاحظ ، فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب ، وهو من دعوى الباطل غير بعيد ، فعناء زر ، وقوله لنور ، ومطلبه سجع ، وكلامه لمب ولهو ، يقول الشيء وخلافه ويحسن القول وضده ، ليس له من نفسه واعظ ، ولا لدعواه حد قائم . وإلا فكيف تجاسر على القول بأن علياً حينئذ لم يكن مطلوباً ولا طالباً ؟ ! وقد بينا بالأخبار الصحيحة والحديث الرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالفاً كاملاً ، منايذاً بلسانه وقلبه لشركي قريش ، فقيلاً على قلوبهم ، وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب ، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات ، المتجرع لنصوص الرار من أبي لب وأبي جهل وغيرهما ، والمصطلي لسكل مكروه ، والشريك لنيبه في كل أذى ، قد نهض بالحل الثقيل ، وبأن بالأمر الجليل . ومن اتقى كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق ، ويخفي نفسه وبضائل شخصه ، حتى يأتي إلى من يسمه إليه أبو طالب من كبراء قريش ، كطعم بن عدى وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح ، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، لو ظفروا به لأراقوا دمه . أعلى كان يفضل ذلك أيام الحصار في الشعب أم أبو بكر ؟

وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ ، قال في خطبة له مشهورة : « فتمادقوا ألا ياملونا ولا يناكحونا ، وأوقدت الحرب علينا نيرانها ، واضطرونا إلى جيل وعمر ، مؤمننا يرجو الثواب ، وكافرنا يحاى عن الأصل » . ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم ، وقطعوا عنهم المأدبة والميرة ، فكانوا يتوقفون الموت جوعاً سباحاً ومساء ، لا يرؤن وجهاً ولا فرجاً ، قد اضمحل عزمهم وانقطع رجائهم ، فن الذي خلص إليه مكروه تلك المحن بمد محمد صلى الله عليه وآله إلا على عليه السلام وحده . وما عسى أن يقول الواسف والمطنب في هذه الفضيلة من قصص معانيها وبلوغ غاية كنهها وفضيلة الصابر عندها . ودامت هذه المحنة ثلاث سنين حتى <sup>(١)</sup> انفرجت عنهم بقصة الصحيفة . والقصة مشهورة .

وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول في على عليه السلام : إنه قبل الهجرة كان وادعاً رافعاً ، لم يكن مطلوباً ولا طالباً ، وهو صاحب القراش ، الذي فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، ووقاه بمهجته ، واحتمل السيوف ، ورضخ الحجارة دونه . وهل ينتهي الواسف وإن ألطب ، والمادح وإن أسهب ، إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيلة ، والإيضاح لمزية هذه الخصلة .

فأما قوله : « إن أبا بكر عذب بمكة » فإننا لا نعلم أن المذاب كان واقفاً إلا ببند أو عسيف ، أو لمن لا عشيرة له تمنه . فأنتم في أبي بكر بين أمرين : تارة يحملونه دخيلاً ساقطاً وهجيناً ، وذليلاً مستضعفاً [ ذليلاً ] ، وتارة يحملونه رئيساً متبهاً وكبيراً مطاعاً ، فاعتمدوا على أحد القولين لنكلكم بحسب ما تختارونه لأنفسكم .

ولو كان الفضل في الفتنة والمذاب لكان عمار وخباب وبلال وكل منذب بمكة أفضل من أبي بكر ، لأنهم كانوا من المذاب في أكثر مما كان فيه ، ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه ، كقوله تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا » قالوا : نزلت في خباب وبلال . ونزل في عمار قوله : « إلا من أكره وقلبه

(١) في الأصل : « لو » ، صوابه في ط .

مُطْعَمُنَ بِالْإِيمَانِ » . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر على عمار وأبيه وأمه  
وم يمدبون ، يمدبهم بنو غزوم لأنهم كانوا حلفاءهم ، فيقول : « صبراً آل ياسر  
فإن موعدكم الجنة ! » . وكان بلال يقلب على الرمضاء وهو يقول : أحد أحد ١١  
وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكراً .

ولقد كان لملى عليه السلام عنده يد غراء - إن صح ما روئيموه في تذييه -  
لأنه قتل نوفل بن خويلد ، وعمر<sup>(١)</sup> بن عثمان يوم بدر . ضرب نوفلاً فقطع ساقه  
فقال : أذكرك الله والرحم ! فقال : قد قطع الله كل رحم وصهر ، إلا من كان تابياً  
لحمد ! ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه . وصمد لمير<sup>(٢)</sup> بن عثمان التيمي فوجده  
يروم الحرب وقد ارتج عليه السلك ، فضربه على شراسيف<sup>(٣)</sup> صدره ، فصار نصفه  
الأعلى بين رجله . وليس أن أبا بكر لم يطلب بثأره منهما ويجهده ، [ لكنه ]  
لم يقدر على أن يفعل فعل على عليه السلام ، فبان على عليه السلام بفعله دونه .

## ( ٧ )

ص ٢٨ - ٢٩ من العناية

كيف كانت بنو جح تؤذى عثمان بن مظعون وتضربه وهو فيهم ذو سطوة وقدر ،  
وتترك أبا بكر يبنى مسجداً يفعل فيه ما ذكركم . وأنتم الذين روئيم عن ابن مسعود  
أنه قال : « ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب » . والذي تذكرونه من بناء  
المسجد كان قبل عمر ، فكيف هذا ؟

وأما ما ذكركم من رقة صوته وعتاق<sup>(٤)</sup> وجهه فكيف يكون ذلك وقد روى  
الواقدي وغيره ، أن عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف المارضين ، معروق الخدين ،

(١) هذه من ط .

(٢) في الأصل : « عمر » ، صوابه في ط والبيعة ٥٠٨ .

(٣) كفناً في ط . وفي الأصل : « شر سوف » .

(٤) العتاق : التثق .

غائر الميتين ، أجباً<sup>(١)</sup> لا يمك إزاره ، قالت : ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا .  
فلا اها دلت على شيء من الجمال في صفته .

## ( ٨ )

ص ٣١ - من المئانية

هذا السلام وجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى ، وذلك أن قريشاً لم تقدر على أذى النبي صلى الله عليه وآله وأبو طالب حتى يمنه ، فلما مات طلبته لقتله ، فخرج تارة إلى بنى عامر ، وتارة إلى ثقيف ، وتارة إلى بنى شيبان ، ولم يكن يتجاسر على القسام بمكة إلا مستتراً حتى أجاره مطعم بن عدي ، ثم خرج إلى المدينة فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه ، حين فاتها فلم تقدر عليه . فابالها بذلت في أبي بكر مائة بعير أخرى وقد كان ردّ الجوارى يبق بينهم فرداً لا ناصر له ، ولا دافع عنده ، يصنمون به ما يريدون . إما أن يكونوا أجهل البرية كلها ، أو يكون المئانية أكذب جبل في الأرض وأوقعه وجهاً . وهذا مما لم يذكر في سيرة ، ولا روى في أثر ، ولا سمع به بشر ، ولا سبق الجاحظ به أحد .

## ( ٩ )

ص ٣١ - من المئانية

ما أعجب هذا القول ، إذ تدعى المئانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج وقد أسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله الإسلام طوعاً برقه ولطف احتجاجه ، ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وإدخال المكروه عليه ، ولا كان لأبي بكر عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطعمه فيما يأمره به ويدعوه إليه ، كما روى أن أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوماً وكان يخاف عليه من قريش أن يقتالوه فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله ، فوجده قائماً في بعض شعاب

---

(١) الأجناً من الجنأ ، وهو ميل الظهور .

مكة يصلي وعلى عليه السلام معه عن يمينه ، فلما رآه أبو طالب قال لجمعه : تقدم  
وميل جناح ابن عمك اقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وسلم فلما صاروا ثلاثة  
تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخر الأخوان ، فبكى أبو طالب وقال :

إن عليا وجعفرًا تفتي عند علم الخطوب والنوب

لا تأخذلا وانصرا ابن عمكما أخى لأى من بينهم وأبى

والله لا أخذل النبي ولا يأخذله من بنى ذو حسب

فتذكر الرواة أن جعفرًا أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره .  
وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبد الرحمن في الإسلام ، حتى أقام بمكة على كفره ثلاث  
عشرة سنة . وخرج يوم أحد في عسكر المشركين بنادى : أنا عبد الرحمن بن عتيق  
هل من مبارز ! ! ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح ، وهو اليوم الذى  
دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا وكرها ، ولم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سيلا .

وأن كان رفق أبى بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبى قحافة وهما في دار  
واحدة ؟ هلا رفق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم . وقد علم أنه بقى على الكفر إلى يوم  
الفتح فأحضره ابنه عند النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير رأسه كالشامة<sup>(١)</sup> فنفر  
رسول الله صلى الله عليه وآله منه وقال : غيروا هذا . فحضبوه ثم جاءوا به مرة أخرى  
فأسلم . وكان أبو قحافة فقيرا مدقما سيئ الحال وأبو بكر عندهم كان مثريا قانض  
المال ، فلم يمكنه استنائه إلى الإسلام بالنفقة والإحسان . وقد كانت امرأة أبى بكر  
أم عبد الله ابنة — واسمها نملّة بنت عبد المزى بن أسعد بن عبد ود المازنية — لم تسلم  
وأقامت على شركها بمكة ، وهاجر أبو بكر وهى كافرة ، فلما نزل قوله تعالى : « ولا  
تمسكوا بمصم الكوافر » فطلقها أبو بكر . فن عجز عن ابنه وأبيه وامرأته فهو عن  
غيرهم من الترياء أعجز ، ومن لم يقبل منه أبوه وابنه وامرأته لا يرقق واحتجاج ،  
ولا خوفا من قطع النفقة عنهم وإدخال المكروه عليهم فغيرهم أقل قبولا منه ، وأقل  
خلافا عليه .

(١) التمام ، كسحاب : ضرب من الثبات أبيض .



(١٠)

ص ٢٩ - ٣٢ من المئانية

أخبرونا من هذا القى أسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر ، إذا كانت امرأته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم وأبو قحافة لم يسلم ، وأخته أم فروة لم تسلم ، وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت ، لأنها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين ، ومحمد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة ، لأنه ولد في حجة الوداع . وأسماء بنت أبي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بنت أربع سنين ، وفي رواية من يقول : بنت ستين . فمن القى أسلم من أهل بيته يوم أسلم . نعوذ بالله من الجهل والكذب والكابرة . وكيف أسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء أبي بكر وليسوا من رهطه ولا من أرايه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة ولا أنس وكيد . وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الإسلام برقه وحسن دعائه ، وقد زعم أنهما كانا يملسان إليه لملته وطريف حديثه . وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام وقد ذكرتم أنه أذبه وخرجه ، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قريش ومآثرها . فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم - وهم منه بالحال التي وصفنا - ودعا من لم يكن بينه وبينه أنس ولا معرفة إلا معرفة عيان . وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكله وأقرب الناس شبيها به في أغلب أخلاقه . ولئن رجعت إلى الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن إسلامهم إلا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله لهم ، وعلى يديه أسلموا .

ولو فكرتم في حسن التأني في الدعاء لمبصحن لأبي طالب في ذلك - على شركه - أضما ما ذكرتموه لأبي بكر ، لأنكم رويتم أن أبا طالب قال لملي عليه السلام : يا بني الزمه فإنه لن يدعوك إلا إلى خير . وقال الجعفر : سل جناح ابن عمك . فأسلم بقوله ، ولأجله أصفق بنو عبد مناف على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله

بمكة من بني مخزوم وبني سهم وبني جحج . ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب ، وبدعائه وإقباله على محمد صلى الله عليه وآله أسلمت امرأته فاطمة بنت أسد . فهو أحسن رققا وأمين قسيمة من أبي بكر وغيره . وما منعه عن الإسلام إن ثبت أنه لم يسلم إلا هبة . وأبو بكر لم يكن له إلا ابن واحد ، وهو عبد الرحمن ، فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام ولا أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كيمض مشركي قريش في قلة الأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وفيه أزل : « والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد دخلت القرون من قبلي ، وهما يستغيثان الله وبك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » .

وإنما يعرف حسن رفق الرجل ونأته بأن يصلح أولا أمر بيته وأهله ثم يدعو الأقرب فالأقرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بعث كان أول من دعا زوجته خديجة ثم مكفوله وابن عمه عليا عليه السلام ، ثم مولاه زيدا ، ثم أم أيمن خادمته . فهل رأيتم أحدا ممن كان يأوي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسارع ؟ وهل التاث عليه أحد من هؤلاء ؟ فهكذا يكون حسن التأني والرفق في الدعاء . هذا ورسول الله مقل ، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى ، وأبو بكر عندكم كان موسرا وكان أبوه مُقْتَرًا<sup>(١)</sup> ، وكذلك ابنه وامرأته أم عبد الله . والموسر في فطرة القول أولى أن يتبع من المقتر . وإنما حُسن التأني والرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه ، وما صنع سعد بن معاذ ببني عبد الأشهل لما دعاهم وما صنع بريدة بن الحصيبي بأسلم لما دعاهم ، قالوا : أسلم بدعائه ثمانون بيتا من قومه . وأسلم بنو عبد الأشهل بدعائه سعد في يوم واحد . وأما من لم يسلم ابنه ولا امرأته ولا أبوه ولا أخته بدعائه فهذه أن يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء ، وحسن التأني والأناة .

(١١)

ص ٢٣ - ٢٥ من المئانية

أما بلال وعاصم بن فهيرة فإنما أعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله .  
روى ذلك الواقدي وابن إسحاق وغيرهما . وأما باقي موالهم الأربع فإن  
سأعناكم في دعواكم لم يبلغ ثمنهم في تلك الحال لشدة بنض موالهم لهم إلا مائة درهم  
أو نحوها ، فأى فخر في هذا ؟

وأما الآية فإن ابن عباس قال في تفسيرها : « وأما من من أعطى واتق . وصدق  
بالحسن . فسنيسره لليسرى » أى لأن يمود . وقال غيره : نزلت في مصعب بن عمير .

(١٢)

ص ٢٥ - ٣٦ من المئانية

أخبرونا على أى نوائب الإسلام أنفق هذا المال ، وفي أى وجه وضعه ، فإنه ليس  
بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه ، وينسى ذكره .  
وأنتم فلم تقفوا على شيء أكثر من «تتبع بزعيمك ست رقاب لعلها يبلغ ثمنها في  
ذلك العصر مائة درهم . وكيف يدعى له الإنفاق الجليل وقد باع من رسول الله صلى  
الله عليه وآله يمينين عند خروجه إلى يثرب وأخذ منه الثمن في تلك الحال ، روى  
ذلك جميع المحدثين .

وقد رويتم أيضا أنه كان حيث كان بالديانة موسرا . ورويتم عن عائشة أنها  
قالت : هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم . وقلتم إن الله تعالى أنزل فيه :  
« ولا تأكلوا أموالكم بالفضل منكم والسمة أن يؤثروا أولى القربى » .  
قلتم : هي في أبي بكر ومسطح بن أثانة . فأين الفقر الذى زعمتم أنه أنفق حتى  
تخلل بالبلاء <sup>(١)</sup> .

---

(١) في الأصل : « بالبلاء » ، وأثبت ما في ط .

ورويتم أن لله تعالى في سمائه ملائكة تحلقوا بالبهاء وأن النبي صلى الله عليه وآله  
 رآهم ليلة الإسراء فسأل جبريل عنهم فقال : هؤلاء ملائكة تأسوا بأبي بكر بن أبي  
 تحافة صديقك في الأرض ، فإنه سينفق عليك ماله حتى يخل عباءته في عنقه .  
 وأنتم رويتم أيضا أن الله تعالى لما أنزل آية النجوى فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا  
 ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم » ، الآية . لم  
 يعمل بها إلا علي بن أبي طالب وحده ، مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده ، وأبو بكر في  
 الذي ذكرنا من السمة أمسك عن مناجاة ، فتاب الله المؤمنين في ذلك فقال :  
 « أأشقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم » ،  
 فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه ، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة . فكيف  
 سخط نفسه بإفناق أربعين ألفا وأمسك عن مناجاة الرسول ، وإنما كان محتاج إلى  
 إخراج درهمين .

وأما ما ذكرتم من كثرة عياله ونفقته عليهم فليس في ذلك دليل على تفضيله ، لأن  
 نفقته على عياله واجبة . مع أن أرباب السير ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئا ،  
 وأنه كان أجيرا لابن جُدعان على مائته يطرد عنها القباب .

### (١٣)

ص ٣٧ — ٣٩ من المئانية

إننا لا ننكر فضل الصحابة وسواهم . ولنا كالأمامية الذين يحملهم الهوى على  
 جحد الأمور الملوثة ، ولكننا ننكر تفضيل أحد الصحابة على علي بن أبي طالب  
 ولنا ننكر غير ذلك — وتنكر تعصب الجاحظ للمئانية وقصده إلى فضائل هذا  
 الرجل ومناقبه بالرد والإبطال . وأما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم ، ومقام جليل ،  
 وهوسيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما فضل عمر فنفي منكر ، وكذلك الزبير وسعد ، وليس فيما ذكرنا ما يقتضي  
 كون علي عليه السلام مفضولا لهم أولئيرم إلا قوله « وكل هذه الفضائل لم يكن لعل  
 عليه السلام فيها ناقة ولا جمل » فإن هذا من التعصب البارد والحيف ، الفاحش .

وقد قدمنا من آثار على عليه السلام قبل الهجرة وماله إذ ذاك من المناقب والخصائص ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء . على أن أرباب السيرة يقولون : إن الشجرة التي شجها سعد ، وأن السيف الذي سله الزبير هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ، وهو الذي سير جعفر وأصحابه إلى الحبشة . وسئل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جاز . قال تعالى . « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ففما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله » فتبين أن التكليف له أوقات ، فنها وقت لا يصلح فيه سل السيف ، ومنها وقت يصلح فيه ويجب .

فأما قوله تعالى : « لا يستوى متكم من أنفق » فقد ذكرنا ما عندنا من دعوام لأبي بكر إنفاق المال . وأيضاً فإن الله تعالى لم يذكر إنفاق المال مفرداً ، وإنما قرن به القتال . ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب ، فلا تشمل الآية . وكان على عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح . أما قتاله فلموم بالضرورة ، وأما إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره . وهو الذي أطعم الطعام على جبه مسكينا وتبنا وأسيراً . وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن<sup>(١)</sup> ، وهو الذي ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سراً ودرهما علانية ليلاً ، ثم أخرج منها في النهار درهماً سراً ودرهما علانية ، فأنزل فيه قوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » .

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة . وهو الذي تصدق بجنازة وهو راكع ، فأنزل الله فيه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

---

(١) هذا من عظيم الافتراء . زعم ذلك بنو غلاة الشيعة . انظر فصل الخطاب ، لحسين ابن محمد بن النوري الطبرسي ص ١٥٦ ، فقد أورد سورة مختلفة أولها « بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما علىكم آياتي ومحمدناكم عذاب يوم عظيم » !

( ١٤ )

ص ٣٩ — ٤٠ من الثمانية

لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان ، والخطأ أقصده ، والخذلان أساره إلى الحيرة ،  
فما علم وعرف حتى قال ما قال . فزعم أن عليا عليه السلام قبل الهجرة لم يتحن  
ولم يكابد المشاق ، وأنه إنما قاسى مشاق التكليف وعن الابتلاء منذ يوم بدر ، ونسى  
الحصار في الشعب ومأمنه به ، وأبو بكر وادع رافقه<sup>(١)</sup> يأكل ما يريد ويجلس مع من يحب  
مخلى<sup>(٢)</sup> سره طيبة نفسه ، ساكنا قلبه ، وعلى يقاسى العنرات ويكابد الأهوال ،  
ويجوع ويظلم ، ويتوقع القتل صباحا ومساء ؛ لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار  
قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا ، ليقم به رمق رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وبني هاشم وهم في الحصار ، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله  
 صلى الله عليه وآله له بالقتل ، كأبي جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، والوليد  
 ابن النيرة ، وهبة بن ربيعة ، وغيرهم من فراعنة قريش وجباريها . ولقد كان يبيع  
 نفسه ويطم رسول الله صلى الله عليه وآله زاده ، ويظلم نفسه ويسقيه ماءه ، وهو  
 كان الملل له إذا مرض ، والمؤنس له إذا استوحش ، وأبو بكر بنجوة عن ذلك  
 لا يسه مما يسهم ألم ، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة ، ولا يعلم بشيء من أخبارهم  
 وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ، ثلاث سنين محرومة معاملتهم ومناحتهم  
 وبجالتهم ، محبوسين محصورين ، ممنوعين من الخروج ، والتصرف في أنفسهم .  
 فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسى هذه الخصيصة ولا نظير لها .  
 ولكن لا يزال الجاحظ يمد أن يسوغ له لفظه وتُنسَق<sup>(٣)</sup> له خطابه ماضيع من  
 المعنى ورجع عليه من الخطأ .

فأما قوله « وعلموا أن العاقبة للمتقين » ففيه إشارة إلى معنى غامض قصد  
 الجاحظ ، يعني أن لا فضيلة لى عليه السلام في الجهاد ؛ لأن الرسول كان أعلمه أنه

---

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « ونفق » .

منصور ، وأن الماقبة له . وهذا من وساوس الملاحظ وهمزاته ولزاته ، وليس بحق ما قاله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم أصحابه جملة أن الماقبة لهم ، ولم يعلم واحداً منهم بميته أنه لا يقتل لا علياً ولا غيره . وإن صح أنه كان أعلمه أنه لا يقتل فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه ، ولم يعلمه أنه لا يمسه ألم الجراح في جسده ، ولم يعلمه أنه لا يناله الضرب الشديد .

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر ، وهو يومئذ بمكة ، أن الماقبة لهم ، كما أعلم أصحابه بعد الهجرة ذلك . فإن لم يكن لملئ والمجاهدين فضيلة في الجهاد بعد الهجرة لإعلامه إياهم بذلك فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتمال المشاق قبل الهجرة ؛ لإعلامه إياهم بذلك . فقد جاء في الخبر : أنه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر ، وأنه قال له : أرسلت إلى هؤلاء بالذبح وأن الله سينصنا أموالهم ويملكنا ديارهم . فاقول في الموضعين متساو ومتفق <sup>(١)</sup> .

## (١٥)

ص ٤١ - ٤٢ من الثمانية

ما نرى الملاحظ احتج لكون أبي بكر أغلظهم وأشدم عنة إلا بقوله : لأنه أقام بمكة مدة مقام الرسول صلى الله عليه وآله بها . وهذه الحجة لا تختص أبا بكر وحده ، لأن علياً عليه السلام أقام معه هذه المدة ، وكذلك طلحة وزيد وعبد الرحمن وبلال وخباب وغيرهم . وقد كان الواجب عليه أن يخص أبا بكر وحده بمجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة وأشدم عنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . فالاحتجاج في نفسه قاسد .

ثم يقال له : ما بالك أهملت أمر ميت على عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة ، هل نسيته أم تناسيته ؟ فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة ، التي متى امتحنها الناظر وأجال فكره فيها ، رأى تحتها فضائل متفرقة ، ومناقب متنايرة . وذلك :

(١) ق ط : « وبتق » .

أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وآله يُجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى مجالته ، وتماقدوا على أن يبيتوه في فراشه وأن يضربوه بأسياف كثيرة ، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيفٌ منها ؛ ليضيع دمه بين الشعوب ، ويتفرق بين القبائل ، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها من بطون قريش ، وتحالفوا على ذلك تلك الليلة واجتمعوا عليها ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله من أئرم دعا أوثق الناس عنده وأمثلهم في نفسه ، وأبذلهم في ذات الإله لمهجته ، وأسرعهم إجابة إلى طاعته ، فقال له : إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة ، فامض إلى فراشي ونم في منجى والتف في بردى الحضرمي ، ليروا أني لم أخرج ، وإني خارج إن شاء الله . فتمه أولاً من التحرز وإعمال الحيلة ، وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكاييد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم ، وألجأه إلى أن يعرض نفسه لغيات السيوف الشحيذة من أبواب الحق والنقطة ، فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً ، طيبة بها نفسه ، ونام على فراشه صابراً محتسباً ، واقياً له بمهجته ينتظر القتل . ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتصقها صابر ، ولا يبلغها طالب ، « والجود بالنفس أقصى غاية الجود »<sup>(١)</sup> . ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم أنه أهل لذلك لما أهله ، ولو كان عنده نقص في صبره أوفى شجاعته أو في مناصحته لابن عمه واختير لذلك ، لكان من اختاره منقوضاً في رأيه ، مضرآ في اختياره ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام ، وكلهم مجمعون على أن الرسول صلى الله عليه وآله عمل الصواب ، وأحسن في الاختيار . ثم في ذلك إذا تأمله التأمل وجوه من الفضل : منها أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يليقه إلى الأعداء . ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقة عند من اختاره فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة الكروه ومباشرة الأحوال ، فيفر من التراش ، فيفطن

(١) عجز بيت لعل بن الوليد وصدده :

\* بجود بالنفس إن ضن الجواد بها \*



لموضع الحيلة ويطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظفر به ومنها أنه وإن كان ثقة ضابطاً للسر شجاعاً نجداً فلمه غير محتمل للمبيت على الفراش ؛ لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام الكتوف الممنوع ، بل هو أشد مشقة من الكتوف الممنوع ، لأن الكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل إلى الحرب وهذا يجد السبيل إلى الحرب وإلى الدفع عن نفسه ، ولا يهرب ولا يدافع . ومنها أنه وإن كان ثقة عنده ضابطاً للسر شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند المقوبة الواقعة ، والمذاب النازل بساحته ، حتى ييوح بما عنده ويصير إلى الإقرار بما يمل به ، وهو أنه أخذ طريق كذا ، فيطلب فيؤخذ . فلهذا قال علماء المسلمين : إن فضيلة على عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها ، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح . ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن عنة على أعظم ، لأنه قد روى أن إسحاق تركاً لما أمره أن يضطجع ، وبكى على نفسه ، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة ، ولذلك قال له : « فانظر ماذا ترى » ، وحال على عليه السلام بخلاف ذلك ، لأنه ما تركاً ولا تمتع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه . ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يشيرون عليه بالرى المخالف لما كان أمر به وتهدم فيه فيتركه ويعمل بما أشاروا به ، كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بثلك تمر المدينة ، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه . وهذه كانت قاعدته معهم وعادته بينهم . وقد كان لملى عليه السلام أن يقتل بطة وأن يقف ويقول : يا رسول الله ، أكون مملك أهلك من العدو ، وأذب بسيفي عنك ، فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي ، ونجمل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك ، يتوهم القوم برؤيته ناعاً في بردك أنك لم تخرج ولم تقارق مركزك . فلم يقل ذلك ولا تحبس ، ولا توقف ولا تلمس ، وذلك لملم كل واحد منهما صلى الله عليه وآله أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه الهمة ، ولا يتورط في هذه الهلكة ، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها ، والفوز بفضلها . وله من جنس ذلك أفعال كثيرة ، كيوم دعا عمرو بن عبد ود المسلمين

إلى المبارزة ، فأحجم الناس كلهم عنه لما علموا من بأسه وشدة . ثم كرر النداء فقام على عليه السلام فقال : أنا أبرز إليه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه عمرو . قال : نعم وأنا على . فأمره بالخروج إليه ، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله : برز الإيمان كله إلى الشرك كله . وكبوم أحد حيث حى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبطال قريش وهم يقصدون قتله ، فقتلهم دونه حتى قال جبريل عليه السلام : يا محمد ، إن هذه هي المواساة . فقال : « إنه منى وأنا منه » . فقال جبريل : وأنا منكما . ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا .

(١٦)

ص ٤٢ — ٤٣ من العمانية

أما كثرة المستجيبين فالفضل فيها راجع إلى المحب لا إلى المحاب . على أنا قد علمنا أن من استجاب لموسى عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام ، وثواب نوح أكثر ، لصبره على الأعداء ومقاساة خلافهم وعنتهم .

وأما إنفاق المال فأبى محنة الننى من محنة الفقير ، وأبى يمدل إسلام من أسلم وهو غنى إن جاع أكل وإن أعيا ركب ، وإن عرى لبس ، قد وثق بيساره واستغنى بماله ، واستعان على نوائب الدنيا بثروته — بمن لا يجد قوت يومه ، وإن وجد لم يستأثر به ، فكان الفقر شعاره ، وفي ذلك قيل : « الفقر شعار المؤمن » ، وقال الله تعالى لموسى : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً قتل مرحباً بشعار الصالحين . وفي الحديث « إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » . وكان الننى صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم احشرنى فى زمرة الفقراء » . ولذلك أرسل الله محمداً صلى الله عليه وآله فقيراً وكان بالفقر سميذاً ، فقاسى محنة الفقر ومكابدة الجوع ، حتى شد الحاجر على بطنه . وحسبك بالفقر فضيلة فى دين الله إن صبر عليه ، فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه ، لأنه منافى لحال الدنيا وأهلها ، وإنما هو شعار أهل الآخرة .

وأما طاعة على عليه السلام وكون الجاحظ زعم أنها كانت لأن في عز محمد عزه وعز رطله ، بخلاف طاعة أبي بكر ، فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك ، وجهاد عبدة بن الحارث ، وهجرة جعفر إلى الحبشة ، بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لأن في دولته دولتهم ، وفي نصرته استجداد ملك لهم . وهذا يجر إلى الإلحاد ويفتح باب الزندقة ، ويفضى إلى العلمن في الإسلام والنبوة .

### (١٧)

ص ٤٤ من السمانية

هذا فرق غير مؤثر ؛ لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفرائض ، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب ، ولا يحججه إلا مجنون أو غير غافل لأهل الملة . أرايت كون الصلوات خمسا ، وكون زكاة الذهب ربع العشر ، وكون خروج الرجب ناقضا للطهارة ، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه ، هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الأحكام . هذا ما لا يقوله رشيد ولا عاقل . على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب ، وإنما قال : « إذ يقول لصاحبه » ، وإنما علمنا أنه أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة . وقد قال أهل التفسير إن قوله تعالى : « ويمكر الله والله خير الماكرين » كناية عن على عليه السلام ، لأنه مكر بهم . وأول الآية « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » . أنزلت في ليلة الهجرة ، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش ، ومكر الله تعالى هو منام على عليه السلام على الفرائض . فلا فرق بين الموضمين في أنهما مذكوران كناية لا تصريحاً . وقد روى المفسرون كلهم أن قول الله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أنزلت في على عليه السلام ليلة المبيت على الفرائض . فهذه مثل قوله تعالى : « إذ يقول لصاحبه » ، لا فرق بينهما .

هذا هو الكذب الصراح والتحريف ، والإدخال في الرواية ما ليس منها .  
والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له : « اذهب فاضطجع في مضجعي  
وتنفس بيردى الحضرمي فإن القوم سيفقدوني ولا يشهدون مضجعي ، فليعلم إذا  
رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا . فإذا أصبحت فاعد في أمانتي » ولم ينقل  
ما ذكره الجاحظ ، وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذه الجاحظ ولا أصل له . ولو كان  
هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه .

وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب وري بالحجارة قبل أن يعلوا من هو حتى  
تضور ، وأنهم قالوا له : رأينا تضورك ، فإننا كنا نرى عمداً ولا بضور . ولأن  
لفظة « المكروه » إن كان قالها إنما يراد بها القتل ، فعب أنه أمن من القتل كيف  
يأمن من الضرب والهوان ، أو من أن ينقطع بعض أعضائه ، وبأن سلت نفسه .  
أليس الله تعالى قال للبيه : « بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فإبلى رسالته  
والله بمصمك من الناس » . ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وأدميت  
ساقه ، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة . وكذلك المكروه الذي أومن على عليه  
السلام منه - إن كان صح ذلك الحديث - إنما هو مكروه القتل .

ثم يقال له : وأبو بكر لافضيلة له أيضاً في كونه في النار ؛ لأن النبي صلى الله عليه  
وآله قال له : « لا تحزن إن الله معنا » ، ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من  
كل سوء ، فكيف قلت « ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في النار مثل ذلك »  
فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابٌ عما أورده . فنقول له : هذا ينقلب عليك  
في النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة أمره ، فيجب على  
قولك ألا يكون مثاباً عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من  
الأذى ، إذ كان أيقن بالسلامة والفتح في غده <sup>(١)</sup> .

(١) ط : « عدته » أي وعده ، وأثبت ما في الأصل .

( ١٩ )

ص ٤٥ - ٤٧ من المئانية

لقد أعطى أبو عثمان مقولا وحرّم معقولا ، إن كان يقول هذا على اعتقاد ورجد ، ولم ينهب به مذهب اللب والمزل ، أو على طريق التفاسح والتشادق ، وإظهار القوة والسلطة ، وذلاقة اللسان ، وحدة الخاطر ، والقوة على جدال الخصوم .

ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أشجع البشر ، وأنه خاض الحروب وثبت في الواقف التي طاشت فيها الأبواب وبلغت القلوب الحناجر . فنها يوم أحد ووقفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة : على والزبير وطلحة وأبو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فئيت نبه ، وانكسرت سية قوسه ، واقطع وتره ، فأمر عكاشة بن محسن أن يوترها فقال : يا رسول الله لا يبلغ الوتر . قال : أوتر ما بلغ . قال عكاشة : فوالذي بشفه بالحق لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبرا على سية القوس ، ثم أخذها فا زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت . وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليه بمضنا فأبى وتناول الحربه من الحارث بن الصمة ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير . قالوا : فقتلنا عنه تطاير الشعائر<sup>(١)</sup> ا فطلعه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور . ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه لإلا قوله تعالى : « إِذْ تُصِدُّونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَخْدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي آخِرِكُمْ » . فكونه عليه السلام في أخراهم وهم يصمدون ولا يلوون هاربين دليل على أنه ثبت ولم يفر .

وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأدين ، وقد فر المسلمون كلهم ، والنفر التسعة محذقون به : العباس آخذ بحكمة بنائه ، وعلى بين يديه مصلت سيفه ، والباقون حول بنلة رسول الله صلى الله عليه وآله بمنة ويسرة ، وقد انهزم المهاجرون

(١) جمع شرور ، وهو ما يجتمع على ديرة البعير من الدبان .

والأنصار ، وكلا فروا أقدم هو صلى الله عليه وآله ، وصم مستقدا يلقى السيوف  
والنبل بنجره وصدره ، ثم أخذ كفا من البطحاء وحصب للشركين وقال :  
شاهت الوجوه !!

والخبر المشهور عن علي عليه السلام وهو أشجع البشر : « كنا إذا اشتد البأس  
وحى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولُدْنَا بِهِ » . فكيف يقول  
الجاحظ : إنه ماخض الحرب ولا خالط السيوف . وأى فرية أعظم من فرية من نسب  
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ثم أى مناسبة بين  
أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقسه الجاحظ به <sup>(١)</sup> وينسبه  
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة ، ورئيس الإسلام والملة  
والملاحظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإعلاء والإشارة ، وهو الذى أحق  
قرباً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ،  
ثم وزمهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم . وحق لثله إذا تضحى عن الحرب واعتزلها  
أن يتضحى ويمتزل ، لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء ، إذ كان الجيش منوطاً بهم  
ويقائهم ، فتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه  
وإن عطب جيشه بأن يستجد جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك  
الحرب بنفسه ، وخطبوا الإسكندر لما بارز فوراً <sup>(٢)</sup> ملك الهند ، ونسبوه إلى عجابه  
الحكمة ، ومفارقة الصواب والحزم . فليقل لنا الجاحظ : أى مدخل لأبي بكر في هذا  
المعنى ؟ ومن الذى كان يعرفه من أعداء المسلمين <sup>(٣)</sup> ليقصده بالقتل ، وهل هو إلا واحد  
من عرض المهاجرين حُكمه حكم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ، بل كان  
عثمان أبه صيتاً <sup>(٤)</sup> وأشرف منه مركباً ، والعيون إليه أطمع ، والدو عليه أحق

(١) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من المطبوعة .

(٢) ط : « قوسراً » صوابه في الأصل . وفي معجم استيفاجس ٩٤١ أن « فوراً » واجا قنوج  
قتله الإسكندر .

(٣) ط : « الإسلام » .

(٤) ط : « أكثر منه صيتاً » .

وأكلب . ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضمناً أو يحدث فيه وهناً ، أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تتدس وتنفى آثارها وتنطمس منارها ، ليقول الجاحظ إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في مجانبة الحروب واعتزالها . نموذجاً لله من الخذلان !

وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسيرة معرفة ، وبالأثار والأخبار ممارسة ، حال حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كانت ، وحاله عليه السلام فيها كيف كانت ، ووقوفه حيث وقف ، وحر به حيث حارب ، وجلسه في العريش يوم جلس ، وأن وقوفه صلى الله عليه وآله وقوف رياسة وتدير ، ووقوف ظهر وسند ، يشرف أمورا أصحابه ويحرس سنيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم ، وتحلفه عن التقدم في أوائلهم ، ولأنهم متى علموا أنه في أخراهم اطمأنت قلوبهم ، ولم يتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوم ، ولا يكون لهم فيئة يلجئون إليها ، وظهر يرجعون إليه ، ويمهلون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم مواقفهم ، وآوى كل إنسان مكانه في الحماية والنكاية ، وعند المنازلة في الكرّ والحلة ، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم ، وأحى وأحرص لبيضتهم ، ولأنه المطلوب من بينهم ، إذ هو مدير أمورهم ووالى جماعتهم . ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف ، وأن صلاح الحرب في وقوفه ، وأن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته . فلترئيس حالات :

الأولى حالة يتخلف ويقف آخرها ليكون سنداً وقوة ، وردءاً وعدة ، وليتولى تدير الحرب ، ويمرر مواضع الخلل .

والحالة الثانية يتقدم فيها في وسط الصف ليقوى الضعيف ويشجع الناكس<sup>(١)</sup> . وحالة ثالثة وهي إذا اسطلم الفيلقان ، وتكافح السيفان ، اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح ، أو من مباشرة الحرب بنفسه ، فإنها آخر المنازل ، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد ، وفشالة الجبان الموء .

فأين مقام الرسالة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله وأين منزلة أبي بكر  
ليسوى بين المنزلتين ، ويناسب بين الحالتين ؟ !

ولو كان أبو بكر شريكا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة ، ومنحوا  
من الله بفضيلة النبوة ، وكانت قریش والعرب تطلبه كما تطلب محمدًا صلى الله عليه وآله  
وكان يدير من أمر الإسلام وتسريب المساكين وتجهيز السرايا وقتل الأعداء ما يديره  
محمد صلى الله عليه وسلم لكان للجاحظ أن يقول ذلك . فأما وحاله حاله وهو أضعف  
المسلمين جنانا ، وأقلهم عند العرب تيرة ، لم يرم قط بسهم ولا سل سيفاً ،  
ولا أراق دما ، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ، ولا طالب ولا مطلوب ،  
فكيف يجوز أن يحمل مقامه ومنزله مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزله .  
ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع الشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام مفيظا عليه فسل  
من السيف مقدار إصبع يوم البروز إليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله :  
يا أبا بكر ، شمس سيفك وأمتنا بنفسك ! ولم يقل له « وأمتنا بنفسك » إلا لأنه  
ليس أهلا للحرب وملاقة الرجال ، وأنه لو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران وقتل أبطال  
الشرك . وهل قامت عهد الإسلام إلا على ذلك ؟؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك ؟!  
أترأه لم يسمع قول الله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله سفا كأنهم بنيان  
مرصوص » . والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب . فكل من كان أشد ثبوتا في هذا  
الصف وأعظم قتالا ، كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هو الأكثر ثوابا . فلي  
عليه السلام إذن هو أحب المسلمين إلى الله ، لأنه أثبتهم قدما في الصف المرصوص  
لم يفر قط بإجماع الأمة ، ولا بارزه قرن إلا قتله .

وأترأه لم يسمع قول الله تعالى : « فضل الله المجاهدين على القاعدین أجر أعظما »  
وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل  
الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن » ، ثم قال سبحانه



مؤكداً لهذا البيع والشراء : « وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِ اللَّهِ بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » . وقال الله تعالى : « ذَلِكَ بَأْنَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَظَمًا وَلَا نَسَبًا وَلَا مَخْمَصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطُؤُونَ مَوْطِنًا يَنْفِطُ الْكُفَّارُ وَلَا يَنْتَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ » .

فواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبمضمهم في ذلك أفضل من بعض . فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ، ومن وقف في المركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المركة وأعان ولم يقدم إلا أنه بحيث تناله السهام والتبيل ، أعظم غناء وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك . ولو كان الضميف والجبان يستحقان الرئاسة بقلة بسط الكف وترك الحرب ، وأن ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله ، لكان أوفر الناس حظاً في الرئاسة وأشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت . وإن بطل فضل على عليه السلام في الجهاد لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أقلهم قتالاً — كما زعم المجاحظ — ليطلن على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالا .

وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش ، ونظرت السير وقرأت الأخبار ، عرفت أنها كانت تطلب محمداً صلى الله عليه وآله وتقصد قصده ، وتروم قتله ، فإن أعجزها وفاتها طلبت علياً عليه السلام وأرادت قتله ، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدهم عنه دلفاً ، وأنهم متى قصدوا علياً فقتلوه أضغفوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكته ، إذ كان أعلى<sup>(١)</sup> من ينصره في البأس والقوة والشجاعة ، والنجدة والإقدام والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيعة وابنه الوليد بن عتبة ، فأخرج إليهم الرسول نقرأ من الأنصار فاستفسبهم فانتسبوا لهم ، فقالوا : ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا : يا محمد ،

(١) هنا ما في ط . وفي الأصل : « على » .

أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءًا مِنْ قَوْمِنَا . فقال النبي صلى الله عليه وآله لأهله الأدينين : قوموا يا بني هاشم فانصروا حقكم الذي آتاناكم الله على باطل هؤلاء ، قم يا علي ، قم يا حمزة ، قم يا عبيدة . ألا ترى ما جئت ههنا لئن قتلته يوم أحد لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر ؟ ألم تسمع قول همد بن ثعلبة :  
 ما كان لي عن عتبة من صبر أبي وعمي وشقيقتي صدري  
 أخى الذي كان كضوء البدر بهم كسرت يا علي ظهري  
 وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة ، وشريك في قتل أبيها عتبة . وأما عها

شبية فإن حمزة تفرد بقتله

وقال جبير بن مطعم لوحتني مولاه يوم أحد : إن قتلت عمدا فأنت حر ، وإن قتلت حمزة فأنت حر ! فقال : أما محمد فسيمنه أصحابه . وأما علي فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب ، ولكنني سأقتل حمزة . فقدم له وزرقه بالحربة فقتله .

ولما قتلناه من مقاربة حال علي عليه السلام في هذا الباب لحال رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومناسبتها إياها ، وما وجدناه في السير والأخبار من إشفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحذره عليه ، ودعاه له بالحفظ والسلامة ، قال صلى الله عليه وآله يوم الخندق وقد برز علي إلى عمرو ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه : « اللهم إنك أخذت مني حمزة يوم أحد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليوم [ علي ] <sup>(١)</sup> عليا ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » . ولذلك صنّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو والناس إلى نفسه مراراً ، في كل ما يجمعون ويقدم على ، فيسأل الإذن في البراز حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه عمرو ! فقال : وأنا علي ! فأذن له وقبّله وعمه بمهامة ، وخرج معه خطوات كالودع له القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه . ثم لم يزل صلى الله عليه وآله رافضاً يديه إلى السماء مستقبلاً لها بوجهه ، والمسلمون صموت حوله كأنما على رؤوسهم الطير ، حتى ثارت الغبرة وصموا التكبير من تحنها

فعلوا أن علياً قتل عمراً ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال حذيفة بن اليمان : « لو قسمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسمهم » . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » قال : بلى بن أبي طالب .

(٢٠)

ص ٤٧ من المئانية

فيقال للجاحظ : فعلى أيها كان مشى على بن أبي طالب إلى الأفران بالسيف ؟ فأيماً قلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ولرسوله . وإن كان مشيه ليس على وجه مما ذكرت وإنما كان على وجه النصرة والقصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة ، والجهاد في سبيل الله وإعزاز الدين ، كنت بجميع ما قلت ممانداً ، وعن سبيل الإنصاف خارجاً ، وفي إمام المسلمين طاعنا . وإن تطرق مثل هذا يوم علي عليه السلام ليصطرقن مثله على أعيان المهاجرين والأنصار وأرباب الجهاد والقتال ، الذين نصرروا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهم ، ووقوه بمهجهم ، وفدّوه بأبنائهم وآبائهم . فلمل ذلك كان لمة من الملل المذكورة ، وفي ذلك الطمن في الدين ، وفي جماعة المسلمين .

ولو جاز أن يتوهم هذا في علي عليه السلام وفي غيره لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى لأهل بدر : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، ولا قال لملي عليه السلام : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » ، ولا قال : « أوجب طلحة<sup>(١)</sup> » .

وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تنظيمه لملي عليه السلام تنظيماً دينياً لأجل جهاده ونصرته ، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) أي عمل عملاً أوجب له الجنة .

وآله ؛ إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى ، بل لأمر آخر من الأمور التي عدّها وبشّه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيد ، والإفراط في عداوة من أمر الله بحبّه ، ونهى عن بنفسه وعداوته . أترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من أمر على عليه السلام ملاح للجاحظ والمهانة ، فدحه وهو غير مستحق للمدح .

## (٢١)

ص ٤٧ و ٤٨ من السهانية

فيقال له : فلعل إيفاق أبي بكر كما تزعم أربعين ألف درهم لا ثواب له ، لأن نفسه ربما تكون غير معتدّة ، لأنّه يكون مطبوعاً على الجود والسخاء ، ولعل خروجه مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة إلى النار<sup>(١)</sup> لا ثواب له فيه ، لأن أسبابه كانت له صهيبة ، ودواعيه غالبية ؛ لحبّه - كان - الخروج ، وبفسه - كان - المقام<sup>(٢)</sup> . ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه إلى الإسلام ، وإكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل ، وتدييره أمر الأمة ، لا ثواب له فيه ، لأنه تكون نفسه غير معتدّة ، بل يكون في طباعه الرياسة وحبها ، والعبادة والالتذاذ بها .

ولقد كنا نعجب من مذهب أبي عثمان أن المعارف ضرورة ، وأنها تقع طباعاً . وفي قوله بالتولّد ، وحركة الحجر بالطبع ، حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه ، فزعم أنه ربما يكون جهاد على عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه ، لأنه فعله طباعاً . وهذا أطرف من قوله في المعرفة وفي التولّد<sup>(٣)</sup> .

(١) إلى النار ، ساقطة من ط .

(٢) في ط : « غالبية حجة الخروج وبض المقام » .

(٣) انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٢٢)

ص ٤٩ - ٥٠ من الثمانية

هذا راجع على الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله ، لأن الله تعالى قال له : « والله يمصمك من الناس » فلم يكن له في جهاده كبير طاعة وكثير طاعة . وكثير من الناس يروى عنه صلى الله عليه وآله : « اقتدوا بالذين من بدى أبي بكر وعمر » . فوجب أن يطل جهادهما . وقد قال للزبير : « ستقاتل عليا وأنت ظالم له » فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال في الكتاب العزيز لطلحة : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده » قالوا : نزلت في طلحة . فأعلمه بذلك أنه يبقى بعده . فوجب أن لا يكون لها كبير ثواب في الجهاد .

والذي صح عندنا من الخبر ، وهو قوله « ستقاتل بدى الناكثين » أنه قاله لما وضعت الحرب أوزارها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ووُضعت الجزية ودان العرب قاطبة .

(٢٣)

ص ٥٨ - ٥٩ من الثمانية

أمر عمرو بن عبد ود أشهر وأكثر من أن يحتج له ، فليتلحّ كُتب النازي والسير ، ولينظر ما رمته به شعراء قريش لما قتل .

فمن ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في منازبه قال : وقال مسافع بن عبد مناف ابن زهرة بن حذافة بن ججم ، يبيكي عمرو بن عبد الله بن عبد ود ، حين قتله علي بن أبي طالب عليه السلام مبارزة ، لما جَزَعَ المذاذ<sup>(١)</sup> - أي قطع الخندق .

(١) ط : « لُحْية المروج وبغض المقام » وصواب النص من الأصل . و « كان » تزد بين المتلازمين .

(١) المذاذ ، بالفتح المعجمة : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق . ط : « المزار » صوابه في الأصل .

عمرو بن عبد كان أول فارس  
 سمح الخلائق ماجد ذومرة  
 ولقد علمت حين ولوا عنكم  
 حتى تكفه الكأه وكلمهم  
 ولقد تكففت الفوارس فارساً  
 سال النزال هناك فارس غالب  
 فاذهب على ما ظفرت بمثلها  
 نفسى الفداء لفارس من غالب  
 أعنى الذى جزع الذاد ولم يكن  
 وقال هُبيرة بن أبي وهب الخزوى ، يستند من فراره عن على بن أبي طالب  
 وركه تمرأ يوم الخندق ويكيه :

لمرك ما وليت ظهري محمداً  
 ولكننى قلبت أرى فلم أجد  
 وقفت فلما لم أجد لى مقدما  
 ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد  
 فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا  
 ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا  
 فمن لطراد الخيل تُدع بالقتنا  
 هناك لو كان ابن عمرو رازها  
 كفتك على لن ترى مثل موقف  
 فا ظفرت كفاك يوماً بمثلها

وأصحابه جيناً ولا خيفة القتل  
 لسبق غناء إن وقفت ولا نبلى  
 صدرت كضرقام هزير أبى شبل  
 بجالا وكان الحزم والرأى من فعلى  
 فقد ميت محمود التنا ماجد القبل  
 فقد كفت فى حرب المدى مرهف النصل  
 وللبذل يوماً عند قرقرة البزل  
 لفرجها عنهم فتى غير ما وقل  
 وقفت على شلو القدم كالنحل  
 أمنت بها ما عشت من زلة النمل

(١) بيل هو وادى الصفاء ، دوين بدر -

(٢) ط : « فيهم لم يجبل » .

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً يرثي عمرا ويكيه :

لقد علت عليا لؤى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب  
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه على وأن الموت لا شك طالب  
عشبة يدعوهُ على وإياه لفارسها إذ خلم عنه الكتاب  
فيا لهف نفسي إن عمرا لكان يثرب لا زالت هناك المصاب  
لقد أحرز الملبأ على بقتله ولاخير يوما لاعالة جالب  
وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرا :

أسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً كيف العبور وليته لم ينظر  
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جنادنا لم تُهَمَّر  
ولقد لقيت غداة بدر عصبة ضربك ضرباً غير ضرب الحمر  
أسبغت لا تدعى ليوم عتيلة ياعمرو أو لجسيم أمر متكر  
وقال حسان أيضاً :

لقد شقيت بنو جح بن عمرو وغزومٌ وتيم ما تُقيل<sup>(١)</sup>  
وعمره كالحسام فقي قريش كأن جبينه سيف سقيل<sup>(٢)</sup>  
فقي من نمل طامر أرمحي تطاوله الأسنة والنصول  
دعاه الفارس للقدام لما تكشفت القناب والخيول  
أبو حسن فقتله حماما جُرازا لا أقبل ولا نكول  
فنادره مكيًا مُسلِحًا على عفرأ لا بَعْدَ القتل  
فهذه الأسماء فيه ، بل بعض ما قيل فيه .

وأما الآثار والأخبار فوجودة في كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم . وليس  
أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمرا إلا قال : كان فارس قريش وشجاعها . وإنما قال  
له حسان :

(١) في الأصل : « لقد شقيت » و « ما تقيل » .

(٢) هذا البيت ساقط من ط .

\* ولقد لقيت غداة بدر عصابة \*

لأنه شهد مع المشركين بدرأً وقتل قوماً من المسلمين ، ثم فر مع من فرو لحق بمكة . وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ألا يدعوهم أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه . وآثاره في أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع ، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتيبة وبسطام وعامر ؛ لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية ، وقريش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر ، لا يرون الغارات ولا يهبطون غيرهم من العرب ، وهم مقتصرون على المقام يبلدتهم وحماية حرمهم ، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء .

ويقال له : إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك ، فما باله لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدم فصار مع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله على أرض واحدة ، وهم ثلاثة آلاف ، ودعاهم إلى البراز مراراً ، لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه ، ولا سمح منهم أحد بنفسه ، حتى وُجِّعهم وقرعهم وناداهم : ألسنتم تزعمون أنه من قتل منا فإلى النار ومن قتل منكم فإلى الجنة ؟ أفلا يشتاق أحدكم أن يذهب إلى الجنة أو يقدم عدوه إلى النار ؟ فجنبوا كلهم ونكلوا ، وملكهم الرعب والوهل . فإيا أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه ، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفسلهم .

وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما نكل القوم بجمعهم عنه ، وأنه جال بفرسه واستدار ، وذهب بمنة ثم ذهب بسرة ، ثم وقف تجاه القوم فقال :

ولقد بحت من الندى • بجمعهم هل من مُبارزٍ  
ووقفت إذ جُبن المشي • مع وقفة القرن الناجز  
وكذاك أنى لم أزل متسعاً نحو المراهز  
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير التراز

فلما برز إليه على أجابه فقال له :

لا تمجلن فقد أنا لك محبب صوتك غير عاجز



دو نية وبصيرة يرجو النداء نجاة قاز  
إني لأرجو أن أقبى م عليك نائمة الجنائز  
من ضربة تفقى ويسى ذكرها عند المزار

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الأنصار لما رجع رسول الله  
من بدر وقال فقى من الأنصار شهد معه بدرًا : « إن قتلنا إلا مجازئ سلما ! » فقال له  
النبي صلى الله عليه وآله : « لا تفل ذلك يا ابن أخ ، أولئك الملا ! » .

### ( ٢٤ )

ص ٥٩ من السبانية

كل من دون أخبار قريش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة ،  
وكان مع شجاعته أيداً يصارع الثقيان فيصرعهم ، وليس لأنه لم يشهد حرباً قبلها  
ما يجب أن يكون بطلاً شجاعاً ، فإن علياً عليه السلام لم يشهد قبل بدر حرباً ،  
وقد رأى الناس آثاره فيها .

### ( ٢٥ )

ص ٦٢ من السبانية

أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه ، وجمهورهم يروى  
أنه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا على وطلحة والزبير وأبو دجانة .  
وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ولم يخلص ، وهو عبد الله بن عباس . ومنهم  
من أثبت سادساً وهو القناد بن عمرو .

وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال : قلت لأبي : كم ثبت مع رسول الله  
صلى الله عليه وآله يوم أحد ؟ فقال : اثنان . قلت : من هما ؟ قال : علي وأبو دجانة .  
وهب أبو بكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ ، أيجوز له أن يقول : ثبت  
علي ، فلا نفر لأحدهما على الآخر ، وهو يطم آثار علي عليه السلام ذلك اليوم وأنه

قتل أصحاب الألوكة من بني عبد الدار ، منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه أنه مردف كبشا فأوله وقال : كبش الكتيبة قتلته<sup>(١)</sup> . فلما قتله على عليه السلام مبارزة — وهو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم — كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : هذا كبش الكتيبة !

وما كان منه من الحماسة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فر الناس وأسلموه ، فتصمد له كتيبة من قريش فيقول : « يا علي » ، اكفني هذه . فيحمل عليها فيهمزها ويقتل عبيدها ، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء :

لا سيف إلا ذو الفقار . ولا فتى إلا عليّ

وحتى قال النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ما قال .

أتكون هذه آثاره وأفعاله ثم يقول الجاحظ : لا تغر لأحدهما على صاحبه !

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

## (٢٦)

ص ٦٢ من المئانية

ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر ؛ فإنه لو تسممه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب ، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله له : ارجع ، دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد ، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه ، وأنت تعلم حنو الابن على الأب وتبجيله له وإشفاقه عليه وكفه عنه ، لم يحتمل مبارزة النريب الأجنبي . وقوله له « ومتنا بنفسك » إيدان له بأنه كان يقتل لو خرج . ورسول الله كان أعرف به من الجاحظ . فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلب بالحرب ، ومضى إلى السيف بالسيف ، قتل السادة والقادة ، والفرسان والرجالة .

(٢٧)

ص ٦٢ من المئانية

أما قوله « إنه بذل الجهد » فقد سبق . وأما قوله « لا حال أشرف من حاله » فخطأ ، لأن حال من بلغت قوته أضعاف قوته فأعملها في قتل المشركين ، أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الناية . ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأة ، وحال البالغ الأبد أشرف من حال الصبي الضعيف .

\*\*\*

قال ابن أبي الحديد :

فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي رحمه الله في نقض المئانية ، اقتصرنا عليها هنا . وسنمود فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره .

\*\*\*

وأنا أقول : قد تبينت ما تلا هذا القول مما ورد في أثناء الشرح من نصوص ، فوجدت أن ابن الحديد قد وقف عند هذا الحد ولم يورد في كتابه نصاً آخر من نصوص رد الإسكافي يزيد عما نقله في هذه المواضع التي حرصت على أن أقرنها هنا بالمواضع التي استدعت الرد .

(٢٨)

ص ١٠٧ - ١٠٨ من المئانية

إن أبايمان يجرُّ على نفسه مالا طائفة له به من مطاعن الشيعة . ولقد كان في غنية عن التعلُّق بما تعلَّق به ، لأن الشيعة زعم إن هذه الآية بأن تكون طعنًا وعباساً على أبي بكر أولى من أن تكون فضيلة ومنقبة له ، لأنه لما قال له « لا تحزن » دلَّ على أنه قد كان حزينًا وقنط ، وأشفق على نفسه ، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين .

ولا يجوز أن يكون حزنه طاعةً ، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة ، فلو لم يكن ذنباً لم ينه عنه . وقوله « إن الله معنا » أى إن الله عالم بحالنا وما نضمه من اليقين أو الشك ، كما يقول الرجل لصاحبه : لا نضمركَ سوءاً ولا تنوينَ قبيحاً ، فإن الله تعالى يعلم ما نُسرّه وما نملنّه . وهذا مثل قوله تعالى : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » . أى عالم بهم . وأما السكينة فكيف يقول إنها ليست راجعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبسببها قوله : « وأيدهمجنود لم تروها » . أرى المؤيد بالجنود كان أبابكر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وقوله « إنه مستغن عنها » ليس بصحيح . ولا يستغنى أحد عن ألطاف الله تعالى وتوفيقه وتأيدته وتثبيت قلبه . وقد قال الله تعالى فى قصة حُثَيْن : « وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » . ثم أنزل الله سكينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الصحبة فلا تدلُّ إلّا على المراقبة والاصطحاب . وقد تكون حيث لا إيمان ، كما قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك » .

ونحن وإن كنا نمتدّ لإخلاص أبى بكر وإيمانه الصحيح السليم ، وفضيلته التامة ، إلّا أننا لا نمتدّ له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية ، ولا نتملق بما يجرّ علينا دواهي الشيمة ومطاعنها .

(٣٩)

وهي مناقضة لم أعثر على النص الذى سبقت له من الثمانية  
وقد جاءت فى شرح ابن الحديد عقب المناقضة رقم ١٨

قال الجاحظ :

وعلى أنا لو زلنا إلى ما يريدونه جعلنا الفراش كالنار وخلصت فضائل أبى بكر  
فى غير ذلك عن معارض .

\*\*\*

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله :

قد بينّا فضيلة البيت على الفراش على فضيلة الصخرة فى النار بما هو واضح  
لن أنصف . وزيد هنا تأكيذاً بما لم نذكره فيما تقدم . فنقول :

إن فضيلة البيت على الفراش على الصخرة لوجهين :

أحدهما أن علياً عليه السلام قد كان أنس بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وحصل  
له بمصاحبه قديماً أنس عظيم ، وإلف شديد ، فلما فارقه عدم ذلك الأنس وحصل  
به أبو بكر ، فكان ما يجده عليه السلام من الوحشة وألم الفرقة موجباً زيادة ثوابه ،  
لأن الثواب على قدر المشقة .

وثانياً : أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة ، وقد كان خرج من قبل فرد ،  
فازداد كراهية للمقام ، فلما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق ذلك  
هوى قلبه ومحبوب نفسه ، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازى فضيلة من احتمل  
المشقة العظيمة ، وعرض نفسه لوقع السيوف ، ورأسه لرضخ الحجارة ، لأن على  
قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب .

تمت المناقضات



# الفهارس

- ١ - فهرس القرآن الكريم . . . . . ٣٤٦
- ٢ - » الحديث . . . . . ٣٤٨
- ٣ - » الأمثال . . . . . ٣٤٩
- ٤ - » الشعر . . . . . ٣٤٩
- ٥ - » الأعلام . . . . . ٣٥٠
- ٦ - » القبائل والجماعات . . . . . ٣٥٦
- ٧ - » البلدان والمواضع . . . . . ٣٥٨
- ٨ - » الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف . . . . . ٣٦٠
- ٩ - » » » بالمعارف العامة . . . . . ٣٦٣

## ١ - فهرس القرآن الكريم

صفحة

السورة	الآية	
٢ - البقرة	٤٨	واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
	١٢٤	انى جعلك للناس اماما
	١٤٢	وكنك جملناكم امة وسطا
	١٩١	والفتنة اشد من القتل
	٢٠٨	يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة
٣ - آل عمران	١٨٥	كل نفس ذائقة الموت
٤ - النساء	٢٠	وايتيم احباكم قنطرا
	٥٩	اطيعوا الله واطيعوا الرسول
٥ - المائدة	٢٧	واتل عليهم نبا ابنى آدم
	٢٩	وذلك جزاء الظالمين
	٢٤	الهب انت وربك فقاتلا
	٥٤	فسوف ياتي الله بقوم يعجبهم ويهينونه
	٥٥	انما وليكم الله ورسوله
	٥٦	ومن يتول الله ورسوله
	٧٥	ما المسيح بن مريم الا رسول
	١١٨	ان تعلمهم فانهم عبادة
	١٥٦	اخلفنى في قومي
٨ - الانفال	٦٨	لولا كتاب من الله سبق
٩ - التوبة	٢٣	ليظهره على الدين كله
	٤٠	الا تنصروه فقد نصره الله
	١٠١ - ١٠٠	١٠١ - ١٠٠
	١٠٢ - ١٠١	١٠٢ - ١٠١
	٤٠	وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
	٥٨	ومنهم من يلزمك في الصدقات
	١١٩	يا ايها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
	٦٩	ربنا اطمس على اموالهم
	٤١	لو ان لى بكم قوة
	٤٢	ونادى نوح ابنه وكان في معزل
	٤٦	انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
	١٢٠ - ١٢١	١٢٠ - ١٢١
	٦٩	قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم
	٣٦	فمن تيمنى فانه منى
	٤٧	اخواتنا على سرر متقابلين
	٤٢	فاسالوا اهل الذكر
	١٠٦	الا من اكفر وقلبه مطمئن بالايمان
	٧٤	لقد كنت تركن اليهم
	٥٤	والذكر في الكتاب اسماعيل
	١٢٨	



صفحة

السورة	آي	واذكر في الكتاب ادريس	١٢٨
٢٠ - طه	١١٥	فتمسى ولم نجد له عزما	٩١
٢١ - الانبياء	٢٥	كل نفس ذائقة الموت	٨٠
	٦٧	اف لكم ولا تسمعون من دون الله	٦٨ - ٦٩
	٧٩	ففهمناعا سليمان	٩١
	٨٧	وذا النون اذ ذهب مغاضيا	٩١
٢٤ - النور	٢٢	ولا ياتل اولو الفضل منكم والسمة	١١٢ ، ٥٥
٢٦ - الشعراء	٨٨ ،	يوم لا ينفع مال ولا بنون	٢٠٨
٢٨ - القصص	٢٦	يا ايت استاجرته	٨٦
	٨٨	كل شيء هالك الا وجهه	٨١
٢٩ - المتكويث	٥٧	كل نفس ذائقة الموت	٨٠
٣١ - لقمان	٢٣	يا ايها النسي اتقوا ربكم واخشوا يوما	٢٠٨
٣٥ - فاطر	٤٥	ولو يراخذ الله الناس	٩٢
٣٧ - الصافات	١٤٢	فالتقمه الحوت وهو مليم	٩١
٣٨ - ص	٢٠	واتيناه الحكمة وفصل الخطاب	٩١
	٢١	وهل الاك نبي الخصم	٩٢
٣٩ - الزمر	٢٠	انك ميت وانهم ميتون	٨٠
٤٤ - الدخان	٤١	يوم لا ينفي مولى عن مولى شيئا	٢٠٨
٤٦ - الاحقاف	١٧	والذي قال لوالديه اف لكما	١١٢
٤٧ - محمد	٢٥	لا تهتوا وتدعوا الى السلم	٢٥
٤٨ - الفتح	٢	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك	٩٢
	١٦	قل للمطففين من الاعراب	١١٤
	٢٧	لتدخلن المسجد الحرام	٧٨
٤٩ - الحجرات	٤	ان الذين ينادونك من وراء الحجرات	١٩٤
	١٢	ان اكرمكم عند الله اتقاكم	٢٠٢
٥٠ - ق	١٩	وجاءت سكرة الموت بالحق	٨٧
٥١ - القاريث	٥٦	وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون	٢٥٦
٥٣ - النجم	٢٧	وابراهيم الذي ولى	٢٠٦
	٣٩	وان ليس للانسان الا ما سعى	٢٠٧ ، ٢٠٦
٥٧ - الحديد	٢٦	ولقد ارسننا نوحا وابراهيم	٢١١
	٢٨	لا يستوى منكم من اتقى	١٠
٦١ - الصف	٩	ليظهره على الدين كله	٧٩ ، ٨١
٦٥ - الطلاق	٢	واشهدوا ذوي عدل منكم	٢٧٧
٦٦ - التحريم	١٠	كلنا تحت عيدين من عبادنا صالحين	٢١٠
٦٧ - الملك	٢٢	افمن يمشى مكبا على وجهه	١١٣ - ١١٤
٧١ - نوح	٢٦	رب لا تفر على الارض من الكافرين ديارا	٦٩
٨٠ - عيسى	١	عيسى وتولى	٩٢
٩٢ - الليل	٥ - ٢١	فاما من اعلى واتقى	٢٥ ، ١١٤

## ٢ - فهرس الحديث

٢١٧ ، ٢٣	بلال سابق الحبش	٥٣	أنشأ أبا بكر
٤٤	نقش يبردى الحضرمي	١٤٨	أبو بكر وعمر سيذا كهول أهل الجنة
١٤٠	خير أهل الله عمر بن الخطاب	١٤٠	أبو سفيان خير أهلي
٨٦	رضيت لأمتي مارضى لها ابن أم عبد		أبي الله ورسوله إلا أن يصلى
٢٣٤ ، ١٤١		١٦٦ ، ١٦٥	أبو بكر
١٦٤	الرفيق الأعلى	٦٣	أرجع إلى مكانك
١٢٣ ، ١٢٢	الزبير حواري	١٦٠ ، ٥٦	أردم فداك أبي وأمي
زبد وما زيد ! يسبقه عضو منه إلى		٧٥	أراني مكانها
٢٥٠ - ٢٤٩	الجنة	٢٠٧	أشرف الناس يوسف بن يعقوب
١٧٣	سكنون فتنه هذا فيها يومئذ على الحق	٩٤	أفرسكم زيد
٦٢	شم سيفك	١٤٣ ، ١٢٥	اقتدوا بالذين من بعدي
٢٢٣	الشيطان يفرق من حصه	٩٤	أفرؤكم أبي
٣٠	صبرا آل ياسر	١٥٠ ، ١٢٤	اللهم آتني بأحب الناس إليك
٢٢٣	ضرب بالحق على لسانه	٢٢٢	اللهم أعز الإسلام بعمر
١٢٢	عثمان ذو النورين	١٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٥	اللهم عاد من عاداء
٤١	عجبت من أخي لوط	١٢١	اللهم فقهه في الدين
٦٣	عليكم صاحبكم	١٦٤ ، ١٣١	الذين عنى صواحب يوسف
٥١	فإن ربى قد أذن لي في الهجرة	٢٨	أما والله لقد جئتم بالبلج
٧٧	قوموا فانصروا	٧٨	امسحوا بأعلى
١٤١	كم من ذي طمرين	٨١	أنبرت أن أقاتل الناس
٦٤	كيف ترون يا معشر المسلمين	١٣٧	أن أبا بكر لم يؤمنني فط
	كيف لا أستحي ممن تستحي منه	١٠٤	أن عادوا فعد
١٤١	اللائكة	١٦٤ ، ٨٥	أن عبادا من عباد الله
١٤٢	لا تؤذوا عمرا		أن من أمتي سبعين ألفا يدخلون الجنة
٣٩	لا هجرة بعد الفتح	٢٤٩	بغير حساب
١٣٠ ، ١٢٩	لا يبلغ عني إلا رجل مني	٢٤٩	أنت منهم
١٠٥	لعل الله أن يجعل لك صاحبا		أنت مني بمنزلة هارون
٢٢٣ ، ١٤١	لكل أمة أمين	١٥٣ - ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٨	
١٨٢	لن تزالوا بغيري	١٦٩ ، ١٦٣ ، ٦٥	أنفذوا جيش أسامة
١٤١	لو قال باسم الله رفعت اللائكة	٤٩	أنك ستقاتل بعدي الثالثين
١٤٨ ، ١٤٣	لو كنت متخذًا خليلا	١٣٥	أنه لم يكن نبي قبلي فيعوت
١٣٥	ليس أحد آمن علينا بصحبته	٢٣٦	أنه ليس سبب ولا نسب
٢٧٧	ليؤمكم خياركم	١٤١	أهتز العرش لموت سعد
١٤٨ ، ١٣٥ ، ٥١	ما أحدا من علينا بصحبته	٢٤	أهجمهم ومعك روح القدس
١٢٨	ما أقلت الغبراء	٧٤	الأيمن فلا يمين
١٢٧	مادعوت أحدا إلى الإسلام إلا . . .	١٢٧	أيها الناس إن الله بضئى

١١٢ ، ٧٢	هلا تركت الشيخ في رحله	٨٤	مامات نبي قط الا دفن حيث يقضى
١٣٦	هم الامر الخلافة	١٤٧	مامقالة بلغتني
٢٤	هيج الظلريف على بنى عبد مناف	٢٣٦ ، ٨٤	مامن رجل يلنب ذنبا
	والذى نفس بيده انى لقام على	١٢٧ ، ٦٨	مثل ابي بكر في الملائكة
٨٥	الحوضي	١٧٠	مروا ابا بكر فليصل بالناس
	والذى نفس بيده ما انا بهذا احق	٢٠٧	المسلمون تتكلموا دماؤهم
٢٠٧	من رجل من المسلمين	٦١	من اراد ان ينظر الى رجل يصب الله
٧٠	وانت الصديق	٨٢	من قبل الكلمة
١٢٧	وضع رجل حجره حيث احب		من كنت مولاة فعلى مولاة
	بابا بكر فصع حجرا الى جنب حجري	١٤٢ ، ١٢٤	١٤٥ ، ١٤٤
	١٢٦ - ١٢٧	١٢٩	منا خير فارس في العرب
٢٢٠	ياسلمان لا يقض العرب	٢٠٧	الناس كلهم سواء
٢٠٧	يا عباس بن عبد المطلب		نهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٢٧	يا عثمان خذ حجرا	٧١	الجمال عن سبعة
١٨١	يا على قم فانظر	٤٢	نم على فراشي
١٢٩	يا نعيم خير ذى يمن	٢١٦ ، ١٦٠ ، ٥٩	هذا خالى اباي فيه
١٤٢	يبعث يوم القيامة امة واحدة		هذان سيدا كهول اهل الجنة
١٨١	يفصل ذكره وانتيه	١٥٩ ، ١٣٦	٢٢٥

### ٣ - فهرس الأمثال

٢٢٠	لست منها في عمر ولا نفع	٢٢٠	القيت حبلك على غاربك
٢٢٠	ملى في هذا الامر ناقة ولا جمل	٧١	الحرب سجال
		٣٦	قلة المجال أحد اليسارين

### ٤ - فهرس الشعر

١٢٥ ، ١١١	منكر ابو معجن	٧٣	النساء
٢٢٢	الخنزى الغنصى	١١١	صاحباً كعب بن مالك
١٩٤	والأقوع عباس بن مرداس	٢٢٠	واب -
١٢٥	الصدىق الحارث بن هشام	١١٢	مطرد ( جنى )
١٢٥	الميوق الحارث بن هشام	١٢٦	محمد طريف بن عدى
١٢٧	الصدىق البارقى	١٢٧	معبد طليحة الأسدى
١١١	فضلا حسان	١٢٦	الصيد حسان
٢٠	جهل عمر بن يسر	١٢٥	دثر الحجاج
١٦٢	عظفا حسان	١٢٤	الكبرا شرح بن هنىء
١١٢	ومكان الحارث بن هشام	١١١	موازرا النجاشى

## • فهرس الأعلام

انس بن مالك	١٥٢ - ١٥٠ ، ١٢٤ ، ٧٥
( اهبان بن اوس ) مكلم النخب	١٦٢ ، ١٤٠
اوس بن ثابت	١٦١
ايمان بن عبيد	٦٦
ايوب عليه السلام	١٥٢
ابو ايوب الانصاري	١٨٢
اليارقي ، الشاعر	١٢٧
ابن المحرخان	٢١٢
بديل بن ورقاء الخزاعي	١٠٢ ، ٦٤
البراء بن مالك	١٤١ ، ٤٥
ابو برة الاسلمي	٩٦
ابن بريدة	١٤٤
بسطام بن قيس	٥٩
بسطام بن نرسی دهقان بابل	٢١٢
ابو بكر الصديق ، عبد الله ، عتيق	
ابن ابي فحافة	٢ ، ٤ ، ٦ ، ٢٤ -
	٢٥ ، ٢٩ - ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ -
	٥٧ ، ٦٠ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ -
	١٠٠ ، ١٠٢ - ١١٥ ، ١٢٠ - ١٢٢ ،
	١٢٥ - ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ،
	١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ - ١٧٢ ، ١٧٧ -
	١٨٥ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ١٩٢ - ٢٠٤ ،
	٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ -
	٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ،
	٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ -
بكر بن اخت عبد الواحد	٢٤٦
ابو بكر عروة بن الزبير	٢٢٤
ابو بكر بن علي ابي طالب	٢٢٧
ابو بكر الهللي	١٠٦
بلال ( بن رباح )	٢٠ ، ٢٢ ، ٥٤ ، ١٠٢ ،
	١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
	٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥
البوستان ؟	٢١٢
تمام	١٤٥
ثابت	١٢٧
جابر بن عبد الله	١٢١ ، ٩٢
آدم عليه السلام	٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٠٢ ،
	٢٠٨ ، ٢٠٩
ابراهيم عليه السلام	٦٨ ، ١٠٠ ، ١٢٧ ،
	٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١
ابراهيم التيمي	١٨٧
ابراهيم ( بن يزيد النخعي )	٨٨
( ابي بن خلف )	٤٦
« كعب	٨٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٢١
أحمد (محمد صلى الله عليه وسلم )	١١١
الأحنف بن قيس	٩٦
ابو احيحة	٧٢ ، ١٠٢
ابن ابي احيحة	١٩٢
الأخنس بن شريق	١٠٢
ادريس عليه السلام	١٢٨
الارسطاطاليس	٢٦٦
ابو ازهر	٢٤
اسلمة بن زيد	٦٥ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ١٤٦ ،
	١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٦٥ - ١٦٩ ، ١٧٥ ،
	٢١٦ ، ٢٤٢
اسحاق عليه السلام	٢١٨ ، ٢١٩
ابن اسحاق	٢٧
اسد قرشي = نوفل بن خويلد	
اسد الله = حمزة	
اسماء بنت ابي بكر ، ذات النطاقين	
	٢١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٨٧ ، ٢٢٤
اسماء بنت عيسى	٩٥ ، ٢٤٠
اسماعيل عليه السلام	٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٩
أسيد بن حضير	٦٢ ، ٧٢
ابن الأشج	١٢٧
الأشعث	٩٥
الأعمش	٩١ ، ١٤٤
الأفرع بن حابس	١٩٤ ، ٢١٧
أبو أمية بن سهل	١٦١
أنقلاص	٢١٢
الأمين ، أبو عبيدة الجراح	٢٢٢
أمية بن خلف	٢٢

٢٧ أبو الحكم ، أبو جهل  
الحكم بن أبي العاص  
١٢٦ ، ١٠٣  
حكيم بن حزام  
٢٢٢ ، ٢١٧ ، ٢١١  
حمزة ، أسد الله ، ٩ ، ٢٧ ، ٧٢ ، ١٢٢ ،  
١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٦٢  
حمى الدبر ( عاصم بن ثابت ) ١٣٩ ، ١٦٢  
حنيفة بنت هاشم ذي الرمحين ٢٧  
حنظلة بن أبي سفيان ٦٠ ، ٧١  
حنظلة بن أبي عاصم ، غسيل اللثة ٧١ ،  
١٤٠ ، ١٦٢  
حوشب ٢٤٦  
حويطب بن عبد العزى ٧٠  
بنت خازجة ، (وهي حبيبة) ٨٧ - ٨٨  
خالد بن بصيرى ٢١٢  
خالد بن سعيد بن العاصي ١٦٧ ، ١٧٢ ،  
١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٩ - ١٩٢ ، ١٩٦ ،  
٢٢٨  
خالد بن الوليد ٨٦ ، ١١٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩  
خباب بن الارت ٣ ، ٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ،  
٣٠ ، ١٠٣ ، ١٧٨  
أبو خبيب ، عبد الله بن الزبير ٢٢٤  
داود عليه السلام ٩١  
داود بن أبي هند ٨٩  
أبو دجاجة ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ - ٦٢  
أبو الدرداء ٨٨ ، ١٦٢  
هقنن بابل ٢١٣  
هقنن الفلوجة ٢١٣  
هقنن نهر الملك ٢١٢  
ات التظايق = اسم بنت أبي بكر  
٢٢٤ ، ٢١  
بوذر الخزاز ٢٩ ، ١٢٨ - ١٤٠ ، ١٤٠  
١٨٢ ، ٢٢٥  
ذو الكلاع ١٧٤ ، ٢٤٨  
ذوالنون = يونس بن متى ٩١  
ربيعة بن حراش ١٣١  
الربيع بن صبيح ١٦٥  
ربيعة بن الحارث ٦٦  
رشيد الهجرى ١٢٨  
رفيل ؟ ٢١٢

جارية بنى مؤمل ٢٤  
جالينوس ٢٢٦  
جبريل عليه السلام ، روح القدس  
٢٤ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢٧ ،  
١٦٤ ، ١٢٧  
جبر بن مطعم ٢٥  
جبريل بن عبد الله ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٨٢  
جمعة بن هيرة ١٦٠  
جعفر بن أبي طالب الطيار ٩ ، ٩٥ ، ١٠٦ ،  
١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ٢٤٠  
جعفر بن محمد ٤٢  
جليلة الصبادى ٢١٢  
جميل بن بصيرى ٢١٢  
أبو جهل ، أبو الحكم ، ٣٠ ، ٣١ ، ٢٧ ،  
١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٥  
جوير ١١٤  
حابس ١٩٤  
الحارث بن الصمة ٦٣  
الحارث بن ظالم ٢٦٦  
الحارث بن كلفة ٢٢٦  
الحارث بن هشام بن المغيرة ١١٢ ، ١٢٥ ،  
١٢٧ ، ١٢٨  
الحباب بن المنذر بن الجموح ٦٣  
حبيب بن ثابت ١٠٨  
حبيب بن مسلمة القهري ٩٤ ، ١٧٤  
الحجاج بن يوسف ١٥٠ ، ١٥٢  
أبو حذيفة بن عتبة ٦٠ ، ٦١ ، ١٩٤ ،  
٢١٧  
حذيفة بن اليمان ١٣٦ ، ١٦٢ ، ١٨٠ ، ٢٢٦  
حرقوص بن زهير ١٧٤  
حسان بن ثابت ٢٤ ، ٥٥ ، ٧٣ ، ١١٠ ،  
١٢٦ - ١٢٨ ، ١٦٢  
أبو الحسن = علي بن أبي طالب ٩٦  
الحسن البصرى ٧٥ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ١٢١ ،  
١٢٣ ، ١٦٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦  
الحسن بن حى ٢٦٥  
الحسن بن علي بن أبي طالب ٩٦  
حسن ١٩٤  
حفصة أم المؤمنين ١٦٤ ، ١٣٠





عمر بن الخطاب ٦ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ،  
٥١ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١ ،  
٨٤ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ،  
٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،  
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،  
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،  
١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،  
١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،  
١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ،  
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ،  
٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ،  
٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،  
٢٧٤

عمر بن عبد العزيز ١٨٤  
عمر بن علي أبي طالب ٢٣٧ ، ٢٧٥  
عمرو بن العاص ١٢ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ٢٢٣ ،  
٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨

عمرو بن عبد ود ٥٩  
عمرو بن عبيد ٢٦٥  
عمرو بن واقد الفاسقي ١٧٤  
العوام بن حوشب ١٨٧  
عياش بن أبي ربيعة ١٤٦

عيسى بن مريم المسيح بن مريم عليه  
السلام ٩ ، ١٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٩ ،  
١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٥٣

عيسى بن يونس السبيعي ١١٦  
عينة بن حصن ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ،  
غسيل اللثة = حنظل بن أبي عامر

١٤٠ ، ١٦٣

ابن الفيلة ٢٣

غيلان ٢٦٥

الغاريق ، عمر ٢٢٣

فاطمة بنت أسد بن هاشم ٢٠٥

فاطمة بنت عتبة بن عبد شمس ٦١

فاطمة بنت محمد رسول الله ٧٢ ، ٢٣٦

فلكه ٢٠

فرعون ١٠٠

فروة بن نوفل الأشجعي ١٣ ، ١٧٤

الفضل بن نهم ١١٥

٥٧٤ ، ٧٥ ، ٥٧٩ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ،  
٩٥ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،  
١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ،  
١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ،  
١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،  
٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،  
٢٧٤ ، ٢٧٥

عثمان بن علي بن أبي طالب ٢٢٧

المعاج بن ربيعة ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨

ابن الصنوية = نوفل بن خويلد

عروة بن الزبير ٢٢٤

عروة بن مسعود ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٢

العزيز ، عزيز مصر ٨٦

ابن عفراء ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠

عقبة بن أبي معيط ١٠٣

عقيل بن أبي طالب ٩

عكاشة الفهمي ١٢٧

عكاشة بن محصن ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٤٩

مكرمة ٢٤٨ ، ١٢١

العلاء بن الحضرمي ١١٦

علي بن أبي طالب ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٤ ،  
١٨ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٨ ،  
٣٩ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ،  
٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ،  
٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ،  
٩٩ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،  
١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ،  
١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،  
١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ،  
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ،  
١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ،  
٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ،  
٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،  
٢٧٧

عمار بن ياسر ، أبو اليقظان ١١ ، ٢٩

٣٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ،

١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،

٢١٧ ، ٢٣٦

ابن عمر = عبد الله



٥٨	مرحب اليهودي	١٤٥ ، ٦٦	الفصل بن عيسى
٢٦٥	مرداس بن اديّة	٢١٢	فيروز بن يزدجرد ، دهقان نهر الملك
١٩٤	مرداس والد عيسى	٩٥	قيصة بن جابر الاسدي
٢٢٧ ، ١٢٦	مروان بن الحكم	٢٢٧ ، ١٠٦	قتادة
٨٨	مسروق	١٤٥	لقم
١١٥ ، ١١٢ ، ٥٥ ، ٥٤	مسطح بن اثالة	٤٤ ، ٧٢ ، ١١٢ ، ١١٧	أبو قحافة والد أبي بكر
١١٦			
١٨٢	أبو مسعود البصري		ابن أبي قحافة = أبو بكر
١٧٤	أبو مسلم الخولاني	٢٨	القرنات : طلحة وأبو بكر
١٧٤	مسلمة بن مفضل	٢٦٦	قيس بن زهير
	المسيح بن مريم = عيسى	٢١٤	قيس بن مكشوح
١٩٨ ، ١٨٥ ، ١٠٤ ، ٩٤ ، ٨٦	مسيلة		ابن أبي كيشة ( من سفاهة أبي سفيان )
٢٤٨		٧١	
١١٦ ، ٩٤ ، ٨٨	معاذ بن جبل	٢١٤ ، ١٨٦ ، ١٧٩ ، ١١٤ ، ٥٦	كسرى
١٧٤	معاوية بن حذيف	٢١٥	
٤٩ ، ١٢ ، ١٠	معاوية بن أبي سفيان		كعب بن مالك
٢٤٨ ، ٢٣٤ ، ٩٨ ، ٩٥		١١١	كعب بن مرة البصري
١٠٨	أبو معاوية الفرير	١٧٢	الكلي = محمد بن السائب
١٤٥	معبد	٨٨	أم كلثوم بنت أبي بكر
١٤٧	أم معبد	٢٢٧ ، ٢٣٦	أم كلثوم بنت علي
٢١٤ ، ١٨٢ ، ٩٥ ، ٩٤	الغفرة بن شعبة	٢٩ ، ٢٨	الكناني ( مالك بن الدفنة )
٢٢١ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ٥٧	الغداد بن عمرو	١٤٨ ، ١٠٠	لقمان
١٥٣	ابن أم مكتوم	١٠٢ ، ١٠٠	أبو لهب
١٧٤	مكحول	٢٠٩ ، ٤١	لوط
٧٠	مكرز بن حفص بن الأخيف	٢٨	( مالك بن الدفنة )
١٦٢ ، ١٤٠	مكلم اللب ، أميان بن أوس	١٢١ ، ١١٨	مجاهد
١٢٨	منصور النخري	١٢٥ ، ١١١ ، ٨٥	أبو معجن
٢٤٨	المهاجر بن أمية		محمد صلى الله عليه وسلم ٣٢ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٢٨ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦
٢٣٧	مهران بن بلال		محمد بن السائب الكلي
٨٦ ، ٨٠ ، ٦٩ ، ٥٧	موسى عليه السلام	١١٧	محمد بن عائشة
٩١ ، ١٠٠ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢		٢٢٥	محمد بن علي بن أبي طالب
١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩		١١٦	محمد بن مسلمة ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ١٥٢ ، ١٧٤
٣٦٠			المختار بن أبي عبيد
٨٨ ، ١١٦ ، ١٥٣	أبو موسى الأشعري	٩٦	ابن مغيرة البصري
٢٤٢			
١٣٧ ، ١٠٨ ، ٦٨	ميكائيل		
٢٦٦	النايفة		
١١١	النجاشي (الشاعر)		
١٠٦	النجاشي (ملك الحبشة)		

١٨١	هشام بن عروة	٢١٢	ابن النخعيان
١٨٧	هشيم	١٧٤	النعمان بن بشر
١٧٤	وائل بن الأسقع	٥٢	الثغالي (عبد الله بن أريقط)
٢٧	الواقدي	٢٣	النهدية
٢٢	ورقة بن نوفل	٢١١	نوح عليه السلام ٦٩ ، ٢٠٩ -
١١٥	وكيع	٢٧	نوفل بن خويلد ، أسد قريش
١٠٣ ، ٥٩	الوليد بن عتبة	١٥٣ ، ١٤٣ ، ١٥٢	هارون عليه السلام
٥٩ ، ٥٨	ياسر اليهودي	١٥٤ ، ١٥٦ - ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢٢٨	
١٢ ، ٩	يحيى بن زكريا ، عليه السلام	٢٤٦	هاشم الأوفى
١٨٢	أبو اليقظان ، عمار بن ياسر	٢٧	هاشم ذو الرمحين
١٢١ ، ٢٠٧	يوسف بن يعقوب عليه السلام	٢٢٠	هاشم بن عبد مناف
		٢٦٦	هرم بن سنان
١٥٦ ، ١٥٥	يوشع بن نون	١٢٦ ، ٢١٢	الهرمزان
٩١	يونس بن متى عليه السلام	٩٢ ، ٧٥	أبو هريرة

## ٦ - فهرس القبائل والجماعات

٩٤	البيروني	٢٦٩	الإباضية
٨٢	بكر بن وائل	٢٨ ، ٦٤ ، ٨٦	الأحباش
٢١٢	بلى	٥٩	الأحلاف
٢٤٨ ، ٨٢	نعيم	٢٦٩	الأزرقية
٢٦٩	التهاميون	٢١٤	الأساورة
١١١ ، ٩٩ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٦٠ ، ٢٧	تيم	٢١٨ ، ٢١٦	بنو اسحاق
١٢٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨		١٢٦ ، ٦٢	أسد
٢٢٨		١٥٥ ، ١٥٤ ، ٥٧	إسرائيل
١٠٢	ثقيف	٢١٨ ، ٢١٩	بنو اسماعيل
٢٦٩	الجزرية	١٣	أصحاب البرانس
٢٢١ ، ١٢٦ ، ٢٢ ، ٢٨	بنو جحج	٢١١	بنو الأصغر
١٠٥ ، ١٠٤ ، ٣٢	الحبيش ، الحبشة	١٩٦ ، ١٠٣ ، ٦٠	بنو أمية
١٩٢ ، ٢١٧		٥٢ - ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ -	الأنصار
٢٦٩	المجاذيون	٨٢ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٥	
٢٦٩	الحسنون	١٦١ ، ١٦٠ ، ١٤٩ ، ١٤٦ ، ١٣٢	
٢٦٩	الحسينيون	١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢	
١٢٣	الحشوية	١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ١٩٧ - ٢٠٤	
١١٤	بنو حنيفة	٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨	
١٠٢ ، ٥٩	خزاعة	٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٧ - ٢٤٩	
١٩٧	الخزرج	٢٦٨ ، ٢٧٣	
١٢٨	بنو خلف الخزاعي	١٩٧ ، ١٧٣ ، ٢٨	الأوس
٢٦٥ ، ١٨٥	الخوارج	٦١ ، ٢١٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٥	البدريون

٢٦٩	العراقيون	٥٩	موس
١٥٩ ، ١١٢	المشيرة	٨٢٤ ، ٤٢ ، ٢٠ ، ٩	الرافضة ، الروافض
١٨٧ ، ١٩	المطوية	١٢٠ — ١١٧ ، ١١٥ ، ١٠٩ ، ٨٤	
٢٢٢ ، ٩٤ ، ٩٢	العمرية	١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٢٩ ، ١٢٨	
٢١٧ ، ٢١٤ ، ١٢٩ ، ١١٤	فارسي ، الفرس	٢٢٤ ، ٢١٥ ، ١٨٨ ، ١٧٧ ، ١٤٩	
٢١٩	قحطان	٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧	
٢٦٩	القرشيون	٢٧٩	
٢٦٩ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٢٢ ، ١٤ ، ٩	قريش	٢١٩ ، ٢١٢	دبيطة
٢٦٤ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٦ ، ٥٢ ، ٥١		٢٢٢ ، ٢١٧ ، ٢١٤ ، ١١٤ ، ٦٥	الروم
٢٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٧		٢٤٢	
١٠٠ — ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٢٥		٦٢	بنو زهرة
١٢٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٨		١٨٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦	الزيدية
١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ — ٢٠٢		٢٧٩	
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٢		٩٤	بنو ساسان
٢٢٦ ، ٢١٩	قصي	١٥٩	السبعة
٢٦٦ ، ٨٢	قيس	٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ١٥٩	الستة
٥٢	بنو قيلة	٢٣٧	سودان مروان
٢١٩ ، ١١٢ ، ٦٤	كعب	٢٦٩	الشاميون
١٩١	كلاب	١٢ ، ١٨ ، ٤٤ ، ٤٩	الشيعة ، الشيعة
٢١٢	كلب	٨٢ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٢	
٨٢	كنانة	٢٢٥	
١٢٧	كنفة	٢٦٩	الصفريّة
٧	الكهنة	٢١٢	طبيّة
٢٤٨ ، ٢٩ ، ٢٢	بنو مخزوم	٦٤ ، ٦٢	بنو عامر
١٤٩ ، ٨٢	الرجلة	١٨٧	العباسية
٢١٩ ، ٢١٢	مضر	٢٢	بنو عبد الدار
٢١٩	بنو المطلب بن عبد مناف	٢١٩ ، ١٢٦	بنو عبد شمس
٥٩	المطيّون	٢١٩ ، ٢٠٥ ، ١٩١ ، ٢٢	بنو عبد المطلب
٢٦٥	المعتزلة	٢٤ ، ٦٠ ، ١٠٢ ، ١٧٧	بنو عبد مناف
٢٧٩	المعلمون	١٦٨ ، ١٩٠ — ١٩٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦	
١٦٧	بنو القيرة	٢٢٨ ، ٢٢٨	
١٣٧ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ٦٨ ، ٥٦	الملائكة	٣ ، ٧ ، ١٢ ، ١٩ ، ٧٤ ، ٩٢٤	العثمانية
١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٢٥		٩٤ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤	
٨١ — ٨٢ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ٦٦	المهلهجرون	١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٨٧ ، ٢٠٤	
١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٤٦		٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٧٧	
١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٠ — ١٦٦ ، ١٦٦		٢٧٩	
١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٢		٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩	المعجم
٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨		٢٢١	
		٢٤	عدي بن كعب

١٩٧ - ١٩٩ + ٢٠١ - ٢٠٤ + ٢١١	بنو هاشم	٦٠ + ٦٢ + ٨٢ + ٩٨ + ١٠٣
٢٢٠ + ٢٢٢ + ٢٢٨ + ٢٣٦ - ٢٤٦		١٢٦ + ١٩١ + ٢٠٠ + ٢٠٥ + ٢١٩
٢٤٨ + ٢٦٨ + ٢٧٢ - ٢٧٥		٢٢٤ + ٢٣٥
بنو مؤمل	آل يصر	٢٠
التجدات	اليمن	١٣٩ + ٢١٢ + ٢١٩
النصارى	يهود	١٥٠ + ١٩٩ + ٢٤٥

## ٧- فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٢٠٧ ، ٦٦	عنبر	١٤١ ، ٨٥ ، ٧١ ، ٦٢ ، ٦٢ ، ٤٥	أحد
٨٥	العوص	١٧٨ ، ١٦٩ ، ١٤٧ ، ١٤٢	
٣٢	حصى ججم	٢٩	أخشيبة مكة
١٨٥	الحيرة	٩٤	أذربيجان
٢٦٥ ، ٩٤	خراسان	٩٤	أرمينية
٤٥	الخنق	٩٥ ، ٩٤	أفريقية
٧٢	الشنعة	٢١٢	بابل
١٤٢ ، ٤٥	خبر	١٢٥	ياجر اوات
٥١ ، ٣٢	دار أبي بكر	— ٥٢ ، ٥٠ ، ٤٥ ، ٤١ ، ٣٣ ، ١١	بدر
١٩٠	دار خالد بن سعيد	٢٠٨٤ ، ٧١ ، ٦٧٤ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٦	
١٢٨	دار بني خلف الخزاعي	١١١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٩٤	
٢٢٢ ، ١٦١	دار عثمان	٢٤٦ ، ٢١١	
٢٦٥ ، ١٨٠	دمشق		برك ذات القعاذ
١٦٩	ذات السلاسل	٥٧	
٧٢	ذو طوى	٢٤٩	بزاحة
٩٥	سجستان	١٦١	البصرة
٨٠	المنج	٣٧ ، ٣٢	بطحاء مكة
١٧٩ ، ١٧٣ ، ٩٦ ، ٧٠ ، ٦٩	الشام	٨٢	البيق
٢٤١ ، ١٨٥		٦٤	بلنج
	شهر عمان	٦٤	البيت الحرام
١٧٥ ، ١٥٢ ، ١٢٥ ، ١١	صفين	٦٩	بيت المقدس
١١٢ ، ٨٥ ، ٥١	الطائف	٥٢ ، ٣٣	بئر معونة
٨٧	المانية	١٥٢	نجوف
٩٦	العراق	١٢٥	تستر
١٤٢٤ ، ١١١ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٢	عرش بدر	١١٢	الجبيل ( أبو قبيس )
١٤٦		٢١٤	جلولاه
٧١ ، ٣٧ ، ٣٢ ، ٣٢ ، ٣٠	الجزى (صمن)	١٤٤	الحجاز
٢٤٨	عمان	٧٢	الحجون
٤٤ ، ٤٢ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢١	الغار حراء	٧٦ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٤ ، ٦٢	الحديبية
		١٩٢ ، ١٣٧	

١٩٩	١٦١	مسجد الرسول	١٠٩٤	١٠١	١٠٠	٥٤٤	٥٢	٥١
١٣٦		مسجد قباء	١٤٢	١٢٠	١١٦	١١٥	١١١	
١٣٦		مسجد المدينة					٢٣٩	
١٢٥		المنشور	١٧٦	١٢٤				غدير خم
٢٢٤	٧٠	مصر	٢١٢					الفلوجة
٢٢٤	٢٢	٢٠ — ٢٥	٢١٥	٢١٤				القنسية
٢٧٠	٥٢	٤١	١٣٦					قباء
١٠٣	١٠١	٧٨٤	٧٢					قبر حمزة
١٢٥	١١٢	١١٢	١١٢					أبو قبيس
٢٢٤	٢١٧	٢٠٢	١٩٢	٢٢٧				قبي الناطف
٧٩		متزل عكشة	٩٤					كرمان
١٢٥		مهران	٧٨	٢٩				الكعبة
١٤٦		مؤنة	١٨٢					الكوفة
٢٤٨		نجيب	٦٤	٢٧	٢٢	٢٢	٣٠	اللات (صنم)
٢٥٠		نهاروند	١٧٨					العلائن
١٢٥	١١	النهر	٤٢	٢٢	٢٠	٢٨	١٠	المدينة
٢١٢		نهر الملك	١٠٥	١٠٢	٧٢	٦٦	٦٥	٥٢
٧١		هبل (صنم)	١٧٥	١٦١	١٥٢	١٤٧	١٢٦	١٢٦
٤١		يئرب	١٩٧	١٩٠	١٨٧	١٨٥	١٨٤	١٨٤
١٩٨	١٨٥	اليمامة	٢٣٧					١٩٨
٢٤٨	١٩٠	اليمن	٢٢	٢٩	٢٨			مسجد أبي بكر
٩٨		ينبع	٧٨	٦٤				المسجد الحرام

## ٨ - فهرس الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف

### أسامة بن زيد :

فصله ١٤٦ تسميته بالحب ١٤٧ تفصيل عمر له على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦

### أنس بن مالك :

اتهم الرافضة بالكفر والكلب ١٥٠ - ١٥٢

### أبو بكر الصديق :

قول الثماني أنه افضل الأمة ولولاها بالإمامة ٢ أول الناس إسلاما ٢ فصل إسلامه على اسم - زيد وخباب ٢٢ القول في منزلته ٢٤ كان جبر بن مطعم تلميذه في النسب ٢٥ ماله بمكة ٢٧ جوار الكنانى له ٢٧ عقه للمطمين ٣٠ ٢٣٠ طلب فريشله ٢١ دعاه العرب الى الإسلام ٢١ من أسلم على يده ٢٢ استجاب له سعد ٥٦ مجاهرته بإسلامه ٢٧ انفاقه ماله ٩٧٠٢٥ كلف بنى تيم برد عمالته في بيت المال ولم يفعل ذلك على ٩٨ استمراره في التجارة بعد الخلافة وفرض المسلمين نفقة ضرورية له ٩٩ بين زهده وزهد على ٩٧ موازنة بين ماله هو وماله على ٣٩ موازنة بين صحبة الفار ومبيت على على الفراش ٤٢ صحبته للرسول ٥٠ تعزية الرسول له في الفار ١٠٧ تلقيه بالصدى ٥١ ، ١٢٢ عظم لقب الصديق ١٢٨ اختصاصه بتسميتين ١٢٢ ويقولهم بإخليفة رسول الله ١٢ اشعار في تلقيه بالصدى لشعراء الشيعة وغيرهم ١٢٤ ما قيل من الشعر فيه ١١٠ محاجته فريشا في أسر الاسراء ٦٩ انفراده بالرسول في العريش ٥٢ كان له الفضل على زعماء من شهدوا بدرًا ٥٤ شفاعته لأسرى بدر ٦٧ كان أول من حث على قتال المشركين ٥٦ ، ٦٤٢٢ توليته يمنية حنين ٦٦ نبأه فيها ٦٦ معلومته لبديل بن ورقاء وعروة ابن مسعود في التخليل ٦٤ تقديم النبي لفي الصديبية ٧٠ صواب رايه في صلح الصديبية ٧٦ لفضله على الفتنة فيها ٧٨ نحر الرسول جملا عن سبعة اولهم أبو بكر ٧١ موازنة النبي بينه وبين عمر ١٧٢٦٨ اجلال النبي لأبيه ٧٢ مسايرة الرسول له وحده يوم فتح مكة ٧٢ لخواجة بينه وبين حمزة ١٤٧ نزوله فجر حمزة أول نازل ٧٢ علو منزلته عند أبي سفيان ٧٢٢٧ تركية عبد الله بن مسعود له ٨٦ ، ٢٢٤ تركية على له ٨٤ ، ١٢٦ ، ٢٢٥ اقتراح عمر تقديمه في الشرب ٧٢ وثاقفة علاقة الزبير به ٢٢٢ ، ٢٢٤ انزل فيه من القرآن عالم ينزل في أحد ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ليس في العشرة رجل مؤمن الأبوين غير ١١٢ ليس في المسلمين صاحب ابن صاحب ابن صاحب غير ولده عبد الله ١١٢ أحاديث في أنه خليل الرسول ١٢٥ وفي فصله ١٢٧ وضع حجر المسجد بعد الرسول ١٢٦ نامره على الحج ١٢٩ تفصيله بأمامة الناس في مرض النبي ١٢٠ ، ١٦٤ ، ١٥٠ صلى بالناس سبع عشرة صلاة ١٧٠ أماته لملى ١٢٩ سمة فقهه ٨٢ تبطله لأمر الرسول ٨٥ حسن فهمه لكلامه وإشارته ١٦٤٨٥ تماسكه حين علم بموت الرسول ٧٩٦٦ تحكيمة في موضع دفن الرسول ٨٢ حزمه بعد وفاة الرسول ١٩٩ انقلاؤه جيش أسامة ٨٢ فصله في حنغ انتكاس الدعوة ١٨٤ تصميمه في الردة ٦٥ شدته في أخذ الزكاة وفقهه في المطالبة بها ٨١ ، ٨٢ تقديم عمر له ٢٢٢ وكذلك أبو عبيدة ٢٢٢ توليته خلافا ٨٦ استخلافه لعمر وأصراره على ذلك ٨٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ صدق ظنه وقوة حسه في مرض موته ٨٧ لم يتزوج في خلافته ولا اتخذ سيرة ٩٨ وثاقفة ببعثه ٢٢٢ تثبيت على بيعته ٢٣٥ المعارضة في استخلافه ١٦٧ ضمن الرافضة في تخلفه عن جيش أسامة ١٦٦ مضهم في شجاعته ٢٤٢ دعواهم في ثاقفه ٢٤٢ تكريمهم له بجسده أمامة على ٢٤٩ زعمهم أن خلافا تربيته ثلاثة أشهر ١٩ البات إسلامه ٢٤٦ تحقيق قوله في أحساب

قريش وأنسابها وقوله « إن هذا الأمر ليس بخلق » ٢٠. مطعبه في الأحساب تميته خطبة له ٢٠٢.  
مناقشة قوله « وليت عليكم ولست بخيركم ٢٢٧ نظير كلمته هذه من كلام العرب ٢٢١

### بلال بن رباح :

تعذيبه وعقبة ٢٢ ادعاء الرافضة طعنه على أبي بكر وعمر ١٨٠

### حمزة بن عبد المطلب :

مواخاة أبي بكر له ١٢٧

### خالد بن الوليد :

زعم الرافضة تركه بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر ١٩٠

### الرافضة :

قولهم في اسلام على ٥ ، ١٨ ، ٢٠. تفخيهم لقتلى علي : مرحب ، وعمرو بن عبيد د ، والوليد  
ابن عتبة ٥٨ قولهم ان قريشا نصبت عليا لتقتله اقرارها ٦٠. وإن بني أمية صرخوا بالإمامه  
عنه لعندهم ١٩٦ قولهم ان عليا كان أفعه من أبي بكر ٧٤ رد على دعواهم في نزول القرآن  
في علي ١١٦ استشهاد بحديث راو مرضى عندهم ١١٦ قولهم ان عليا كان يتصدق وهو  
في الصلاة ١١٩ تكفيرهم للانصار والمهاجرين ١٤٩ قولهم بالنص على امامة علي ١٤٩ ، ٢٧٦  
اتهمهم لانس بالكفر والكلب ١٥٠ اكفارهم له لانه كان يحمل للحجاج ١٥٠ احتجاجهم بانس  
حين يؤيد مذهبهم واكفارهم له حين لايرضيه ١٥٢ طعنهم عليه بما أصابه من سوء في جسده ١٢  
مدحهم عليا بما لايق به ١٥٢ احتجاجهم بحديث « انت مني كهرون من موسى » ١٥٢ ، ١٥٨  
الرد على زعمهم مواخاة الرسول لملي ١٦١ طعنهم في صلاة أبي بكر بالناس ١٧٠ زعمهم ان خلافته  
كانت بغير اجماع ١٧٢ احتجاجهم بقول الانصار « لنا أمير ومنكم أمير » ويقول سلمان الفارسي  
« كرداد وتكرداد » ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٣٧ قولهم « ان ربيعة أبي بكر كانت فلتة » ١٩٦ قولهم  
ان ابا بكر وعمر كانا لايقولان بالنسوة ٢١١ رميهم عمر بالصبيبة ٢٢٠ تحقيق قولهم ان الزبير  
خرج شادا بسيفه ٢٢١ تكفيرهم ان اكرام امامة علي ٢٢٥ توليهم حذيفة وعمرار بمد اكفارهم ٢٢٦  
طعنهم على أبي بكر في قوله لوليكنم ولست بخيركم « ٢٢٧ طعن الجاحظ فيهم ٨٢ ، ٨٤ وفي  
زعمهم في الامام ٢١٥ جورهم في الحكم ١٤٢ مطالبة الجاحظ لهم ان يستشهدوا أهل الكتاب ١٥٥  
التفرد من الائتلاء اليهم ١٧٦ يحتجون باشعار شعرائهم ويوفسون اشعار سواهم ١٢٨ ادعائهم  
طعن بلال على أبي بكر وعمر ١٨٠ وطعن القناد ١٨٠ وطعن عمار علي أبي بكر وعمر ١٨٢ وطعن  
أبي ذر علي عمر ١٨٢ قولهم ان خلافا ترك بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر ١٩٠ ورميهم بأبيهم وشمان  
بالجبن ٢٤٢ دعواهم نفاق أبي بكر ٢٤٢ تكفيرهم اياه بجحده امامة علي ٢٤٩ زعمهم ان الناس  
الي علي علم كان وما يكون ٢٤٢ قولهم ان عليا كان للحقدون طلحة والزبير ٢٤٩ جملة دعواهم  
٢٢٨ جملة مناقضاتهم لكل ملاحق أبي بكر ٢٢٨ جملة ردودهم على طعنات الثمانية ٢٢٩

### أرسول الكريم :

تكريمه بزيارة أبي بكره عتاب الرسول ٩٢ لم يسلم من معارضة بعض أمته له ١٩٤ طبعات  
الناس بمد وفاته ١٩٦ رياسته الكبرى لم ينلها بالنسب ٢٠٥

### الزبير بن العوام

تحقيق قول الشيعة ان الزبير خرج شادا بسيفه ٢٢١ طلعت له امر ٢٢٢ انتباهه في هوى

أبي بكر ٢٢٢ وصية عثمان بن عفان له ٢٢٢ وثيقة علاقته بأبي بكر ٢٢٤ معادته  
لعلى ومفاخرته له ٢٢٤

زيد بن حارثة :

فضله ١٤٦ ذكره باسمه في القرآن ١٤٨  
الزينة :

تكفيرهم من أكرامه على ١٨٠ تمسكهم بأمر الوصية ٢٧٦  
سعد بن أبي وقاص :

كان من المستجيبين لأبي بكر ٥٦ مطالبته بالإمامة ١٥٩ ٢٧٥٤ فضله ١٥٩ أحاديث في فضله ١١٠  
سلمان الفارسي :

تقديره ١٧٩ احتجاج الرافضة بكلمته ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٢٢٧  
سهل بن حنيف :

مواخاة على له ولفته به ١٦١  
أبو طالب :

حمايته للرسول ٢٢  
عبد الله بن مسعود :

تزكيت له بكر ٨٦ ولعثمان ٢٢٤  
عثمان بن عفان :

أكثر لأجل وفاة موت الرسول ٧٩ - ٨٠ افتتح الثور كلها ٩٤ تزكيت على له ١٣٦ أثر عمر  
في تجسيم أخطائه ١٨٤ تقديم ابن مسعود له ٢٢٤ طعن الرافضة في شجاعته ٢٤٢  
العثمانية :

قولهم : أفضل الأمة وأولها بالإمامة أبو بكر ٢ قولهم في إسلامه على ٥ ، ١٩ ، ٢١ كثرة الفقهاء  
والمحدثين فيهم ١٧٦ مذهبيهم في النسوية ٢٠٦ قولهم بأن الله اختار للناس إماماً لا على النص  
والتسمية ٢٧٧ وسائر أقوالهم وردودهم على طعن الرافضة . انظر (الرافضة) .  
على بن أبي طالب :

القول في إسلامه ٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ تكريم التاريخ في البات وقت إسلامه ١٩ موازنة  
إسلامه بإسلام زيد وخبيب ٢٢ أثر حماية أبي طالب في إسلامه ٢٢ لم يكن له صنيع ظاهر  
في أول الإسلام في خلال ثلاث عشرة سنة ٢٨ القرار بفضل أبي بكر ١٠ ، ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٢٥  
وبفضله هو وعمر وعثمان ١٣٦ ، ٢٢٥ شيعته ببيعة أبي بكر ٢٢٥ تزويجه أم كلثوم لعمر ٢٢٦  
تسميته أولاده باسماء أبي بكر وعمر وعثمان ٢٢٧ قبوله تولية عمر إياه ٢٢٧ موازنة بين صحبة  
الغار ومبيته على الفراش ٤٢ موازنة بين مآلتيه هو ومآلتيه أبو بكر ٣٩ هو ورجل من عرش  
المسلمين سواء ٨٧ كان من فقهاء الصحابة ٨٨ خطؤه في الفقه ٨٩ - ٩١ اعتدال من خطئه  
بخطأ الصحابة والأبناء ٨٩-٩١ رجوعه في فتاويه ٨٩ لاجبة في اشارته على عمر ٨٧ لم يذكر  
في الحفاظ ٩٢ ولا القراء ولا أصحاب التفسير والحديث ولا من يتبعه الفقهاء ٩٢ ولا أصحاب  
قوة السلطان ولا أصحاب الفتوح ولا البارعين في السياسة ٩٤ ولا الدهاة ٩٥ ولم يكن مشتهراً



بعلم الكتاب ولا الفرائض والتأويل والقراءات ١٢١ القول في حروبه ٤٥ كان يقاتل وهو على نقة من النصر ٤٩ سجلت خطبة له أن القوم كانوا يشكون في علمه بالحرب ٩٦ دليل آخر على عدم معرفته بالحرب ٩٦ حديث الميلى معه في ذلك ٩٧ شدته يوم الحديبية ٧٨ تقدس الرافضة له ٩٢ قولهم بأن الله أمر إليه علم ما كان وما سيكون ٢٤٢ ما نقل فيه من القرآن فيما يزعمون ١١٥ قولهم أنه كان يتصدق وهو في الصلاة ١١٩ فخرهم بأن الرسول بعثه ليقرأ صدر سورة براءة على الناس سنة ١٢٩ ، ١٢٠ وبحديث «من كنت مولاة فعلى مولاة» ١٢٤ ، ١٤٢ — ١٤٦ ، ١٤٨ وبإخاء الرسول له ١٢٤ ، ١٦١ مؤاخاته لسهل بن حنيف ١٦١ كان مقلا لم أرى ٩٨ نصحه بيت المال ٩٩ تكفير الرافضة أن أنكر امامته ٢٢٥ النص على امامته ١٤٩ الظن في خلافته ١٧٢ معاداة الزبير لموافقته ٢٢٤ تسميته حربه لطلحة والزبير «لفتة» ١٧٥ نفور الصعبة والبغرين من الدخول في حروبه ١٧٥ كثرة الفتن في عهده ١٨٥ انتقاض المسلمين عليه ١٩٥ خلاف أصحابه عليه ١٩٥ مناقشة مذهبه في التسوية ٢١٨ زعم الرافضة أن قريشا تصبى عليه لتقتيله الخريفا ٦٠ وأن بني أمية صرفت الإمامة عنه لعقدائها عليه ١٩٦ منزلة سعد بن أبي وقاص له ٢٧٥ الوصية له وإنكار ابنه عمر لها ٢٧٥

#### عمر بن الخطاب :

تزكية على له ١٢٦ ، ٢٢٥ قبوله توليته ٢٣٧ تسمية على ولده باسمه ٢٣٧ تزويجه إياه أم كلثوم ٢٣٦ لاحقة في إشارة على عليه ٨٧ تعظيم ابن مسعود له ٢٢٤ استخلاف أبي بكر له ٨٦ ، ٢٧٤ تقديمه لأبي بكر ٢٣٢ ، ٢٣٣ تفصيله أسامة على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦٤ أحاديث في الموازنة بينه وبين أبي بكر ٦٨ ، ١٣٧ شدته في الحديبية ٧٨ إنكاره موت الرسول ٧٩ — ٨٠ أثره في تجسيم أخلاف عثمان ١٨٤ تحليل نهجته لأمر المعجم ٢١٤ قوله في التسوية ٢١٥ تعظيمه لصهيب الرومي ٢١٦ ، ٢١٧ وإسلام مولى أبي حذيفة ٢١٧ ، ٢٧٤ وصيته لسالم ٢٧٤ جملة الخلافة بعده شوري بين سنة ٢٧٤ رمى الرافضة له بالعصية ٢٢٠ السر في ذلك ٢٢١

#### مسطح بن أثانة :

خبره ٥٥ ، ١١٧

#### هارون عليه السلام :

وزارته لوس ١٥٦

### ٩ — فهرس الأبحاث المتصلة بالمعارف العامة

#### آية :

آيات في التسوية ٢٠٨

#### اجتماع :

كلمة فيه ١١٦ اجتماع الأمة امر لا ينال ١٩٥

#### أحاديث :

في التسوية ٢٠٧ في فضل البراء ١٤١ وأبي بكر ١٣٥ ، وأبي ذر ١٢٨ ، وزينب عمرو ١٤٢ وسعد بن معاذ ١٤١ وسعد بن أبي وقاص ١٦٠ وأبي سفيان ١٤٠ وطلحة ١٤١ وأبي حبيدة ١٤١ وعثمان ١٤١ وعكاشة ١٣٩ وعمار ١٤٢ وعمر ١٣٧ ، ١٤٠ وابن مسعود ١٤١ في الموازنة بين أبي بكر وعمر ٦٨ ، ١٣٧

## اخ :

تحقيق معناها والفرقة بينها وبين الخليل ١٢٥

## اختيار :

كلمة فيه ٢٥٢ ترك الاختيار ربما كان اختيارا ٢٧٨

## أسباب :

الاسباب المشجعة على القتل ليس الدين تولها ٤٧

## استثناء :

تركه حين يكون مرفعا مشهورا ١٢٨

## أسراء :

معاذ أبي بكر قريشا في امر الاسراء ٦٩

## امامة :

تحقيق فيها ١٥٤ هل على الناس ان يتخلوا اماما ٢٥٠ ليس للامة ان تختار الامام ١٥٦ يجب

على الخاصة اقامته ٢٦١ متى يكون ذلك ؟ ٢٦٢ وكيف يكون ٢٦٥ طرأ امامته ٢٧٠ النص

على الامام ٢٧١ ليس في القرآن آية تنص على امامة ٢٧٢ وكذلك الحديث ٢٧٣

## انبياء :

بعض ما اصابهم من السوء في جسمهم ١٥٢

## تاريخ :

نهيجه في اثبات وقت اسلام على ١٩

## تحقيق :

كلمة الاخ والخليل ١٢٥ الاولى ٢٠٨

## تخصيص :

تركه حين يكون مفهوما مشهورا ١٢٨

## تسوية :

مذهب الضمانية فيها ٢٦٠ احاديث فيها ٢٠٨ آيات فيها ٢٠٨ زعم الرافضة ان ابا بكر وعمر

كانا لا يقولان بالتسوية ٢١١ قول عمر فيها ٢١٥ مناقشة مذهب علي فيها ٢١٨ .

## تعذيب :

تعذيب المسلمين ٢٩

## توقيت :

توقيت زمن الدنيا الى عمر الجاحظ بسبعين قرنا ٢٠٩

## حديث :

الحديث الضيف والشاذ ١١ الاعتماد على قوة السند ١٢٦ . وانظر (احاديث) .

## خاصة :

احتياج العامة اليهم ٢٥٢ وجوب اقامة الامام عليهم ٢٦١ متى يلزمهم ذلك ٢٦٢ وكيف يكون؟

٢٦٥ كيف يختارون واحدا من عشرة ٢٦٨

خبر :

خبر مسطح ٥٥ ، ١١٧

خلافة :

انظر ( امامة )

خليل :

التفرقة بينه وبين الاخ ١٢٥

دفاع :

دفاع عن البدرين والهاجرين ٦١

دنيا :

صلاحها بتبدير الخاصة وطلاعة العامة ٢٥١

دين :

ليس الدين اول الاسباب الشجعة على القتال ٤٧ صغوية علم الدين ١٧

ورئاسة :

فصل رئيس الجيش على القتالين ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ لا تستحق في الدين بغير الدين ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤

شبه :

شبه صاحب والوزير برئيس الجيش ٥٠

شهر :

في ابي بكر ١١٠ في تلقب ابي بكر الصديق ١٢٤

صبي :

حكم اسلام الصبي ٢١

طلاعة :

متى تتحقق الطاعة والمصية في العامة ٢٥٢

عامة :

جول العامة بالدفق ٢٥٠ تشبيههم بجوارح البدن ٢٥٠ صلاح الدنيا بتبدير الخاصة وطلاعة العامة

٢٥١ احتياجهم الى الخاصة ٢٥٢ متى تتحقق الطاعة والمصية فيهم ٢٥٢ ماذا يعلمون وماذا

يجهلون ٢٥٢ باب آخر تجهل العوام ولا يشعرون بحجزهم عنه ٢٥٢ معرفتهم بالله ورسوله ٢٥٥

ليس لهم ان يختاروا الامام ٢٥٦ هل العامة محجوجون ٢٥٨

عتاب :

عتاب الله لرسوله ٩٢

عدوثة :

عداوة خراة وتليف وابي لهب للمسلمين ١٠٢

علم :

علم الدين والكلام ، صغويتها ١٧

### قتال :

فصل الرياسة فيه على مباشرته ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ تهوين أمر القاطلة ٤٦ ، ٤٧ الأسباب المشجعة عليه ليس الدين أولها ٤٧

### قرآن :

اعجازه ١٦ نطقه بأمر الفار ٤٤ كيف نعلم قصده لبعض الناس ١٠٠ منازل منه في أبي بكر ١٠٠ دعوى الرافضة نزول القرآن في ١١٦ ليس فيه آية تنص على إمامة ٢٧٢

### كلام :

صعوبة علم الكلام ١٧

### مسلمون :

تعذيبهم ٢٩ مداواة خزانة وتقيف وإبى لهب لهم ١٠٢

### مصاحف :

رقمها ١٢

### ملائكة :

التأييد بالملائكة ١٠٨ الملائكة الكالين ١٠٩

### مواخاة :

المواخاة بين الصعابة ١٦١

### مولى :

تحقيق معناها ٢٠٨

### نفس :

طبقاتهم بعد وفاة الرسول ١٩٦ العامة والخاصة ٢٥٠ . اختلاف طبائع الطوائف ٢٥٦

### نبوغ :

لا يحتاج في معرفته الى اجتهاد ٢٦٦

### هجرة :

الهجرة وسريتها ٥١ فضل هجرة المدينة على هجرة الحبشة ١٠٦

### وزارة :

وزارة هارون موسى ١٥٦ شبه صاحب والوزير برئيس الجيش ٥٠

### وصية :

الوصية بالإمامة ٢٧٥ — ٢٧٩ قول الرافضة أنها كانت بالسنّة لإبائهم ٢٧٦

## استدراك وتذييل

س	ص	يُحذف رقم (٥ -) من مبدأ السطر .
١٦	٦	
١٣	٢٤	« هَيْجُجُ النَّطَارِيفِ » . يراد بالنطاريِف القصاصِدُ الجِيَادُ البَارِعَةُ ، وهو تحريض على هجوم . وأصل معنى الفطريف السيد الشريف ، كما ورد في الحواشي ١٦ .
٢٤١	١١٨	كُذِّبَ فِي الْأَصْلِ ، وَالظَّنُّ أَنَّ فِي الْكَلَامِ بِهِ سَقَطًا .
٥	١٣٤	هَكَذَا وَرَدَتْ الْبَارَةُ فِي الْأَصْلِ . وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي الْكَلَامِ : « فَإِنْ قَالَتْ الرَّاغِضَةُ : مَا يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ . . . الْخ .
١٤	١٤٩	« عَدَدُ الْفَضْلِ » كُذِّبَ فِي الْأَصْلِ . وَيَصِحُّ أَنْ تَقْرَأَ « الْفَضْلُ » جَمْعَ فَاضِلٍ . أَوْ لَهَا « عَدَدُ ذَوِي الْفَضْلِ » .
١٦	١٧٢	« بَأَنَّ يَكُونُ لَهُ فِي الْإِمَامَةِ » . هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ ، وَالْوَجْهُ « بَأَنَّ لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْإِمَامَةِ » .

## صواب أخطاء الطبع

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٣٠	١٢	مِنَ الْمَذْبُوحِينَ الْمُفْتُونِينَ	١٧٤	٢	مَسْلَمَةٌ
٣٣	١٧	الْفَتْحُ ٤٦٣	١٧٦	٩	اِتِّقَاضًا
٤٩	١٥	إِلَّا أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّ النَّبِيَّ	١٩٨	١	وَالطَّنَامَ
٩١	١٤	فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ	٢٢٦	٨	وَأَنَّهُ لِحَيِّفَةٌ
٩٧	٧	تَمَصَّرَ عَيْنِيكَ	٢٣٢	١٠	إِلَّا سَبَقْنَا
٩٨	١٤	وَمِنْهُ	٢٥٠	٧	وَفِي التَّنْقِصِ
١٠٠	٢٢	أَيُّ وَلَوْ لَمْ يَذْكُرْ	٢٥٣	٧	خَبْرٌ لَيْسَ لِلْخَاصَّةِ فِيهِ
١٧٣	١	وَلَا حَقٌّ			



# مؤلفات ومحققات أخرى

## للمؤلف

تطلب من مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد

عدد	
١	الميسر والأزلام ( بحث تاريخي اجتماعي أدبي لغوي )
١	تحقيق النصوص ونشرها ( أول كتاب عربي في هذا الفن )
١	تهذيب سيرة ابن هشام
٧	نواذر المخطوطات ( ظهر منها إلى الآن ٢٤ كتابا في سبع مجموعات ) شرح وتحقيق
٧	الحيوان ، للجاحظ
٤	البيان والبيان ، للجاحظ
٦	مقاييس اللغة ، لابن فارس
٢	مجالس ثعلب
٤	شرح الحماسة ، للرزوقي
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم
١	همزيات أبي تمام
١	المفضليات الخمس
١	المفضليات ( بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر )
١	الأصمعيات ( )
١	إصلاح المنطق ( )
١	تعريف القدماء ( بالاشتراك مع لجنة أبي العلاء )
٥	شروح سقط الزند ( )

مطبعة  
دار الكتب  
محمد حسين النسياني

Biblioteca Alexandrina



0419992